MARC

بسم الله الرحمن الرحيم

# "মুসাহামাতু শুআরা-ই- আল-রাবিতা আল-কালমিয়্যাহ ফি- আল- আদব আল-আরাবী আল-মাহ্জার"

(প্রবাসী আরবী সাহিত্যে কলম সংঘের কবিদের অবদান)

**ATHESIS**

SUBMITED FOR THE AWARD OF THE DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY
(Ph.D.) IN ARABIC DEPARTMENT OF ARABIC, FACULTY OF ARTS ,
UNIVERSITY OF DHAKA

BY

**MD. MANIROZZAMAN**

UNDER THE SUPERVISION OF

**PROF. DR. MOHAMMAD YOUSUF**
(Ph.D. Dhaka)
DEPARTMENT OF ARABIC
UNIVERSITY OF DHAKA
DHAKA-1000, BANGLADESH

**APRIL, 2010 AD.**

بسم الله الرحمن الرحيم

# مساهمات شعراء الرابطة القلمية فى الأدب العربى المهجرى

GIFT

## أطروحة

قدمت لنيل شهادة الدكتوراه فى العربية

القسم العربى ، كلية الآداب ، جامعة داكا

448940
ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয় গ্রন্থাগার
Dhaka University Library
448940

الباحث

محمد منيرالزمان

جامعة داكا، داكا-١٠٠٠، بنغلاديش

تحت إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف

القسم العربى ، جامعة داكا

داكا-١٠٠٠، بنغلاديش

ابريل٢٠١٠م

**Dr. Mohammad Yousuf**
MM (Double), BA (Hons) MA (DU) PhD (DU)
Professor
Department of Arabic
University of Dhaka
Voice 02-9673737, 0178-082595

**الدكتور محمد يوسف**
الأستاذ
في القسم العربي
جامعة داكا
الهاتف : 02-9673737 جوّال : 0178082595

Ref : .....

Date : .....

# TO WHOM IT MAY CONCERN

This to certify that Mr. Md.Manirozzaman, a Ph.D. student of the Department of the Arabic, University of Dhaka has completed his Ph.D. research work leading to Ph.D. on the topic entitled **"MOSAHAMATO SOARA- E- AL- RABITA AL-KALAMIAH FI- AL- ADAB AL-ARABI AL- MAHJAR"** under my supervision. It is an original work and entirely done by him. So far my knowledge goes no work has been done under the same title any where in the world. I have gone through the Manuscript of The Thesis and recommended it for submission to the University of Dhaka for the Award of the Ph.D. Degree in Arabic.

I wish him all success in life.

448940

ঢাকা
বিশ্ববিদ্যালয়
গ্রন্থাগার

yousuf 11/04/2010

**( DR. MOHAMMAD YOUSUF )**
Professor & Supervisor
Department of the Arabic
University of Dhaka
Dhaka- 1000, Bangladesh.

Dhaka University Institutional Repository

# DECLARATION

I do hereby declare that the research work entitled **"MOSAHAMATO SOARA - E - AL -RABITA AL-KALAMIAH FI- AL- ADAB AL- ARABI AL- MAHJAR"** is an original work which has been completed by me. So far my knowledge goes no Ph.D. work has been done under this title any where in the world.

মো: মনিরুজ্জামান ১১/০৪/২০২০

**( MD. MANIROZZAMAN )**
Researcher

Dhaka University Institutional Repository

# شكر واعتراف

أحمد الله حمد الشاكرين حيث قال عز وجل "لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد" بناء على قوله تعالى أتقدم بشكرى واعترافى قبل كل شئ إليه عز وجل بأنه وفقنى لإكمال هذا البحث وإتمامه وذلك من فضله وكرمه وإحسانه.

ثم أتقدم بشكرى واعترافى إلى إدارة جامعة داكا بجميع أنواع المساعدات الإدارية والأكاديمية خاصة أساتذة القسم العربى وزملائ وأصدقائ الذين ساعدونى بالوصايا الثمينة والتشجيعات الخالصة لإكمال هذا العمل القيم.

وأقدم خالص شكرى الجليل واعترافى المتواضع إلى الوالين الشفيقين لما بذلا قصارى جهودهما فى سبيل تربيتى تربية إسلامية صحيحة وفى تدريسى اللغة العربية والمواد الدينية والتراث الإسلامى.

وأخص بالشكر والاعتراف أستاذ الأدب الماهر فى أساليب تعليم مهارات اللغة العربية فى بنغلاديش سماحة الدكتور محمد يوسف الأستاذ بالقسم العربى بجامعة داكا على ما شرفنى بإشرافه الميمون رغم مشاغله الكثيرة ونشاطاته المختلفة وأفادنى بإرشاداته الثمينة وتوجيهاته النبيلة وتشجيعاته الموفرة واهتمامه التام ولا أبالغ لو أقول إنه فريد فى الأدب الحديث فى بنغلاديش فجزاه الله أحسن الجزاء و والثواب وبارك الله فى حياته وعلمه لخدمة الأدب العربى فى العالم.

ثم أقدم خالص شكرى واعترافى إلى أستاذ الأساتذة الأديب الحديث والناقد الجليل الدكتور محمد أبوبكر صديق الأستاذ بالقسم العربى بجامعة داكا والأستاذ أبو طاهر محمد مصلح الدين رئيس القسم العربى سابقا بجامعة داكا سابقا على ما أفادانى من توجيهات إرشادية فى إعداد الرسالة والأستاذ الدكتور نثارالدين أحمد الأستاذ فى قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية بكوشتيا، حيث أمدنى بالكتب المهمة ، وإلى بعض الإخوة الأعزة لابد من نكرهم وإلا سوف يكون مقصرا فى أداء الشكر لهم ، منهم الأخ المكرم الدكتور محمد رحيم الله أستاذ قسم الدعوة والدراسة الإسلامية بالجامعة الإسلامية كوشتيا والأخ محمد آزاد طالب جامعة الأزهر المعروف و محمد بلال حسين وذاكر حسين طالبا القسم العربى بجامعة داكا الذين قد ساعدونى فى إعداد الرسالة فأذكرهم متشكرين لهم.

الباحث

محمد منيرالزمان

Dhaka University Institutional Repository

# شعراء الرابطة القلمية

جبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١م)

ميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٨٨م)

إيليا أبو ماضي (١٨٩٤-١٩٥٧م)

نسيب عريضة (١٨٨٧-١٩٤٦م)

رشيد ايوب (١٨٧١-١٩٤١م)

ندرة حداد (١٨٨١-١٩٥٠م)

Dhaka University Institutional Repository

# التمهيد

Dhaka University Institutional Repository

بسم الله الرحمن الرحيم

# التمهيد

أحمد الله حمد الشاكرين والصلوة على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين. أما بعد. فإن اللغة العربية أحب اللغات عند الله ورسوله والمؤمنين جميعا . وقد اتخذت أشرف الأمكنة بين لغات العالم فى هذا العصر الحديث، اعتبرتها هيئة الأمم المتحدة كلغة ثالثة لمكتبها . وسبب شرفها هذا أنها تحمل فى أمعاءها ومعدتها تلك الأوصاف والمواد والمزايا من العلوم والفنون ما تحملها اللغات العالمية السامية الأخرى كالإنكليزية والفرنسية ، الحديثة والقديمة سواء. وقد قام بممارسة هذه اللغة جم غفير من الأدباء والشعراء فى كل عصر من العصور . فقد أسهم الكثير من الأدباء والشعراء من أبناء اللغة فى داخل البلاد العربية من نعرف شأنهم وأعمالهم . وقد قام من أبناء العرب جم غفير بالأعمال الأدبية فى خارج بلادهم من أمريكا وأوربا وأفريقة وغير ذلك بعد أن هاجروا إليها، من يعلمهم البعض ويجهل عنهم البعض، قد ابتدعوا أدبا ساميا فى مهاجرهم وكان أدبهم ملوّنا بلون جديد، فيه مواد مفيدة لذوى الأذواق السليمة، وغذاء يلائم للفكر الصحيح. فإن الأدب المهجري فيه من السحر والجمال والروعة ، فسحره وروعته تعيد الكثيرين منا إلى الشباب ومقاعد الدراسة ، والاستمتاع بجمال الكلمة والفكرة ، وسحر المضمون ، وتفرد النص الأدبي المهجرى الذي حمل في معظمه نزعات قومية وإنسانية تنقلنا من عالم غابت عنه العدالة والحرية والجمال إلى عالم آخر، فيه التقنية والحداثة والعولمة والتحديث. وخلفية هذا الأدب المهجرى أن وطأة السياسة العثمانية كانت ثقيلة جدا على سورية ولبنان خلافا لما عاناه الشعب في دول عربية أخرى ، حيث المصادرات والمطاردات والاغتيالات والاعدامات ، إذن كان للهجرة ما يبررها ، وكان بنتيجة ذلك الأدب المهجري . والمراد بالمهجر أمريكا الشمالية والجنوبية . قد قام جماعة من الأدباء فى الشمال لخدمة لغتهم الوطنية فأسسوا هيئات أدبية وأشهرها الرابطة القلمية و كذا قام جماعة فى الجنوب وأقاموا هيئات أدبية وأشهرها العصبة الأندلسية ، وكل هذه الهيئات قد أسهمت فى حقل الأدب العربى وسيعا . و خصصت ههنا بالبحث العنوان "مساهمات شعراء الرابطة القلمية فى الأدب العربى المهجرى" لإن الغاية من تأسيس الرابطة القلمية كما جاء في الأهداف هو : التجديد في الفكر والمعنى والخيال والأسلوب، والابتعاد عن الأفكار المبتذلة .... وهذه الرابطة قد تركت لنا ثروات كبيرة فى الأدب العربى ، مع قلة حياتها ما لا يتعدى عشر سنوات ومساهمات شعراءها مما

Dhaka University Institutional Repository



يذكر، قد أسهموا كبيرا وتركوا لنا مؤلفاتهم و دواوين أدبية ثمينة . لذلك يأخذ كل من هو عارف بالأدب العربى أعمال أعضاء الرابطة بالاهتمام.

## أهمية هذا الموضوع:

ظهر بالبيان السابق آنفا بأن الأدب المهجرى حامل لميزات أدبية التى هى مفيدة لكل أديب ذى ذوق سليم . والذى يريد أن يوسع آفاقه الأدبية وأنيسهم فى مضمار الأدب رفيع المستوى ويجعل أدبه كأدب سامى ينبغى له أن يدرس الأدب المهجرى وأساليبه ومناهجه ومواده. فيتمكن بذلك على الإنتاج الأدبى وتكوين الفكرة السليمة التى لا بد لكل فرد من أفراد المجتمع الأنسانى.

## أسباب اختيار الموضوع

١- إن الرابطة القلمية هيئة معروفة بين الهيئات الأدبية فى العالم ، وتكونت الهيئة بأعضاء قد تميزوا بآدابهم بين الأدباء البارعين ، وأسهموا فى حقل الأدب المهجري إسهاما كبيرا ، و أتاحوا للأدب لونا جديدا ، لذلك اخترت المادة "مساهمات شعراء الرابطة القلمية فى الأدب العربى المهجرى " كى يمكن فى حق الراغبين والمتطلعين أن يطلعوا على المادة ويستفيدوا بماءها .

٢- إن شعراء الرابطة القلمية قد أبقوا لنا ثروات أدبية كبيرة، ينبغى لنا أن نتناولها وننهل منها .

٣- لشعراء الرابطة أسلوب خاص فى وضع الأدب ، ينبغى لكل طالب أدب أن يدرسها.

٤- إن العربية لغة عالمية ، فحقها أن يحفظ جميع أعمالها بالاهتمام الكامل .

٥- إن الأدب المهجرى قد ساهم فى تطور المجتمع العربى كما فى وطنه كذلك فى المهجر، وأن شعراء الرابطة كانت لهم إسهامات جليلة . فمساهماتهم تفيدنا فى تطور مجتمعنا لو اتبعناها فى الأدب والفكر.

٦- إن أعضاء الرابطة قد جاهدوا بأقلامهم لتحرير بلدهم و استقلال الناس من الظلم والتعصف، فينبغى لكل رجل يقظ يحب التحرر ويبغض الظلم والاضطهاد أن يعلم مساعيهم فى مدافعتهم ومقاوماتهم لأهل الحكومة الظالمة المستبدة.

Dhaka University Institutional Repository



**منهجى فى البحث** : المناهج التى سرت عليها فى إنجاز بحثى هى كما يلى -

١- وضعت بحثى على ستة أبواب، وتحت كل باب فصول ومجموعها أحد وثلاثون.

٢ - ذكرت أولا تاريخ الهجرة التى هى مركز النشاط لإنتاج الأدب المهجرى ثم بحثت عن الأدب المهجرى والرابطة القلمية تفصيلا.

٣ - ركزت على الأفكار المحورية لموضوع البحث وتعرضت الكثير من الجزئيات المتصلة بالموضوع على سبيل الاختصار.

٤- اعتمدت على المصادر والمراجع الموثوق بها فى نسبة الرابطة القلمية.

٥ - استخدمت للإنتاج أسهل الأسلوب وأيسر العبارات وأوضحها فى معالجة الموضوع حتى لا يصعب على الباحثين والدارسين فهم المقاصد.

٦- استشهدت بالنصوص الأدبية من الشعر والنثر فى مكان يلزم ذلك.

٧ - ذكرت فى الهوامش أسماء الكتب التى استعنت بها وأخذت عنها ، إتماما للفائدة لمن يريد الرجوع إليها .

فنهجت هذه المناهج كلها رجاء أن يكون بحثى نموذجا على البحث السليم والدراسة الصحيحة. ولتسهيل إنجاز الرسالة قسمت بحثى إلى تمهيد وخاتمة وستة أبواب، كل باب مشتمل على عدة فصول ويكثر عدد صفحة الفصول ويقل على حسب حجم الباب ومحتواه وفى الأخير ذكرت محتويات الرسالة والمراجع والمصادر على ما يلى :

**الخطة التى قام عليها البحث**

**الباب الأول : مهاجرة الشعراء والأدباء**

الفصل الأول : خلفية الهجرة

الفصل الثانى : أسباب الهجرة

الفصل الثالث : أحداث الهجرة والرواد الأولون ومراحلها

**الباب الثانى : المهاجرون وأدبهم**

الفصل الأول : حياة المهاجرين وأعمالهم

الفصل الثانى : الأدب المهجرى

الفصل الثالث : الصحافة العربية فى الولايات المتحدة الأمريكية

Dhaka University Institutional Repository



**الباب الثالث : الرابطة القلمية**

الفصل الأول : الفنون مجتمع الشعراء

الفصل الثانى : تأيس الرابطة القلمية

الفصل الثالث : صدور مجموعة الرابطة القلمية

الفصل الرابع : أثر المجموعة فى الشرق العربى و المهجر

الفصل الخامس : تأثر أعضاء الرابطة بالغرب

الفصل السادس : نهاية الرابطة القلمية

الفصل السابع : البيئات الفكرية العربية فى المهجر الشمالى والرابطة القلمية

**الباب الرابع : شعراء الرابطة القلمية**

الفصل الأول : جبران خليل جبران

الفصل الثانى : ميخائيل نعيمة

الفصل الثالث : إيليا أبوماضى

الفصل الرابع : نسيب عريضة

الفصل الخامس : رشيد أيوب

الفصل السادس : ندره حداد

الفصل السابع : المقارنة الأدبية بين شعراء الرابطة القلمية

**الباب الخامس : الاتجاهات العامة فى أشعار شعراء الرابطة القلمية**

الفصل الأول : التجديد فى الموضوعات

الفصل الثانى : التجديد فى الأوزان

الفصل الثالث :التجديد فى الموسيقى

الفصل الرابع : النثر الشعرى والشعرالمنثور

الفصل الخامس : التجديد فى الألفاظ

**الباب السادس : مساهمات شعراء الرابطة القلمية فى فنون النثر المهجرى**

الفصل الأول :المقالة

الفصل الثانى : القصة

الفصل الثالث :المسرحية

الفصل الرابع : السيرة

الفصل الخامس : المثل والرسالة

الفصل السادس : الخصائص العامة للنثر المهجرى عند كتاب الرابطة القلمية .

**الخاتمة : بينت فيها خلاصة البحث .**

الباحث

Dhaka University Institutional Repository

# الباب الأول : مهاجرة الشعراء والأدباء

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الأول : خلفية الهجرة

إن البلاد السورية قد أحاطها الفقر والجهل والتخلف والتعصب الممقوت فى آواخرحكومة تركيا فاصبحت حالها سيئة فاسوأ وبدأت تضعف فى الوقت الذى وضع محمد على (١٧٦٩-١٨٤٩م)[١] قدميه على أرض مصر ، فقد قدم إليها ضابطا فى القوة الألبانية التى بعث بها سلطان تركية عام ١٧٩٩ م للقضاء على حملة بونابارت ، و تمكن محمد على حكومة مصر كما أنه تمكن من إخضاع المماليك بحيلته ، و لما حدثت المذبحة المشهورة الدامية فى فلسطين ولبنان عام ١٨٦٠م التى انفرد بعدها بالحكم كما أنه تمناه ، و كانت الدولة العثمانية فى اخر أيامها قد شاهدت وأحست أن الفكرة الإسلامية والنهضة السياسية تبعث من مضجعها و تدعو إلى إقامة اتحاد إسلامى يقف بجانبها إذا ما اشتد الخلاف بينها و بين أوربا ويكون لها ناصرا ومساعدا، فعملت على ظهور دعوات إسلامية مختلفة فى الدول العربية لإطفاء الحركات المعارضة ولتقوية تنفسها الضعيفة .

قام دعاة مشهورون للتجديد والإصلاح لمساعدة تركيا فى العرب، كان منهم الداعية جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨-١٨٩٧م) الذى حماه الترك لأهدافهم الفاسدة. وكانت المسألة فى الحقيقة معقدة إذ أن هذه الدعوات لم تكن ترغب فى مساعدة تركيا من الناحية السياسية مساعدة مطلقة . كل ما فى الأمر أن الدعوة إلى اتحاد إسلامى راقتها، وهى فى نفس الوقت لا تميل إلى الدول الأوربية لسوء علاقتها معها ، فخاف الأتراك عاقبة مرهبة ، و خاصة لما كبر نفوذ الوهابيين واستقلوا بجزيرة العرب، فوكل السلطان محمد على يأمرهم ، فتوجه محمد على (١٧٦٩-١٨٤٩م) وابنه إبراهيم (١٧٨٩-١٨٤٨م) للقضاء على الحركة السياسية الوهابية، و تم لهما ذلك وعادا منتصرين فى هذه الحرب التى خاضاها ضد الوهابيين لحساب تركيا.[٢] وهنا تهيأت لمحمد على وابنه إبراهيم فرصة الاتصال المباشر بالعالم العربى، فأصبح محمد على يحلم بإقامة إمبراطورية عربية ، هذه الفكرة التى راودته و عمل الكثير من أجلها ، بل كاد يصل إلى تحقيقها لولا تدخل النفوذ الأجنبى. و فى عام ١٨٢٢م ساعد محمد على تركيا فى حربها ضد اليونان ، وكان ينتظر من السلطان أن يرد له الجميل بضم سورية إلى ولايته المصرية ،

---

[١] . هو مؤسس السلالة الخديوية فى مصر، ولد فى يونان وجاء إلى مصر ١٨٠٥م . قضى على المماليك فى مذبحة القلعة ١٨١م ، وجه حملة إلى الجزيرة العربية ١٨١١- ١٨١٩م وفتح السودان ١٨٢١م . الأب فرديناند توتل ، المنجد فى الأعلام ، (بيروت : دار المشرق ٢٠٠٧م)، ط ٤٢، ص ٥٢٤

[٢] . د. نادرة جميل السراج ، شعراء الرابطة القلمية ( مصر: دار المعارف ب ت)، ط٣، ص٢٦

Dhaka University Institutional Repository



ولكن أمله لم يتحقق ، فما كان منه إلا أن بعث حملة بقيادة ابنه إبراهيم (١٧٨٩-١٨٤٨م) فتحت سورية فى مايو عام ١٨٣٢م .[٣]

أما الأمراء الشهابيون الذين خلفوا العرب التنوخيين كانوا فى الإمارة علي لبنان، واستمرت إمارتهم إلى عام ١٨٤١م بعد سقوط الحكم المصرى فى أرض سورية، كانوا ذا سلطة وشوكة قوية فى البلاد فضيقوا السلطان التركى مما اضطره إلى نفى الأمير بشير الأول عام ١٨٢١م إلى مصر، فاتصل هو بمحمد على ضد السلطان التركى ، وكانت له يد فى مساعدة الحملة المصرية فى فتح الشام، إذ تم لإبراهيم ذلك كما ذكرنا فى عام ١٨٣٢م ، ودخل دمشق ثم وصل إلى حمص و توغل فى تركية ، و كان يضرب الضربة القاضية على "رجل أوروبا المريض" - أى تركية كما كان يسميها الإفرنج[٤] - حينما أحست الدول الكبرى الثلاث بالخطر ، فأجبر ته إنجلترا والنمسا (Osterreich) وروسيا على الرجوع . سمع أهل سورية من سماح إبراهيم وحبه للخير والمساواة فرحبوا مقدمه فى بلادهم وتقبلوه بالحسن، وخاصة أن حكم الأتراك لسورية قد بات مكروها من الجميع ، فكانوا يودون التخلص والنجاة من حكومتها.

قد بذل محمد على وولده إبراهيم مساعيهما فى مبدأ الأمر في خلق فكرة عربية تساعدهما فى تاسيس مملكة عربية كبيرة ، ولكن الدول الغربية كانت متيقظة للخطر فأرغمت محمد على على قبول ولاية الشام مدى الحياة بدلا من بقائها وراثية فى نسله ، فتظاهر بالرضا مرغما ، و لكنه أخذ هو و ولده يقاومان سرا ، ولما أحست الدول الأوربية بأعمالهما وسرهما فرأت أنه لابديل للمقاومة الفعلية ضدها ، فاضطر محمد على إلى عقد وثاق مع الغرب بقى واليا إثرها تحت إمارة السلطان الذى تراقبه دول أوربا العظمى ، و هكذا ذهبت أحلام محمد على فى تكوين إمبراطورية عربية يكون هو زعيمها ، وذلك أنه لم يكن من الممكن للوعى القومى العربى ان يتنبه بعد طول سبات دفعة واحدة ليحقق مثل هذه الأحلام . و لم تقم بعد ذلك أى محاولة أخرى فى

---

[٣] . المرجع السابق ، ص ٢٦-٢٧

[٤] . أطلق الأوربيون هذا اللقب على الدولة العثمانية The Sickman of Europe و ذلك لأنها كانت فى ذلك الوقت آخذة فى التقهقر. شعراء الرابطة القلمية، ص ٢٧

Dhaka University Institutional Repository



هذا السبيل ونهض شريف مكة والحجاز الحسين بن على[٥] (١٨٥٦-١٩٣١م) بعد خمسة و ثمانين عاما على المحاولة الشديدة والمدافعة القوية .[٦]

يشهد التاريخ أن إبراهيم باشا قد حكم سوريا حوالى تسع سنين، إنه قد اتبع فى بداية سلطانه سياسة التسامح مع النصارى على الأخص ، كان يود رضاهم وودهم فى جميع الأمور، فألغى القوانين الشاذة بالنسبة إليهم ، وأحسن معاملتهم وأطلق حرياتهم وأتاحهم تسهيلات كثيرة، و لكنه اكتسب بهذا العمل غضب المسلمين وعداوتهم فثاروا عليه ثورة غير مدافعة، ومن دلائل تسامحه أيضا ترغيب المبشرين الأجانب الذين كانوا يؤمون لبنان و سورية لنشر دعواتهم الدينية غالبا و لإقامة أهدافهم السياسية أحيانا ، وكان معظمهم أول الأمر من اليسوعيين ثم من البروتستانيين، ولكن سياسة إبراهيم الارتجالية المتهورة قد أوقعته فى مآزق لم يستطع التخلص منها بل ظلت تضايقه إلى أن زال حكمه ، فإنه حين خلق نيات الغرب عوّل على زيادة عدد أفراد جيشه ففرض التجنيد الإجبارى على الرعايا من اللبنانيين مما ضايقهم أشد المضايقة . كما اضطر إلى فرض ضرائب تعسفية تجبى مقدما عن سبع سنين ، سماها ضريبة الرءوس. و لما أدرك أن اللبنانيين سيدافعون هذه المطالب الثقيلة لما كانوا عليه من البؤس أمر بنزع سلاحهم، وكان من عاداتهم أنهم يحملون السلاح معهم فى الأحيان كلها . كل هذه الأمور دفعت الشعب اللبنانى إلى المدافعة والمقاومة لحكم إبراهيم ثم العمل على التخلص منه، فاضطر إلى أن يترك الحكومة وأرض سورية، والأمير بشير الثانى، خليفة بشير الاول قد ساعد المقاومين فى عزله من الحكومة ، مع أن سلفه كان قد عاون فى قدومه ، إنه رجع إلى ملجأه القديم لما ساء فعله ومعاملته وخطاه فى سياسة اللبنانيين.[٧]

ولما ترك إبراهيم لبنان تمنى الشعب اللبنانى أن السلامة والقرار سيقوم في بلادهم ولكن القضاء عكس ذلك، انقسم الشعب إلى طوائف ومذاهب، و كانت المنازعات والخلافات قائمة بين النصارى والدروز[٨] خاصة ، واتخذ العثمانيون هذا النزاع بين الطرفين وسيلة لبقاء حكمهم على لبنان . فثارت الفتن، وتحارب القيسيون واليمنيون فى الجبال، وبدأت الحرب الأهلية بين

---

٥ . هو نشأ فى استانبول . أعلن الثورة العربية ١٨١٦م وطرد الأتراك وأصبح ملك الحجاز . هزمه ابن سعود ١٩٢٤م فترك البلاد وأقام فى نيقوسيا . توفى فى عمان ودفن فى الحرم الشريف. خلفه ابنه على ثم تنازل ١٩٢٥م . ملك ابناه عبد الله فى عمان و فيصل فى بغداد.

٦ . شعراء الرابطة القلمية، ص ٢٧-٢٨

٧ . المرجع السابق ، ص ٢٨

٨ . فرقة أسسها الدروزى و حمزة بن على ، وقاما بالدولة الفاطمي الحاكم انتشرت بلبنان وسوريا . واندمج تاريخهم بتاريخ الجبل اللبناني ، هاجر بعضهم إلى سورية وبعضهم سكنوا اللجاة ومرتفعات حوران المعروفة بجبل الدروز. المنجد فى الأعلام ، ص ٢٤٣

Dhaka University Institutional Repository



المسيحيين والدروز عام ١٨٤١م. و كانت إنجلترا وفرنسا تتخذ كل منهما هذا النزاع ذريعة للتدخل فى أمور لبنان، وانحازت فرنسا نحو الموارنة من النصارى وهم الأغلبية ، وانحازت إنجلترا نحو الدروز فوقعت اضطرابات عام ١٨٤٥م . ولكن السلطان تداركها فهدأت الحالة لفترة معينة، اتجهت فيها المنازعات إلى بيت المقدس بشأن سدانة الأماكن المقدسة، و تدخلت الدوائر الدبلوماسية مما أدى فى نهاية الأمر إلى افتتاح حرب القرم المعروفة عام ١٨٥٤م.[٩]

أصدر السلطان التركى فى عام ١٨٥٦م أمره التاريخى الذى اعترف فيه أنه سيقيم المساواة بين جميع طوائف الإمبراطورية العثمانية ويمنح الحرية والحماية لجميع الأفراد بما يضمن صيانة ممتلكاتهم وأعراضهم ؛ كما ألغى ضرائب الفلاحين و جعل الكل سواء أمام القانون. و لما لبثت أن وقعت احتكاكات أخرى كان المحرك لها الفلاحون ثم رجال الدين ، ولا سيما كهنة الموارنة ، لمحاولة السيطرة و فرض السلطة . و ثار الفلاحون الموارنة بتحريض رجال دينهم فى لبنان الشمال عام ١٨٥٧م ، وامتدت الثورة إلى الجنوب واتجهت اتجاها طائفيا ، فآل ذلك إلى مذابح عديدة آخرها مذبحة عام ١٨٦٠م فى سورية ولبنان التى أدت إلى التدخل الأوربى واحتلال الجيش الفرنسى لبنان لمدة سنة تقريبا و قد راح ضحيتها ما يقرب من أحد عشر ألفا من المسيحيين .[١٠]

ذهب المؤرخون إلى آرء مختلفة فى بيان الأسباب التى أدت إلى مذبحة عام ١٨٦٠م أو مذبحة الستين كما تعرف اليوم ، قال أحد منهم إنها كانت ثورة دينية طائفية فحسب ، بدأت بين نصارى جبل لبنان و دروزه وامتدت حتى دمشق الشام . و وقال قائل إنها فى الأصل ثورة على النظام الإقطاعى الذى كان سائدا فى لبنان فى تلك الفترة ثم تدخلت فيها الطائفية وأصبحت فتنة دينية بين المسلمين والمسيحيين الذين غلبوا فيها على أمرهم ولاقوا شرا وتعذيبا . و لكن معاصرا لتلك الثورة من المسيحيين الموارنة اسمه "أنطون ضاهر العقيقى" كان قد كتب مخطوطة شرح فيها الإوضاع شرحا و افيا و بين بصراحة و صدق السبب الأول المباشر لتلك الثورة و كشف عن الظروف المحيطة بها ، و قد اهتمت مجلة "الطليعة" التى كانت تصدر فى بيروت بنشر هذه المخطوطة فى عددها الرابع الصادر فى إبريل عام ١٩٣٧م .

---

٩. شعراء الرابطة القلمية، ص ٢٩
١٠. المرجع السابق ، ص ٢٩

Dhaka University Institutional Repository



يقول نادرة السراج : كانت الثورة المذكورة فى الأصل ثورة الفلاح على الإقطاعية ، و يقول عنها العقيقى : "تلك الثورة الجمهورية التى قادها زعيمها البطل طانيوس شاهين إلى أن بلّ صفحة فى تاريخ هذه البلاد"[١١] ولكن نشك لم يدعى بعض الكاتبين أن هذه الثورة وصلت إلى غاية نبيلة فى تاريخ لبنان فى الوقت الذى خسرت فيه الآلاف من مواطنيها العاملين ، و اشتعلت الأحقاد فى صدور الباقين ؟ وفى الأصل كان ذلك لأن من نتائج هذه الثورة وضع النظام الأساسى الذى منح لبنان الاستقلال الذاتى ولأنها قضت على نظام الإقطاع، وربما أيضا لأنها أوجدت البذور الأولى لتلك الظاهرة الهامة التى عرفت فيما بعد بالوعى القومى العربي. والسبب المباشر فيها كان الخروج على المشايخ من إقطاعى الدروز وعلى رؤساء الإقطاع النصارى، فقد جاء فى الموسوعة البريطانية أن الدروز عصوا أمراءهم الشهابيين و الموارنة ثاروا آل الخازن الإقطاعيين ، بغية التحرر من القسوة والظلم ، وفى سبيل الوصول إلى حياة أعز وأكرم.[١٢] فأخذ هؤلاء المشايخ المتمسكون بإقطاعهم يضطهدون الأهالى ويوقعون الفتن بين الطائفتين ، واستغلوا الشقاق القائم بين الموارنة والدروز منذ القرن الثامن عشر، هذا الشقاق الذى نجم عن تعهد فرنسا بحماية الموارنة مما أثارحقد الطائفة الأخرى ، وعن تشجيع السلطان التركى الدروز ضدهؤلاء الذين اتجهوا إلى الغرب لحمايتهم . وأخيرا بدأت الاضطرابات سنة ١٨٦٠م بهجمات من الدروز على النصارى فى لبنان الجنوبى ، ثم ما لبثت أن أصبحت شاملة ، وتحمس المسلمون وأخذوا يذبحون النصارى، وكذالك فعل مسلمو دمشق فى نصاراهم . والثابت أيضا أن هذه الحقيقة التى ذكرها صاحب المخطوطة فى أصل ثورة السنين قد تنوسيت وجهل الرأى العام اللبنانى وغير اللبنانى ، وقضت عليها التواريخ المضللة التى نشرها رجال الإرساليات الأجنبية ومتعصبو المشايخ والقسيسين فعرفت بأسبابها الدينية وحدها ، فما تكاد تذكر هذه الثورة اليوم حتى يتبادر إلى الذهن التعصب الدينى والطائفى الذميم بأبشع صورة.[١٣] إن الرأى الذى قدمت الان هو رأى مائل إلى المسيحية، أعتقد أن الكاتب مال إلى جانب ولم ينصف فى إبداء حقيقة التاريخ، فما نعلم من أمر المسلمين من أنهم جاهدوا لإقامة حقوقهم ولأداء مطالبهم، لم يظلموا على رجل لا يتدين بدينهم.

إن المذبحة أثرت فى تدخل الباب العالى والدول الأجنبية ، فأرسلت فرنسا حملة نزلت إلى البر فى بيروت فوطدت السلام نهائيا . وبعث السلطان بفؤاد باشا (١٨١٤-١٨٦٩م) وهو من

---

١١. مجلة الطليعة ، ع ٤ ، إبريل ١٩٢٧م ، ص ١٠
١٢. الموسوعة البريطانية ، مادة ( لبنان )، ط١٤
١٣. شعراء الرابطة القلمية ، ص ٣١

Dhaka University Institutional Repository



أقدر وزرائه فاتفق مع فرنسا ، وتم وضع النظام الآساسى لتحسين الإدارة فى لبنان مستقلا عن الدولة العثمانية فى تصريف أموره الداخلية و تكفل حماية بعض الدول الكبرى فى الغرب ، أمها فرنسا . وفى عام ١٨٦١م و على إثر مذبحة الستين المذكورة وضع النظام الأساسى لتحسين الإدارة فى لبنان وعدل فى عام ١٨٦٤م . وفيه منح الجبل حكومة نظامية يرأسها متصرف مسيحى كاثوليكى ، وذلك لأن معظم سكان جبل لبنان كانوا من المسيحيين ، ولأن الدولة الحامية كانت كاثوليكية المذهب . وهذا الحاكم كان يعين بمعرفة الباب العالى و بموافقة الدول الكبرى وهى فرنسا وإنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا ، ثم إيطاليا منذ عام ١٨٦٤م، و كان المتصرف يدعى أحيانا "المشير" و يساعده مجلس مكون من اثنى عشر نائبا من الأديان الثلاثة وطوائفها ، و دعيت المتصرفية متصرفية جبل لبنان أو سنجق جبل لبنان، و أخذت منها بيروت و صيدا و وادى التيم والبقاع الشرقى، و حكم كلا من مقاطعاتها السبعة ، و أشرف على حفظ النظام جند محليون ، و لم يتدخل الجيش التركى فى شؤون الأمن ، و نعمت المتصرفية بأحوال حسنة و ساد الهدوء و السلام فى البلاد ، والتفت المسؤلون إلى الإصلاحات الداخلية فشقت الطرق وأنشئ خط سكة حديد "بيروت ـ دمشق" ، وأعدت المصايف لاستقبال السائحين والضيوف لملء الخزائن بما يسد نفقات النظام والإصلاح.[١٤]

وظهرت من هذا الحكم الجديد ثمرة غير نافعة وهى أنه دخلت، المؤثرات الأجنبية فى لبنان على الجبل وانتشرت هى بسرعة فى كل بقعة من أرض لبنان ، و تأثرت فى عقول الناشئة و فى ميولهم وأهوائهم . فقد ذكرنا أنفا أن إبراهيم باشا عمل فى أثناء حكمه على تشجيع هؤلاء الأجانب فى القدوم إلى سورية للنجاة أو للتبشير أو التعليم ، حتى إن عام ١٨٣٤م قد أصبح بدء عهد جديد بالنسبة للحركة التبشيرية اليسوعية وازدياد نشاطها. ثم ما لبثت، أن قدمت بعد إعلان النظام الأساسى بعثات تبشيرية بروتستانية انتشرت فى البلاد وأسست المدارس والمعاهد التى أقبل عليها النشء من كل صوب ، خاصة أن المدارس الوطنية كانت قبل سنة ١٨٦٠م نادرة بل نكاد نكون منعدمة ، ففى عام ١٨٦٥م أسس المطران يوسف الدبس (١٨٣٣-١٩٠٧م) مؤلف "تاريخ سورية" ، مدرسة الحكمة المعروفة ، و كانت هناك مدارس تبشيرية كثيرة من يسوعية وبروتستانتية وعازرية ينشرون فيها دعواهم الدينية .[١٥]

---

[١٤] . المرجع السابق، ص ٣٢.
[١٥] . المرجع السابق، ص ٣٢-٣٣

Dhaka University Institutional Repository



أسس المبشرون الأمريكان الكلية السورية البروتستانية فى بيروت عام ١٨٦٦م، وهى التى تكونت منها فيما بعد جامعة بيروت الأمريكية ، ثم تبعتها جامعة القديس يوسف اليسوعية فى بيروت أيضا عام ١٨٧٤م .[١٦] وهكذا نرى أن عامل الجهل الذى كان له اليد الطولى فى فتنة الستين وما قبلها من ثورات تهورية ، قد أخذ يضعف رويدا رويدا وحل محله التعليم، كما حل التحرر محل الطائفية والتعصب القديم ، مما سيكون له أكبر الأثر فى الانبثاق نحو الحرية والقومية التى ظهرت فى لبنان بعد عدة سنوات . و بنشوء المدارس والجامعات تنبه أصحابها إلى وجوب إيجاد الأدوات والوسائل الضرورية اللازمة لها ، و من جملتها الطباعة ، فكانت الجامعة الأمريكية فى بيروت سباقة إلى تأسيس أول مطبعة حديثة فى البلاد .[١٧]

إن النظام الأساسى كما أن له فوائد ، كذالك له عيوب و نقائص عادت على البلاد بالضرر الذى يوازى ما عاد عليها من الفائدة إن لم يفقها . صور المؤرخ أوغست أديب باشا ضرر هذا النظام فى تصوير رائع إذ يقول : "فإن أشد ضرر جلبه على لبنان الذى إنما وضع لأجل نفعه . هو حصره ذلك الجبل فى حدوده الجالية لأنه لو كان وضع هذا التحديد على قاعدة العدل والحق والسياسة البصيرة فضمت إلى لبنان الأراضى والثغور البحرية والتى هى ملكه من أوجه كثيرة، لكان القسم الأكبر من تيار هذه المهاجرة قد تحول إلى أراض خصبة هى الآن مهملة وإلى مدن عامرة كان فى وسع اللبنانين أن يطلقوا العنان لنشاطهم فيها ، بل ما كنا رأينا ذلك المشهد المؤلم . مشهد أناس فى ضنك شديد من العيش يرمون من أعالى صخورهم نظرات اليأس إلى ما عند سفح جبلهم من السهول الواسعة الخصبة التى يقصيهم عنها اختلال الأمن واستبداد الحكام العثمانين و مرض الارتشاء المنتشر فيها".[١٨]

كان من الظلم والاضطهاد غير المعقول أن تحرم الجبال من منافذها الساحلية ، و خاصة ميناء بيروت ، ومن سهولها الخصبة التى تقع أمام أعين أهلها ، ولكنهم لا يجرءون على استصلاحها أو الاستفادة منها ، و بالطبع سنرى أنه نجم عن هذا التضييق والتحديد ضيق اقتصادى أدى فى النهاية إلى هجرة الآلاف من أبناء لبنان و ترك بلادهم الجميلة وأراضيها

---

١٦ . المرجع السابق، ص ٣٣

١٧ . يقال إن فى جبل لبنان على مقربة من بيروت ديرا قديما ، فيه مطبعة حجرية قديمة ، كان يطبع عليها المبشرون نشراتهم و قد صنعوها بأيديهم ، و هى بالطبع أقدم من مطبعة الجامعة، بل إنهم يدعون فيها أقدم من مطبعة نابليون فى مصر، و لكن مهما يكن الأمر فى هذه المطبعة فيبدو لم تكن ذات شأن أو أثر يذكر فى نشر المعرفة او التأثير فى الحياة العامة لاقتصارها على المنشورات الدينية . المرجع السابق، ص ٣٣

١٨ . أوغست أديب باشا، لبنان بعد الحرب ( ترجمة الشيخ فريد حبيش)، (القاهرة: دار المعارف ١٩١٩ م)، ص ١٠٤-١٠٥

Dhaka University Institutional Repository



الخصبة إلى جهات أخرى بعيدة أو قريبة ، هذه المهاجرة التى بدأت بطورها الجدى ـ كما يقول أديب باشا أيضا ـ حين أخذ اللبنانيون يشعرون بضيق جبلهم عن أن يسعهم بسبب تكاثرهم و نموهم ، فنزحوا إلى بيروت والسهول الخصبة ، ثم انتشروا فى بقية البلاد وما لبثوا أن خرجوا من بلادهم إلى أقطار أخرى منها مصر وأوربا وشمال إفريقية ثم أمر يكا وأستراليا .[١٩]

خلف السلطان عبد العزيز (١٨٣٠-١٨٧٦م) بعد أن توفى السلطان عبد المجيد (١٨٢٣-١٨٦١م) عام ١٨٦١م، وكان حاكما قليل العقل والفهم و مستبدا ففسدت الإدارة فى عهده و أفلست الدولة فثارت عليه الولايات الأوربية فى البلقان وغيرها ، وانتشر السخط فى الولايات الغربية والشرقية إلى أن تم خلعه عام ١٨٧٦م وأرغم على التنازل لابن أخيه الملقب بمراد الخامس (١٨٤٠-١٩٠٤م)، و ما لبث أن أصيب هذا بالصراع فخلع بعد ثلاثة أشهر ، و نصب أخوه الأصغر عبد الحميد الثانى فى الحادى والثلاثين من شهر أغسطس من نفس تلك السنة . و دام حكم عبد الحميد الثانى قرابة ثلاثة وثلاثين عاما ، كانت الأحوال فيها تسير باطراد من سيىء إلى أسوأ ، و إن كان قد بدأ عهده بمنح لبنان ذلك الدستور الذى اضطر إليه فى عام ١٨٧٦م حين هدده بعض أحرار العثمانيين من أتراك وعرب وسواهم ممن يغارون على مصلحة الدولة ، و على رأسهم أبو الأحرار العثمانيين مدحت باشا الذى وضع مبادى الدستور مبنية على أسس الدستور الفرنسى والبلجيكى ، وكان هذا الدستور ـ لو نفذ ـ يعود بالنفع على الأمة العربية إذ كان من بنوده أن كل الرعايا يسمون "عثمانيين" وأن دين الدولة الإسلام ، مع الاعتراف بحماية جميع الأديان السائدة ومنح حرية الصحافة فى حدود القانون وتأليف النظام النيابى بمجلسيه .

إن السلطان عبد الحميد وافق فى بداية الأمر على الدستور وأعلن أنه يأخذه ، وما مضى عليه وقت طويل حتى ما ظهرت نواياه فى أسرع الأوقات وبدى أنه لم يكن يرمى بموافقته إلى مصلحة الدولة نفسها بقدر ما كان ينظر إلى كسب الرأى العام حوله و خاصة الطبقات التى كانت تهدده ، كما أنه كان يرمى إلى استدرار عطف الدول الأوربية وكسب ثنائها . و من هنا نجده يترك الدستور جانبا و يؤسس حكمه على الجاسوسية والإرهاب وفرض الرقابة الشديدة و الحكم بالاعتقال والنفى على الأبرياء والتفنن فى أساليب الظلم والتعسف كما شاء فى جانب آخر. ونجده فى الوقت نفسه يدارى كل هذه المساوى والعيوب ويظهر للناس بمظهر أخر ، مظهر الرجل التقى الورع الذى ينفذ تعاليم الإسلام فى بيته وتصرفاته ويعلن أنه محافظ الإسلام

---

[١٩] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٣٤

Dhaka University Institutional Repository



والمسلمين ليكسب ودهم وعطفهم. و حين يظهر فى مصر الشيخ جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨-١٨٩٧م) وتنتشر تعاليمه وأهداف حركته ، لا يغفل عبد الحميد عن تشجيعها والدعوة لها كما شجع فتح المدارس الدينية ، وساعد المؤسسات العلمية العربية ليكسب ود العرب ورضاهم.[٢٠]

أصبح السلطان عبد الحميد (١٧٢٥-١٧٨٩م)[٢١] حاكما مستبدا يوما فيوما، فشى ظلمه بين جميع أنواع الناس فى المجتمع ، كان لاهيا فى غيه باسطا سلطانه وحكمه الاستبدادى طوال حكمه إلى أن استيقظ ذات يوم من أيام شهر يوليو عام ١٩٠٨م على صوت ثورة ثارها بعض ضباط جيشه عليه، ولم يستطع المقاومة ، فاضطر فى الرابع والعشرين من شهر يولية من نفس السنة إلى إعلان عودة دستور ١٨٧٦م ، وفى اليوم التالى ألغى الرقابة على الصحف وأطلق المسجونين السياسيين ، وكان إعلان الدستور بعد بقائه معطلا نيفا وثلاثين عاما فرحة لا تعادلها فرحة فأقيمت الزينات ، وهنأ الأفراد بعضهم بعضا واستبشر الكل بعهد جديد سعيد، ولكن عبد الحميد لم يحافظ على الدستور فى هذه المرة أيضا ، فعادت الثورة من جديد وعزل عبد الحميد فى نفس العام وتولى مكانه أخوه محمد رشاد (١٨٤٤-١٩٠٩م) ، وظلت السلطة فى يد اللجنة المستولية على مفاتيح الأمور . لم تكن الثورة التى قامت على عبد الحميد فى يوليو عام ١٩٠٨م غير تطور لسلسلة من الثورات والحركات القومية بدأت منذ أول حكم عبد الحميد أو قبله بقليل ، ففى عام ١٨٧٥م بدأ أول عمل منظم فى حركة العرب القومية بقيام خمسة شبان من الذين تلقوا العلم فى الكلية السورية البروتستانية فى بيروت بتشكيل جمعية سرية ، و كانوا جميعا من النصارى ، و لكنهم أدخلوا فيها اثنين وعشرين عضوا من جميع الطوائف كان منهم السيد حسن بيهم (١٨٣٣-١٨٨١م) والشيخ إبراهيم اليازجى (١٨٤٧-١٩٠٦م) والسيد فارس نمر (١٨٥٦-١٩٥١م) ، و هكذا أشركوا معهم المسلمين والدروز، وكان هدفهم الثورة ، فأخذوا ينشرون مبادئهم بطريق سرية ثم أصدروا نشرات وزعوها وألصقوها على الجدران سرا وفى الليل، و قال شعراؤهم القصائد والأشعار فى مساوئ الحكم التركى ووجوب الثورة عليه و تناقلوها فيما بينهم سرا ، ومن ذلك قول الشيخ إبراهيم اليازجى (١٨٤٧-١٩٠٦م) :

فالترك قوم لا يفو ز لديهم إلا المشاكس

فاستوقدوا لقتالهم نارا تروع كل قابس

---

٢٠ . المرجع السابق ، ص ٣٥

٢١ . هو عبدالحميد الثانى سلطان عثمانى ،عرف باستبداده وسفك الدماء ، المنجد فى الأعلام ، ص ٣٦٥

Dhaka University Institutional Repository


هذه القصائد كان لها صدى عميق فى نفوس الأتراك الذين أخذوا يحاولون معرفة أصحابها و يطاردون كل من كانت تصل إليهم أيديهم منهم و ما لبث هؤلاء الثوار أن أعدوا برنامجا ينفذ بحد السيف إذا لزم الأمر وكانت أهداف برنامجهم تتلخص فى المطالبة بمنح الاستقلال لسورية متحدة مع لبنان والاعتراف بالعربية لغة رسمية للبلاد وإلغاء الرقابة و كل ما يحول دون حرية الرأى وانتشار العلم وعدم استخدام الوحدات العسكرية المجندة من أهل البلاد إلا فى بلادهم .[٢٢]

و هكذا كانت هذه الدعوة هى النداء الأول الذى بعثته حركة العرب وهى ما تزال فى طفولتها وكانت هذه أول جمعية سياسية الهدف ، وهذه الحركة قد خلقتها اليقظة الفكرية والاجتماعية التى استندت إلى عاملين مهمين : أ- البعث الأدبى ب- الشعور العام الذى تكون رد فعل لمذابح عام ١٨٦٠م ، ذلك الشعور الذى بذر بذرة الوعى القومى فى نفوس العرب حين أسس بطرس البستانى (١٨١٩-١٨٨٣م) جريدة "نفير سورية" بعد حوادث الستين مباشرة ، و كانت أول جريدة سياسية فى البلاد ، دعا فيها صاحبها إلى نبذ التعصب كما دعا إلى وجوب نشر العلم و فتح المدارس ، وأسس بعدها بثلاث سنوات مدرسة وطنية لجميع الطلاب على اختلاف مذاهبهم و نحلهم ، وكان الشيخ ناصيف اليازجى (١٨٠٠-١٨٧١م) أستاذ اللغة العربية فيها . و لكن حكومة عبد الحميد كانت وراء كل حركة بالمرصاد ، فحاول هو وأعوانه جاهدين أن يعرفوا الثائرين وأصحاب الحركة القومية المذكورة ولكن دون جدوى و فى عام ١٨٨٠م عزل مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٤م) ونقل إلى إزمير حيث حوكم بتهمة قتل السلطان عبد العزيز ، ثم نفى إلى الطائف حيث لقى حتفه على أيدى بعض أعوان الباب العالى عام ١٨٨٣م . وعاد الظلم و الاستبداد إلى أخر حكم عبد الحميد .

دخل الأتراك الحرب الكبرى عام ١٩١٤م إلى جانب حلفائهم الألمان وخشى رجال الدولة الثورات فبثوا العيون والحكام ، وكان جمال باشا (١٨٧٢-١٩٢٢م) من نصيب سورية و قد تظاهر أول عهده بكرهه للاتحاديين وميله إلى العرب ولما اطمأنوا إليه أماط اللثام وظهر على حقيقته ، فإذا أحرار العرب بين شهيد وطريد . و لم يكف الثوار عن تأليف الجمعيات السياسية العربية فى السر والعلانية محاولين الانفصال عن الترك ، مستندين فى معظم الأحيان إلى بعض الدول الأوربية المعادية للأتراك ، وطاردت الحكومة هؤلاء أيضا وفتشت القنصليات

---

[٢٢] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٣٦

Dhaka University Institutional Repository



المعادية ، وصادرت الوثائق و قبض على بعض الزعماء و فر الباقون إلى سورية و مصر و غيرهما من البلدان .[٢٣]

[٢٣] . المرجع السابق، ص ٣٦-٣٧

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الثانى: أسباب الهجرة

## ١ ـ السبب السياسي

اختلف المؤرخون فى تقدير أسباب الهجرة اللبنانية إلى العالم الجديد أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، تلك الهجرة، التى شغلت جزءا هاما من تاريخ لبنان الحديث والتى كان لها أكبر الأثار فى التطور الاقتصادى والاجتماعى والأدبى للبلاد اللبنانية ولشعبها وهم برغم هذا الاختلاف الظاهر مجمعون على أن السبب الأول والمباشر لتلك الهجرة إنما هو دافع اقتصادى نجم عن فقر البلاد وضيقها وقلة أرزاقها بالإضافة إلى عامل سياسى هام هو اضطهاد الدولة الحاكمة للرعايا وسوء الإدارة الحكومية ، وفساد الأحوال. ولكن هناك أسباب أخري مساعدة وهي أسباب اجتماعية وأدبية ونفسية كان لها أثرفي التشجيع والحث عليها.[٢٤]

ولبيان الدوافع السياسية والاقتصادية لا بد من الرجوع إلى أحوال لبنان وتاريخها فى تلك الفترة من الزمان، ولقد بينا سابقا كيف أنه قد بات حكم الأتراك مكروها ومردودا عند اللبنانيين حتى إنهم لم يستطيعوا الصبر عليه وكيف أن الحكومة قد زادت فى تعسفها وظلمها للأهالى، وساءت الأحوال الإدارية، وفرضت الرقابة الشديدة على الأفراد والجماعات، مما جعل القوم يعيشون وكأنهم فى بوتقة مغلقة على وشك الانفجار. وإذا قدم إبراهيم باشا بن محمد على بريد فتح الشام رحب به الأهالى واعتبروه منقذا ومخلصا لهم مما هم فيه من ظلم وظلام، وأيده الأمير بشير الشهابى (١٧٦٧-١٨٥٠م) وتنفس الناس الصعداء، واستبشروا بعهد تباشيره يمن ورخاء . ولكن الفرحة لم تتم، والأمانى لم تتحقق كلها، اذ أفاق الغرب على صوت خيول محمد على وابنه إبراهيم تدق أرض الشام بحوافرها من نشوة الانتصار، وتصل إلى تركيا وتكاد تتوغل فيها، فأجبروه على العودة، وبعودة إبراهيم (١٧٨٩-١٨٤٨م) إلى مصر عاد الظلم والتعسف إلى لبنان وعاد الأتراك الى سابق عهدهم وساموا اللبنانيين مر العذاب، وتبع ابراهيم من تبعه من اللبنانيين الذين لم يطيقوا صبرا على تلك الأوضاع ومن أرادوا أن يرووا غليلهم من منابع الثقافة التي سمعواعنها وكانت ميسرة في مصر بينما هي معدومة في لبنان. وظل الحال علي هذاالمنوال والحكم يتطور من سئ إلي اسوأ، والجهل مرخ سدوله علي االبلاد اللبنانية ، والتعصب الممقوت يفرض نفسه علي الآراء والأقوال، والطائفة علي أشدها، مما أدي إلي مذابح عام ١٨٦١م المعروفة والتي لاقت البلاد من شرها الأهوال . وفي عام ١٨٦١م صدر القانون الأساسي الذي عدل عام ١٨٦٤م فزاد الطين بلة، إذ كان من نتائجه تضييق حدود لبنان الأصلية وحصرالجبل

---

[٢٤] . المرجع السابق ، ص ٤١-٤٢

Dhaka University Institutional Repository



في بقعة ضيقة لايتعداها أهله ولايمكنهم استثمار غيرها من الاراضي التي تقع تحت أعينهم وعلي امتداد أبصارهم.[٢٥]

إن القانون الذى أصده الحاكم التركى قد زاد سخطا شديدا وأضاف إلي عواطف الكره المتأصلة في نفوس الشعب ضد الأتراك عاطفة جديدة من الحقد والثورة المكبوتة التي لم تتح لها الظروف ن تنفجر، وظلت مستورة في الصدور ما تكسر مضاجع أصحابها، فلا يحلو لهم عيش ولايقر لهم قرار، حتي لم يجدوا بدا من هجر وطنهم وترك بلادهم التي أظلتهم طوال السنين ولكنها عجزت اليوم عن أن تبعث السكينة في قلوبهم والأمن في نفوسهم، وعجزوا هم- أمام الضغط التركي- عن أن يعمروها أويفيدوا منها. ذكر المؤرخ السوري محمد كرد علي (١٨٧٦-١٩٥٣م) [٢٦] أن لبنان كان علي علاقة مع الغرب قبل عام ١٨٦٠م وأن الصلات ظلت قائمة بعد ذلك، ولعله يقصد بتلك العلاقات البعثات التبشيرية التي بدأت تفد إلي الشرق بصورة جديدة قبل منتصف القرن التاسع عشر والتي كان لها أثر في توجيه الفكرالشرقي والميول الشرقية ، ونحن نري كذلك إنه كان لمبادئ الثورة الفرنسية التي دخلت فى لبنان مع دخول حملة نابليون إلي مصر والشرق والحملة الفرنسية التي دخلت الي ميناء بيروت عقب حوادث الستين وسيطرتها علي الموقف في لبنان، وقد أثرت هذه المؤثرات الغربية أثرا عميقا في تفتح الاذهان والتطلع نحوالحضارة الغربية والبلدان التي أنتجت هذه الحضارة فاشتق الناس إلى حياة منطلقة وذات حرية كاملة.[٢٧]

**٢- السبب الاقتصادى**

إن القانون الآساسي الذي أصدره سلطان الآستانة قد كان له أسوء الأثر في فقرالبلاد وقلة محصولها وعدم كفاية حاجة أبناءها، لقلة الأراضي المزروعة وفقد المحاصيل في بعض السنين ، مما جعل المؤرخ أوغست أديب باشا يعتبر هذا القانون هوالمسؤل الأول عن هجرة اللبنانيين إلي خارج بلادهم.[٢٨] وليت الأمر اقتصر علي هذا ! ولكن نظام الإقطاع الذي كان سائدا في لبنان حتي قبل صدور القانون الاساسي أثر أثرا سيئا في أحوال البلاد الاقتصادية، فقدكان الفلاح اللبناني في معظم الأوقات عرضة لظلم صاحب الأرض الإقطاعية الذي كان يستحل أتعابه ، ويسومه سوء العذاب إن عصي ، ويصده عن التقدم في المجتمع إن أراد ، فكان هناك التفاوت الاقتصادي الواسع الهوة ودم المساواة الاجتماعية بين الأفراد. وإن حاول الفلاح المالك – في

---

[٢٥] . المرجع السابق ، ص ٤٢-٤٣

[٢٦] . محمد كرد علي، غرائب الغرب (دمشق: ١٩٢٣م)، ط٢، ص ٣٦

[٢٧] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٤٣

[٢٨] . لبنان بعد الحرب، ص ١٠٤

Dhaka University Institutional Repository



النادرمن الأحوال – استغلال أرضه واجهه ضغط الحكومة التركية التي كثيرا ما كانت تحرمه نتاج أتعابه، بأن تتقاضي منه عشر حاصلاتها ثم خراجا علي أرضه.[٢٩] هذا عدا الضرائب التي كانت تجبي بطرق مختلفة ولغايات متنوعة من إعانة وسكة حديد وابتناء أسطول وغيرها من الأسباب التي لم يستطع الفلاح التخلص منها ، فكان يدفعها مرغما ويؤديها صغيرا سواء كانت للحكومة أم لسادته الإقطاعيين، هذا الظلم قد هيج الشعب على الهجرة .[٣٠]

كانت حال التجارة أسوأ كما كانت حال الزراعة أسوأ في لبنان ، فقلة وسائل النقل وعدم تسهيل طرق المعاملة والتمويل وغير ذلك أدي إلي فقر الناس وقلة الأموال . وكذالك الحال في الصناعة فقد كانت أثرا بعد عين ، خاصة أن الحكومة التركية القائمة لم تكن لتشجع مثل هذه الأعمال التي ترتفع بالشعب فتفتح أذهان أفراده وقد تؤدي به إلي العصيان ، فاذا أضفنا إلي كل هذه الأفعال الاقتصادية عاملا آخر هاما هو نمو سكان لبنان وازدياد عددهم بتوالي السنين ، استطعنا أن نقدر تلك الحاجة الشديدة التي شعر بها اللبنانيون والتي دفعت بهم في موجات متلاحقة إلي الأوطان الأجانب طلبا للرزق ورجاء لمعيشة وسيعة.[٣١]

**٣- السبب الاجتماعي والنفسي**

لعب مركز لبنان الجغرافى دورا هاما فى تاريخ هجرة أرض الشرق العربى على الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط و فى أحداثها المعروفة وفى مواجهة بلاد الغرب فى القرن التاسع عشر ،، كما لعب هذا المركز نفسه دورا مهما فى رحلات الفينيقيين و موجات هجرتهم أيضا فى العصور القديمة الماضية . وإذا عرفنا أن لبنان كان من أسبق البلاد الشرقية إلى قبول المبشرين أجانب من بلاد الغرب ممن كانوا يقصدون الشرق لأسباب سياسية أو دينية أو اجتماعية ، تتزيا بزى التبشير للغرب و لمبادئ الغرب ، استطعنا أن نفهم ذلك الدور غير المباشر الذى لعبه المبشرون فى الترغيب فى الهجرة والحث عليها وتحبيب البلاد الأجنبية إلى نفوس النشء ممن تعلموا فى مدارسهم و ممن كانوا دائما فى تطلع نحو الحرية والانطلاق. إن إبراهيم باشا المصرى كان أول حاكم شجع دخول المبشرين إلى لبنان . وكان اليسوعيون قد بدأوا يؤسسون المدارس التبشيرية منذ زمن ، وسرعان ما انتشرت مدارسهم فى البلاد وأسسوا المستشفيات والجمعيات الخيرية التى انضم تحت لوائها الكثيرون ، وتبعت البعثة اليسوعية

---

٢٩. خورى باسيليوس خرباوى ، تاريخ الولايات المتحدة (نيويورك: ١٩١٣م)، ص ٧٦٥

٣٠. شعراء الرابطة القلمية ، ص ٤٤

٣١. المرجع السابق ، ص ٤٤

Dhaka University Institutional Repository



البعثة البروتستانتية التى فتحت المدارس أيضا وأنشأت الكليات وأسست فيها بعد جامعة بيروت الأمريكية التى من أبنائها ظهر الثائرون والمتحررون والناقمون على الحكم التركى ، مما يدل على أن البعثات التبشيرية قد أثمرت نتائجها و أتت أكلها وجذبت القلوب والعقول نحوها .[٣٢]

و بعد الاحتلال الفرنسى الذى تلا حوادث الستين زادت الاتصالات بين لبنان والغرب و تفتحت الأذهان فى الشرق لنستقبل مبادئ الحرية والكرامة والعدالة التى نادت بها الثورة الفرنسية، و دخلت إلى البلاد عن طريق تلك الحملة ومن سبقها من المبشرين الأولين . و كان طبيعيا أن يتعشق هذه المبادئ الشرقيون الذين عانوا ما عانوه من المظالم فى مختلف عهود الإقطاعية والاستبداد والحكم الإرهابى المرهق . ومن هنا أخذ اللبنانيون يتطلعون نحو بلاد تستطيع أن تظل آمالهم و أحلامهم وأفكارهم وآراءهم التى حبست زمنا فى بلادهم ، كما أخذوا يتطلعون إلى بلاد تستطيع فيها أيديهم أن تنتج وعقولهم أن تثمر وآراؤهم أن تنمو وتتقدم . و كانت ترد إليهم فى الوقت نفسه أخبار العالم الجديد و حوادثه تقص عليهم بواسطة السياح الذين كانوا يأتون إلى البلاد المقدسة فى موسم الحج فيبثون الدعاية لبلادهم ويشوقون الناس إليها، و يرسمون لها مثلا أعلى فى نفوس أولئك المتطلعين إلى الحرية والمجد ، ويروى التاريخ أنه فى كل سنة كانت تأتى أفواج السياح إلى لبنان و فلسطين و يعودون و يعود معهم أفواج من المهاجرين اللبنانيين إلى بلاد الحرية المنشودة ، هذا عدا ما كانت تبثه شركات الملاحة المختلفة من الدعاية للغرب فى الموانئ اللبنانية التى وجدت فيها ، كما كانت هذه الشركات والبواخر تسهل أمور السفر لمن أراد وتساهم فى التكاليف بمنح القروض النقدية للمهاجرين . يجدر بنا ألا نغفل ذلك الدور الكبير الذى لعبته الصحافة فى التشجيع على الهجرة بالتحدث عن بلاد الذهب والغنى والحرية ، كما أن بعض الكتب الأمريكية التى وصفت تلك البلاد ومعيشة أهلها قد ترجمت إلى التركية ، و قرأها الأتراك و السوريون ، و ترجموا بعضها إلى اللغة العربية .

و أمام كل هذه المغريات وتلك الدوافع لم يجد اللبنانيون ما يمنعهم من ترك بلادهم غير نادمين على ما فيها من ظلم وقسوة وفقر مدقع وجهل مخيم . هذا بالإضافة إلى ميل اللبنانيين الأصيل إلى الهجرة والمغامرة واستعدادهم الطبيعى لسبر أغوار الحياة وحب الكسب وتحسين أحوالهم المادية والمعنوية ، أليسوا أحفاد الفينيقيين الذين جابوا البحار منذ القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، والذين احتكروا الملاحة و حافظوا على آراءها ، ووصلوا إلى مناطق لم يصلها أحد

---

٣٢ . المرجع السابق، ص ٤٥

Dhaka University Institutional Repository



قبلهم ؟ لقد استعمر الفينيقيون معظم الجزائر المعروفة اليوم فى البحر الأبيض المتوسط ، و امتدت مستعمراتهم فيه من جزر بحر إيجه شرقا إلى مستعمرة قرطاجنة المعروفة غربا ، بل إنهم غزوا مضيق جبل طارق و ساروا نحو بحر الشمال حيث اكتشفوا جزائر واقعة فى جنوب بريطانية تعرف اليوم بجزر "سيليز" ((Scillies)) و كان يظن أنها جزء من بريطانية ، و هؤلاء الفينيقيون هم الذين نقلوا تجارة مصر و بلاد ما بين النهرين إلى مستعمراتهم التى أنشؤها بالإضافة إلى حضارتهم و تجارتهم الخاصة . لقد تاجروا بمختلف البضائع و شتى السلع من الذهب و ملابس النساء والعطور والنحاس والقصير وغيرها من المواد المختلفة ، وعاشوا على ما نالوا من الربح. ثم تعود أحفادهم من السوريين واللبنانيين يتاجرون بكل هذه الأشياء المهاجر الأمريكية.[٣٣]

ذكر زهير مرزا مؤلف كتاب "إيليا أبو ماضى شاعر المهجر الأكبر" الذى أصدرته دار اليقظة العربية بسورية أن من تلك الأسباب والدوافع زيارة إمبراطور البرازيل لفلسطين و لبنان فى عامى ١٨٧٧م و ١٨٨٧م ، وبث الدعاية لبلاده فى الشرق وإعطائه صورة ناصعة مشرقة عن الحياة فيها ، و لعل هذا يفسر لنا شيئا عن كبر الجالية العربية فى تلك البلاد وما جاورها إلى اليوم ، و قد يفسر لنا أسباب ثراء هذه الجالية ثراء لم تظفر به الجالية التى هاجرت إلى الشمال .

غير خاف على الباحث أن الجالية الشمالية قد هاجرت فى الوقت الذى بدأت فيه أمريكا الشمالية تزدحم نوعا و يضيق الرزق فى مدنها وإن كان ما يزال مبسوطا فى ريفها ، و أما الجالية الجنوبية فقد استطاعت أن تلحق المدن قبل ازدحامها وأن تشارك فى الصناعة الناشئة والزراعة البادئة ووجوه الحياة الجديدة المختلفة . والذى حدث أن تيار الهجرة جرف الكثيرين فتركوا بلادهم وتوجهوا وجهات مختلفة فى أوقات متباينة ، وقد سبقت هجرة اللبنانيين إلى مصر فى عهد إبراهيم و بعد انتهاء حكمه ، و نضيف هنا أن هجرة أخرى توجهت نحو مصر من لبنان على أثر الاحتلال الإنجليزى لمصر عام ١٨٨٢م ، حيث أقام البعض فقاموا بأعمال التجارة فى أول الأمر ثم سرعان ما لمعت أسماء بعضهم فى عالم الثقافة والصحافة فأسسوا دور الصحف الكبيرة و كتبوا المؤلفات و نشروا المقالات فى الجرائد والمجلات ، ومن هؤلاء المهاجرين الأولين إلى مصر سليم تقلا (١٨٤٩-١٨٩٢م) وبشارة تقلا (١٨٥٢-١٩٠١م) مؤسسا الأهرام ، و جورجى زيدان (١٨٦١-١٩١٤م) مؤسس دار الهلال ، ويعقوب صروف (١٨٥٢-١٩٢٧م)

---

[٣٣] . المرجع السابق ، ص ٤٦

Dhaka University Institutional Repository



وفارس نمر مؤسسا المقتطف وغيرهم من أعلام الصحافة فى مصر ولبنان ثم سرعان ما نشبت الثورة العرابية فى مصر ، وساد القلق فى الشرق فترة من الزمن، فاضطر بعض اللبنانيين إلى الهجرة من العالم العربى كله والتوجه نحو العالم الجديد ، ولكن ليس معنى هذا أن كل من هاجر إلى أمريكا من اللبنانيين قد اتخذ مصر سلما و طريقا ، بل لقد قصد كثير من اللبنانيين والسوريين رأسا إلى العالم الجديد ، ومن قدموا مصر كانوا قلة لا تذكر أمام الألوف الذين حملتهم البواخر إلى الموانئ الأمريكية فى الشمال والجنوب . و ظل اللبنانيون ، ككل مهاجر من وطن عزيز عليه ، يحنون إلى بلادهم و يتنسمون أخبارها ، و فى الوقت نفسه كانوا يرسلون أخبارهم إلى أهلهم و ذويهم ، و هى و إن كانت فى مبدأ الأمر قصصا من المغامرة والمخاطرة و ركوب الأهوال فى سبيل العيش ، فإنها سرعان ما أصبحت أخبارا سارة يتنشى لها الأهل والصحب فى الوطن و يتناقلونها فى مجالسهم و يرددونها فيما بينهم ، و خاصة أخبار من اقتنوا الثروات والأراضى والعقارات و من نجحوا فى تجارتهم أو أعمالهم الأخرى .

كان للرسائل والأخبار المذكورة أثر كبير فى تشجيع من لم يهاجر بعد على الشروع فى المهاجرة واللحاق بمن سبقه من أهله و عشيرته ، و حتى من عاد من هجرته إلى أرض الوطن و فضل البقاء فيها ، عاد بثروة لا بأس بها اشترى بها أرضا و بنى عليها بيتا بسيطا بالحجر القرميد على مثال ما رأى فى بلاد المهجر ، يؤويه طوال حياته ، وأضيف بهذا مشجع جديد لمن لم يذهب بعد ليهاجر ثم يعود بمثل ما عاد به هذا السلف . و ما زال لبنان إلى اليوم يدين بالكثير من مشروعاته وعماراته لأموال المهاجرين من أبنائه . و ما فتى هؤلاء المهاجرون الأولون يبذلون المساعدات الجمة لمواطنيهم اللاحقين بهم ، بأن يسهلوا لهم كل أمور هجرتهم ، بل إنهم ينزلونهم ضيوفا عندهم أول الأمر ، حتى تتيسر حالهم و يستطيعوا الوقوف أمام التيارات الجديدة وحدهم . يذكر فيليب حتى فى كتابه "السوريون فى أمريكا" ضمن أسباب الهجرة ما سماه قوة القلم ، و يعنى به وصف هؤلاء المهاجرين الأولين للبلاد التى هاجروا إليها والحديث عن حياتهم الجديدة و معاملة الناس لهم حديثا يبعث فى نفوس من تخلفوا فى لبنان الأمل وحب التقليد لمن سبقوهم إلى العالم الجديد[٣٤] .

و هكذا نرى أن كل هذه الأسباب مجتمعة من ضغط سياسى دينى ، وضغط اقتصادى أدى إلى فقر البلاد واختناق الحياة فيها ، ثم تأثير المبشرين الأجانب ودعايات السياح وتشجيع شركات الملاحة ، يكلل كل ذلك ميل طبيعى نفسى عند اللبنانيين إلى الهجرة والمخاطرة وركوب الأهوال

---

[٣٤] . The Syrians in Ameica. Ne Phillp Hitti , New York,١٩٣٩

Dhaka University Institutional Repository



فى سبيل العيش والكسب ـ كل هذه الدوافع كانت كافية لأن يترك اللبنانيون وطنهم بجباله و سهوله و أنهاره و وهاده وراءهم ليحولوا وجوههم شطر العالم الجديد . و بعد هذا الاستعراض الشامل لأسباب الهجرة بوجه عام لا أرى بأسا فى أن أقسم الأسباب كما قسمها بعض الكتاب الذين طرقوا موضوع الهجرة و بحثوا فيه أمثال ميشال شبلى المحامى الذى قسم هذه الأسباب إلى فئتين : الفئتة الأولى : الأسباب الدافعة ـ كما سماها ـ المتأتية من ذات البلاد اللبنانية مثل فقر البلاد وجدب المواسم و وفرة المواليد و ظلم الحكومة و سوء الإدارة ، والفئة الثانية : الأسباب التى سماها أسبابا جاذبة حببت إلى المهاجر أرض الغربة بما فيها من رغد العيش والحرية والكرامة و هونت عليه ركوب الأخطار وشق أغوار البحار . ويدخل ضمن هذه الأسباب والدوافع دعايات السياح الأجانب و تشجيع المبشرين و أخبار نجاح المهاجرين و غيرها من المغريات والمشجعات . و قد يضاف إلى هاتين الفئتين أسبابا نفسية هامة هى أسباب الجنس والسلالة بالأصل الفينيقى، كان لها أثر كبير فى انفراد السوريين بهذه الهجرة .[٣٥]

---

[٣٥] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٤٩

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الثالث : أحداث الهجرة والرواد الأولون ومراحلها

كانت القارة الأمريكية متطورة ومزدهرة بين القارات، وبدأت تجذب أنظار السوريين واللبنانيين بوجه عام فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وأن الهجرة اللبنانية إلى العالم الجديد قد بدأت بأفراد قليلين، ثم مازالت تنمو حتى جذبت العائلات والجماعات و زادت زيادة عظمى أواخر القرن الماضى، و على وجه التحديد فى السنوات العشر الأخيرة منه إلى ما قبيل الحرب العالمية الأولى حين بلغ عدد المهاجرين فى الولايات المتحدة وحدها ستين الفا ، ثم ضيقت الحكومة الأمريكية قانون الهجرة ، فقضت به على الهجرة السورية إلى حد بعيد وبدأ ينقص عدد المهاجرين إليها.[٣٦]

يقول المؤرخ أوغست أديب باشا فى كتابه لبنان بعد الحرب: "منذ أربعين عاما كان اللبنانيون يكادون يجهلون المهاجرة إلى البلاد الأجنبية . نعم إن كثيرين منهم كانوا ينحدرون إلى المدن البحرية المطوقة بأراضى لبنان ليتعاطوا فيها الحرف الحرة والتجارة والصناعة كما يدل على ذلك دلالة واضحة نمو سكان مدينة بيروت العظيم إذ كانوا ستة و أربعين ألف نفس فى عام ١٨٤٦م فبلغوا مائة و ثلاثين ألف نفس فى عام ١٩٤١م ، غير أن هذا الانتقال لم يكن مهاجرة حقيقية لأن اللبنانيين الذين كانوا ينزحون إلى مدن السواحل كانوا يظلون يتفيأون ظلال جبلهم قريبين من قراهم و على اتصال دائم مع أهلهم وأصحابهم".[٣٧]

و فى تقريره هذا دلالة واضحة على أن حب الهجرة متأصل فى نفوس اللبنانيين ، و هى غريزة ورثوها عن أجدادهم الفينيقيين، فهم لا يكادون يضيقون بمكان أو يضيق بهم مكان حتى يهجروه إلى غيره من البلدان سعيا و راء الكسب والعمل الشريف، و لهذا هجروا جبلهم كما رأينا حين أجدبت أرضه و ضاقت عن أرزاقهم ، و لهذا السبب عينه سافروا إلى أمريكا وأستراليا وجنوبى إفريقيا و شمالها و انتشروا فى أنحاء العالم من ألاسكان شمالا إلى الترنسفال جنوبا ، و من الصين واليابان شرقا إلى سان فرانسيسكو و تشيلى غربا.[٣٨]

---

٣٦. شعراء الرابطة القلمية ، ص ٤٩
٣٧. لبنان بعد الحرب ، ص ١٠٢
٣٨. تاريخ الولايات المتحدة والمهاجرة السورية ، (نيويورك ، ١٩١٣م) ، ص ٣

Dhaka University Institutional Repository



وإذا صرفنا أنظارنا إلى أراء المؤرخين فى من كان كولمبس السوريين ، أى من هذا الذى هاجر إلى الديار الأمريكية أولا ، فنجد الخورى باسيليوس خرباوى كاهن الكنيسة السورية الأرثونكسية فى بروكلين بنيويورك - يذكر فى الفصل الذى كتبه عن تاريخ المهاجرة السورية أن حبيب النشبى من بشرى فى لبنان هو أول مهاجر سورى ، ولكنه لا يذكر شيئا عنه ولا عن وجهته أو قصده أو ما جرى له ، و يذكر أيضا أن شخصين أخرين كانا يبيعان الحربر خسرا فيه فهاجرا من بلدهما فى لبنان إلى بوسطن عن طريق ليفربول ، وإنهما تعرفا فى بوسطن إلى من كتب لهما شهادة بأنهما فقيران وجالا يجمعان إحسانا ، وما عتما حتى رجعا إلى قريتهما يحملان كمية من النقود ، فذاع خبر هجرتهما بين الشبان والشيوخ و نفخ ببوق المهاجرة فلبى كثيرون منهم صوت النداء، وخرجوا لطلب حياة جديدة فى سبيل أمريكا .[٣٩]

ويذكر الخرباوى أيضا من المهاجرين الأولين الشيخ يوسف فاعور والد التجار المعروفين بنيويورك ، و يذكر أن فاعورا هذا هاجر مصطحبا معه بضائع قدسية، و صادفت بضاعته رواجا وعادت عليه بالكسب والغنيمة، و قد حمل خبر نجاحه كثيرين على المهاجرة، ولكن الدكتور فيليب حتى (١٨٨٦-١٩٧٨م) أستاذ اللغات الشرقية والتاريخ الإسلامى بجامعة برنستون - كان قد ألف كتيبا عمن دعاه أول مهاجر إلى العالم الجديد، وهو عنده المسمى "أنطونيوس البشعلانى" من مواليد بيروت عام ١٨٢٧م، و كان البشعلانى هذا يعمل بالترجمة للسياح الأجانب فى سورية وفلسطين ، فسمع الكثير عن أمريكا من السياح الذين كان يرافقهم ، ثم درس التوراة واشتغل بالأمور الدينية حتى إنه سجن مرة من أجل نشاطه الدينى ، وغضبت عليه عائلته ، و لما ضاقت به حيانه و بلاده هاجر إلى نيوبورك فى شهر أغسطس عام ١٨٥٤م ، وهناك عمل مستخدما لدى بعض الأسر الأمريكية . ولم ينس تعلقه بالدين فظل يأمل أن يتأهل للتبشير بالدين المسيحى ، ولكن داء عضالا أقعده عن العمل فتوفى فى نيويورك فى الثانى والعشرين من شهر أغسطس ١٨٥٦م وعمره تسعة وعشرون عاما. وقد أقام له أصدقاؤه من الأمريكيين نصبا على قبره الذى ما يزال إلى اليوم فى مقبرة جرينوود ، فى حى بروكلين فى نيويورك، وأرادوا بذلك إحياء تاريخهم الممجد.

---

[٣٩] . المصدر السابق ، ص ٧٧٠

Dhaka University Institutional Repository



هذه هى قصة أول رجل دخل الولايات المتحدة من السوريين كما رواها الدكتور فيليب، حتى . ولكن نجد مؤرخا ثالثا هو محمد كرد على (١٨٧٦-١٩٥٣م) يذكر فى الفصل الذى عقده عن الهجرة من لبنان أن أول من دخل أمريكا من السوريين الخورى إلياس بن القسيس حنا الموصلى الكلدانى ، وأن أول من دخل أمريكا الشمالية فى القرن الماضى - و هو عصر الهجرة العامة التى نحن بصددها - الخورى فلاميانوس الكفورى الذى سافر إليها عام ١٨٤٨م وأخذ معه ناصيف الشدودى، وأن أول من دخل أمريكا الجنوبية المطران باسيليوس حجار عام ١٨٧٤م.[٤٠]

وقيل أنطون البشعلانى اللبنانى هاجر أولا إلى الولايات المتحدة عام ١٨٥٤م، أقام فى نيويورك ومات فيها ثم تبعه أفراد من سكان سوريا و لبنان بعد الحادثة المعروفة بمذبحة سنة الستين، وأقدم أديب اتصل بنا خبر هجرته هو ميخائيل رستم والد الشاعر المشهور أسعد رستم و بعده الدكتور لويس صابنجى الذى ترك لناقصيدة نظمها فى النيويورك عام ١٨٧٢م فى وصف السنترال بارك و قد نثرتها مجلة النحلة التى تصدر فى لندن ومر عقدان من السنين بعد ذلك لم نسمع فيهما من المغتربين سوى الأزجال اللبنانية . وقد تكاثر عدد المهاجرين بعد الثورة العرابية عام ١٨٨٢م لما لجأ اللبنانيون والسوريون المقيمون فى مصر إلى البواخر البريطانية فاقلتهم مجانا إلى موانىء فرنسا و إيطاليا ، و منها استأنفوا السفر إلى كندا والولايات الشمالية ، و حصلت فى تلك الفترة من الزمن هجرة طريفة هى هجرة الجمال العربية ، يقول الجنرال ماك آرثر نقلا عن أبيه الكابيتن ماك آرثر أن الحكومة الأميركية استوردت الجمال من بلاد العرب عام ١٨٨٥م واستعملتها وسيلة للنقل فى تعمير صحارى الآريزونا ولحمل المدافع الخفيفة فى الحرب الأهلية ، واعترافا بفضلها أقاموا لها تمثالا نحسيا يمثل الجمل (خان) الملقب بسفينة الصحراء.[٤١]

سبقت جماعة صغيرة من أبناء فلسطين اللبنانيين فى الهجرة إلى أمريكا. و لكنهم لم يستقروا جميعا فى البلدان التى نزلوها كما فعل اللبنانيون . كانوا يزورونها حاملين المسابح والأيقونات والتعاويذ المصنوعة فى فلسطين لبيعها من المؤمنين المتعبدين . و بعد أن طافوا البحر المتوسط اجتذبهم معرض شيكاغو عام ١٨٩٣م فأموا أميركا الشمالية واستطابوا الأرباح فمكث بعضهم فيها وتوغل البعض الآخر فى الجمهوريات القريبة كالأكوادور و كولومبيا ، ثم فى البعيدة

---

٤٠. غرائب الغرب ، ص ٣٦

٤١. جورج صيدح ، أدبنا وأدباءنا فى المهاجر الأمريكية (بيروت: دار الملائين، ١٩٥٦م)، ص ٩.

Dhaka University Institutional Repository



كالبيرو والأوروغواى والبرازيل والارجنتين والشيلى ، و هم الآن كثرة فى جمهورية شيلى لهم المقام الأرفع فى عالم الصناعة والتجارة . وزحفت إلى شواطىء أميركا موجات الهجرة من جبال العلويين وحمص وحماه وحلب ودمشق ، حيث السكان أكثر عوزا وضنكا وتعرضا للاضطهاد المذهبى ، فاشتدت وضعفت المهاجرة تبعا لقوة ذلك الضغط لا لنسبة عدد السكان ، لذلك نرى أن عدد النازحين من حمص و حماه أكثر من عدد النازحين من دمشق و حلب . اعتاد المغتربون السوريون الإقامة فى العواصم والمدن فلم يخشوا شنوا ويركبوا الأخطار كاللبنانيين الذين يتوغلون فى مجاهل البلاد و يعمرون المزارع الغامرة و قد صدق من قال : لو كان للقمر طريق لكنت ترى لبنانيا حاملا كشته صاعدا إليه و خلفه لبنانيا شك دواته فى زناره لينشىء أول جريدة فى القمر . لم يتجه المهاجرون ناحية أمير كا الجنوبية إلا بعد و صولهم إلى الشمال بعشرين عاما . وأقدم هجرة إلى البرازيل كانت عام ١٨٧٤م حين وصلها شقيقتان لبنانيتان من عائلة زخريا وتبعهما خمسون مهاجر آخر فى الأعوام العشرة التالية ، ولم يتكاثر عدد المهاجرين فى البرازيل إلا فى نهاية القرن بعد أن عقدت معاهدة المهاجرة بين الحكومة العثمانية و حكومة البرازيل على إثر زيارة الإمبراطور بطرس الثانى لفلسطين و لبنان ، وبعد أن فشلت ثورة يوسف بك كرم (١٨٢٢-١٨٨٩م) فى لبنان هرب فريق من جنوده إلى أمر يكا الجنوبية صونا لأنفسهم.[٤٢]

وأما أول من هاجر من فلسطين إلى شيلى هو جبرائل دعيق . وبعد عامين لهجرته وصلت طلائع المهاجرين إلى البيرو وكولومبيا والمكسك، و فى العام الرابع والثمانين وصل أول مهاجر لبنانى إلى الأرجنتين اسمه ميخائيل ملحم السمعانى . و كان أن اتجهت سياسة حكومة الأرجنتين إلى تنشيط المهاجرة إليها توسلا لاستثمار أراضيها الزراعية الواسعة فاستنبطت وسائل فريدة لاجتذاب السواعد القوية من أوربا و آسيا و فتحت أبوابها للمهاجرين العرب فأقبلت قوافلهم غفيرة متابعة حتى زاد عددهم عن ثلاث مأة ألف ، والظاهر أن وفرة الخيرات فى الأرجنتين و تشابه المناخ والعادات و سهولة التعايش مع النزالات الأجنبية التى استوطنت البلاد، حملت أبناء سوريا على إيثار هذا المهجر فتكاثروا فيه واستطابوا عيش القناعة الهنىء . ليس موضوعنا تاريخ الهجرة بجميع ملابساتها ، و لكن علينا أن نشير إلى كل ملابسة ، اقتصادية كانت أو اجتماعية ، تمت بصلة إلى حياة أدبائنا المهاجرين حتى نلم بالمؤثرات التى تحكمت فى

---

[٤٢] . المرجع السابق ، ص ١٠-١١

Dhaka University Institutional Repository



نشأة أدبهم و تطوره فنبادر إلى القول إن البيئة فى المهجر الشمال كانت أقوى و أفعل فى نفوسهم منها فى المهجر الجنوبى.[٤٣]

كانت الهجرة السورية إلى أمريكا إلى ما قبل الربع الأخير من القرن التاسع عشر هجرة أفراد لا جماعات ، و كانوا غالبا أفرادا يرحلون بقصد جمع المال والإحسان ، و أحيانا للتجارة الفردية و بيع البضائع المقدسة التى يقبل عليها متدينو الأمريكيين، أو لأغراض دينية تتصل بالتبشير المسيحى فى النادر من الأحيان . و ليس من السهل أن نعرف أسماء هؤلاء الأفراد و من منهم كان الرائد الأول ، فلعل أمريكا نفسها لم يكن لديها سجل رسمى للمهاجرين إذ ذلك . و كل ما لدينا هو ما قد أجمع عليه قوم دارسون فى الشرق والغرب من أن هذا أو ذاك هو الذى كل أول المهاجرين وقد يكون ثالثهم أو رابعهم فمن يدرى . ومما يعقد الأمر أن هجرة غير السوريين من الناطقين بالضاد كانت معروفة فى ذلك الوقت ، فقد جاء أفراد من مختلف الجنسيات فى مختلف المناسبات إلى العالم الجديد مثل "أسطفان" المراكشى الأصلى الذى قدم من مراكش ليرشد ثابت حاكم إسبانيا الجديدة فى اكتشافه مجاهل الأريزونا عام ١٥٣٩م . و مثل هذا العربى الذى قدم مع "بالبوا" فى اكتشافه للباسفيكى . كما يروى أنه بعد أكثر من قرنين قام الأب إلياس الموصلى من الموصل ـ برحلة فى المكسيك وأمريكا المتوسطة والجنوبية ، و ترك لنا كتابا عن رحلته بالعربية تحت عنوان : "رحلة أول شرقى إلى أمريكا" .[٤٤]

ونكر الآنسة هوتون فى تقريرها الذى استندت إليه النشرة التى أصدرها معهد الشئون العربية بنيويورك عن الناطقين بالضاد فى أمريكا ١٩٤٦م . أنه فى منتصف القرن الماضى أحضرت حكومة الولايات المتحدة قافلة من الجمال من صحراء العرب لتجربتها فى صحراء الأريزونا رجاء مع القافلة رجل عربى بدعى "حاج على" سمى فيما بعد "هيجولى" (Hijolly) . و لم تنجح التجربة ، ولكن الحاج على أقام فى لوس أنجيلوس و لم يعد . كل هؤلاء المهاجرين كانوا يقدمون من سورية ولبنان غالبا . ومن غيرهما من بلدان الشرق العربى أحيانا . ولكن اسم سورية لم يكن معروفا من بلدان الشرق العربى

---

٤٣ . المرجع السابق ، ص ١١

٤٤ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٥٢

Dhaka University Institutional Repository



أحيانا . ولكن اسم سورية لم يكن معروفا للأمريكيين بعد . فقد عد كل هؤلاء الناس مهاجرين من تركيا فى آسيا ، لأن بلاد العرب كانت جزءا من الإمبراطورية التركية . وجاء فى نشرة معهد الشئون العربية المذكورة أيضا أنه حتى سنة ١٨٩٩م لم يكن فى سجل المهاجرة أى ذكر المهاجرين من تركيا فى آسيا ، لأن بلاد العرب كانت جزءا من الإمبراطورية التركية . وجاء فى نشرة معهد الشئون العربية المذكورة أيضا أنه حتى سنة ١٨٦٩م لم يكن فى سجل المهاجرة أى ذكر لمهاجرين من تركيا فى آسيا ولكن فى ذلك العام والذى بعده سجل إسما اثنين من تلك الجهات ، و ما بين سنتى ١٨٧١م و ١٨٨٠م سجلت أسماء سبعة و ستين مهاجرا ثم حدث : ارتفاع مفاجئ بين عامى ١٨٨١م و ١٨٩٠م حين سجل ألفان و مئتان و عشرون مهاجرا ، و لا يمكننا أن نعرف كم من هؤلاء كانوا سوريين وكم منهم أرمن أو يونانيون ، و لكن بين عام ١٨٩٩م وعام ١٩١٩م - حين بدى يذكر كلمة "سورى" فى سجل المهاجرة الأمريكية - دخل الولايات المتحدة حوالى خمسة آلاف سورى. وكانت الهجرة قد وصلت إلى أوجه عام ١٩١٣م حين وصل ٩٢١٠ من السوريين و حدهم، وأما عدد الآخرين فكثير.[٤٥]

كان عدد المهاجرين اثنين أول مرة ، وبعد عشرة أعوام أصبح سبعة و ستين ، و لكنه ما لبث فى عشرة الأعوام الثالثة أن ارتفع إلى الفين ومأتين وعشرين ، ثم أخذ هذا العدد يزداد حتى وصل عام ١٩١٣م إلى تسعة الاف و مأتين و عشرة من السوريين و حدثت بين عامى ١٨٨١م و ١٨٩٠م. لا بد لنا من وقفة نعلل بها هذا الارتفاع المفاجئ. أعتقد أنه ليس من الصعب علينا تتبع الأسباب التى أدت إلى خروج هذا العدد الكبير من الشرق العربى نحو العالم الجديد . فمنذ تولى السلطان عبد الحميد الحكم سنة ١٨٧٦م أخذت الأحوال تسوء وسارت البلاد بخطى سريعة نحو التقهقر والانهيار . و كان النظام الأساسى الذى تحدثنا عنه انفا لا يزال يبسط سلطانه على أرض لبنان ، فانحطت الزراعة والتجارة وساءت المعيشة واضطربت الأحوال فى الشرق العربى .[٤٦]

و فى نفس الوقت كانت المدارس التبشيرية آخذة فى النمو والازدهار و قد جذبت الكثيرين من الشباب نحوها و نحو تعاليمها و دعايتها لبلاد الغرب . ولا يمكن إغفال

---

[٤٥] . نشرة الناطقون بالضاد ، ( أمريكا : معهد الشئون العربية الأمريكية بنيويورك ، ١٩٤٦ م)
[٤٦] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٥٣ــ٥٤

Dhaka University Institutional Repository



الجهود التى قامت بها الجامعة الأمريكية ، وكان قد مضى على تأسيسها ما يزيد على عشرة أعوام . وفى هذا الوقت أيضا بدأت حركة العرب القومية على أيدى بعض شباب الجامعة الذين أخذوا ينشرون آراءهم فى الصحف وعلى المنابر مما أقض مضجع عبد الحميد فأخذ يطاردهم و يضطهدهم ويحاول القضاء على حركتهم كما فرض الرقابة الشديدة على الصحف وقيد حرية الرأى والعمل . أمام كل هذه التقييدات المادية والمعنوية لم يجد المتحررون من الناس إلا هجر البلاد والبحث عن بلاد أخرى يمارسون فيها الحرية فى أقوالهم و أعمالهم و يتنفسون فيها عبير العزة والكرامة . ويذكر المؤرخ جورجى زيدان (١٨٦١-١٩١٤م) فى حديثه عن المدارس التبشيرية الأمر يكية فى سورية و ما كانت تبثه بين الطلاب من حب الحرية و عدم الرضا بالذل والاستعباد ، أن بعض أبناء الكلية السورية الأمريكية من القسم الطبى نهضوا فى عام ١٨٨١م لمطالبة الأساتذة ببعض الحقوق المدرسية ، فلم تنصفهم هيئة التدريس لأسباب غير معروفة ، فلم يقتنعوا ، وكان لهذه الحادثة دوى فى سورية وغيرها من البلاد . فأدى ذلك إلى مهاجرة بعض أولئك المطالبين إلى مصر و إلى أمريكا و لعلهم قد اصطحبوا معهم عائلاتهم أو بعض أصحابهم و ذوى قرباهم مما زاد عدد المهاجرين فى هذه الفترة. و قد زار إمبراطور البرازيل لسورية و فلسطين فى هذا الوقت الذى نتحدث عنه ، ولعله كان من العوامل التى شجعت على الهجرة بكثرة إلى بلاده فى هذه السنوات العشر أيضا ، فقد زار الشرق مرتين وقام بدعاية وافرة لبلاده فيه . وفى هذا الوقت كانت أخبار المهاجرين الأولين قد بدأت ترد وتبشر المتخلفين بالخير الكثير ، فشدوا رحالهم نحو بلاد الحرية والتطور والازدهار.[٤٧]

---

[٤٧] . المرجع السابق ، ص ٥٤

Dhaka University Institutional Repository



## المراحل فى حياة المهاجرين

إن هجرة العرب إلى الأقطار الأميركية كانت ملحمة رائعة مذهلة تشيع الفتنة و تثير الطمع ، وتسمى "ملحمة" لأن مقومات الملاحم توفرت فيها : مغامرات عجيبة و حوادث خارقة ، و بطولة فى الجهاد آلت إلى النصر المبين ، و يتمنى لو استوحى الشعراء هذه الوقائع ونظموها ملحمة عربية كبرى . لا شك أن فى مظاهر الهجرة كلما نراها اليوم مادة شعرية براقة الألوان ، تطل منها صورة المهاجر العربى الأعزل من كل سلاح ، لاعلم ولا مال ، تلفظه أمواج الحياة على شاطئ غريب و تكرهه على منازلة الأقوياء فى عقر دارهم . و ما هى إلا جولة مع مكائد الزمن حتى يخرج العربى من الحومة ، عزيز ا كريما و يحتل الصدارة فى مرافق الصناعة والتجارة و يمتد نفوذه إلى الأوساط السياسية الحاكمة . هذا فتح من فتوحات العرب لا بأس من تخليد ذكراه فى الشعر ، شرط أن يتعامى الشاعر عن الصور القاتمة فى آفاق الهجرة . فهى صور تطغى فيها الظلال الدكناء على بهجة الأضواء ، وتصبغ الشعر بألوان المراثى .

يستفاد من كلام الأديب المهجرى توفيق ضعون فى كتاب ذكرى الهجرة ، إن الهجرة فى زمن العثمانيين كانت محظورة رسميا ، و مباحة عمليا بواسطة المهربين. كانت البواخر الصغيرة حالما ترابط فى ميناء بيروت توفد سماسرة من ذوى الحناجر القوية إلى أسواق المدينة والقرى لإذاعة نبأ وصولها و موعد سفر فيهرع القرويون إلى استدانة المال اللازم للسفر من المرابين برهن كل ما يملكون من عقار و أثاث و تبدأ عملية التهريب . السمسار يسلم المهاجر إلى العسكرى الموج بمراقبة الشاطىء و العسكرى يصعد به من وراء الجمرك إلى ماعونة محملة بالبضائع و قائد الماعونة يدخله فى الباخرة بصفة حمال . و فى الباخرة يستلمه القهوجى و يضعه فى أحد المستودعات . و بهذا الوضع يصل المسافر إلى مرسيليا . و منها يستلمه سمسار جديد و ينزله فى خان قذر ولا يحمله إلى باخرة تنقله إلى أميركا إلا حينما يفرغ جيبه من الفلس الأخير . هناك فى الباخرة الذاهبة إلى أمريكا يلتقى بأمثاله المهاجرين و يعيش معهم عيشة القطيع الذى تطارده الذئاب . إن صعدوا إلى ظهر الباخرة تعرضوا للحر والبرد والأمطار والرياح و إن احتشدوا فى المطابق السفلى كادوا يختنقون . وكم مرة سلط عليهم البحارة أنابيب الماء الساخن لمنعهم من الاحتجاج على سوء المعاملة. وكم مرة حملتهم الباخرة إلى حيث لايقصدون و أنزلتهم البلد الذى يوافق مصلحتها .

Dhaka University Institutional Repository



فى كل بلد ينزلونه يتكتل أبناء القرية الواحدة و تتخذ كل وجهة . السعيد منهم من يجسد على المرفأ إنسانا فى انتظاره أو يعرف عنوانا لنسيب أو صديق أو يحمل كتاب توصية يؤمن له الطعام والمأوى فى الليلة الأولى . أما من لم تتوفر لديه هذه الوسائل ففراشه رصيف الشارع وطعامه الكسرة الباقية من زاد السفر فى جعبته .[٤٨]

هكذا تبدأ حياة الأديب فى المهجر . الخاطر مكسور والمعنويات فى درجة الصفر. لا أمل ولا نجاة إلا فى العمل . و لكن فى أى حقل يعمل وهو الغريب الجاهل إلا بكم الخالى الوفاض . التجارة تستلزم رأسمال والزراعة تتقاضى المهاجر جهود السنين الطويلة وما هو فى حدسه إلا عابر سبيل . يستعجل الثراء ليغذى أهله الجياع فى الوطن وليدفع ما استدان من المرابى وليعود إلى أهله فى أقرب وقت . من هذه الضائقة الخانقة تولدت فى المهاجر منهة الكشة فالمهاجر يجد من يأتمنه على القليل التافه من لعب ودبابيس وأمشاط و كشاكش وصابون وعطور يضعها فى علبة ويطوف بها على المنازل طارقا أبوابها عارضا سلعه بالإيماء ولإشارة على ربات البيوت . و بعد التجول طوال النهار فى أحياء المدينة يعود بغلته إلى صاحب المتجر ليحاسبه على ما باع و ما بقى و يجدد محتويات صندوقه استعدادا لجولة الغد . بعد أسابيع قليلة تنضب موارد رزقه فى أحياء المدينة فينتحى الضواحى الضواحى ثم ينتقل إلى القرى والدساكر المجاورة بصندوق أضخم حجاما و أثقل وزنا ، لأنه جنى أرباحا وزادت ثقة التاجر به ، ولا تمضى شهور حتى تراه متجولا فى داخلية البلاد ساعيا على قدمه ، و على كتفه صندوق يتراوح وزنه بين الخمسين والثمانين كلو غرام وكلما توغل فى المجاهل كلما اتسع له بحال الكسب لعدم وجود من يقتحم الأخطار ويناقسه فى الأسعار .

هذه هى المشقات التى عاناها أدباؤنا فى أسفارهم ، وهذا هو نوع الحياة التى عاشوها فى المراحل الأولى من هجرتهم . هو جحيم كان لا بد من المرور به فى الطريق إلى النعيم . كفاح لاقى فيه المهاجر الجوال من عنت الطبيعة و من عداء الإنسان ما لم يلقه أبطال الأساطير . ولكنه المجنى الوحيد الذى يجد فيه النواة الصالحة لزراعة

---

[٤٨] . أدبنا وأدباءنا فى المهاجر الأمريكية ، ص ١٨

Dhaka University Institutional Repository



الآمال ، نواة أحسن البعض استثمارها فجنوا الاستقرار والاستقلال المادى . و بعضهم نزف عليها قوى الشباب و هدر أغلى حقبة من العمر دون جدوى .[٤٩]

وقائل يقول : إننا نتكلم عن زمن عفا فى زمن تبدلت فيه وسائل السفر فأصبحت مأمونة الجانب قريبة المآخذ . وجوابنا أن أدباءنا المشهورين ليسوا حديثى العهد بالهجرة . فجبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١م) وأمين الريحانى (١٨٧٦-١٩٤٠م) ونديره حداد (١٨٨١-١٩٥٠م) وعبد المسيح حداد (١٨٩٠-١٩٦٣م) هاجروا فى أو اخر القرن الماضى . ونسيب عريضة (١٨٨٧-١٩٤٦) و رشيد أيوب (١٨٨٧-١٩٨٤م) هاجرا فى العام الخامس من هذا القرن . وفرحات فى العام العاشر ، ونعيمة (١٨٨٩-١٩٨٨م) وأبو ماضى (١٨٩٤-١٩٥٧م) فى العام الثانى عشر ، والشاعر القروى فى العام الثالث عشر . وشكر الله الجر (١٨٩٨-١٩٧٥م) فى التاسع عشر . وأحدثهم هجرة هو شفيق معلوف فى العام الثالث والعشرين .

يقول جورج صيدح : "أنكر سهرة جمعت كرام المهاجرين فى دار عميد الجالية اللبنانية فى كراكاس - وكان قبل الهجرة معلما فى قريته - جئنا نهنئه بدخول عامه السبعين وهو فى حال من النعمة يحسد عليها . سألته إن كان يشعر بسعادة الغانم الظافر فى هذا اليوم فأجابنى : ليس هذا أسعد يوم فى حياتى ، بل أسعد يوم فى حياتى كان يوم أحصيت ما فى جيبى من الأرباح بعد التجول "بالكشة" طيلة ثلاث سنوات ، فبلغت ثلاثمائة ليرة ، فاستطعت أن أشترى حمارا أحمل عليه صندوق بدلا من حملانه على كتفى و أن أتو غل فى التجوال إلى مسافات بعيدة لا يصل إليها زملاءى ، هذا المهاجر توفى عن ثروة زادت عن مليون دولار . و مثله تاجر كبير فى سان باولو خلف تركه ضخمة و كان كل ما يستهدفه من هجرته أن يجمع ما يبتاع به جملا فى قريته فيعود إليها و يكارى لحسابه بعد أن كان يعمل أجيرا لرجل من أصحاب الجمال" . و يقول صيدح أيضا: فى سان باولو سمعت أحد أصحاب الملايين يقول أن الأحد يداب الذى تلمحه فى ظهرى والالتواء فى كتفى هو يتجة حمل "الكشة" الثقيلة مدة سنوات طويلة.[٥٠]

---

٤٩ . المرجع السابق ، ص ١٩

٥٠ . المرجع السابق ، ص٢٠.

Dhaka University Institutional Repository



قال الشاعر مسعود سماحة و هو الذى أصبح بعد حمل الكشة كولونيل فى الجيش الأمريكى :

كم طويت القفار مشيا و حمل　　فوق ظهرى يكاد يقصم ظهرى

كم قرعت الأبواب غير مبال　　بكلال وقر فصل و حر

كم توغلت فى البرارى و قلبى　　سابح مثل زورق فى نهر

كم تعرضت للعواصف حتى　　خلت أن الثلوج فى القفر قبرى

كم توسدت صخرة و ذراعى　　تحت رأسى و خنجرى فوق صدرى

و قضى الشاعر القروى السنوات الأولى متجو لا فى داخلية البرازيل موفدا من أحد البيوتات التجارية لعرض مساطرها فعانده الحظ و قصد العاصمة طلبا للاستقرار . و إذا بالآ مال تخيب، و بالكآبة تشتد و ترتد على قلبه سهاما :

حنانيك ربى حنانيك ربى　　لقد قصمت ظهرى القاصمه

بعيد المزار غريب الديار　　وحيد ، و ها أنا فى عاصمه

أيا رب فاتحتى ماترى　　فهل لك أن تحسن الخاتمة [٥١]

والذى نعلم أن الخاتمة كانت قاسية عليه ماديا ولكنها ألهمته رسالة شعرية تعوض عن حرمان الجسد . وهذا توفيق ضعون يروى لنا أنه أنشأ مرة مدجة فى منزله و علق الآمال على أرباح وفيرة من بيع البيض لا سيما إذا استثمر موهبته الأدبية فى طريقة الاعلان عن بضاعته . ولعلمه أن البيض الطازج هو المرغوب فيه ، ابتكر لبضاعته هذا الشعار ، بيضات ضعون من ذيل الدجاجة إلى فم الزبون ، ولكن حياة المدجة لم تطل بل كان السجع شؤما عليها . وحفلت حياة فرحات بالمغامرات المختلفة ، استعان بتربية الخنازير، ولكن منذ بدأ يربيها تدهورت أسعارها وارتفع ثمن علفها . فطلق هذه التجارة الخاسرة ، وراح يتعلم تنضيد الحروف فى مطبعة و لكنه اختلف مع صاحبها فتركها وأخذ يصنع المآكل الشرقية فلم يصادف رواجا . ثم

---

[٥١] . المرجع السابق ، ص ٢١

Dhaka University Institutional Repository



انتقل إلى مزرعة واشتغل بتربية و الحملان و أخيرا احترف التجول بمساطر المحلات التجارية ، وهو أحسن من وصف حياة البائع المتجول :

فنمسى وفى أجفاننا الشوق ونضحى و جمر السهد فيهن يلتهب
وما كلنا مما نصيد وطالما طوينا لأن الصيد عنا مغيب
و نشرب مما تشرب الخيل تارة و طورا تعاف الخيل ما نحن
حياة مشقات ولكن لبعدها عن الذل تصفو للألى و تعذب
لئن كان صعبا حملك فحملك من الناس لاشك اصعب
طوى الدهر من عمرى ثلاثين حقبة طويت بها الأصقاع أسعى و أدأب
أغرس خلف الرزق و هو مشرق و أقسم لو شرقت راح يغرب

عشرون عاما سلخها فرحات من شبابه فى حياة التجول إلى أن توفق إلى صناعى كبير يعهد إليه بمسا طر بضائعه لكى يعرضها على تجار الداخلية فارتقى إلى منزلة و كل متجول ، و لكن حياة الوكيل لم تكن أيسر وأهنأ . ها هو يرتمها فى لوحة الشعر :

و مركبة للنقل راح يجرها حصانان محمر هزيل و أشهب
جلست إلى حوذيها و وراءنا صناديق فيها ما يسر و يعجب
و راحت كأن البر بحر ، نجاده و أغواه أمواجه و هى مركب
تبين و تخفى فى الربى و حيالها فيحسبها الراؤون تطفو و ترسب
و تدخل قلب الغاب والصبح مسفر فتحسب أن الليل للسيل معقب
تمر على صم الصفا عجلاتها فنسمع قلب الصو يصخب
و ترقص فوق الناتئات من الحصى فنوشك من تلك الخلاعة نقلب،

و ما ألف فرحات هذا العمل و آنس تباشير النجاح فيه حتى ضاقت عين صاحب المصنع فانقص عمالته من خمسة مأة إلى ثلاثة . فكتب إليه فرحات :

يا صاحب النول كل لحى و لا تعتذر

Dhaka University Institutional Repository



إنى الصديق الذى مهما تسىء يغتفر

انقصت من أجرتى فى ذا الزمان العسر

هل خفت أن أغتنى أم خفت أن تفتقر

يا صاحب النول جر و أظلم فلن انتحر

من كان فى أسفل الهوة لا ينحدر[٥٢]

إن حياة المهاجرين و الأدباء منهم بنوع خاص ، لا تصلح لنظم ملحمة شعرية مثلما تصلح لكتابة رواية مفجعة يتخللها فنون من الفكاهة و شؤون من موحيات العبر يتعظ بها من تحدثه نفسه بالمغامرة والاغتراب . وقد شرعت بكتابة الرواية و جمعت لها الأسانيد من أفواه المهاجرين الماهرين أصحاب الثراء الباذخ اليوم ولكن واحدا منهم لم يسمح لى بتنكر إسمه فى معرض الحكاية فعدلت عن إصدار الكتاب .

---

٥٢ . المرجع السابق ، ص ٢٣

Dhaka University Institutional Repository



يقول جورج صيدح: "قص علىّ صديق من سراة الجالية اللبنانية فى بونس أيرس إنه غداة وصوله إلى المهجر باع حقيبة ثيابه واشترى بثمنها ثوب خام مقصور فكانت قرينته تقوم بخياطة المراييل وهو يطوف على المنازل ليبيعها من الخدم . وأخوه صاحب مغازل الصوف اليوم . أكد لى أنه لم ينم على سرير إلا منذ يوم زواجه أى بعد إقامته ثلاثة عشر عاما فى الأرجنتين كان خلالها ينام على الدكة الخشبية فى حانوته . وحدثنى أديب كبير أنه عند وصوله إلى المهجر لم يجد من يأتمنه على بضائع يتاجر بها لأن هندامه كان نظيفا أراب التجار فى كفائته و فى استعداده للكفاح . وهم عادة بتجنبون التعامل مع باعة غير مقترين أو استخدام المتأنقين فى طعامهم و لباسهم . فإذا جاءهم طالب عمل وعلى عنقه طوق رباط العنق رفضوه اعتقادا منهم أن مهاجرا من هذ النوع مقضى عليه بالفشل والنقر" .

فى نهاية هذه المرحلة التسهيدية تفرق الحظوظ بين المهاجرين تبعا لإمكاناتهم الأدبية والمالية ، فتضع هذا فى العاصمة على رأس متجر كبير ، وهذا فى قرية على باب حانوت صغيرة ، وذاك فى ورشة بناء و ذاك فى إدارة مصنع وآخر فى قاعة مطعم . وتضع أسوأهم حظا فى مكتب جريدة . و يزداد التفاوت بينهم بتوالى الأعوام فإذا هم بعد عقد من السنين طبقات متباعدة هذا بلغ الذروة من الغنى والرفعة وابتنى القصور و تصدر المحافل و هذا لم يزل يعاقر خمرة الأدب و يستعطى القلم لقمة ملوثة بالحبر والدم . الأغنياء يحسبون الصحافيين والأدباء عالة عليهم ، والأدباء يجدون فى الأثرياء عيالا على أقلامهم و تكاد ترجع كفة المال فينبذ الأدباء من المجتمع لو لا أن أثرياء مثقفين من الطراز العالى كآل يافث و آل معلوف ضموا الأدباء إلى صدرهم وأنزلوهم لمرتبة التى يستحقونها من مراتب الكرامة وبين الأغنياء من تأصلت فى نفوسهم عادة الشح والتقتير بتأثير الأعوام الأولى لهجرتهم فلما بلغ مراقى الغنى ظل منكمشا على نفسه لا يؤمن إلا بفضيلة البخل التى مهدت له سبيل الثراء ثم أصبحت عارا على جبينه ومنهم من لاقبل له بالتطور لأن تربيته فى جبال العلويين أو نابلس أو جنوب لبنان لم تؤهله لمعاشرة الأوساط الرافية فظل أمينا لعادات و تقاليد محيطه الأول ، لايهمه أن يسخر الناس من طريقته فى المأ كل واللباس والحديث . و منهم من جارى تيار التطور الاجتماعى حتى فاق الأجانب بمظاهر البذخ والترف فشاد القصور وأقام الحفلات واقتنى الجواهر والسيارات وفتح يده للمبرات وأوثق الصلات بالأوساط

Dhaka University Institutional Repository



الراقية و بالمراجع السياسية الحاكمة فكان عنوانا لاعتزاز الجوالى العربية و سببا لتغنى المقيمين بسلطان المغتربين تغنيا ينسجون فيه بردا وهاجا من نسج الخيال فيبدو أكثر بهاء مما هو عليه فى الحقيقة .

وفى تلك الفتره تفتحت عبقريات الأدباء المغتربون فكتبوا و نظموا ما ازداد به مفرق العروبة حتى أنزلوا فى روح المقيميين أن العروبة عنصر خالد و أن العربية لغة السماء ، تعيش تحت كل سماء . و من عاش فى الأوساط المهجرية و رافق الجوالى فى أطوار تقدمها يلاحظ أنها بلغت فى مجالات المادة والاجتماع مستوى لم تصل إليه فى المجالات الأدبية. والدليل على ذالك إهمالها شأن الصحافة و تقصيرها فى تغذية المدارس التى تعلم اللغة العربية ، رأينا فى أثناء هجرتنا مئات من الصحف لا تكاد تظهر للوجود حتى تختفى . لم يبق منها فى نيويورك إلا أربع جرائد ، وأربع فى بونس أيرس . واثنتان فى سان باولو لاتمثلان أهمية الجالية العربية و ضخامة ثروتها الأدبية . وكان فى تشيلى سبع جرائد احتجبت كلها أو تحولت إلى اللغة الأسبانية . ولم يبق فى المكسيك إلا جريدة واحدة ومجلة واحدة ، وفى كولو مبيا وفنزويلا وسائر الجهوريات الوسطى لا أثر للصحافة العربية على الإطلاق . و يقضى الإنصاف أن لا تحمل الجوالى وحدها مسئولية هذا التقهقر بل تلقى معظم المسؤلية على بعض أصحاب الصحف من الجهلاء المغامرين الذين تطفلوا على المهنة وعبثوا بكرامتها وملأوا صحفهم بمواد سامة لا تقبل للجوالى بازدرائها .

أما المدارس التى تعلم اللغة العربية فلا أثر لها إلا فى المكسيك والأرجنتين والبرازيل قامت فى المكسيك على جهد فرد واحد متفان فى سبيل لغته و قومه هو الأستاذ بديع بدران . وفى الأرجنتين تعددت المحاولات وأنشأت المدارس و لكنها كانت قصيرة العمر . أما فى البرازيل فالجهود كانت كبيرة ومثمرة إلى عشر سنوات خلت . لقد ضمت المدارس ألوف الطلاب ثم أخذت بالتضاؤل لأن الآباء بوثرون تزويد أبنائهم بالعلوم واللغات التى بتعلمها أقرانهم من أبناء البلاد حتى لا يقصروا عنهم فى كفاح الحياة . فالكلية السورية البرازيلية التى أنشأها المعلم وديع اليازجى وتخرج منها زهاء خمسة عشر ألف طالب قد أقفلت أبوابها . فالمهاجر إذا قد أفلح إذا اعتبرنا عنوان الفلاح المحل التجارى والمصنع الكبير والقصر المنيف ، وأخفق باعتبار أن

Dhaka University Institutional Repository



شخصيته الأدبية مازالت دون شخصيته المادية و لكن ما فاته من العلم والثقافة أغدقه على أولاده بسخاء يدعو إلى الإعجاب . فتجد أفقر المغتربين يقتدى باغناهم فى تثقيف أولاده حتى يبلغ أرفع منزلة من العلم والتهذيب . وهؤلاء الأولاد هم الذين احتلوا اسمى المراكز فى المجتمع فكان منهم نواب و قضاة و ولاة و مديرون لأكبر المصارف وأطباء و مهندسون من الطراز الأول ، ونلاحظ مع الأسف أنهم كلما تبحروا فى العلوم و تدرجوا فى الرقى اتسعت الهوة التى تفصلهم عن آبائهم، فالشجرة التى نمت فى دار الأب العربى ليس له منها سوى العود . أما الزهور والأثمار فللبلد الغربية .

وفى سبيل هذا السلطان الواسع الذى يتمتع به اليوم الفريق الناجح من المهاجرين ، كان عليهم أن يضحوابالعافية المتينة التى سافحتهم فى الجهاد أول الأمر . فحينما بلغوا أهدافهم وجدوا أن نعمة العافية قدزالت عنهم و أصبحوا يشكون أمراضا كثيرة و يطوفون على مصحات العالم طلبا للاستشفاء . ثم أنهم أضاعوا مزية أخرى كانت عاملا من عوامل نجاحهم و هى الحرص الشديد والصبر على حياة والحرمان فهم اليوم ينفقون على الكماليات والمظاهر الاجتماعية مالا ينفق بعضه الأثرياء الأجانب ، قيل لى أن فى كل حفلة راقصة يحييها النادى اللبنانى فى سان باولو ترسل إليها مصلحة الأمن العام عددا من رجال البوليس السرى مهمتهم الاختلاط بالجمهور للمحافظة على الجواهر النادرة ذات القيمة الخيالية التى تتلألأ على صدور السيدات ونغرى الانتهازيين بالغنيمة الباردة ، وحدث ثرى كبير كان قد أضناه السهر على مائدة الميسر قال : و اها على زمن التجول فى الاخراج يوم كنا نحمل ما يوازى ثقلنا من السلع و نقتات بفضلات بيوت الفلاحين و نستجديهم قميصا نستر به عرينا أو زاوية فى الحظيرة نقضى بها ليلتنا . كنا فى نعم من صحة الجسد ، نبكر إلى العمل بنشاط الأسود و كل جولة نزهة ، أما الآن و قد ملكنا فوق ما نحتاج إليه أسبحنا نشكو عسر الهضم والأرق ، نتيجة التفكير المتواصل بمطالب الحياة المتزايدة ، فعلينا أن نخلق موارد جديدة حتى لا نقصر عن أمثالنا ومنافسينا من أغنياء الجالية .

Dhaka University Institutional Repository



هذه هى ملامح البيئة التى دخلها أدباؤ نا و أصبحوا جزءا لا يتجزأ منها ، و قد رسمنا خطوطها الزاهية والقاتمة بأسهاب لأن تأثيرها على أدبائنا كان أقوى من تأثير البيئة الأجنبية . فهى المورد والمصدر الأساسيان فى أدب المهجر .[٥٣]

---

٥٣ . المرجع السابق ، ص ٢٣-٢٦

Dhaka University Institutional Repository



# الباب الثانى : المهاجرون وأدبهم

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الأول : حياة المهاجرين و أعمالهم

بدأ السوريون يهاجرون من سورية إلى العالم الجديد جماعا فى العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر . و يقال إن أول أسرة دخلت الولايات المتحدة هى أسرة تنتمى إلى أل عربيلى من دمشق، فلقد هاجر بها عائلها يوسف عربيلى بقصد الاستيطان فى العالم الجديد ، وذلك عام ١٨٧٨م ، و تبعت هذه الأسرة جماعات أخرى من جهات مختلفة، أكثرها من لبنان ، و أخذت هجرتهم تزداد تدريجا ، بعد ذلك التاريخ أى أن عدد المهاجرين الأولين كان قليلا ، فلم يهاجر من البلدة الواحدة سوى نفر قليل ، و هؤلاء بعد وصولهم كانوا يشجعون ذوى قرباهم وأصحابهم على المهاجرة ، فأخذت دائرتها فى الاتساع حتى العقد العاشر من القرن الماضى عند ما أخذت شكل دفعات كبيرة متلاحقة ، ولعل المعرض الذى أقيم فى شيكاغو عام ١٨٩٣م كان أحد الحوافز لازدياد تلك الهجرة إذ أن كثيرين جاءوا بقصد عرض بعض البضائع الشرقية من مصنوعات الأراضى المقدسة أمام المهاجرين والأمريكيين.[٥٤]

وكان أكبر الأثر فى تشجيع السوريين و دفعهم نحو تيار الهجرة ما كان يسمعونه فى بلادهم عن أمريكا ، أرض الذهب والغنى والثروة الملحوظ ، فقد شاع أمر اكتشاف مناجم الذهب فى كليفورنيا فى ذلك الوقت وكتبت الكتب فى الدعاية لذلك البلاد و منها ما ترجم إلى العربية أو التركية التى كان يعرفها السوريون ، كذلك تناقلت الصحف تلك الأنباء فساعدت فى الدعاية لها.

جرى سيل المهاجرة إلى ابتداء الحرب العالمية الأولى، وبعد الحرب شرعت الحكومة الأمريكية فى إصدار قوانين فى أعوام متتالية تحدد الهجرة تحديدا تدريجا حتى كان عام ١٩٢٤م ، ثم صدر قانون الجنسية الذى يقضى بأن كل من دخل الولايات المتحدة قبل هذا التاريخ يحق له حمل الجنسية الأمريكية والتمتع بحقوق المواطنين و هنا توقفت الهجرة السورية إلى العالم الجديد. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن غرض المهاجرين السوريين فى أول الأمر لم يكن بقصد التوطن بل كان كل اهتمامهم منصرفا إلى جمع مبلغ من الدراهم بأية حالة و بأقصى ما يمكن من الزمن ثم الرجوع إلى الوطن . و يذكر القسيس "خرباوى" فى كتابه عن المهاجرة السورية ، أثناء كلامه عن المهاجرين الأولين و أحوالهم المادية والمعنوية ، حادثا بسيطا فيه دلالة على هذا الشعور المتأصل فى نفوسهم ، شعور الحنين إلى بلادهم ، ذلك أنهم كانوا فى مجتمعاتهم إذا شرب أحدهم

---

[٥٤] . فرحات زيادة و ابراهيم فريجى، تاريخ الشعب الأمريكى (القاهرة برنستون١٩٤٦م) ، ص ١٩٥

Dhaka University Institutional Repository



القهوة مثلا فى بيت أحد أصحابه ، فإن كلمة الشكر التى يقدمها للمضيف "برجوعك إلى الوطن إن شاء الله" فيجبيه هذا بقوله : "برفقتك يا سيدى" . وكأنما الرجوع إلى الوطن الأمنية الكبرى عندهم كما يفعل المسلمون فى تمنيهم الحج مثلا حيث يرددون الحنين إليه فى أدعيتهم التى يجاملون بها.[٥٥]

كان لا بد للمهاجرين الأولين أن يعملوا بكد وجد راضحين منذ وطئت أقدامهم أرض العالم الجديد ، فقد قدموا هذه البلاد و نصب عيونهم أمل واضح يريدون تحقيقه ، و وراء ظهورهم فى أرض الوطن أهل أعزاء ينتظرون منهم المساعدة، وبلاد تعسة ترقب حركاتهم و تمد أرراحهم بالعون والتشجيع ، فأخذوا يدأبون على العمل بجد و نشاط ، طارقين أبواب الحياة من كافة مداخلها . ويظهر أن هؤلاء المهاجرين الأولين قد سكنوا فى شارع واشنطن و هو من الأحياء الفقيرة فى مدينة نيويورك ، و كانت حرفتهم عندئذ مقتصرة على التجول فى الشوارع لبيع الأمواس وأدوات الخياطة والأزرار ، ثم تاجروا فيما جلبوه من الأراضى المقدسة ، من تحف كالصلبان والمسابح وأقلام الكتابة المصنوعة من خشب الزيتون ، وإطارات الصور والتماثيل والأوانى الصدفية . بل أخذوا يبيعون مصنوعات الشام من النرجيلات إلى الأدوات النحاسية إلى البقلاوة الشامية ، و كان هؤلاء الباعة المتجولون يحملون الحقائب الجلدية المحزمة على ظهورهم ، يتجولون بها من مكان إلى مكان كما يفعل بعض الصينيين والهنود فى مصر وغيرها من بلدان الشرق الأوسط و لم يقتصر تجولهم على القرية الواحدة ، بل تعدوها إلى التجول والتنقل بين القرى المخنلقة ، فأصبحوا يحملون فى هذه الحقائب الأقمشة المطرزة المجلوبة من سورية، ثم من إرلندا أو غيرها من البلاد فيما بعد ويطلق البعض على هذه المرحلة فى حياة المهاجرين السوريين "المرحلة الرومنطيقية" بما رافقها من نوادر وأخبار تدل على ما عاناه المهاجرون فى ذلك الدور من أدوار هجرتهم . إنهم قد عينوا أنفسهم فى أعمال حقيرة ولاقوا من مشقة العيش الشديد فى مهاجرهم .[٥٦]

و تلى هذه المرحلة مرحلة أخرى بدأت أوائل هذا القرن ، فلقد جاسوا خلال الأسواق وتعرفوا حاجاتها و أفادوا من التجربة فبدأ السوريون ينتعشون ماليا واجتماعيا ونفسيا إذا أسسوا المحال التجارية لبيع البضائع الكتانية المطرزة والمنسوجات

---

٥٥ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٥٥-٥٦
٥٦ . المرجع السابق ، ص ٥٧

Dhaka University Institutional Repository



المشبكة ومعاطف السيدات البيتية ، فكان لهم فى تقدمها السهم الأوفر ولم يفتهم العمل فى غيرها من أصناف التجارة الأخرى . و قل من عمل منهم فى الصناعة أو الزراعة وإن كانوا قد بدأوا مؤخرا ينخرطون فى العمل فى بعض المصانع الأمريكية للحديد والسيارات فى مدينتى بتسبرج وديترويت و غيرهما .

ثم بدأت بعد الحرب العالمية الأولى مرحلة ثالثة فى حياة المهاجرين السوريين حين عملت عدة عوامل على إجبارهم على التوطن وإخضاعهم للأمر الواقع ، فقد تقلص الشعور بالحنين إلى البلاد الأصلية - وإن لم ينضب معينه تماما وتبخر الأمل فى العودة إلى الوطن بعد اليأس من صلاح الحال فى الوطن القديم ثم ألفة الوطن الجديد وقيام الصلات الودية بل العائلية أحيانا بينهم وبين أهل هذا الوطن ، وهنا أخذ السوريون يندمجون فى الحياة الأمريكية بعد أن قبل معظمهم جنسية البلاد وصاروا من أصحاب الأملاك والعقارات و ذوى الصلات التجارية ، ورأوا أن لا بد لهم من مجاراة أولادهم المولودين فى هذه الديار الذين لا يعرفون كثيرا عن الوطن القديم ، ولا تتحرك لهم عاطفة قوية نحوه ، وهنا بدأ السوريون فى تكييف حياتهم حسب مقتضيات محيطهم الجديد فى مختلف نواحيه ، فاشتركوا فى ميادين الحياة الأمريكية و أظهروا مقدرتهم على مجاراة غيرهم من بقية الشعوب و نجح المهاجرون حتى صارت لهم شهرة واسعة فى بعض الأعمال التى اختصوا بها مثل البقالة التى نجحوا فيها نجاحا عظيما وفتحوا لها المحال الكبيرة وأسسوا لها الفروع المختلفة فى المدن والقرى ، حتى إن معظم البقالين فى كبريات المدن الأمريكية اليوم هم من أصل سورى ، بل إن فى مدينة ديترويت وحدها ما يزيد على ثلثمائة بدال منهم. كذلك عمل السوريون فى المطاعم ومحال بيع الماكولات الطازجة والفواكه المختلفة. ونجحت أعمالهم التجارية نجاحا باهرا جلب لهم الربح الكثير وانتقلوا بذلك من الأحياء الفقيرة التى لجأوا إليها أول هجرتهم فغزوا أهم شوارع نيويورك وهو "الشارع الخامس" ، وكذلك فعلوا فى سائر المدن الأمريكية وهم عادة يؤثرون المدن على الأرياف لأن مجال العمل فيها أوسع . وأكبر جالياتهم موجودة فى مدن نيويورك وديترويت وبوسطن ثم شيكاغو وبتسبرج وإن يكن لهم فى غير هذه المدن جاليات أقل عددا، وسبب ذلك أنهم اختاروا تلك المدن للمعاش.[٥٧]

والحق أن هؤلاء المهاجرين فى العالم الجديد قد ضربوا المثل الأعلى فى الاتحاد والعمل الجماعى المثمر ، فقد رفعوا اسم بلادهم فى العالم الجديد وقدموا للأمريكيين

---

[٥٧] . المرجع السابق ، ص ٥٨

Dhaka University Institutional Repository



صورة عن الشرق أحسن مما كانت فى أذهانهم . و إنه لما يرفع الرأس و يستحق الفخر أن نجد شارعا هاما كالشارع الخامس فى نيويورك مثلا لا يخلو من حوانيت، كبيرة و مخازن عظيمة ، أصحابها سوريون أو من أصل سورى كمحلات بردويل إخوان و تادرس و ملوك و صباغ و غير هم فى أفخم المبانى الشاهقة وعلى أحدث الأساليب التجارية الأمريكية .

و لم يقتصر نجاح السوريين المهاجرين على الحياة المادية وحدها، بل عم نجاحهم كل ميدان طرقوه وكل طريق سلكوه ، ففى ميادين العلم نبغ منهم كثيرون أيضا ظهر منهم الأطباء والمحامون والصيادلة والكيمياويون والمهندسون والموسيقيون والعلماء الممتازون ، بل إن منهم من تولى كراسى الأستانية فى بعض جامعات العالم الجديد من أمثال الدكتور فيليب حتى أستاذ التاريخ العربى بجامعة يرنستون والذى يعود له الفضل فى تعريف الأمريكيين بتاريخ العرب والحياة العربية عامة والسورية خاصة . وفى الميدان الأدبى ظهر أفراد عديدون رفعوا لواء العربية فى بلاد الغرب و أعلوا من شأن بلادهم و لغتهم بين مواطنيهم الجدد هؤلاء الأ علام أمثال : أمين الريحانى وجبران خليل جيران وميخائيل نعيمه و إيليا أبى ماضى و عريضة ، و أيوب و غيرهم من الشعراء والأدباء .

Dhaka University Institutional Repository



## محاسن الهجرة و مساوئها

إذا ما ينزل قوم فى بقعة من بقعات الأرض وهم أقلون عددا، فعادة الأقليات فى أى بلد ينزلون فيه التكتل والتجمع وتعارف بعضهم إلى بعض و معاونة أحدهم الآخر فى شتى الظروف المادية والمعنوية ، ومن أجل هذا بدأ المهاجرون السوريون واللبنانيون يؤسسون الجمعيات والنوادى التى تجمع شملهم و تلم شعثهم و توحد صفوفهم ، وتسير جهادهم إلى غاية واحدة نبيلة وهدف سام كريم، ومن أقدم هذه الجمعيات جمعية السوريين المتحدة التى تأسست سنة ١٩٠٧م، والمنتدى السورى الأمريكى سنة ١٩٠٨م ، و كلاهما فى نيويورك ، وكانت لهما فروع فى البلاد الأمريكية الأخرى ، و فى عام ١٩٢٤م اتحدت المؤسستان تحت اسم واحد هو : "مؤسسة السوريين الأمريكين" "Syrian Amercan Federation" كذلك وجدت جمعيات أخرى كثيرة منها الدينية و منها الاجتماعية الخيرية ، وقد قامت السيدات السوريات بنصيب وافر فى تنظيم هذه الجمعيات الخيرية والسير بها نحو غايات شريفة تهدف إلى منفعة السوريين فى ديار هجرتهم ، و من الجمعيات المعروفة كذلك : الجمعية التجارية السورية ، و قد قامت بجهود تذكر فى خدمة السوريين فى المهجر،ثم الجمعية السورية التعليمية التى ظهرت سنة ١٩١٩م فى نيويورك ، وكانت تقدم البعثات على حسابها للطلبة السورى الأصل.[٥٨]

و مما لا شك فيه أنه كان من أهداف هذه الوادى والجمعيات إدماج السوريين فى الحياة الأمريكية الجديدة وتعويدهم عليها والسير بحياتهم فيما ينفع البلاد الأمريكية و بلادهم الأصلية . و سترى أنها كانت كثيرا ما تتدخل فى المسائل السياسية التى تخص الوطن القديم و تشارك فى حمل أعبائه . ففى عام ١٩١١م ظهرت فى نيويورك عصبة التقدم اللبنانى ، أحسها أحد أدباء المهاجرين و هو نعوم مكرزل مؤسس جريدة الهدى ، و تدخلت هذه العصبة فى المسائل السياسية للبنانيين فى الولايات المتحدة و فى المكسيك و كندا . بل لقد تدخلت أيضا فيما كان يحدث فى الوطن من أحداث سياسية هامة ، و كان لما نشرته هذه المؤسسة و غيرها من المؤسسات ودور الصحف العربية فى المهجر أثر كبير فى مطالبة السوريين فى الوطن بالتحرر من ظلم الأتراك ، بل لقد كان أعضاؤها على اتصال دائم بجمعية الاتحاد والترقى التى قامت فى سورية وفر

---

[٥٨] . المرجع السابق، ص ٥٩-٦٠

Dhaka University Institutional Repository



بعض أفرادها من اضطهاد الأتراك إلى العالم الجديد ، وكان لهم يد فى إعلان عودة الدستور سنة ١٩٠٨م وسقوط السلطان عبد الحميد .

و كل حادثة أو نازلة نزلت بالوطن العربى كانت تجد صداها فى العالم الجديد ، فينبرى لها خطباؤهم و شعرائهم مؤيدين أو معارضين ، فقد أيدوا ثورة العرب فى الحجاز عام ١٩١٦م كما أيدوا إعلان الملكية العربية بد مشق عام ١٩١٨م و قيل شعر عربى فى مدح الشريف حسين بطل الثورة العربية . و ظل هؤلاء المهاجرون يدافعون عن إخواتهم فى الوطن طوال جهادهم السياسى حتى ظهر أثر عصبة التقدم اللبنانى فى ظهور "لبنان الكبير" عام ١٩٢٠م . وعند ما قسمت بلدان الشرق العربى بين الانتدا بين الفرنسى والإنجليزى بعد الحرب العالمية الأولى كما هو معروف ، وكان لبنان من نصيب الفرنسيين، ما فتئ السوريون المهاجرون يطالبون بالاستقلال و زوال الانتداب ، ضامين أصواتهم إلى أصوات إخوانهم فى الوطن ، حتى نال لبنان استقلاله بعد الحرب العالمية الثانية . و حين تأسست منظمة هيئة الأمم المتحدة اتخذ لبنان لنفسه مكانا ممتازا بفضل شارل مالك مندوبه الدائم هناك ، و ما زال المهاجرون أيضا يعملون من أجله ، كما يعلمون لأجل و طنهم الأمريكى الجديد و كما قامت جمعيات عملت من أجل الوطن فى المهجر الشمالى كذلك كان للمهجر الجنوبى، فى هذا الجانب ، نصيب كبير لعله أوفر من نصيب المهجر الشمالى .

جذبت أمريكا الجنوبية أنظار السوريين واللبنانيين فأبحر إليها الكثيرون فى نفس الوقت الذى أبحر فيه الأخرون إلى أمريكا الشمالية ، ولنفس الأسباب والدوافع ، فاستوطنوا البرازيل و غيرها من بلدان أمريكا اللاتينية ـ كما تعرف اليوم ـ والذين قصدوا أمريكا الجنوبية وجدوها بلادا واسعة رحبة الجوانب لم تستصلح كلها و لم تتعقد الحياة فيها بعد، فاستطاعوا أن يعملوا فى شتى الأعمال الزراعية والتجارية والصناعية ، واستطاعوا أن يؤلفوا لأنفسهم، بعد وقت قصير ، جالية كبيرة لها مركزها ومكانتها الاجتماعية . ولا شك أنهم لاقوا ما لاقاه إخوانهم فى الشمال من شظف العيش وقسوة الحياة فى بادئ الأمر ، يستدل على ذلك بأقوال شعرائهم فى وصف تلك الحياة التى اضطروا إليها فى البداية وما قابلهم من صعوبات أمكنهم التغلب عليها بجدهم و ثباتهم وروح الصبر الغالبة عليهم .[٥٩]

---

[٥٩] . المرجع السابق ، ص ٦١

Dhaka University Institutional Repository



ونلاحظ أن الجالية الجنوبية قد اغتنت، و ارتفع مستواها أكثر من الجالية الشمالية على وجه العموم ، وذلك لأن الجنوبيين قد وجدوا البلاد بخيرها وكل شيء فيها لم يعتصر بعد ، فاستطاعوا أن يفيدوا منها ، بعكس الشماليين الذين كانت قد سبقتهم شعوب من البشر وجماعات مختلفة من شى الأقطار و كونت الشعب الأمريكى الذى وجد فيها قبل وصول السوريين ، و كما ظهر شعراء ، أدباء فى الشمال ، كذلك ظهر مثلهم فى الجنوب ، وكانت لهؤلاء الشعراء والكتاب صحفهم و مجلاتهم و جمعياتهم الأدبية التى عرفت منها "العصبة الأندلسية" فى مقابل "الرابطة القلمية" فى الشمال . و أصدر أعضاؤها دواوين شعرية معروفة .

و من الجدير بالذكر أن شعراء الشمال و شعراء الجنوب كان بعضهم على اتصال ببعض فى المسائل الأدبية والشعرية ، وكثيرا ما التقوا على صفحات المجلات والصحف المهجرية الشمالية والجنوبية ، بل إنا لنجد أحد الشعراء الجنوبيين وهو "شكر الله الجر (١٩٠٧-١٩٧٥م)" يكتب مقدمة ضافية لديوان الشاعر الشمالى المعروف رشيد أيوب (١٨٧١-١٩٤١م) . أما فيما عدا الصلات الثقافية والأدبية ، فقد نهج الجنوبيون نهجا مختلفا فى حياتهم وشعرهم ليس هنا بحال بحثه ، ويجدر بنا قبل أن نختتم الحديث عن أسباب الهجرة و أحوال المهاجرين أن نلقى نظرة عاجلة على نتائج هذه الهجرة السورية ، وما الذى عادت به على الوطن الأصلى من نفع أو ضرر . يلاحظ أن معظم من كتبوا عن الهجرة السورية إلى العالم الجديد قد نظروا إليها بعين التشاؤم و وجدوا أن مضارها أكثر من منافعها ، فمثلا نجد المؤرخ أو غست أديب باشا فى كتابه "لبنان بعد الحرب" يرى أن الهجرة تضر البلاد لأنها تحرمها القوى الحية والأيدى العاملة التى تحتاج إليها الزراعة والصناعة والمشاريع الكبرى و أعمال الحسين ، هذه الأيدى التى لو لا المهاجرة لساعدت فى نجاح البلاد وإنماء عظمتها وثروتها .[٦٠]

وجاء بعد أديب باشا كاتب أخر هو محمد كرد على فذكر فى كتابه وغرائب الغرب عند الحديث عن الهجرة أن مضارها أكثر من منافعها وعد لنا بضعة من المضار الاجتماعية وخاصة فى أول الهجرة ، مثل شقاء البيوت التى هاجر اصحابها وعائلوها، ومثل كثرة البنات غير المتزوجات فى لبنان وذلك لهجرة الشبان أو لزواجهم من الأمريكيات . كذلك يذكر الكاتب أن البلاد فى أشد الحاجة لأيدى أبنائها العاملين ، و

---

٦٠ . لبنان بعد الحرب ، ص ١٠٣

Dhaka University Institutional Repository



يقول إن الغنى والذهب اللماع يجدر ألا يجذب الشباب بهذا القدر الكبير . وهكذا نجد أن محمد كرد على يفضل بقاء الكفايات فى البلاد والعمل المثمر داخل الوطن لاخارجه ، كذلك يرى هذا الرأى مؤرخ ثالث هو ميشال شبلى فى كتابه "المهاجرة اللبنانية" .

و الحق أن ما قدمه المهاجرون لبلادهم من النفع لا يقاس به ما يقال من بعض ضرر أصابها منهم ، ولعل هذا النفع لم يكن باديا حين بدأ هؤلاء الكتاب فى تأليف كتبهم المذكورة ، فإن من يزور لبنان فى هذه الأيام ويتجول فى قراها الجبلية و مصايفها الجميلة المنتشرة على سفوح جبالها من الشمال إلى الجنوب ، لا يستطيع إلا أن يعجب بتلك البيوت الجميلة والعمارات الفخمة والفنادق البديعة التنسيق ، و إذا ما سأل عن بناتها وممولها فلا يعجب كثيرا حينما يعلم أنها جميعها قامت على أموال المهاجرين من اللبنانيين فى العالم الجديد.

إن هؤلاء المهاجرين ما انفكوا يبذلون شتى المساعدات المادية والمعنوية لوطنهم الأصلى ، ويعملون على ترقيته و تحسين أحواله فى مختلف الظروف . ولا تزال الصلات قائمة بصورة وطيدة بين أبناء لبنان فى الوطن وإخوتهم فى المهاجر وفى كل عام يدخل الكثير من الأموال إلى لبنان من الخارج حتى إن فى بيروت مصرفا يسمى "بنك لبنان والمهجر ". وعدا الصلات المادية فإن الأدب يعد من أقوى الصلات بين الطرفين ، و كل كتاب يصدر فى الوطن لابد أن يقرأه المهاجرون حتى لقد قيل إن مطابع سورية ولبنان لا تنشر كتابا إلا إذا تأكدت من إمكان رواجه فى المهجر . و كذلك الحال فى الصحافة فإنها صلة متينة بين الجهتين أيضا . و أما القائلون بأن السوريين فى أمريكا قد ساروا نحو التأمرك بخطى واسعة و أن أبناءهم سيشبون ولا شىء يربطهم بوطنهم أو بالأحرى بوطن أباتهم واجدادهم ، فأظن أن هذا قول مبالغ فيه ، لأنه إن اختلفت لغة الكلام فإن شعور المرء بأصله ثابت متأصل فيه ولا يزال فى نفسه حنين إلى ذلك الأصل يخبو ثم يظهر ثم يخبو و قد لا تظهره إلا المناسبات . والمسألة أخر الأمر هى كيفية تربية الآباء لهذا النشء الجديد ، أيتركونهم للتيار الأمريكى البحت أم أنهم يحرصون على أن يزيروهم الوطن القديم و يعلموهم عنه كل ما يجب أن يعلموا و يثيروا فى نفوسهم كل ما يجب أن يثار نحوه من عواطف وانفعالات .

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الثانى : الأدب المهجرى

فتح عينيه على الوجود أدب طفل فى مذود الغربة القاسية، فى قبو عفن من شارع واشنطون فى نيويورك ، ولد مع القرن العشرين بعد أن تمخضت به الجوالى العربية زهاء نصف قرن ، ولد فى عشر و فقر كالأنبياء المرسلين ، و فى حذر و خوف ، كالعبيد الآبقين . غمره الظلام سنين عديدة وظل صوته النابى مكبوتا لا يستوقف الأقدام المتسارعة على رصيف الشارع العالى .

أما أبوه ـ أمين الريحانى (١٨٧٦-١٩٤٠م) فقد كبر واستبشر و قصر همه على تغذية الوليد الهزيل بمداد القلم و بعصير الروح . فما دلف الصغير من السرير حتى اعتلى المنبر و صاح : أنا الشرق . وأخذت تعالى الصيحات فى جواء المدينة المستهترة حتى برم بها الجوار و امتدت أيدى الكهان لخنقها فى المهد . و لكن الأصداء ترامت إلى بعيد . إلى بوسطن ، إلى حى الصينيين فى بوسطن ، إلى غرفة فنان بائس يعيش فى الحرمان على الأحلام المذهبة ، فيساهر الأفلاك ، و يسامر الرؤى و يستمع همسات السكون فى جنح الليل ، بينها أخته إلى جانبه تستكد الإبرة والخيط حتى لا يطلع النهار على فراغ البيت من القوت .

ذلك الرسام المغمور كان جبران خليل جبران ، فى بشرى و نابغة لبنان أصغى إلى بداء فتى القرية ، ذلك الصوت الصارخ فى البرية ، فاهتزت له أوتار قلبه و دبت حياة جديدة فى أنامله ، فألقى بريشته جانبا وامسك القلم لخط به باكورة إلهامه : كتاب الموسيقى.

سكن الليل وفى ثوب السكون تختفى الأحلام

وسعى البدر وللبدر عيون ترصد الأيام

فتعالى يا ابنة الحقل نزور كرمة العشاق

علنا نطفى بذياك العصير حرقة الأشواق

كان ذلك عام ١٩٠٥م والأدب الناشى ، ابن القرن العشرين لها يزل طرى العود، بغالب عثرات القدم و لكنات اللسان ، حتى كان عام ١٩١٩م فجاءه ميخائيل نعيمة يكافه من أبيه و يربيه حتى اشتد ساعده وتسددت خطاه وعمر صدره بنزوات الطموح فانتصب أمام تمثال الحرية وخاطبه وجها لوجه .

Dhaka University Institutional Repository



"ومتى تحولين و جهك نحو الشرق أبتها الحرية ؟ أ ياتى أن يرى المستقل تمثالا لك بجانب الأهرام ؟ وعلى شاطى ، وبحر الروم ؟ متى تدور ين مع البدر لتنيرى ظلمات الشعوب المقيدة والأمم المستعبدة ؟ ". وما حانت سنة ١٩٣٠م حتى تبنته آلهة الشعر وغنته الأملاك ألحان أبو ماضى ونسيب عريضة ورشيد أبوب فأخذته نشوة الزهو والطرب وراح إلى سجل التاريخ ، يكتب فيه إسمه وكنيته .[٦١]

الأدب المهجرى هو أدب عربى البذار ، عربى الأرومة ، عربى الجنى ، فرع من دوحة العروبة حملته الرياح إلى مشائل العالم الجديد فزكا فى كل تربة و أينع تحت كل سماء، طبعت شمس الغرب ألوانها على أوراقه أما لبه فيحيى على إشعاع الشرق و قلبه يختلج بنسمات الصحراء . تشابهت على منابته المتفرقة ظروف الحياة و طبائع المناخ فتشابهت أثماره شكلا و تشاركت فى العلم ، وفى خصائص من رواء و نكهة و ينوع لم تعرف قبل فى الدوحة الأم . ثمار راح صاحبها القديم يستوردها من العالم الجديد. ويتذوق فيها حلاوة الوفاء ومرارة الاغتراب ، كلما ذكر مصدرها البعيد. ومنشأها بين الدخان والحديد. أدب المهاجرين ، رسالة عربية لم يلصق بها الغرب إلا طابع البريد ، عبرت البحار إلى القراء العربية فسارع المتشوقون إلى فض الرسالة لكى يستمتعوا بما كتبه لهم الأحباب الغيب أما الكسالى فوقفوا عند الغلاف المختوم، يتهجون حروف العنوان ، و يتكهنون عن المضمون بأمور ما أنزل الله بها من سلطان .

إن الأدب المهجرب يا سادتى ، هو من تاج الأمة العربية سواء أنتج تحت ظلال الأرز أو على ضفاف النيل أو فى مطارح المهجر . وأدب المهجر فرع يباهى بأصله و يعترف بفضل الجذع عليه ، فضل الأم على الولد ، أى الفضل الذى لا ينسى ولا يجحد . وحاشا للولد النجيب أن يتكبر على أمه إن أصاب نجاحا و عزا. و أنا لا أنوه بنجاحه و أشيد بعبقريته فيما يلى من الحديث إلا ليقينى أن أمه تهنأه بذاك النجاح و تفاخر بتلك العبقرية .

يقول صيدح : "و عند ما اتصدى لتعريفه ، لا أجارى من قال ، إنه كنز خالد لم تظفر بمثله اللغة العربية وهو يضاهى أرقى الآداب العالمية الحية، كما لا أجارى من قال عنه فى سوريا : إنه هجين تعوزه العافية ، أو من قال عنه فى مصر : إنه صناعة بيانية مزوقة عن الذوق العربى السليم ، أو من قال عنه فى لبنان أنه عبد الصورة الجامدة و الاستعارات و الكنايات البدائية ، وإنما أقول بتواضع إنه أدب جميل الطلعة طريف البزة

---

[٦١] . أدبنا وأدباءنا فى المهاجر الأمريكية ، ص ٢٧-٢٨

Dhaka University Institutional Repository



عبقرى اللسان والجنان ، شريف الوسيلة والغاية اضطلع برسالة التجديد ورسالة الإصلاح فاداهما خير أداء وابتدع لنفسه شخصية قوية مرشحة للبقاء" .

لا ضير على أدب المهجر من تضارب الآراء فى قيمته وأثره ، شرط أن لا يتمادى الخلف إلى إثارة الحفائظ بين المستحسنين والمستهجنين أو إلى بث فكرة التنافس بين الأدباء المقيمين والمغتربين . فأدباء المهجر براء من كل ادعاء ومطمع ، لا يفاضلون أحدا و لا يطلبون من أحد شهادة امتياز ولا يتوقعون جزاء أو شكورا على ما يحسنون . غير هم ينادى بإقليمية الأدب و غيرهم يتشبث بإقطاعية الأدب ، أما هم فأدبهم ديمقراطية تسع أدباء العالم قاطبة، و تشدهم بالأكثر إلى أدباء العرب ، إخوانهم فى الدم والروح و شركتهم فى الوطن واللغة.[٦٢]

---

[٦٢] . المرجع السابق ، ص ٢٨-٣٠

Dhaka University Institutional Repository



## كتب و محاورات

يقول صيدح : مما يشرف أدب المهجر اهتمام الأوساط الأدبية بترسم آثاره وإذاعة أخباره فى مؤلفات و محاضرات و أطروحات ومحاورات شغلت المنابر والمضابع و محطات الإذاعة منذ عامين إلى اليوم . و مما يشرفنى أن أدعى للكلام فى موضوع أشبع البحث فيه إلى هذا الحد . و مما يشرفنى أن أدعى للكلام فى موضوع أشبع البحث فيه إلى هذا الحد ، كأن عندى ما أقوله ، بعد كل ما قيل ، وبعد الكتب الثلاثة التى صدرت عن الشعر العربى فى المهجر الأميركى .

الأدب العربى يشبه نسر لقمان فى تجديد شبابه . كلما أشرف على الهرم بسط جناحيه على جهات الكون وراد القمم - فى فارس أو فى الأندلس - سعيا لمجثم يسترد فيه عزمته و نشاطه . و قد جال جولته الأخيرة فى العالم الجديد و نثر على شماله و جنوبه رياشا تداعت من قوادمه و خوافيه ثم نمت وأشتدت حتى أصبحت جناحا جديدا كاملا . يعتمد عليه متى أعوزه جناح .

لم ينس نسر لقمان وديعته فى نيويورك وسان باولو بل أخذ يتشوق أثرها، أو خبرها على الأقل ، و من ذايأتيه بالأثر أو بالخبر ، إلا وسطاء الخير الكتاب البحاثين الذين يتطوعون لخدمة الأدب يستقصون ما بعد من آثاره و يدونون ما غاب من أخباره . أن للكتب التى صدرت عن أدب المهجر فضلا لا ينكر. لقد حققت التفاعل بين عناصر الأدب المقيمة والمغتربة و أوثقت الصلات بين من يعيش فى ظل الوطن ومن يعيش تحت سماء الغربة فأصبحوا وكأنهم فى جو مشترك ، وكأن البعيد منهم ماثل بين سمع الأمة و بصرها ، يقرأ أدبه و يتردد اسمه قدر ما تقرأ آداب المقيمين و تتردد أسماؤهم إن لم نقل أكثر .

و لكننى أتساءل : لما ذا عنى المؤلفون بشعر المهاجرين دون نثرهم ؟ أن نتاج النثر فى المهجر الأمريكى فاق نتاج الشعر كمية واهمية وانتشارا لقد نفذ إلى الأوساط العالمية حاملا رسالة العروبة فقراه الأمريكى والانكليزى والفرنسى والأسبانى والبرتوغالى والإيطالى، بينما الشعر العربى لم يتخط إلا نادرا نطاق الأوساط العربية فى الوطن والمهاجر فلو أحصينا عدد النسخ المطبوعة لجميع ما أصدره الشعراء من دواوين لوجدنا أنها لا توازى عدد ما طبع من كتاب واحد كتبه جبران نثرا . أيكون المؤلفون الكرام قد انقادوا لرغبة الناشرين الحريصين على المصلحة التجارية فكتبوا ما يجتذب القارىء العربى ، أم اعتقدوا مخلصين أن شعر المهاجرين هو أعلى مرتبة من

Dhaka University Institutional Repository



نثرهم واجدر بعناية التاريخ ؟ يقول صيدح : سألت واحدا من المؤلفين لماذا لم يعقد فى كل كتبه فصولا عن النثر المهجرى . فأجابنى أن للمهاجرين الناثرين إضرابا فى الوطن لا يحصى عددهم أما شعراء المهجر فلا مثيل لهم فى محيطنا اليوم .

هذا زعم غريب فى زمن يتواتر فيه القول أن دولة الشعر فى طريق الزوال و أنصارها يتضاءلون يوما عن يوم ، فما زال قراء العربية يقبلون على قراءة شعر المهجر يشترون الكتب التى تنقده و تبحث فيه ، و كثيرا ما نفذت هذه الكتب و أعيد طبعها بينما كتب العلم والفلسفة أكداس فى المكتبات تنتظر المشترين .

أترك لسواى من النقاد تعليل هذه الظاهرة كيـ لا يقال عنى ما يقال عن الفتاة المعجبة بأبيها . و لكننى أقرر أن محصول النثر الجبرانى والنعيمى فى عهد الرابطة القلمية فرض نفسه على القراء مجدة الصياغة و طرافة المعانى والأغراض ثم فقد شيئا من تلك الروعة الأخاذة حينما انتقل زمام الأدب المهجرى إلى أيدى العصبة الأندلسية فماز الشعر وتقهقر النثر . ولكن ذلك لا يعفى من يكتب عن آداب المهجر من واجب عرضه من ناحيتيه الكفة الراجحة والكفة الشائلة ، حتى لا يضع أمام التاريخ صورة ناقصة .

هذا الدور الذى مر به أدب المهجر ، مر به الأدب العربى القديم فى عهد بنى أمية و بنى العباس و دولة الأندلس ، فكانت الكفة الراجحة و قتئذ للشعر و كان الشعر ديوان العرب كما يقول الأصمعى ، و عقب ذلك أدوار الانحدار التى توالت على الشعر حتى بلغت به الحضيض فى عهد بنى عثمان ، ثم تجددت المباراة فى الأدب الحديث فكان السبق للشعر فى عهد البارودى ( ت ١٩٠٤م ) وشوقى (١٩٣٢-١٨٦٨م) وصبرى (١٨٥٤-١٩٢٣م) وحافظ (١٨٧٠-١٩٣٢م) ومطران (١٨٧٢-١٩٤٩م) إلى أن برز للميدان طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣م) والعقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) والحكيم و هيكل (١٨٨٨-١٩٥٦م) و سلامة موسى (١٨٨٧-١٩٥٨م) والمازنى (١٨٨٩-١٩٤٩م) وأصحابهم فسبق النثر الشعر باشواط و قد أيدهذا الرأى الدكتور طه حسين فى أحاديثه مؤكدا أن الشعر - بعد شوقى - أصبح عاجزا عن خلق الشباب وعن استهواء الجماهير ، وتمادى بعض النقاد إلى الزعم بأن شوقى نفسه لوظهر فى يومنا هذا لما بلغ من نفوس القراء ما بلغه فى يومه ، لأن الأفكار تطورت بانتشار العلم والفلسفة انتشارا واسعا يضيق الشعر عن استيعابه والتعبير عنه .

Dhaka University Institutional Repository



ولا أدرى كيف أوفق بين هذه الآراء و بين رواج الشعر المهجرى رواجا لم يؤثر فيه طغيان العلم و الفلسفة ؟ أعلم أن الشعر يهدر وقت القارىء . و الناظم بقيوده ، وأن الوقت أصبح أثمن من ذى قبل ، وأن تأدية الأفكار بطريقة النثر أسهل مأخذا ، و لكن أين الروعة فى الأداء ؟ أين الجمال الذى يجذب و النغم الذى يثير ؟ أين خلجة الروح و دفقة العاطفة ؟ أن الشعر هو تراث الشعوب الحى لا تتخلى عنه لأنها تحتاجه كلما ناجى إنسان ربه أو هامس نفسه أو استعطف حبيبه أو هدد عدوه أو بكى ميته . إنه أحب الأشكال التى تعكس الفكر وأقربها إلى قلوب البشر . يضاعف الحياة بعالم جديد و يكملها بمثل أعلى و يطهرها من درن المادة ، فإن قصر عن النثر يوما ما ، ذلك لا يعنى إن قد قضى عليه بالتقصير فى كل زمان و مكان . والشعراء فى نظر الشاعر السويسرى كارار - هم ترف الحياة و نعيمها ، هم للانسان كالربيع للطبيعة ، طالما هناك شعراء فالنفوس تظل فتية والعالم بنجوة من الفناء ، و يا لسعادة الشعوب و عز الأمم التى ما تزال تبدع الشعراء والفنانين ، إنها جديرة بالحياة المجيدة لما يضفيه شعراؤها من الحيوية فى أن يقول شاعر العرب :

كم خفضنا الجناح للجاهلينا  و عذرناهم فما عذرونا

خبروهم يا أيها العاقلونا  إنما نحن معشر الشعراء

يتجلى سر النبوة فينا

و نعود إلى الكتب التى صدرت عن أدب المهجر لنلاحظ شيئا آخر : إن المؤلفين آثروا باهتمامهم و دراساتهم الأسماء الشهيرة فى الشعر و أمهات القصائد التى تداولتها الأفواه والصحف و محطات الإذاعة ، وهم بلا شك قد أحسنوا الاختيار و أجادوا التعليق و خدموا الأدب ، و لكن خدمة الأدب كانت أجل و أنفع لو نزلوا قليلا من القمم إلى السهول و زودوا العالم العربى بآثار جديدة لم يصل إليها علمه ، وعرفوه بأصحابها المغمورين أو الزاهدين فى الشهرة . فقد يكون لهؤلاء أصوات شجية وأنوار خفية تستحق حيزا صغيرا فى روض البلابل و سماء الكواكب .

عذر المؤلفين أنهم بعيدون عن العالم الذى يكتبون عنه ولا صلة تصلهم به إلا الكتب التى تقع تحت أيديهم والقصائد التى تنشرها الصحف و هى لا تنشر إلا الجيد الممتاز . وما هذا بالعذر الذى يرتاح إليه و جدان الكاتب المؤرخ ولو ارتاح إليه الناشر والقارىء . إذ على المؤرخ لأدب المهجر أن يستقى المعلومات من مصادرها مهما

Dhaka University Institutional Repository



بعدت، بالمراسلة أم بالزيارة ، لا أن لا يقبع فى مكتبه و ينتظر هبوط الأخبار عليه من جريدة يشتريها ، أو من ديوان يهدى إليه . اللهم إلا إذا كان غرض المؤلف مجرد الإشادة بعبقرية الأدباء المهاجرين ، لا تاريخ أدبهم كاملا ، فعندئذ يكون قد بلغ الغرض المنشود ، بل جاوز الغرض ، على ما اعتقد ، أنه ألقى فى روع القراء أن كل الأدب المهجرى هو من الطراز الرائع الرفيع الذى استشهد به فى كتابه .[٦٣]

---

[٦٣] . المرجع السابق، ص ٣٣

Dhaka University Institutional Repository



## النهضة الأدبية الحديثة

يقول صيدح : يجدر بى أحدد موقف الأدب المهجرى من الأدب العربى العام و أن أوضح كيف شق طريقه بين التيارات الأدبية المعاصرة ، فألقى نظرة خاطفة إلى المراحل التى سبقت نشأته ثم واكبت نموه . على أننى لا أتكلم عن تلك المراحل بلهجة المؤرخ الواثق مما يقول كما أفعل عند الكلام عن الأدب المهجرى بل أفصح عن انطباعات رسخت فى ذهنى من المطالعات أثناء إقامتى فى المهاجر . فان حدت عن جادة الصواب فالعذر واضح .

فى مطلع هذا القرن كانت مصر مطمح أنظار الأدباء المهاجرين لما آنسوا فى أوساطها الأدبية من بوادر الوعى والطموح و فى صحافتها من الحيوية . فاستبشروا بنهضة أدبية شاملة فى ظل طائفة من الشعراء والكتاب هم أنجب و أخصب من كتب و نظم بلغة الضاد منذ أجيال . لا أسميهم إجلالا و تكرمة بل أكتفى بالإشارة إلى أن أمير الشعر و عميد النثر كانا بينهم ، و إن عهدهم كان العهد الذهبى للأدب العربى فى الشرق ، خلعوا على سر باله البالى حللا رائعة وهاجة ، و استحثوا بنشاطهم نشاط الأدباء فى مختلف الأقطار العربية و لكنهم - فى نظر أدباء المهجر الأمر يكى الشمالى - لم يحرروا الأدب من نيول التقليد ولا فرضوا طابعهم عليه بل أبقوه فى يد ، يجيدون فيه و لكن لا يجددون.

و كان أن انقطعت المواصلات بين العالمين أثناء الحرب العالمية الأولى . وحينما استؤنفت و عاد المهاجرون إلى مطالعة آثار الأدب العربى ، أعجبوا بالأشواط التى قطعها أدباء مصر فى تلك الفترة من الزمن و رأوا أن النهضة الأدبية تركزت فى مفاهيم جديدة و فى أساليب جديدة للأداء . و أن حركة الانطلاق نحو الأجواء العالمية التى تزعمها شيخ المجددين المرحوم خليل مطران قد أتت أكلها و أن هناك نهضة فكرية تساير - فى وجهتها لا فى مداها - الثورة التى ثارها أعضاء الرابطة القلمية فى نيويورك عام ١٩٢٠م .

**الرابطة القلمية** : فى ذلك الحين أخذت الألحان المهجرية تنطلق من وراء البحار لتغلغل فى مسامع الشرق و فى قلبه . فاستقبلها شيوخ الأدب بتحفظ و احتراس و أقبل عليها النشىء الطالع يلتهمها التهاما لأنه وجد فيها ما راقه من جدة المبانى و ما سهل عليه فهمه من روائع المعانى . ما بلغت تلك الدفقة المهجرية شواطىء لبنان ، حاملة بذور التجديد ، حتى رحب أدباؤه بها و كانوا أسبق البلاد العربية إلى الأخذ

Dhaka University Institutional Repository



بسنتها - سنة إخوانهم المغتربين - بحكم العاطفة الأخوية والذوق المشترك ، أو بحكم الثقافة الغربية التى تفشت فى لبنان أكثر مما تفشت فى غيره من الأقطار المجاورة ، لكثرة اختلاطه بالغرب و لكثرة معاهد العلم الأجنبية القائمة فيه. و لوجود الانتداب الفرنسى الحالم " بفرنسة " الجبل .

كانت الشحنة الأولى من أدب المهجر صادرة من مصانع الريحانى وجبران و نعيمه و أبو ماضى و نسيب عريضه و رشيد أيوب ، و فيها من الأجناس القديم والجديد والمتطرف . فما كان من اليسير على مصر و سوريا والعراق أن تتقبل البضاعة على علاتها كما فعل لبنان بل عكفت على التمحيص و النقد ، و كان للبدعة المهجرية أنصار، ولمحاربتها أنصار، وتواترت الدراسات والمناقشات حتى أثارت اهتمام العامة بالأدب المهجرى ، و إذا بالعمة تتتذوقه و تتناشد شعر أبو ماضى مؤيدة بذلك فريق المناصرين .

**العصبة الأندلسية :** أما الشحنة الثانية من أدب المهجر فقد و ردت من سان باولو (البرازيل) بعد عشرة أعوام ولاقت قبولا يكاد يكون إجماعيا فى مختلف الأقطار العربية لأسباب ثلاثة :

**أولا :** لاعتدالها فى أساليب التجديد مع المحافظة على أصول اللغة بقوة وروعة.

**ثانيا :** لأن بضاعتها شعر بحت ، و من الصنف الممتاز بجودة الصياغة و حرارة العاطفة و رخامة النغم .

**ثالثا :** لأن النزعة القومية الوطنية هى الغالبة فيها ، فالشعوب الرازحة تحت الاحتلال أو الانتداب ، المتعطشة إلى الانعتاق من نير الاستعمار لا يستهويها فى محنتها مثل الشعر الوطنى الحماسى الصادق النبرات. الذى يعبر عن واقعها و عن شعورها و عن أمانيها ، كشعر القروى مثلا .

لا شك أن الأدب المهجرى ، بعد أن تزلزلت دعامته الأولى فى الشمال بوفاة عميده عام ١٩٣١م ، وجددعامته الثانية فى الجنوب ، عند ما تأسست العصبة الأندلسية فى سان باولو فى العام التالى فاحتفظ بالمستوى العالى الذى وضعته الرابطة القلمية فيه و لكنه راح يجهر بالشعر و يهمس بالنثر ، فما لفت أنظار الاقطار العربية إلا بآثاره الشعرية ، منذ ذلك التاريخ إلى اليوم . و فى هذه الأثناء كثيرا ما التقى شعراء العصبة الأندلسية شعراء مصر على صعيد التجديد الذى مهده مطران و جماعة أبولو ، و لكن

Dhaka University Institutional Repository



المهجريين قطعوا أشواطا أبعد فى الابداع لأن الفكرة فى شعرهم لم تطغ على الفن فتشوه الجرس الموسيقى ، و أشواطا أبعد فى الانطلاق لأن فكرتهم لم تتقيد بوجهة السياسات المحلية .

ووجد شعراء المهجر الجنوبى فى سوريا أندادا لهم و أضدادا . فمن أندادهم الشعراء المجددون المقتصدون فى الأخذ من أدب الغرب و أساليبه، و من أضدادهم فريق تشبث بالقديم و مازال يقلده و فريق لم يكتف بالتجديد فراح مجدده . أما فى العراق و فى فلسطين ، فلم يزاحم شعراء العصبة شاعر الرابطة القلمية الأكبر - إيليا أبو ماضى - على الحظوة التى نالها فى القطرين . يقال أن لدواوين أبو ماضى رواجا فى العراق لايطاوله أى ديوان آخر . و شاعرة فلسطين فدوى طوقان وقفت إعجابها على أبو ماضى . و قد كتبت هذه العبارة عنه ، إننى أرفعه إلى القمة ولا أفضل عليه شاعرا عربيا أخر فى القديم أو فى الحديث . فالشعر العربى لم يعرف له نظيرا ، يقابل ذلك مناطق نفوذ واسعة الأطراف خص بها الشاعر القروى فى مضاربهم و يجودو نه كأنهم يجودون الآيات....

أما فى لنان فبعد أن انتشى الشعراء زمناً طويلا بخمرة الروما نطيقية من كؤوس أبو شبكة و بشارة الخورى و أمين نخلة صحا بعضهم على رغبة جامحة فى تقليد الغرب و فى تجاوز المدى الذى قطعه شعر المهجر . فبشروا بالمذاهب المستحدثة كالرمزية والسريالية والوجدانية و الفن للفن والشعر الحر ، و راح كل يتعصب لمذهبه و يحمل على كل مذهب عداه ، لا يستلهم إلا خياله ولا يعبر إلا عن ذاتية نفسه حتى أصبحت فكرة الشعب اللبنانى و صورة حالته و أثر الحوادث فى بلده لا تتمثل فى شعر الوطن بل تتمثل فى شعر المغتربين .

و يقينا أن هذا التطور الأخير ما هو إلا موجة عابرة سوف تتكسر و تتلاشى على صخور الشاطىء . و كم بدعة ظهرت قبلها و اختفت كلما يظهر الخفاش فى الليل و يختفى فى النهار .قطع الأدب المهجرى كل هذه المراحل و لم يبرح جو الحرية الذى نشأ فيه . لم يتقيد بمذهب معين و لم يعتمد مقاييس ثابتة فى الأساليب، بل أخذ من كل فن طرفا و انطلق فى الأداء على سجية منشئيه ، لا يتغذى إلا بزاد قلبهم و لبهم ولا يهمه إن كانت وسائلهم كلاسيكية أو رومانطيقية أو برناسية . قيل عن شعرهم فى مصر أنه كلاسيكى على ضعف فى الأداء . و قيل عنه فى سوريا أنه روما نطيقى على شىء من الجفاء ، و قيل عنه فى لبنان أنه رمزى على عجز فى الإيحاء ، و الحقيقة هى أنه مزج

Dhaka University Institutional Repository



الكلاسيكية بالرومانطيقية مزج الماء بالراح، وطلا الواقعية بألوان الفن ، و استل من الرمزية أفاويه تطيب النكهة . أما المخدرات السريالية فلم تقع فى كأسه . و إن كان لابد من حصر هذا المزيج فى مذهب مسمى فليكن مذهب الواقعية الفنية الذى ينقل الحقيقة الموضوعية فى صورة شعرية تتماوج بين خطوطها أحاسيس الشاعر الباطنية بألوان الواقع الخارجية . لا أجد تعريفا أقرب من هذا إلى حقيقة الشعر المهجرى .

توخى أديب المهجر أن يهز القلوب قبل أن يبهر العقول . فعالج من المواضيع أقربها إلى حياة الإنسان واختار من الأساليب ما يروق للخاصة ويصلح للعامة ، وزهد فى كل مجد وكل مصلحة شخصية ، إلا مجد الضاد ومصلحة الوطن . وكم يسعده اليوم أن يرى النهضة الأدبية التى ساهم فى خلقها بمقدار كبير سائرة إلى الأمام فى طريق الكمال . فلا بأس من الأقاويل ولا حرج من تعدد المذاهب الأدبية ، ما دام الأدباء المعاصرون قد تحول اهتمامهم من الألفاظ والتراكيب إلى المعانى ولأحاسيس والأفكار واعتمدوا الاستقلال الشخصى فى الأسلوب، واتجهوا اتجاها فكريا عالميا فى المقال والقصة والرواية والنقد والتحليل النفسى ، فأصبح كل كاتب وشاعر يواجه مسؤولياته أمام الحياة و أمام الفن وأمام المجتمع .[٦٤]

---

[٦٤] . المرجع السابق ، ص ٣٨

Dhaka University Institutional Repository



## دراسة الأدب المهجرى

يوجد وسيلتان لدراسة الأدب المهجرى :

**الأولى :** تحرى سيرة الأديب المهاجر و أحوال البيئة التى خرج منها والبيئة التى دخل فيها حتى تنكشف لنا شخصيته والتأثيرات التى تعرض لها أدبه ، و حتى نعيش معه فترات التأمل والاكتناه التى سبقت الإنتاج والنشر . فكلما يقوم سعيد عقل ، لا وجود لأية شرارة جمال إلا ووراءها عمر من التحضير والكد . و الأخذ بهذه الوسيلة عسير شاق لأن نجاحها رهين بالمعلومات والتراجم التى نحصل عليها وهى أحيانا تتوفر و أحيانا تتعذر . وقد جمعنا منها القدر المستطاع ، حتى متى جاء دور الكلام على كل أديب بمفرده ، ذكرنا ما نعلم عن ظروف حياته الخاصة . أما التأثيرات العامة التى خضع لها جميع الأدباء المهاجرين ، كدوافع الهجرة وأغراضها . ومحسناتها و مساوئها ، فقد تكلمنا عنها فى فصل هجرة الأدباء .

**الثانية :** تمحيص ما لدينا من آثار أدبية أنتجها الأدباء المهاجرون والتحقيق فى روعتها البيانية وقيمتها الفكرية والتوجيهية . فإن جمعنا هذه الآثار ورددناها إلى مصادرها وجدنا أن أعضاء الرابطة القلمية فى الشمال وأعضاء العصبة الأندلسية فى الجنوب انتجوا أكثرها وأروعها وتتلوهما فى الإنتاج الرابطة الأدبية فى الأرجنتين ثم طائفة من الأدباء المتفرقين فى مختلف الجمهوريات الأمريكية .

هذه الآثار قوام المدرسة المهجرية ، هى المادة الأولى لدراستنا ، وأصحاب الآثار هم المادة الثانية فما كل أديب طرق المهجر انطبع بطابع الأدب المهجرى ، وساهم فى تكوينه ، ولا الأدباء الذين ساهموا كانت ثمرات جهودهم متساوية ، بل تفاوتت كمية وفاعلية تفاوت مواهبهم وثقافاتهم وظروف معيشتهم ، ولكن المؤثرات المماثلة فى حياة المهجر وحدت اتجاههم فى الأدب. جميعهم حملوا إلى الأمريكتين التربية الشرقية والثقافة العربية وتأثروا إلى حد ما بالبيئة الأميركية من حيث التحرر والاجتهاد والنزعة العملية . فاكتسى أدبهم مسحة غربية مع الحفاظ على الروحانية الشرقية . لم يكتبوا أو ينظموا إلا بروح عربية ولمصلحة عربية ، حتى أولئك الذين كتبوا ونظموا بلغة أجنبية كانت الروح العربية تهيمن على نتاجهم والمصلحة العربية الهدف الأهم من أهدافهم . وكانت الثقافة والتاريخ والحضارة الشرقية أقوى من كل ماعداها من العوامل فى تكوين أدبهم ، قال غاندى : "لا أريد لبيتى أن يكون مستورا من جميع الجهات ولنوافذى أن تكون مغلقة . أريد أن تهب على بيتى ثقافات كل الأمم

Dhaka University Institutional Repository



بكل ما أمكن من حرية . ولكننى أنكر عليها أن تقتلعنى من أقدامى ". وجميعهم اشتركوا فى مقاومة تيارات الحياة المادية وطغيان الفكر واللسان الأعجميين واستهتار الجيرة والعشيرة ، ولم يزالوا إلى اليوم يدافعون عوامل الانحلال والفناء عن لغتهم و أدبهم بصبر عجيب وعناد غريب . ليس فيهم أديب واحد نزح عن وطنه لكى يمارس حرفة الأدب فى المهجر . فما مارسها إلا انقيادا لنزعة نفسية طاغية جعلته يحيد عن هدف الهجرة و ينسى واجبه نحو ذاته المفتقرة إلى الأود و نحو عياله المترقبين النجدة، فيبذل فى سبيل أمته و لغته جهودا كان نذرها لالتماس الرزق وحده .

ولولا الضرورة القاهرة ما قسم تلك الجهود بين إنتاج الأدب و تحصيل الرزق وراح يضرب فى كل مجهل و يكدح فى أعمال شاقة ما خلق لها. فكان على حسد كلمة طاغور "كالكوكب الذى ينتزع من سمائه ليصنع منه عود ثقاب" .هذه الأحوال المشتركه فى حياتهم طبعت نتاجهم الأدبى بطابع خاص به، و هيأته لأداء رسالة واحدة. ما هى الخصائص التى يتميز بها أدب المهجر ؟ و ما هى رسالته ؟ [٦٥]

---

[٦٥] . المرجع السابق ، ص ٣٨

Dhaka University Institutional Repository



## خصائص الأدب المهجرى

يتميز أدب المهجر بصفة عامة هى التجديد الطامح إلى الكمال ، و بخصائص قوية بارزة فى قالبه و فى مضمونه . ففى القالب ، يتميز الأدب المهجرى بالتحرر التام من قيود القديم مع استبقاء ما لان منها للصياغة الحديثة وما طاوع نزعة التجدد . انتقال من الأتباع إلى الإبداع ومن عبودية التقليد إلى الاستقلال بالشخصية الأدبية . لا جمود فى القوالب الجاهزة ولا ميوعة فى المشارب المستحدثة ، انعتق النثر من المدلولات الثابتة والرواسب المحنطة وانطلق الشعر إلى أصوات متعددة وأوزان قصيرة مجزوءة و مو شحات تتبارى بالفن مع ما خلفه لنا الأندلس .

**خصائص مضامين الأدب المهجرى**

**أولا - الطابع العاطفى :** رقة فى العاطفة ما بعدها رقة . تتجلى فى الشوق والحنين إلى الوطن البعيد فى نغمات مؤثرة ، لم تعرف لغة الضاد أوقع منها ولا أروع ، يتساوى فيها المجدودون والفاشلون فى حياة الاغتراب . الناجحون لم تنسهم النعمة أوطانهم الأولى والخائبون زادت قسوة الحياة لهفتهم حضن الأم ، إلى البيت المهجور، إلى الكرم الأخضر ، إلى ملعب المدرسة . قال أبو ماضى :

الأرض سوريا أحب ربوعها عندى و لبنان أعز جبالها

تشتاق عينى قبل يغمضها الردى لو أنها اكتحلت و لو برمالها

و قال الشاعر الرحالة يناجى دمشق الشام :

يا مسقط الرأس والأرحام تجمعنا حاشا تغيرنى فى حبك الغير

أنسى يمينى ولا أنساك يا وطنا فيك أبتدا - ليته فيك أنتهى - العمر

أوصيك بالروح . رتبها متى انطلقت إليك فى الظل حيث النهر والشجر

حيث القباب على الأجداث حاضنة مجد الجدود الذى ضاقت به الحفر

**ثانيا - الطابع الصوفى :** حب الجمال المثالى جعلهم يحبون الطبيعة ويندمجون فيها . لقد ناجوها واستمهلوها روائع الشعر وتعدوا فى جما لها المشهد المنظور إلى ماوراءه من معان وأسرار . فالطبيعة عندهم تحس وتشعر إلى أعمق مما تحس و تشعر به الحواس الخمس "هى تفكر خلالهم كماهم يفكرون خلالها" حسب تعبير بودلير . قال القروى :

Dhaka University Institutional Repository



من لنفس تود لو تغمر الكون هياما بحسنه المعبود

مثلو إلى هذا الوجود بشيء أنا لا أستطيع ضم الوجود

**ثالثا ـ الطابع التأملى :** هو نتيجة لتأملهم الطويل فى الذات وفيما حولهم من الكائنات ، شأن الفلاسفة الروحيين . انشغلوا بما انطوى فى أعماقة النفس من المخبآت والودائع وانشغلوا بمشاكل الوجود وقضايا الفناء والخلود فاتجهوا بفنهم إلى استجلاء غوامضها . وهذا الاتجاه نحو الحياة الروحية والمواضيع المجردة هو أروع ما سجله تاريخ الأدب الحديث من تجديد وبعد نظر .

لى ذات غير أنى لست أدرى ماهيه

فمتى تعرف ذاتى كنه ذاتى لست أدرى

إننى جئت و أمضى و أنا لا أعلم

أنا لغز و ذهابى كمجيئى طلسم

و الذى أوجد هذا اللغز سر مبهم

لا تجادل . ذو الحجى من قال أتى لست أدرى

**رابعا ـ الطابع الأخلاقى :** أدب التوجيه نحو ممارسة الفضائل واجتناب الرذائل . يعتمد الصور الشعرية لبث دعوته أو يتغلغل فى النفوس بوسائل القصص المثير فيوحى إليها النفور من القبيح والخسيس و الشائن أو يذرع فيها بذور التمرد على ما فى الأرض من ظلم و قسوة .

وهذا الأدب القصصى ـ فى الشعر و فى النثر ـ يمحو الطلاء عن وجه البشر فتظهر نفوسهم على حقيقتها وتتكشف لهم مواضع الضعف والقوة منها فيرتسم أمامهم سبيل الإصلاح . و إن إصلاح النفس الإنسانية لا يقوم على المصانع والمدارس والملاجىء وحدها إن لم يكن هناك أدب يبعث الأخلاق الفاضلة التى طمستها همجية الحروب . و إنما الأمم الأخلاق ....

Dhaka University Institutional Repository



**خامسا ـ الطابع الواقعى :** أدب هو مرآة الحياة يراوح بين أحوالها و أشكالها او هو ـ كما يقول نعيمه : "عين يقظى تلاحظ و تسجل ، و قلب ينبض الحياة فيما حوله ويتحسس مجاعة الأرواح ، هذا الأدب يتصور الواقع المحسوس بالبيان الفنى فتصل رسالته إلى المجتمع متزودة بوسائل الإقناع و بجمالات الفن" . وما الفن ـ فى رأى طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣م) ـ إلا الارتقاء بالأشياء من الحياة الواقعية ، دون الخروج منها ، و يقول كلاى: "إن الجمال المثالى عاجز عن تعزية الناس من أحداث الحياة، والحياة أكثر غنى و تنوعا وأهمية من أى قطعة من الخيال أو تهويمة من تهاويم الأحلام أو همسة غامضة من الهمهمات" .

**سادسا ـ الطابع القوى :** هو أدب الوطنية الصحيحة التى تركزت على أسس ثابتة كوحدة اللغة و وحدة التاريخ و وحدة الأهداف . ليست و طنية جغرافية ، لأن الحدود الجغرافية قابلة للتعديل . ولا هى وطنية دينية لأن الدين مشاع لأمم مختلفة ولا يشمل جميع أفراد الأمة الواحدة . أدب المهجريين أخلص للأمة التى انجبته و للأرض التى ولد فيها . همه المساهمة فى الحركات التحررية فى الوطن بإيقاظ الوعى وشحذ الهمم . ما حدثت حادثة ذات شأن فى الأقطار العربية إلا وكان المهاجرون لها بالمرصاد ، يعلقون عليها ويستخرجون منها العبر . وما نزلت محنة فى الوطن إلا وعاشوها معه بقلوبهم و بأدبهم . منهم من عاصر الحكم العثمانى ثم حكوم الانتداب الفرنسى فكان اتجاههم إلى التحرر والانعتاق طبيعيا فأطلقوا الدعوة إلى الثورة . ثم جاء عهد الاستقلال فتحول اتجاههم نحو طلب الإصلاح و حشد القوى لمجابهة الخطر الصهيونى تحت راية الاتحاد ، إن تعذرت رأية الوحدة

و ما ضر نا إن لم يك العرب وحدة  قد وحدتنا فى الجهاد المقاصد

أصابع كف المرء فى العد خمسة  لكنها فى مقبض السيف واحد

"القروى"

**سابعا ـ الطابع الإنسانى :** أدب يشع بروحانية الشرق ، يتطلع بروحه إلى المثل العليا فى الحياة و يتعاون مع قوى الخير لخلق عالم أفضل ، شأن الأدباء العالمين .

يقول نعيمه : "إن الشرق كان أول من انتصر للإنسان و أول من اعترف بنبعته الإلهية و غايته السماوية وأول من دعاه إلى محاربة الغرائز الحيوانية" وأدباء المهجر هم أبناء الشرق سكنت روحانيته أرواحهم فلم تقو المادة على أن تطغى عليها وملأت

Dhaka University Institutional Repository



حكمة العرب عقولهم فأدركوا إن سعادة الفرد لا قيمة لها إلا بسعادة قومه وسعادة القوم لا تكمل إلا بسعادة الإنسانية جمعاء .

قال فرحات :

ربة الحكمة إنى شاعر  يعشق الحكمة مذ كان صبيا

لا تخالينى لصيقا بالثرى  لا تمش الأرض إلا قدميا

إن فى الإنسان من فطرته  للثرى شيئا و شيئا للثريا

هذه هى خصائص الأدب المهجرى . على ضوئها كتب رسالته شعرا ونثرا وعرضها على محكمة التاريخ .[٦٦]

---

[٦٦] . المرجع السابق ، ص ٤٣

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الثالث : الصحافة العربية فى الولايات المتحدة الأمريكية

أخذ المهاجرون يتجمعون ويتكتلون ويؤلفون النوادى والجمعيات الخيرية والعلمية والأدبية التى تأخذ بيدهم و تعمل على رفع مستواهم وإنزالهم المنزلة اللائقة بين إخوانهم من المواطنين الجدد فى هذا العالم الجديد . وبمضى الزمن أصبح السوريون فى الولايات المتحدة الأمريكية جماعة لها كيانها الخاص وطابعها المميز لها . وما لبث أن أصبح لها شأنها وقيمتها كجالية عربية تعيش بعيدا عن العالم العربى الذى أنبتها ولكنها تربطها به أقوى الصلات و أمتنها، و لذلك فهى دائما تعمل من أجله ولإسعاده ، وهى فى موطنها الجديد البعيد . وهؤلاء المهاجرون السوريون - و إن كانوا قد بدأوا جميعا، منذ وصولهم إلى العالم الجديد ، فى تعلم اللغة الجديدة و التعبير بها فيما بينهم و بين من يعايشونهم من غير العرب - فإنهم ما زالوا يحفظون بلغة الوطن القديم كلغة التخاطب، فيما بينهم و بين أنفسهم ، بل لقد حافظوا على استعمال اللغة العربية فى حياتهم الخاصة والعامة بقدر الإمكان، من ذلك أنهم كثيرا ما يكتبون على أبواب محالهم أسماءهم بالعربية إلى جانب لغة البلاد ، بل إن الزائر لحى "سورية الصغرى" فى إحدى جهات نيويورك يخيل إليه أنه فى حى من أحياء دمشق أو بيروت أو غيرهما من العواصم العربية فى الوطن القديم .

وكان المهاجرون ظلوا على اتصال بالعالم القديم الذى تركوه يئن ويعانى آلام الظلم والقسوة و الاضطهاد ، فظلوا يحسون آلامه ويشعرون بأحزانه و تهزهم حوادثه و أحداثه، فأحسوا فى أعماق قلوبهم بحاجة شديدة إلى التعبير عما تكمنه نفوسهم و ما تود أن تقوله قلوبهم لأبناء ذلك شديدة إلى التعبير عما تكمنه نفوسهم و ما تود أن تقوله قلوبهم لأبناء ذلك الوطن الجريح ، و لكن كيف السبيل و قد باعدت بينهم و بين وطنهم المسافات الناسعة والبحار الواسعة ؟ حقا إنهم كانوا على اتصال دائم مع أهلهم و أبناء وطنهم بواسطة الرسائل ، و لكن هذه الوسيلة لا تكفى للتعبير عما تجيش به صدور المجموع لا الأفراد ، هذا إلى جانب أن بعضهم كان قد بدأ ينتج إنتاجا أدبيا معبرا عن واقع حياتهم وظروفهم وما لاقوه ، مما يمكن أن ينشر ويذاع . و من هنا نشأت الحاجة إلى وجود صحف دورية عربية تنتظم أفكارهم وآراءهم وتعنى بشؤونهم وأخبارهم و بشئون وطنهم الأول وأخباره ، وتكون الواسطة القوية التى تصل بينهم وبينه.[٦٧]

---

[٦٧] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٦٧-٦٨

Dhaka University Institutional Repository



ومنذ عام ١٨٩٢م ، حين ظهرت أولى جرائدهم العربية إلى هذا اليوم ، سجلت الصحافة العربية فى المهجر الشمالى صفحة خالدة فى تاريخ الصحافة العربية عامة وصحافة المهجر الأمريكى بوجه خاص ، فعلى صفحات هذه الجرائد والمجلات كان يلتقى أهل الفكر و الرأى من المهاجرين مع إخوانهم من المقيمين أو المهاجرين فى بقاع أخرى . وكانت صحافتهم تصل إلى العالم القديم فيقرؤها المقيمون بلغة ويبثون لها الدعاية فى أنديتهم و على صفحات مجلاتهم وجرائدهم . وبالطبع كانت الكتابات الأدبية والثقافية هى التى تجذب قراء الشرق ، أما الأخبار السياسية فقد كانت تعتبر قديمة بالنسبة لهم ، وإن كانت تلفت أنظارهم أحيانا بعض التعليقات على المواقف السياسية، و هى لا تخلو من طرافة وجدة ، وحتى هذه كانت بأسلوب أدبى يغلب على ما فيها من طابع سياسى. و مع ذلك لعبت بعض صحف المهجر دورا هاما فى حملة المطالبة بالاستقلال أيام الحكم التركى . و قد وردت أسماء أكثر من محرر عربى مهاجر فى لائحة المحكوم عليهم بالإعدام من قبل تركية. وكان على رأس هؤلاء المحكوم عليهم من المهجريين نجيب موسى دياب مؤسس جريدة "مرآة الغرب" الذى حكم الأتراك أيضا بالحجز على أملاكه فى لبنان ، وكادوا يوقعون الحجز لولا تدخل السفير الأمريكى فى الآستانة فى الأمر . حيث أجبر الأتراك على اعتبار أملاك صاحب مرآة الغرب ممتلكات أمريكية.[٦٨]

ومن الناحية الأدبية والثقافية ، لقد لعبت صحف المهجر دورا خطيرا فى التعريف بأدباء المهجر و شعرائهم ، إذ على صفحاتها كانت تنشر القصائد الشعرية والمقالات الأدبية والخطب . وبواسطة هذه الجرائد والمجلات بدأت تعرف للشرق شخصيات مثل : جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه وايليا أبو ماضى و غيرهم من أعلام الشعر والنثر فى المهجر . و كانت الأوساط الأدبية فى الشرق العربى تتلقف ما ينشره هؤلاء المهاجرون ، و كثيرا ما تناوله الأدباء فيها بالتقريظ أو النقد . وعلى مثل هذه المطبوعات اعتمد الأستاذ محيى الدين رضا حسين ألف كتابه "البلاغة العربية فى القرن العشرين" والأستاذ توفيق الرافعى فى كتابه "النبوغ العربى الجديد" أو "أدب ما وراء البحار" وغيرهما ممن كتبوا عن شعراء المهجر وكتابه عند أول ظهورهم .

و ليس من العسير علينا أن نتتبع تاريخ الصحافة العربية فى الولايات المتحدة الأمريكية أو المهجر الشمالى عموما ، وأن نلقى نظرة عامة سريعة على هذه

---

[٦٨] . فيليب دى طرازى ، تاريخ الصحافة العربية ، (بيروت:١٩٣٣م)، ص ٤٠٩

Dhaka University Institutional Repository



الصحف والمجلات التى صدرت أو ما تزال تصدر فى ذلك الجزء الجديد من العالم الناطق بالضاد . وبالرغم من تعذر العشور على هذه الصحف والدوريات فى الشرق العربى اليوم[٦٩] ، فإن ما كتب عن الصحافة العربية فى المهجر - و هو قليل أيضا - قد يلقى ضوءا على هذا الموضوع . ولعل أهم كتاب ذكر صحف المهجر هو كتاب "تاريخ الصحافة العربية" للكونت فيليب دى طرازى (١٨٦٥-١٩٥٦م) . فقد أفرد صاحب الكتاب فى الجزء الرابع منه قسما لصحافة المهجر الشمالى ، وقسما آخر لصحافة المهجر الجنوبى ، ذكر فى هذين القسمين أسماء جميع الصحف والمجلات التى صدرت هناك حتى عام ١٩٢٩م .

و يلاحظ أن ظهور أول صحيفة عربية فى الولايات المتحدة جاء مقترنا ببدء استقرار أول جالية للمهاجرين فى شارع واشنطن بنيويورك ، حين أسس الدكتور نجيب عربيلى وأخوه إبراهيم عربيلى ، جريدة كوكب أمريكا فى الخامس عشر من شهر أبريل عام١٨٩٢م [٧٠] . و قد قاسى منشناها متاعب جمة و تغلبا على مصاعب كثيرة فى سبيل إنشائها و جعلاها فى أول الأمر أسبوعية ، ثم صارت يومية . ويقول عنها فيليب طرازى : وكانت هذه الجريدة فى أول أمرها باللغتين العربية والإنجليزية مزينة بالرسوم الشرقية و صور مشاهير الرجال. وكانت تنشر المقالات الصافية عن الشعب الأمريكى النشيط و عن أحوال الشرق الأدنى و أخباره و عادات أهله نفيا لما كان ينقله السياح الأمريكيون عن الشرقيين من الروايات المخالفة للحقيقة . [٧١]

و يظهر أن هذه الجريدة قد قامت بقسط لا بأس به من الدعاية و تمهيد سبل العلاقات التجارية بين سوريا والعالم الجديد ، كما شهرت بصدقها وتحريها الحقيقة ، فانتشرت انتشارا كبيرا فى السلطنة العثمانية والعالم الإسلامى والعربى ، وقرأها الناس بلغة وشوق إلى تعرف أحوال البلاد الأمريكية . كما يبدو أن هذه الجريدة أيضا قد لعبت دورا كبيرا فى الدعاية لمعرض شيكاغو الذى أقيم عام ١٨٩٣م . وجاء ذكره فى

---

٦٩ . قال د. نادرة السراج ، لقد بحثت فى دور الكتب العمومية فى القاهرة و بيروت عن بعض هذه الصحف المهجرية ، فلم أعثر إلا على بضعة أعداد من مجلة الهدى فى سنيها الأولى . و بضعة أعداد أخرى من جريدة "مرآة الغرب" و ذلك فى فرع دار الكتب المصرية بالقلعة . و فى مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت اطلعت على بضعة مجلدات من مجلة السمير " لإيليا أبى ماضى ، و بضعة أعداد من مجلة " العالم السورى" بالإنجليزية . شعراء الرابطة، ص ٦٩

٧٠ . جاء فى نشرة الناطقون بالضاد فى أمريكا أن هذه الجريدة أنشئت عام ١٨٨٨م . وقد نقل عن هذه النشرة الأستاذ محمد يوسف نجم فى كتابه القصة فى الأدب العربى الحديث و أما جورجى زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ فقد أرخ لإنشاء هذه الصحيفة بعام ١٨٩١م . وكان كل من هؤلاء بعد عن الصواب . والأصح هو تاريخ فيليب طرازى، لأنه ثقة فى موضوع الصحافة عامة وصحافة اللبنانين خاصة . المصدر السابق، ص ٦٩

٧١ . تاريخ الصحافة العربية ، ص ٤٠٧

Dhaka University Institutional Repository



غير هذا المكان[٧٢] . وشجعت اللبنانيين على الاشتراك فيه بتجارتهم . وبعد وفاة نجيب عربيلى أحد منشئ كوكب أمريكا عام ١٩٠٧م ، استقل أخوه الدكتور إبراهيم بإدارة الجريدة ، ثم باعها . وما لبثت أن احتجبت فى عامها السابع عشر مسجلة لها ذكرا خالدا فى عالم الصحافة المهجرية ، وفى خدمة المهاجرين من السوريين .

يقول نادرة السراج : ومن الصحف القديمة إلى عمرت طويلا و لعلها ما تزال تصدر إلى اليوم فى نيويورك جريدة الهدى التى أسسها نعوم مكرزل عام ١٨٩٨م ، وقد ظهرت فى أول أمرها فى مدينة فيلادلفيا بشكل مجلة شهرية ، و قد اطلعت على بضعة أعداد قديمة من هذه المجلة ، فوجدت العدد الواحد منها يقع فى عدة ورقات لا تتجاوز العشر من حجم المجلات الاعتيادية ، وهى مقسمة إلى أبواب : باب المقالات وباب الإعلانات والأخبار المحلية وطبيب العائلة وصديقة السيدات و باب الشعر وأبواب أخرى ، فهى إذن أشبه بمجلة اجتماعية أدبية ثقافية . ثم نقلت إدارتها إلى نيويورك بعد زمن قصير وحولها منشئها إلى جريدة نصف أسبوعية ثم إلى جريدة يومية فثمانى صفحا كبيرة . يذكر طرازى أن الهدى[٧٣] أول جريدة يومية فى العالم الجديد وهذا بالطبع باعتبار أنها ظهرت قبل أن تصبح كوكب أمريكا يومية مما لم تقع أيدينا ما يثبت تاريخه على الوجه الصحيح . و يظهر أن صاحبها قد لاقى فى سبيل صعوبات كثيرة أيضا كزميله صاحب كوكب أمريكا ولكن النجاح الذى أحرزته مما يعوض له بعض تعبه . ولما مات نعوم مكرزل (١٨٦٣-١٩٣٢م) مؤسس الهدى عام ١٩٣٢م تولى بعده إدارتها شقيقه سلوم مكرزل (١٨٧٩-١٩٥٢م) الذى أصبحت له شهرة واسعة فى عالم الصحافة والطباعة ، فقد أسس عام ١٩٠٧م جريدة أخرى بعنوان بريد أمريكا و لكن يظهر أنها لم تعمر طويلا فأسس مجلة العالم الجديد التى استبدل بها فى آخر عام ١٩١٨م مجلة أخرى عنوانها المجلة التجارية أوقفها عام ١٩٢٧م ليقوم بأعباء مجلته الإنجليزية الجديدة العالم السورى التى كان قد بدأ فى إصدارها فى يوليو عام ١٩٢٦م متوخيا فيها فائدة بنى وطنه الذين يجهلون لغتهم العربية فى ديار الهجرة ، كما قصد إلى اطلاع أمريكا أنفسهم على أخبار السوريين المعايشين لهم ، وعلى أفكار أدبائهم و شعر انهم ممن كانوا يشتركون فى تحرير المجلة مثل : أمين الريحانى و جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمه و غيرهم . ولقد شارك فى تحريرها أيضا الأمريكيين من المهتمين بشئون

---

٧٢ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٥٦

٧٣ . جريدة الهدى ظلت تصدر هناك و تتولى امرها صاحبتها الآنسة مارى مكرزل ، كما انها تملك جريدة تصدر باللغة الإنجليزية بعنوان : Lebanese American Journal مجلة الضاد الحلبية، فبراير ١٩٧٢م. المصدر السابق، ص ٧١

Dhaka University Institutional Repository



السوريين و بعض الصحفيين الأجانب أيضا و فى مدينة فيلا دلفيا أنشأ سلوم مكرزل جريدة الوطنية عام ١٨٩٩م وإن تعرف كثيرا أو تعمر طويلا . وبالإضافة إلى كل هذا سلوم مكرزل صاحب المطبعة السورية الأمريكية التى كانت تقوم بطبع جميع الكتاب والمنشورات العربية فى العالم الجديد . وليس بغريب إذن أن يغتنى هذا الرجل الذى أصبح علما فى تاريخ الصحافة المهجرية و أن يستفيد منه الوطن و يفيد فى مصايف لبنان الجميلة أكثر من فندق عصرى فخم أنشئ بأموال سلوم مكرزل وعائلته.

و ثالث جريدة عربية كان لها اسمها و أهميتها بين السوريين المهاجرين جريدة مرآة الغرب التى أسست عام ١٨٩٩م ، و كان صاحبها نجيب موسى قد عمل زمنا فى تحرير جريدة كوكب أمريكا السابق ذكرها ، شهرته مقالاته الوطنية فى الدفاع عن قضية بلاده ضد مظالم الأتراك وظل من كتابة مقالاته فى جريدته الجديدة حتى أصبح اسمه ضمن المحكوم عليهم من حكومة تركية ٧١-٧٢ .[٧٤]

و من أشهر الجرائد العربية أيضا جريدة السائح[٧٥] التى تأسست فى مدينة نيويورك عام ١٩١٢ م ، و قد كانت ميدانا لأعضاء الرابطة القلمية و غيرهم من الكتاب، و دارها ندوة لهم مجتمعون فيها كل يوم فيتناولون بابائهم شتى الموضوعات الاجتماعية والعلمية و الأدبية . و كانت إدارة جريدة السائح تصدر فى كل عام عددا ممتازا يقع فى مجلد فخم وطبع أنيق محلى بالصور والرسوم ومدبجا بأقلام أشهر الكتاب والشعراء من السوريين هناك خاصة أعضاء الرابطة القلمية . كما لا تنسى أن بعض كتاب الشرق العربى كانوا يشاركون فى تحرير السائح الممتاز و فى تحرير غيره من الصحف المهجرية أحيانا . و سيلى الكلام بتفصيل أكثر عن السائح عند الحديث عن الرابطة القلمية و أعضائها الذين كان صاحب السائح الأستاذ عبد المسيح حداد واحدا منهم . هذا ولا تزال جريدة السائح تصدر فى نيويورك إلى اليوم و لها هناك إدارة معروفة تقوم بخدمة العرب والعربية فى بلاد الأمريكيين لا تبخل فى الوقت نفسه على من يود التزود بأخبار الصحافة المهجرية والأدب المهجرى من أبناء الشرق العربى أيضا .

و يطول بنا الحديث لو أردنا التفصيل فى كلام عن كل جريدة من صحف المهجر، فيكفى هنا الإشارة إلى أسماء بعض الصحف الأخرى التى صدرت هناك مثل : جريدة

---

٧٤ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٧١-٧٢

٧٥ . توفى صاحب جريدة السائح المرحوم الأستاذ عبد المسيح حداد فى مدينة نيويورك فكان آخر علم من أعلام الرابطة القلمية هناك و ضعت السائح إلى صاحب جريدة البيان التي تصدر فى ديترويت ميتشيجان ، الذى ضم جريدة مرآة الغرب من قبل . مجلة الضاد ( فبراير ١٩٧٢م) .

Dhaka University Institutional Repository



البيان ، التى كانت تصدر فى نيويورك وانتقلت إلى ديترويت فى ولاية ميتشيجان ، و ظلت تؤدى خدمات ناجحة فى حقل الروابط الثقافية والأدبية والتجارية والسياسية بين العرب المهاجرين والمقيمين ، ثم هناك جريدة الدليل المهاجر الإصلاح و الأيام فى نيويورك و فى مدينة بوسطن : البستان وسوريا الجديدة ، والجامعة السورية . وفى واشنطن : جريدة العاصمة . وقد وجدت جرائد فى بعض المدن الأخرى مثل ديترويت و فيلا دلفيا ، و بعض هذه الجرائد العربية فى كندا والمكسيك ، مما يدل على أن هؤلاء المهاجرين السوريين كانوا يباشرون نشاطهم الصحفى والأدبى فى كل بلد ينزلون فيه.أما المجلات الأدبية فقد وجد منها عدد لا باس به أيضا ، وعلى راس هذه المجموعة يذكر مجلة الفنون التى أنشأها الشاعر نسيب عريضه عام ١٩١٣م و كانت تنشر شتى المواضيع العلمية والاجتماعية والأدبية والفنية ، ولكن الحرب العالمية قضت عليها. ثم كانت هناك مجلة الأخلاق و المجلة التجارية السورية الأمريكية لصاحبها سلوم مكرزل وكانت فريدة بأبحاثها الاقتصادية والمالية ، وقد مر الكلام عنها وعن صاحبها.[٧٦]

وفى عام ١٩٢٩م أنشأ الشاعر المهجرى إيليا أبو ماضى مجلة السمير[٧٧] التى كانت تطالع قراءها بمختلف الموضوعات الاجتماعية والأدبية . وقد أفرد فيها باب للشعر يسجل فيه صاحبه ما يجد من نفحاته الشعرية الطلبة ، كما يفتح المجال فيه لغيره من الشعراء الذين يتصلون به من مهاجرى الشمال والجنوب ، ولم تقتصر الصحافة العربية فى المهجر على الرجال وحدهم ، فقد شاركت المرأة السورية فى إدارة بعض الصحف والمجلات ، كما ساهمت فى تحرير أبواب مختلفة فيها . وفى طليعة هؤلاء الصحفيات السيدة عفيفة كرم مؤسسة مجلة العالم الجديد عام ١٩١٢م .

و الواقع أن الصحافة العربية فى المهجر قد أدت خدمات جليلة للغة العربية والبيان العربى ، ولعل أجل عمل قامت به هو إبقاؤها على الروح العربى والثقافة العربية والتراث العربى ، فى قلوب أولئك الذين ابتعدوا بأجسادهم عن الوطن العربى ، و لكنهم ما زالوا على صلة به بأرواحهم وعقولهم وعواطفهم ، كما أنها قد ساعدت فى إدخال الحرية الأمريكية إلى نفوس أبناء الشرق الذين كانت تهب عليهم نسمات طرية منها مع وررد هذه الصحف والمجلات ، ومن الجدير بالذكر أن بعض السوريين قد

---

[٧٦] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٧٣

[٧٧] . توفى الشاعر ايليا أبى ماضى فى نيويورك أيضا منذ بضع سنين ، وضمت مجلة السمير إلى صاحب البيان كذلك . مجلة الضاد الحلبية ، عدد فبراير ١٩٧٢م ، ص ٦٨

Dhaka University Institutional Repository



اشتركوا فى تحرير مجلات أمريكية وجرائد محلية معروفة ، بل إن منهم من اختصوا بكتابة أعمدة معينة عرفوا بها . وقد ذكرنا آنفا أن سلوم مكرزل قد انشأ مجلة العالم السورى بالإنجليزية . ولا شك أن هذه الجهود التى بذلها السوريون فى الصحافة الأجنبية قد ساعدت فى تعريف الشرق إلى الأمريكيين و فى رسم صورة صادقة للعرب فى عالمهم العربى ، ومن جهة أخرى كان لهذه المقالات فضل فى تقريب وجهات النظر بين السوريين المهاجرين و من يعايشونهم من الأمريكيين .[٧٨]

والمتأمل فى تاريخ الصحافة العربية و تطورها فى أمريكا الشمالية ، يلاحظ أنها بدأت ضئيلة أول الأمر و لم تتجاوز صفحات جرائدهم الثلاثة أو الأربعة ، و أنها كانت تعنى فى البداية بأخبار المهاجرين الاقتصادية والاجتماعية وأخبار الوطن السياسية . وبالطبع لم تكن الجرائد المهجرية لترضى أصحابها أو تحقق آمالهم فيها دفعة واحدة. فقد كانت هناك عوائق كثيرة تقف فى الطريق ، ولم يملك أصحاب الصحف أمرا فى تذليلها ، فمن ذلك قلة وسائل النقل فى ذلك الوقت وصعوبة المواصلات التى كانت تكلفهم كثيرا فتقلل من توزيع صحفهم وتقضى على سرعة انتشارها . ولا شك أن الصحف الأمريكية كانت مزدهرة واسعة الانتشار مما أدى إلى قلة قراء هذه الصحف العربية بين المهاجرين . هذا عدا أن أصحاب الصحف العربية فى المهجر لم يكونوا من ذوى الخبرة او سعة المعلومات والمعارف ، أى أنهم كانوا ناشئين مبتدئين فى هذا الميدان فقليل منهم من مارس الصحافة كمهنة فى وطنهم القديم .[٧٩]

ولكن شيئا فشيئا ، أخذت الصحف العربية فى المهجر تسير نحو التقدم والتوسع والازدهار ، فزادت صفحاتها و تنوعت أبوابها بتنوع أحوال المهاجرين المعيشية و تنور أفكارهم ومدى اقتباسهم للحياة الحرة الجديدة ، وسرعان ما ظهرت الإعلانات الكبيرة فى الجرائد العربية المختلفة لأشهر المجلات السورية الجارية فى العالم الجديد . و حين بدأ ظهور الشعراء والأدباء فى أمريكا ، احتلت كتاباتهم صفحات تلك الجرائد فكانت أكبر مشجع لقراء العربية ، و خاصة بعد أن عرف أمين الريحانى و جبران و نعيمه و غيرهم فصارت هذه الصحف تصل إلى الشرق العربى ، و أخذ الناس هنا يقبلون عليها و ينقلون عنها و يقتبسون مما فيها و يعتمدون عليها فى بعض كتاباتهم و تأليفهم عن المهاجرين والأدب المهجرى .

---

٧٨. شعراء الرابطة القلمية ، ص ٧٣-٧
٧٩. المرجع السابق ، ص ٧٤

Dhaka University Institutional Repository



إلا أننا نلحظ ضائقة مالية قاسية تحل بالصحف المهجرية و إدارتها ، و ذلك على أثر الحرب العالمية الأولى ، مما أدى إلى اختفاء عدد من الجرائد والمجلات الأدبية، و أهمها مجلة الفنون . و إذا أضفنا إلى عامل الحرب هذا عاملا آخر هو رغبة بعض المهاجرين - و عددهم ليس بالقليل - فى العودة إلى الوطن القديم بعد انتهاء الحرب الأولى ، أمكننا تفهم مدى القلق المادى الذى اعترى أصحاب هذه الصحف والمجلات و خوفهم من قلة القراء فيما لو حدث هذا .

و لكن عدد الاستقرار الاجتماعى والسياسى فى الشرق العربى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى مما جعل سورية مسرحا للثورات والفتن ، و مما ترك أثرا سيئا فى أحوال البلاد الاقتصادية ، جعل هؤلاء المهاجرين يفكرون فى العدول عن رأيهم فى السفر و يصممون على البقاء فى أمريكا ، و خاصة إذا قارنوا ظروفهم الاقتصادية و واقع حياتهم فى العالم الجديد بتلك الظروف والحياة القاسية التى خلفوها والتى كانت تنتظرهم فى الشرق فى أعقاب الحرب العالمية الأولى - تلك الظروف والأحوال التى أبدع الكثيرون من شعرائهم فى تخيلها و تصويرها و خاصة الشاعرميخائيل نعيمه فى قصيدته المشهورة التى بعنوان" أخى" والتى يقول فيها :

أخى إن عاد بعد الحرب جندى لأوطانه
وألقى جسمه المنهوك فى أحضان خلانه
فلا تطلب إذا ما عدت للاوطان خلانا
لأن الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى أشباح موتانا[٨٠]

و من هنا أخذ المهاجرون السوريون يعدون أنفسهم لكى يصبحوا مواطنين أمريكيين مقيمين ، وكان طبيعيا أن ينتج عن هذا الشعور والاستعداد تقليل للشعور الذى كان يدفعهم إلى التعلق ببلادهم الأصلية ، من حيث اللغة والعواطف وغيرها من الروابط المادية والمعنوية . وربما كان هذا قد حدث لا شعوريا بالنسبة لهم ، ولكنه حدث فعلا من غير شك . وما لبث أن صدر قانون الهجرة فى الولايات المتحدة بتقليل عدد المهاجرين وعدم التساهل فى منح الجنسية الأمريكية وغير ذلك من القيود . كل هذه العوامل وغيرها جعلت موقف الصحافة العربية دقيقا للغاية وساور القلق

---

٨٠ . المرجع السابق ، ص ٧٥

Dhaka University Institutional Repository



أصحاب هذه الصحف والمجلات مرة أخرى ، فجاء رد الفعل لهذه الحركات فى حملة من الحماسة للغة العربية والأدب العربى والوطن العربى ، منشورة على صفحات مختلف الجرائد المهجرية ، وكلها تطالب بوجوب تعليم اللغة العربية للسوريين فى مدارسهم، بل فتح مدارس سورية خاصة لأبناء السوريين والعرب فى العالم الأمريكى .

وسواء أنفعت هذه الحملة أم لم تؤت أكلها فى ذلك الوقت ، فالذى حدث أن قانون المهاجرة صدر فعلا و توقفت الهجرة أو كادت . ولكن بعض الجرائد المهجرية والمجلات الأدبية هناك صمدت للصدمات واستمرت فى الصدور وما لبثت أن تغلبت على العقبات وعادت إلى سالف شهرتها بين أبناء الضاد فى الغرب والشرق العربى .

Dhaka University Institutional Repository



# الباب الثالث : الرابطة القلمية

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الاول : الفنون مجتمع الشعراء

أخذت تظهر على صفحات الجرائد الأدبية والثقافية أحوال المهاجرين من أخبارهم السياسية و ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية فى نيويورك و غيرها من المدن الأمريكية بواسطة كتابات نثرية وشعرية لأدباء لم تكن معروفة فى أول الأمر ، ولكن سرعان ما شهرت وذاعت ، و كان أول من شهر من هؤلاء : أمين الريحانى (١٨٧٦-١٩٤٠م) وجبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١م)، وما لبث هذان الأديبان أن عرفا فى المجتمع السورى الأمريكى بآرائهما المتحررة و أفكارهما الجريئة و كتاباتهما القيمة ، وأخذ الكل يقبل على قراءة ما ينتجان و ينشران من شعر منظوم و منثور و نثر شعرى جميل . و لكن أمين الريحانى ما لبث أن سافر إلى لبنان ، موطنه الأول ، و من هناك قام بسلسلة من الرحلات فى البلدان العربية والأوربية ، و كان يعود بين الفينة والفينة إلى أمريكا فينثر عليهم من مواعظه و أفكاره و آرائه الشىء الوفير .[٨١]

أما جبران فظل يكتب بالإضافة إلى عمله الفنى فى الرسم والتصوير ، و لعل أول جريدة نشرت له وعرفت به فى تلك البلاد هى جريدة المهاجر لمؤسسها أمين الغريب ، فهو الذى نشر له أول مقال فى ذلك الحين ، ثم تتابعت مقالاته فيها إلى أن ظهرت مجتمعة فى الكتاب الذى دعاه عرائس المروج وتولى نشره صاحب المهاجر . وأعجب الناس بأسلوب جبران الخيالى ونظراته التأملية وعاطفته المتقيدة من خلال نثره الشعرى الرقيق . و سرعان ما أخذ بعض الشباب من المهاجرين فى تقليده والائتناس بروحه الشعرية التى نفخها فيهم فاستجابوا لها، فظهر فيهم كتاب نشرت لهم الجرائد العربية فى ذلك الوقت و ما لبثوا أن تعارفوا وائتلفوا ، فإذا هم جميعا يسيرون فى طريق واحدة ولغاية واحدة لخصها لهم جبران فى : بعث الأدب العربى وبث روح جديدة فيه أبعد ما تكون عن الخمول الذى تعود الناس أن يسلكوا طريقه .

و فى ذلك الوقت و ما لبثوا أن تعارفوا وائتلفوا ، فإذا هم جميعا يسيرون فى طريق واحدة ولغاية واحدة لخصها لهم جبران فى : بعث الأدب العربى وبث روح جديدة فيه أبعد ما تكون عن الخمول الذى تعود الناس أن يسلكوا طريقه . و فى ذلك الوقت ظهرت بين ظهرانيهم مجلة فنية أدبية أعجبوا بها وانضموا تحت لوائها ، تلك هى مجلة الفنون التى أسسها الشاعر نسيب عريضة فى مدينة نيويورك سنة ١٩١٣م وكان جبران بالطبع

---

٨١ . المرجع السابق ، ص ٧٧

Dhaka University Institutional Repository



أبرز كتاب الفنون ، كما كان يرسم لها اللوحات والصور التى تضفى عليها لونا قشيبا من الجمال الروحى إلى جانب جمالها المادى المحسوس .[٨٢]

أما ميخائيل نعيمه ، فإنه كان حتى ذلك الوقت ما يزال يدرس فى جامعة واشنطن بعيدا عن ذلك الميدان الأدبى الذى نتحدث عنه . ويروى لنا فى كتابه عن جبران خليل جبران كيف كان أول تعارفه بتلك الزمرة المجددة من الأدباء مقالة قرأها فى إحدى جرائد نيويورك العربية حول رواية الأجنحة المتكسرة لجبران . ولم تعجبه الطريقة النقدية القديمة التى سار عليها كاتب المقال ، بل لقد اعتبرها هو تقريظا لا نقدا ، إذ أن كاتبها سار فيها على نفس الطريقة المعروفة حتى ذلك الحين فى تقديم الكتب والكتاب و ذلك بمدح الكاتب وإطرائه و إسباغ الألقاب عليه بحق ، ثم وصل إلى يده مرة عدد من مجلة الفنون السابق ذكرها ، فأعجبه منها ذلك الذوق السليم فى الطبع والتنظيم والتنسيق ، كما سر لما حوته من صور فنية و شعرية لا أثر فيها لعقيم الغزل والرثاء و كاذب المديح ، أما نثرها ففيه روح الجدة والطلاوة ، علاوة على منتخبات مترجمة لبعض أعلام كتاب الإفرنج ، واعتبر نعيمه هذه المجلة هى المكان المناسب للنقد الذى يبغى نشره ، و ما إن حصل على رواية الأجنحة المتكسرة نفسها حتى كتب نقدا لها بقلمه جعل عنوانه "فجر الأمل بعد ليل اليأس" ندد فيه بالجمود الذى أصاب اللغة العربية مدة من الزمان انصرف فيها كتابها عن الحياة فى نفوسهم وعما حولهم إلى بهرج اللفظ والتقليد البغيض . ومن حيث الرواية نفسها فقد بين كل ما فيها من نقص فنى ، و لكنه لم يجد بدا من الاعتراف بأنه وجد فى جمال أسلوبها فجر عصر أدبى جديد، و فى صاحبها إمارات نبوغ لابد أن تتحقق . و بعث المقال إلى مجلة الفنون . وما إن اطلع عليه جبران حتى ألح طالبا التعارف بكاتبه و لكن كاتب المقال كان مشغولا بدراسته فى الجامعة فلم يتيسر له تحقيق آمال صاحب الأجنحة المتكسرة.[٨٣]

وواصلت الفنون صدورها زمنا إلى أن نشبت الحرب العظمى الأولى فأوقعتها فى أزمات مادية و معنوية لم يكن من الممكن التغلب عليها ، فتوقفت عن الصدور و كان آخر عمل أدبى قامت به هو أن صاحبها نسيب عريضة نشر لجبران كتاب دمعة وابتسامة حاويا المقالات التى ظهرت له بهذا العنوان فى بعض صحف المهجر قبل ذلك بوقت مبكر ، وكان جبران قد أبى نشرها أول الأمر لأن هذه المقالات أصبحت قديمة بالنسبة إليه ، ولأن نظرته إلى الحياة قد تغيرت اليوم عما كانت عليه عندما سطر تلك

---

٨٢ . المرجع السابق ، ص ٨٧

٨٣ . ميخائيل نعيمه، جبران خليل جبران ، (بيروت:١٩٤٣)، ص ١٥٤- ١٥٧

Dhaka University Institutional Repository



الدموع والبسمات. ولكن نسيب عريضة ألح عليه فى نشرها إلى أن سمح له ، فأظهرها للقراء فى أبريل عام ١٩١٤م .

وفى عام ١٩١٦م عادت الفنون إلى الظهور بعد اختفائها أكثر من عامين و بعودتها عادت الآمال إلى صاحبها فى أن يحقق لها ما يرجوه من خدمة اللغة العربية والأدب العربى فى بلاد لا تمت إلى ما هو عربى بأدنى صلة . واشترك معه فى إدارتها صديقه نظمى نسيم ، و كتب الشريكان إلى ميخائيل نعيمه يرجوانه الحضور إلى نيويورك والاشتراك معهما فى إدارتها و فى تحريرها ـ و كان نعيمه يعرف نسيبا من قبل إذ كانا زميلين فى مدرسة المعلمين الروسية بمدينة الناصرة بفلسطين قبل هجرتهما إلى أمريكا ـ و فى نيويورك تعرف نعيمه بجبران ، والتأم الشمل و تشابكت الأيدى ، واتحدت الآراء التى ظهرت آثارها على صفحات الفنون من جديد . وأحس كل فرد منهم بعاطفة صادقة تجاه المجلة التى ألفت قلوبهم و آخت بينهم ووحدت أهدافهم ، فأحبوها واعتزوا بها وحافظوا عليها بكل ما وسعهم الجهد والعمل .[٨٤]

و لكن الفنون لم تعش طويلا لتحقق لهؤلاء الأدباء آمالهم ، فما كانت لتصمد و تداوم الصمود أمام الأزمات العديدة التى خلفتها الحرب ، فقضى عليها كما قضى على غيرها من الصحف والمجلات العربية والإفرنجية ، فأصاب أصحابها و مريديها من الألم والأسى ما أصابهم ، و حاولوا جاهدين إعادة الحياة إليها مرة أخرى والارتفاع بها لتظل كما كانت عزيزة على نفوسهم غالية فى قلوبهم ، و لكنهم لم يفلحوا فى محاولاتهم فعادوا بغصة فى الصدر و حسرة فى النفس ، و خاصة نفس جبران الذى كانت تنشر له إلى جانب شعره و نثره بعض رسومه وصوره التى بدأ يعرف بها فى المجتمع الفنى الأمريكى ، و كذلك زميله ميخائيل نعيمه الذى يقول فيها : محت الحرب فيما محته من الأسماء اسم الفنون من سجل الصحافة فقضت على زنبقة هيفاء فواحة فى حقلنا الأدبى كنت و جبران نتعشقها و نغار عليها غيرة غارسها وولى أمرها ـ نسيب عريضة ـ و أشد، فقد كانت لنا ، ولكتلة صغيرة من الأدباء فى نيويورك ، بوقا صافى الصوت لا نخجل من أن ننفخ فيه من أرواحنا . وكانت يدا جميلة و نظيفة يلذ لنا أن نضع فى راحتها نتفا من قلوبنا و أفكارنا لتحملها إلى من تهمهم قلوبنا وأفكارنا.[٨٥]

---

[٨٤] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٧٩

[٨٥] . جبران خليل جبران ، ص ١٧٧

Dhaka University Institutional Repository



والظاهر أن إدارة الفنون كانت مجتمعا لهؤلاء الإخوان يتسامرون و يتباحثون و يتآلفون ، لذلك شق عليهم أن تمت هذه المجلة التى نزلت من نفوسهم هذه المنزلة فارسل نسيب عريضة إلى صديقه ميخائيل نعيمه ـ وكان قد غادر نيويورك إلى بوسطن ـ يرجو منه العودة والعمل من أجل إرجاع الفنون ، وعاد نعيمه وحاول مع زملائه جهده و لكن يظهر أن الضائقة المالية التى حلت بأصحاب الفنون وبإدارتها كانت أكبر من أن تقاوم ، فاختفت من الوجود بين حسرات محبيها ومريديها .

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الثانى : تأسيس الرابطة القلمية

عقد الأدباء والشعراء الذى انتظم وتألق فى جيد الأدب العربى المهاجر ، لم يتفرق بعد موت الفنون بل ظل مجتمعا يعمل ويكد فى سبيل الأدب الجديد ، وكان أحدهم وهو عبد المسيح حداد قد أنشأ عام ١٩١٢م جريدة السائح وجعلها نصف أسبوعية، تحوى إلى جانب أخبارها السياسية والاجتماعية بعض الكتابات الأدبية ، وإن لم تكن خالصة للأدب كما كانت الفنون فما كان من صاحبها إلا أن جعل منها عوضا لزملائه عن مجلتهم الراحلة ، ووضعها تحت تصرفهم ، فنشروا فيها ما لهم من أفكار و آراء ، و أخذت أعدادها تصدر حاوية من الشعر والنثر ما يتلهف عليه كل محب للتجديد . وأصبحت إدارة السائح ملجأ للأدباء - بدل مجتمع الفنون - يجتمعون فيها مرة فى الأسبوع على الأقل ، ويجتمع بعضهم فيها كل يوم إن اتسع له الوقت ، و هكذا تألفت منهم عصبة قوية نزاعة إلى التجديد ، ميالة إلى التحرر والانطلاق ، وإن كانت قوى أفرادها متفاوتة، منهم الكاتب المكثر المتين ، و منهم المقل الذى لا يكتب إلا نادرا، و منهم من كان بين بين ولكنهم جميعا قد اتفقوا فيما يعجبهم ولا يعجبهم من أنواع الأدب . كما كانت تربط بين بعض الأفراد منهم رابطة روحية متينة كتلك التى كانت بين جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمه خاصة .[٨٦]

و لما أحس هؤلاء الأدباء بوحدة الغرض الذى من أجله يعملون ، و أهمية الطريق التى بدأوا يسلكون اجتمعوا فى بيت صاحب السائح - الأستاذ عبد المسيح حداد - فى مساء العشرين من شهر أبريل عام ١٩٢٠م ، ودعوا معهم إلى الاجتماع رهطا من الأدباء والأصدقاء وقرروا أنه لا بد لهم من رابطة تضم قواهم وتوحد مسعاهم فى سبيل اللغة العربية و آدابها ، ويكون غرضهم بث روح جديدة نشيطة فى جسم الأدب العربى ، وانتشاله من وحدة الخمول والتقليد إلى حيث يصبح قوة فعالة فى حياة الأمة . وفى الثامن والعشرين من أبريل عام ١٩٢٠م أصبحت الرابطة القلمية حقيقة واقعة . ففى اجتماع لهم عند جبران ، قرر المجتمعون إخراج الجمعية إلى حيز الوجود و تسميتها باسم الرابطة القلمية . والذين حضروا هذا الاجتماع هم : جبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١م) ، مينخائيل نعيمه (١٨٨٩-١٩٨٨م) ، عبد المسيح حداد (١٨٩٠-١٩٦٣م) ، ندرة حداد (١٨٨١-١٩٥٠م)، إلياس عطا الله (١٨٨٩-١٩٨٨م) ، وليم كاتسفليس ، نسيب عريضة (١٨٨٧-١٩٤٦م) ورشيد أيوب (١٨٧١-١٩٤١م).

---

[٨٦] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٨١

Dhaka University Institutional Repository



**عدد أعضاء الرابطة القلمية :** هم عشرة: جبران خليل جبران (عميد) (١٨٨٣-١٩٣١م) ، ميخائيل نعيمه (مستشار) (١٨٨٩-١٩٨٨م) ، إيليا أبو ماضى (صاحب السمير) (١٨٩٤-١٩٥٧م)، نسيب عريضة (١٨٨٧-١٩٤٦م) ، رشيد أيوب (١٨٧١-١٩٤١م)، ندرة حداد (١٨٨١-١٩٥٠م) ، عبد المسيح حداد (صاحب السائح) (١٨٩٠-١٩٦٣م) ، إلياس عطا الله (١٨٨٩-١٩٨٨م) ، و وليم كاتسفليس ووديع باحوط.[٨٧]

## شرائط الرابطة القلمية

و هؤلاء جميعا أقروا شروط تأسيس الرابطة القلمية و هى كما يأتى :

١- أن تدعى الجمعية الرابطة القلمية و بالإنجليزية - Arrabitah

٢- أن يكون لها ثلاثة موظفين و هم : الرئيس و يدعى العميد ، فكاتم السر و يدعى المستشار ، فأمين الصندوق و يدعى الخازن .

٣- أن يكون أعضاؤها ثلاث طبقات : عاملين و يدعون عمالا فمناصرين و يدعون أنصارا ، فمراسلين .

٤- أن تهتم الرابطة بنشر مؤلفات عمالها و مؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين ، و بترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية .

٥- أن تعطى الرابطة جوائز مالية فى الشعر والنثر والترجمة تشجيعا للأدباء. ثم انتخب الحاضرون جبران عميدا باجماع الأصوات، و ميخائيل نعيمه مستشارا ، و وليم كاتسفليس أمينا للصندوق ، و انضم إلى أعضاء عمال الرابطة فيما بعد الشاعر المهجرى إيليا أبو ماضى والكاتب و ديع باحوط و وكلوا إلى ميخائيل نعيمه أمر تنظيم قانون الرابطة ، فنظمه و وضع له مقدمة شرح فيها روح الرابطة وأهدافها .[٨٨]

و رسم جبران للرابطة شعارا جميلا يمثل دائرة فى وسطها كتاب مفتوح و على صفحتيه خطت هذه العبارة " لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء" و من فوق الكتاب قد أظلت شمس أشعتها نصف الدائرة الأعلى ، و عند أسفل الكتاب سراج شطره الأيمن محبرة قد انغمس فيها قلم تحول حبرها إلى لسان من نور خارج من طرف السراج الأيسر ، و من تحت الدائرة اسم الرابطة القلمية مخطوط بأحرف

---

٨٧ . د. عبد الكريم الأشتر، النثر المهجرى (بيروت: دار الفكر ، ١٩٧٠م)، ص ٤

٨٨ . شعراء الرابطة القلمية، ص٨١-٨٢

Dhaka University Institutional Repository



مستقيمة الزوايا تشبه بعض أنواع الخطوط الكوفية و من تحت اسم الرابطة بالإنجليزية فعنوانها و هو عنوان جبران [٨٩]

**نشر كتب الرابطة القلمية**

و على أثر تنظيم الرابطة أخذت كتابات أعضائها تظهر على صفحات جريدة السائح و تحت عنوان كل مقال اسم صاحبها متبعا بهذه الكلمات العامل فى الرابطة القلمية و هو اللقب الذى أطلقوه على كل فرد عامل فى الرابطة بمعنى العمل المجدى المنظم الذى يهدف إلى التحسين والتقدم ، و أقبل السوريون والعرب فى المهجر على قراءة السائح و متابعة ما تنشره من أثار هؤلاء الكتاب والشعراء، فاستجابت إدارة الجريدة لهذا الإقبال بأن أخذت تصدر كل عام عددا ممتازا ، عبارة عن مجلة من الحجم الكبير ، ذات غلاف متين أنيق ، و بداخله ورق أملس مصقول ، و كان يشترك فى تحرير هذا العدد الفخم جميع عمال الرابطة القلمية ، و يشترك معهم بعض أدباء العرب فى أمريكا نفسها مع نخبة من أدباء العرب فى مصر والشام و غيرها من البلاد الناطقة بالضاد . و ما كان يفوق جبران رسام الرابطة أن يحلى أعداد السائح الممتاز برسومه الجميلة المعبرة عن فنه الروحى السامى . يقول نادرة السراج : قد اطلعت على عددين من أعداد السائح الممتاز فوجدت فى صفحتيهما الأوليين صورة من رسم جبران عبارة عن ملاك فى شخص إنسان يحمل بيده اليمنى كتابا معنونا باسم جريدة السائح و فى يده اليسرى يحمل الكرة الأرضية ، و من تحت هذه الصورة كتب بخط مستقيم الزوايا أشبه بالرسم منه بالكتابة السائح الممتاز مع ذكر السنة أيضا ، و ربما كان هذا الرسم فى فاتحة كل عدد من هذه الأعداد الممتازة التى صدرت من جريدة السائح فى سنين متعاقبة.[٩٠]

و هذا العدد الممتاز من السائح كان يطلع على الأدب العربى فى المهجرين الشمالى والجنوبى و فى بلاد العرب نفسها كحدث جليل ، فكتبت الصحف فى تقريظه والثناء عليه و على القائمين به فصولا ممتعة تسجل للأدباء المهاجرين بالفخر والاعتزاز كما كانت بعض الصحف والمجلات الأدبية فى البلاد العربية تنقل عنه ما يشتاق إلى قراءته الظامئون من شعر و نثر .

---

[٨٩] . جبران خليل جبران ، ص ١٧٩ ـ ١٨١

[٩٠] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٨٢-٨٣

Dhaka University Institutional Repository



يقول د. نادرة السراج : لقد اطلعت على عددين من أعداد السائح الممتاز أحدهما لعام ١٩٢٥م والثانى لعام ١٩٢٧م ، فوجدت فى كل منهما سفرا نفيسا ، إن دل على شئ فإنما يدل على مبلغ تلك الروح النشيطة الناهضة و تلك الهمة الفتية المحمودة اللتين قامتا على إحياء الأدب العربى فى بلاد الغرب و جاءت محققة لما شرعه رئيس الرابطة وعاونه فيه أعضاؤها من التجديد المنشود فى الشعر والنثر العربيين. و لقد أعجبنى فى السائح الممتاز ذلك التبويب الأنيق والتنسيق الدقيق بالإضافة إلى غزارة المادة وحسن الأداء . وكما ذكرت ، كانت هذه الأعداد و أمثالها تقابل فى وقتها بإعجاب و ثناء حارين ، يدلنا على ذلك ما كتبه الدكتور يعقوب صروف (١٨٥٢-١٩٢٧م) أحد صاحبى مجلة المقتطف فى عام ١٩٢٢م إذ قال : إن كانت الأندلس قد عطرت الشعر العربى بأريج رياضها فأمريكا قد ألبسته حللا من الحياة والنور و مزجت النثريه مزج الراح بالراح ، و جسمت صوره الخيالية حتى تكاد تلمسها باليد و لو أنها ألطف من الأثير . و مهما قلنا فى وصف هذا العدد من السائح لا نوفه حقه.[٩١] وقال فى عدد السنة التالية جاءنا السائح ممتازا فى كل شىء جوهرا و مادة، مقالات فلسفية و قصائد حكمية و فكاهات أدبية وانتقادا يفصل الحق من الباطل وصورا لا تفضلها الصور الشمسية ، وطبعا جميلا على ورق صقيل الخ.

و أتصفح كلا من العددين اللذين بين يدى فأجده حاويا شتى الموضوعات الفلسفية والاجتماعية والأدبية والنقدية بأقلام بعض عمال الرابطة أمثال جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمه و وليم كاتسفليس و أمين مشرق و غير هم من الأدباء فى المهجر والبلاد العربية نفسها أمثال فيليب حتى وعباس محمود العقاد و يعقوب صروف و غيرهم ، بالإضافة إلى قصائد و مقطوعات شعرية جميلة لإيليا أبى ماضى و نسيب عريضة و ندرة حداد و رشيد أيوب ، بل إنى لأجد فى عدد سنة ١٩٢٥م موشحا لطيفا من شعر رشيد سليم الخورى (١٨٨٧-١٩٨٤م) الشاعرى القروى و هو من المهجر الجنوبى ، مما يدل على أن التعاون كان قائما لا بين عمال الرابطة وأعضاء إدارتها فحسب ، بل بينهم و بين المهجر الجنوبى أيضا فى بعض الأحيان .[٩٢]

---

[٩١] . يعقوب صروف وفارس نمر، المقتطف ( القاهرة: مارس ١٩٢٢م) ؛ المصدر السابق، ص ٨٣

[٩٢] . المرجع السابق ( مارس ١٩٢٣م )، ص ٨٣

Dhaka University Institutional Repository



## الأسئلة حول الرابطة القلمية والأجوبة عنها

الأسئلة :

١- رابطتان قلميتان أم واحدة...ومن هم الأعضاءالمنتسبون ؟

٢- هل تأسست "الرابطة القلمية" في العام ١٩٢٠م ؟

٣- وهل خلت لائحة المؤسسين والأعضاء من اسم أمين الريحاني ؟

الأجوبة :

ولنبدأ من السؤال الثاني. يجيب أحد أركان الرابطة ميخائيل نعيمة في سياق مذكراته: "أما أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠م) فلم نضمّه إلى "الرابطة" لسببين: أولهما انه كان متغيباً عن نيويورك عند تأسيسها .وثانيهما - وهو الأهم - إنه كان على خلاف بلغ حد الجفاء مع جبران ." ولكن مجلة "الفنون" وجريدة "السائح" قد نشرتا مقالات وقصصاً للريحاني، ورد توقيعه عليها مقروناً بعبارة: "عضو في الرابطة القلمية."

بل أن نعيمة يؤكد، بعد أكثر من نصف قرن من ولادة الرابطة أن أعضاءها عشرة وهم: رشيد أيوب، ندرة حداد، جبران خليل جبران، وليم كاتسفليس، وديع باحوط، إلياس عطا الله، نسيب عريضة، ميخائيل نعيمة، إيليا أبو ماضي، عبدالمسيح حداد ولكم الأسماء الواردة في "مقالات الفنون" و"السائح" تتضمن، إضافة إلى الأسماء العشرة الآنفة، واسم الريحاني، إسما آخر هو أمين مشرق (١٨٩٨-١٩٣٤م) . أكثر من ذلك، فان أحد اركان الرابطة عبد المسيح حداد، وهو صاحب جريدة "السائح" كان قد أكد ان نجيب دياب "صاحب جريدة "مرآة الغرب" النيويوركية، انتسب أيضاً الى الرابطة. وهو ، أي حداد ، جزم في المكان نفسه، إن الريحاني انتسب إلىالرابطة ؟ ما هذا التضارب ؟ نعيمة يقول إن أعضاء الرابطة عشرة، ولا يأتي على ذكر مشرق والريحاني ودياب. عبد المسيح حداد يضيف الريحاني، ودياب إلى العشرة. أما "السائح" و"الفنون" فتوردان اسم مشرق مقروناً باسم الرابطة القلمية اضافةالىالأسماء الدزينة ! يعود ذلك التضارب الى أن "الرابطة" التي يتكلم عنها نعيمة هي التي "ولدت" في إبريل ١٩٢٠م في حين ورد اسما الريحاني ومشرق في "الفنون" و"السائح" الصادرتين في ١٩١٦م . اما اسم دياب فقد أورده عبد المسيح حداد مع اسم الريحاني، ضمن العبارة التالية: "ان الرابطة ولدت أول مرة خلال الحرب، وكان من أعضائها الريحاني. ولكنها حلت نفسها سريعاً لأن نجيب دياب، صاحب "مرآة الغرب" انتسب إليها. وهو لا يتفق معهم في الفكر والشعور." والسؤال الآن : هل تكون "الرابطة" التي تأسست في إبريل ١٩٢٠م، هي نفسها" الرابطة"التي تأسست في إبريل ١٩١٦م ؟ نعيمة لا يأتي بالمرة على ذكر الرابطة الأولى. ولكن حداد، وهو ركن من أركانها،

Dhaka University Institutional Repository



وجريدته كانت منبر الرابطة الرسمي، يذكر أنها ولدت في الحرب، ولم تستمر بسبب دياب أن كلام حداد يؤكد أن الرابطة الثانية هي نفسها الرابطة الأولى، بقوله "إن الرابطة ولدت أول مرة خلال الحرب" فلو كانت الرابطة التي ولدت في إبريل ١٩١٦م غير الرابطة التي بعثت في إبريل ١٩٢٠م، لكان قال مثلاً أنهم أسسوا جمعية أدبية قبل أربع سنوات ولم تنجح، فعادوا واسسواالرابطة القلمية المعهودة.

تعزز رأي حداد عدة قرائن منها التشابه في التعريف الذي ورد في" السائح" عن ظروف نشأة الرابطة في العامين نبدأ بالاسم الذي أطلق في العام ١٩١٦ على "الرابطة القلمية"، وهو استمر كذلك في العام ١٩٢٠م. ١٩١٦م و١٩٢٠م حيث تضمن شيئامن مبادئه.

كان من عادة الجمعيات، ـ باستثناء السرية منها ـ أن تعلن عن نفسها في لحظة تأسيسها ولكن الرابطة خالفت التقاليد. في المرة الأولى، استمرت حوالي الشهرين، متكتمة عن الاعلان عن نفسها، باستثناء ورود اسمها مقروناً باسم العضو في رأس او ذيل المقالة المنشورة له في "السائح" أو "الفنون" او "مرآة الغرب". وفي المرة الثانية، فعلت الشيء نفسه.والطريف، ان الإعلان عن نفسها، في المرتين، قد تم في يونيو، حيث يمكن الاستنتاج أن الرابطة "الأولى" قد ولدت في إبريل أي قبل شهرين من الإعلان عنها، بدليل أن أحد أعضائها إلياس عطا لله قد ورد اسمه مقروناً باسم الرابطة في جريدة "السائح" الصادرة في ٤ مايو ١٩١٦م. وإذا علمنا أن الجريدة كانت نصف أسبوعية، وأن العدد الذي ورد اسم عطا لله فيه، كان قد حرر بكامله قلمه، وهذا يقتضي منه استعداداً ينوف على الاسبوعين... أمكننا الاستنتاج أن اسم الرابطة قد رافق اسم عطالله في إبريل وليس في مايو. وباعتبار أن أسماء أعضاء الرابطة لم ترد قبل ذلك التاريخ مقرونة باسم الرابطة.. فيمكن الاستنتاج أن رابطة ١٩١٦م قد ولدت في نيسان .كذلك هو حال رابطة ١٩٢٠م ، حيث يقول نعيمة انها ولدت "في إبريل سنة ١٩٢٠م". ومثل هذا الامر، لا يتم، خصوصاً في العالم العربي، بمحض الصدفة الا ما ندر. اذ ان العديد من الصحف والأحزاب التي تضطرها ظروفها الصعبة الى التوقف... تستأنف تحركها في التاريخ نفسه الذي توقفت فيه تدليلاً على ان توقفها لم يكن إرادياً بل اضطرارياً. ثم إن جريدة الرابطة شبه الرسمية كانت في ١٩١٦م "السائح"... وهي استمرت كذلك في ١٩٢٠م وحتى توقف الرابطة، عن النشاط نهائياً في نهاية عشرينات القرن الماضي. وثمة دليل قوي على أن الرابطة رقم ٢ هي استمرار للرابطة رقم واحد، وهو أن معظم أعضاء هذه استمروا في عضويتهم، في تلك. أما ترك ثلاثة من أصل ١٣ للرابطة، فهو أمر طبيعي. إذ كان يمكن أن يحصل ذلك، في سياق نشاط الرابطة غير المتوقف. والذي ينخرط في الأحزاب والجمعيات والرابطات، يدرك ذلك جيداً.والآن نصل إلى الدليل الحاسم الذي هو بيان الرابطة في ١٩١٦م وبيانها في ١٩٢٠م. وسوف اعرض مضمون

Dhaka University Institutional Repository



البيانين، بالمقارنة بين المبادئ والآراء الرئيسية التي وردت فيهما.في بيان ١٩١٦ يتساءل كاتبه أمين مشرق، المكلف من قبل رفقائه لإعداده: "ما هي الرابطة القلمية ؟ وما هي غايتها ؟ وكم عمرها ؟ ومن هم أعضاؤها ؟ ومن هو رئيسها ؟ ولماذا هي مختبئة الآن ؟ وما هي سياستها ؟ سؤالات تنصب كل يوم، بل كل ساعة، على رؤوس أعضاء الرابطة القلمية."

ويقول كاتب بيان ١٩٢٠م غير الموقع، والذي يفيدنا نعيمه في كتابه سبعون أنه هو كاتبه "سألنا بعضهم أن نذكر شيئاً عن الرابطة القلمية التي كثيراً ما ورد ذكرها على هذه الصحيفة ولهذا نعقد لهم هذا الفصل". وكان الفصل صغيراً وعلى طريقة المختصر المفيد. ولكن كاتبه وعد القراء بتعريف مفصل للرابطة، بقوله: "ولكي يعرف القارئ أكثر عن دعوة الرابطة القلمية، سننشر في العدد القادم غايتها وشيئاً من قوانينها ."وبالفعل، نشرت "السائح" ما وعدت به، متوجًا بالمقدمة الصغيرة التالية: "وعدنا في العدد الماضي بنشر هذه الدعوة ليقف القراء على مرامي الرابطة القلمية في نيويورك، وهذا يكون جواباً للسائلين عن ماهية الجمعية بالذات والكتابة." وقبل أن يقول مشرق ما هي الرابطة، قال ما ليست الرابطة عليه: "ولكن ماذا اقول لكم. جمعية؟ كلا فهي ليستبجمعية. ناد ؟ كلا فهي ليست نادياً سورياً صهيونياً زنجياً.. ليطمئن بال الجمعيات العزيزة، فليس من مزاحم جديد."كذلك فعل نعيمه حين قال: "الرابطة القلمية جمعية ولكنها لا كالجمعيات." ومن معالم اختلاف الرابطة القلمية عن باقي الجمعيات، يذكر مشرق مبدأ من مبادئ الرابطة الذي ينص على انه "لا تقبل الرابطة القلمية استدعاء من طالب دخول، وانما تدخل في عضويتها من تستحسنهم بطلب منها لا منهم.. نحن نعتقد انه يوجد بين الشعب من هم أقدر منا وأرفع منزلة في عالم الأدب .وسيكون لنا الفخر بدعوتهم في المستقبل لمشاركتنا. أما نعيمه فيقول أن الرابطة "هي جمعية لا تطلبها الناس، ولكنها تنتدبهم إليها... فإنها وجدت لتأخذ بيد كل من خصه الله بسر من أسرار الوحي."والرابطة في بيان ١٩١٦م ، كانت حرباً على جمود اللغة العربية والتقليد في الشعر والأدب.. ودعوة الى تحريك اللغة وتجديد الأدب والشعر.يقول مشرق: "قبل أن أبدأ بتعريف موضوعي أرجو أن يسمح لي القراء باستهلال كلامي ببيتين من الشعر ـ كما هي عادة كتبتنا وخطبتنا ـ أترنم فيهما بمدحهم الواجب على كل شفة ولسان، وها هما: ياقوم الكرام ونسل العرب أنتم أهل الجاه والفخر في العالم ولا زلتم أنتم وسوريا على هام السحبيا أفاضل إلى أبد الأبد ولماذا تضحكون" ؟ يضيف يا قوم. لا تظنوا أنني خرجت عن موضوعي. فأنا عارف ماذا أتكلم. قد بدأت بإخباركم عن الرابطة القلمية، ووصلت إلى بيتي الشعر. ولكنني لا أزال في الطريق القديمة المقصودة. نعم. يوجدنسبة تامة بين الرابطة القلمية وبين هذين البيتين. ولكن لسوء الحظ، نسبة عدائية، كنسبة سكين الجراح إلى اللحم الفاسد، أو كفأس البستاني إلى الغصون اليابسة. أفهمتم الآن ما هي الرابطة القلمية وغايتها."وينتقل مشرق

Dhaka University Institutional Repository



إلى اللغة العربية ليؤكد أنها "ليست إلهاً" ولا شيطاناً ولاجناً. هي لغة كباقي اللغات. تنحط إلى أدنى الدركات. وتسمو إلى أعلى الدرجات .وتموت بموت شعبها. وتحيا بحياة المتكلمين بها". يضيف أن أعضاء الرابطة "شرعوا بتهيئة اللغة العربية لطورها الجديد الآتي."

ويعود إلى الشعر والأدب ليقول إن غاية الرابطة "المحافظة على الجرثومة الباقية من آداب اللغة وتغذيتها بالجديد المفيد، وتنقيتها من العقيم البليد". ويسأل القراء: "ما قولكم ببيتي الشعر السابقين ؟ وهل تصدقون أن ثلاثة أرباع شعرائنا من هذه الطبقة" ؟ وهنا يشن مشرق، باسم الرابطة، حملة شعواء على مشجعي "أولئك الشعراء "العديمي الشعور، لكي يصفعوا اللغة من وقت إلى آخر بثرثراتهم المقيأة، ويفقأوا حصرماً في عيون الشعر والشعراء." أما نعيمة، فيقول في الموضوع نفسه إن الرابطة" عامدة إلى إحياء الأدب واللغة معًا" . لماذا؟ لأن "ليس كل من حرر مقالاً أو نظم قصيدة موزونة بالأديب". وفي الوقت الذي يؤكد على "ان الروح التي تحاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء في المعنى والمبنى، فهي في عرفنا سوس ينخر جسم آدابنا ولغتنا، وإن لم نقاوم، فستؤدي إلى حيث لا نهوض ولا تجدد" ؟ ويستدرك نعيمه ليقول: "بيد اننا إذا عملنا على تنشيط الروح الأدبية الجديدة، فلا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع الأقدمين. فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ..تبقى أشعارهم وأفكارهم مصدر إلهام لكثيرين غداً وبعد غد." ويخصص نعيمه اللغة العربية بهذه الكلمات: "من حاجات يومنا، أن ننقي لغتنا من زوائد كثيرة قد فات وقت نفعها فأصبحت أثراً بعد عين وسلاسل تقيد الأقلام والعقول بدون جدوى. فاللغة في نظرنا كيان حي ينمو ويتطور كما تنمو وتتطور جميع الكائنات الحية في العالم، فإن لم تترك لها التقاليد مجالاً للنمو استولى عليها الضعف وحلبها الشلل."

طبعاً، الرابطة التي نشأت لتجديد شباب اللغة والأدب، لا بد من أن تشجع العاملين في هذا الحقل من الموهوبين المجددين.يقول مشرق: "الرابطة القلمية ..تنتخب من حقل هذا الشعب النباتات والشجيرات المستعدة للنمو والصالحة للحياة، وتغذيها بضمها إليها، فتطعمها طعامها اللذيذ وتسقيها ماءها الصافي."

ويقول نعيمة: "غايتها - أي الرابطة - تشجيع الأشياء الأدبية والأخذ بناصر الأدباء ليكون لهم جامعة همّها نشر أعمالهم وتعزيز مكانتهم لخير الأمة واللغة". ويضيف: "الأديب الذي نكرمه هو الأديب الذي خصّ برقة الحسّ أو دقة الفكر أو بعد النظر في تموّج الحياة وتقلبها، وبمقدرة البيان والإفصاح عما تحدثه الحياة في نفسه من التأثير". ويقول "إن هذه الروح الجديدة التي ترمي الى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار والاستنباط في جميل الأساليب

Dhaka University Institutional Repository



والمعاني، لحرية في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة". ويؤكد أن "من حياة يومنا أن نرفع الأديب المستحق إلى حيث ينال حقه."

ويربط كل من مشرق ونعيمة التجديد الأدبي - اللغوي بنهضة الأمة، فيقول الأول: "يا إخوتي. أمامنا اليوم طريقان، إما الموت الذي لا حياة بعده، وإما الحياة باغتنام الفرصة السانحة. الزمان عادل يقدم لكل أمة فرصة بدورها تؤسس أثناءها حياة جديدة لنفسها. ولكن بعض الأمم تحول وجهها عن تلك التقدمية، وتعود فتندم حين لا ينفع الندم، وتتذمر على الزمان وهو عادل. واليوم يوم دورنا. أما أن تتجدد حياتنا إلى ما شاء الله. وإما أن نموت إلى الأبد، وبعدل نموت". ويقول الثاني: "من حاجات يومنا أن نعيد للأدب سلطانه بجعله ترجمان الأمة الناطق بعواطفها وأفكارها ومنارتها التي تضيء لها السبيل وتساعدها على السير من محجة الى محجة في متعرجات التقدم الروحي والاجتماعي. ولا يتسنى لنا ذلك ما لم نقرب بين الأدب وبين حياة الشعب ليصبح الأدب جوهراً من الجواهر التي تتركب منها حياة الشعب، إذا فقده اختلت حياته."

ويرى كل من مشرق ونعيمة أن من مهمات الرابطة النهوض بالعالم العربي عبر تجديد شباب لغته وآدابه.. فيقول مشرق: "سيأتي يوم وهو ليس ببعيد بإذن الله، يرى فيه العالم العربي نتيجة باهرة لهذا السير البطيء الصامت، وما على الله أمر عسير .."ويقول نعيمة: "ستبرهن الأيام عن كفاءتها - أي الرابطة - بما في أفرادها من الهمة والشمم وحب العمل في سبيل الأمة وآدابها."

طبعاً، ثمة تباين بين البيانين ولكنه ثانوي نسبة للمبادئ الرئيسية المشتركة. وهذا التباين ينحصر في نقطتين: الأولى، أن البيان الثاني هو أكثر دقة وصياغة "علمية" من الأول.. والثانية، أن البيان الأول هو أقل معلومات عن دستور الرابطة من الثاني. ومثل هذا التباين لا يدعو الى الاستنتاج بوجود رابطتين، إذ أنه قد يحصل، بالقدر نفسه أو أكثر، في حال عدم توقف الرابطة عن النشاط. وعلى سبيل المثال، فإن "لجنة إعانة منكوبي سوريا" التي أسسها أعضاء الرابطة أنفسهم، قد طرأ على مبادئها بعض التعديل، خلال أقل من عامين، بينما جرى تحريك الرابطة مجدداً بعد أربع سنوات من تجميد نشاطاتها.

"الرابطتان" إذن هما رابطة واحدة هي الرابطة القلمية. و"أعضاؤهما" هم أعضاء الرابطة القلمية. أما العدد الحقيقي فليس معروفاً. ويعزز هذا الرأي، قول أمين مشرق "إن الرابطة القلمية مؤلفة من بضعة عشر عضواً"، في حين لم يذكر نعيمة شيئاً في البيان، لكنه أورد تصنيفاً "طبقياً" في دستور الرابطة ينص على أن أعضاء الرابطة: "ثلاث طبقات:

١ - الأعضاء العاملون ويدعون العمال.

٢ - الأعضاء المناصرون ويدعون الأنصار.

Dhaka University Institutional Repository



٣ ـ الأعضاء المراسلون وهم العمال خارج مدينة نيويورك وضواحيها."ولم يحدد أحد عدد الأعضاء أو الأسماء، باستثناء نعيمة في كتابه "سبعون". ولكن ناسك الشخروب لم يأتِ على ذكر الرابطة التي تأسست في العام ١٩١٦م، ولا هو أشار الى الأعضاء المراسلين من خارج نيويورك. ومن خلال "سبعون" نعيمة و"النثر المهجري" الجزء الثاني لعبدالكريم الأشتر، وبعض أعداد مجلة "الفنون" الصادرة في ١٩١٦م، وكذلك بعض أعداد جريدة "السائح " الصادرة في عامَي ١٩١٦م و١٩٢٠م، نقرأ أسماء الأعضاء المقيمين والمراسلين وهم: جبران خليل جبران، أمين الريحاني، أمين مشرق، نجيب دياب، عبدالمسيح حداد، ندره حداد، رشيد أيوب، الياس عطاالله، نسيب عريضه، وليم كاتسفليس، وديع باحوط، إيليا أبو ماضي، ميخائيل نعيمة، نعمة حاج، مي زيادة، والشاعرالقروى. ولنعد إلى السؤالين اللذين تصدّرا هذه العجالة لنختصر الجواب على النحو الآتي : تأسست الرابطة القلمية الأدبية في العام ١٩١٦م، وتوقفت بعد أشهر بسبب انشغال أعضائها بـ"لجنة تحرير سوريا وجبل لبنان" السياسية. وكان في طليعة مؤسسيها أمين الريحاني، وأمين مشرق الذي كتب بيانها الأول. لم ينتسب ميخائيل نعيمة الى الرابطة عند تأسيسها في العام ١٩١٦م، ولكنه انتمى إليها عند استئناف نشاطها في العام ١٩٢٠م وكتب بيانها الثاني. أما الريحاني، فقد غاب عن الرابطة بعد عودتها، بسبب إعداده العدّة لمغادرة نيويورك والعودة إلى الوطن والبدء بتأليف سلسلة كتبه عن ملوك العرب، وليس لخلافه مع جبران[٩٣].

---

[٩٣] . الرابطة_القلمية/http://ar.wikipedia.org/wiki

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الثالث : صدور مجموعة الرابطة القلمية

صدرت مجموعة الرابطة القلمية لعام ١٩٢١م واشترك فى تحريرها جميع عمال الرابطة و على رأسهم عميدها و فنانها جبران خليل جبران ، ثم ناقدها و فيلسوفها و مستشارها ميخائيل نعيمه و بقية كتابها و شعرائها ، فجاءت كتابا ضخما يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير ، مليئا بالموضوعات الأدبية واللغوية والاجتماعية والفلسفية ، والقصائد الشعرية التى تعالج شتى الموضوعات أيضا . و ما إن وصلت هذه المجموعة إلى العالم العربى حتى تناقلها الكتاب والشعراء و أخذوا يطالعونها بشغف زائد وتطالع نحو البعث والتجديد الذين لاحت آثارهما من خلال سطور المجموعة ، كما ظهرت تباشيرها من قبل على صفحات السائح و مجلة الفنون.[٩٤]

و قبل أن نتعرض لأثر هذا الأدب الجديد فى الشرق العربى . و ما قابله من تأييد أو معارضة ، يجدر بنا أن نتوقف قليلا لنتأمل مميزات هذه الروح الجديدة التى ظهرت فى الأدب المهجرى و على أيدى أعضاء الرابطة ، و جاءت مسطرة فى كل مقال أو قصيدة ضمن هذه المجموعة .إن ميخائيل نعيمه ، مستشار الرابطة ، الذى نظم قانونها وصاغ مقدمته ، يقول فى هذه المقدمة : ليس كل ما سطر بمداد على قرطاس أدبا ولا كل من حرر مقالا أو نظم قصيدة موزونة بالأديب ، فالأدب الذى نعتبره هو الأدب الذى يستمد غذاءه من تربة الحياة و نورها و هو انها . والأديب الذى نكرمه هو الأديب الذى خص برقة الحس ودقة الفكر و بعد النظر فى تموجات الحياة و تقلباتها ، و بمقدرة البيان عما تحدثه الحياة فى نفسه من التأثير .

إن هذه الروح الجديدة التى ترمى إلى الخروج بأدبائنا من دور الجمود والتقليد إلى دور الابتكار فى جميل الأساليب والمعانى لحرية فى نظرنا بكل تنشيط و مؤازرة ، فهى أمل اليوم وركن الغد . كما أن الروح التى تحاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء فى المعنى والمبنى هى فى عرفنا سوس ينخر جسم آدابنا ولغتنا . و إن لم تقاوم فستؤدى حتما إلى حيث لا نبوض ولا تجدد . بيد أننا إذا ما عملنا على تنشيط الروح الأدبية الجديدة ، لا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع الأقدمين ، فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر إلهام للكثيرين غدا و بعد غد إلا أننا لسنا نرى فى تقليدهم سوى موت لآدابنا ، لذلك فالمحافظة على كياننا الأدبى

---

[٩٤] . شعراء الرابطة القلمية ، ص٨٤

Dhaka University Institutional Repository



تضطرنا للانصراف عنهم إلى حاجات يومنا و مطالب غدنا ، و حاجات يومنا ليست كحاجات أمسنا.[٩٥]

هذه الروح الجديدة التى شرح أصولها مستشار الرابطة فى الفقرات السابقة هى التى نجدها غالبا بل متأصلة فى جميع كتابات عمال الرابطة القلمية سواء على صفحات جريدة المهجر أم فى المجموعة الجديدة نفسها . فالأدب عندهم هو الذى يعبر عن هذه الحياة التى نحياها ، لا تلك التى عاشها أجدادنا و أجداد أجدادنا و كل ما فى الحياة من أسرار و كائنات و مخلوقات ، ما وجدت إلا من أجل الإنسان الذى يحيا هذه الحياة و يتنفس الهواء الذى يملأ الكون حوله و يتجاوب مع هذه الطبيعة التى تحيط به ، و لكن الطبيعة لا تستجيب للإنسان ، بل هى تقاومه و تصارعه ، ولا يكاد يصرعها مرة حتى تصرعه ألف مرة، فهى تغلبه غالبا ، و هو لا يغلبها إلا نادرا . و مع ذلك فهو لا ينثنى عن حربه معها وجهاده فى سبيل الغلبة والنصر .[٩٦]

هذا الحيوان المستحدث الذى تحدث عنه ميخائيل نعيمه فى مقدمة مجموعة الرابطة القلمية لعام ١٩٢١م ، والذى هو فى صراع دائم مع الطبيعة ، هو الذى يدور عليه الأدب فى رأى أعضاء الرابطة ، لأنه أظهر و أهم شى فى الحياة و لكن ما هو الشىء الأهم فى هذا الإنسان نفسه ؟ و ما هو السر الذى يوجد فى داخله والذى يمكنه من هذا الثبات فى صراعه ضد الطبيعة والحياة ؟ إنه سريكمن فى داخل نفسه ، و هو عبارة عن قوة أشد بل أقوى من أيه قوة حيوانية فيه ، تلك قوى الروح غير الفانية ، هى التى ترفعه فوق الحيوانية وتجعله يرى الجهاد عذبا والطريق ميسرا ، بالرغم من صعوبته و تشعب مسالكه . و هذه القوى الروحية هى التى يدأب الإنسان فى التفتيش عنها ، حتى إذا ما وجدها وجد نفسه ، و أذن فإننا فى كل ما نفعل و كل ما نقول و كل ما نكتب إنما نفتش عن أنفسنا.[٩٧]

فالنفس أو الروح هى الشىء الأهم فى أدب عمال الرابطة ، و كل ما يبحث فى هذه النفس ، و كل ما يكتب أو يقال من أجلها يعد أدبا حيا عندهم . يقول نعيمه أيضا : فالأثر الخالد لا يموت ، والميت لا يعيش ، ولا يخلد من الآثار إلا ما كان فيه بعض الروح الخالدة [٩٨] ، و عنده أن سلطان الأدب ليس إلا فى أنه يجول فى أفكار النفس باحثا عن مسالكها مستطلعا آثارها ، مستفسرا أسرارها ، و ما شرف الأديب عند عمال الرابطة

---

٩٥ . جبران خليل جبران ، ص ١٨٠ – ١٨١
٩٦ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٨٦
٩٧ . نعيمه ، مجموعة الرابطة القلمية ( القاهرة:١٩٢١م )، ص ٤
٩٨ . ميخائيل نعيمة ، مقدمة مجموعة الرابطة القلمية ، ص ٦

Dhaka University Institutional Repository



ليس إلا رسولا بين نفس الكاتب و نفس سواه . والأديب الذى يستحق أن يدعى أديبا هو من يزود رسوله من قلبه و لبه.[٩٩]

ما أوردت كل هذه التفسيرات للأدب عند شعراء الرابطة و أدبائها ، إلا لأبين مدى اتصال الأدب عندهم بالحياة و بالإنسان الذى يعيش هذه الحياة مؤثرا فيها متأثرا بها ، و مدى اعتمادهم فيما يكتبون و ما يصدر عنهم من شعر أو نثر ، على ذلك العنصر الشفاف و هو عنصر الروح أو النفس ، فالجسم فان والنفس باقية ، و أدب الجسم أو المادة أو الأدب المزخرف الذى لا يعتمد إلا على القشور دون اللباب فان عندهم أيضا ، لكن أدب الروح هو الخالد الباقى . و هنا أجدنى مضطرة إلى نقل تلخيص نعيمه للغرض من هذه المجموعة التى أصدرتها الرابطة القلمية إذ يقول :

"إن الرابطة القلمية ما كانت لتقدم المجموعة إلى قراء العربية إلا لاعتقادها بأنها اتخذت من الأدب رسولا لا معرضا للأزياء اللغوية والبهرجة العروضية ، و قد تكون مخطئة فيما تعتقد ، و لكن إخلاصها فى الأقل يشفع بخطئها ، فهى لا تدعى هذه المجموعة أكثر ما تستحق ، فإن لم يكن لها غير تشويق بعض الأرواح الناشئة إلى طرق الأدب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجمات فحسبها ثوابا ، فقد كفانا ما عندنا من المعجزات اللغوية ، و أن لنا أن نتعطف و لو بالتفاتة على ذلك الحيوان المستحدث الذى كان ولا يزال سر الأسرار و لغز الألغاز ، فعلنا نجد فيه ما هو أحرى بالنظر والدرس من رأس السمكة فى قولهم : أكلت السمكة حتى رأسها" .[١٠٠]

و كان طبيعيا أن يبدأ هذه المجموعة عميد الرابطة جبران خليل جبران بقطعة من النثر الشعرى الجميل جعل عنوانها بين ليل وصياح و يتحدث فيها عن نفسه و عن الحياة حوله بربيعها وصيفها و خريفها و شتائها ، و يخاطب فيها قلبه ، و يبدؤها بقوله:

اسكت يا قلبى فالفضاء لا يسمعك .

اسكت فالأثير المثقل بالنواح والعويل لن يحمل أغانيك وأناشيدك

اسكت فأشباح الليل لا تحفل بهمس أسرارك ، و مواكب الظلام لاتقف أمام أحلامك .

---

٩٩ . المرجع السابق، ص ٦

١٠٠ . المرجع السابق، ص ٦

Dhaka University Institutional Repository



اسكت ياقلبى ، اسكت حتى الصباح ، فمن يترقب الصباح صابرا يلاقى الصباح قويا . و من يهوى النور فالنور يهواه .

اسكت يا قلبى واسمعنى متكلما.[١٠١]

و جبران خليل جبران الذى يقول فى شذراته فى هذه المجموعة " أنا كولمبس نفسى ، و فى كل يوم أكتشف قارة جديدة فيها" هو نفسه الذى يتحدث عن غربة الشاعر فيقول : "أنا شاعر أنظم ما تنثر الحياة و أنثر ما تنظمه ، و لهذا أنا غريب و سابقى غريبا حتى تخطفنى المنايا و تحملنى إلى وطنى " و هنا نجده يؤمن بفكرة نزول الروح من العالم العلوى الذى سترجع إلى بعد فناء الجسد ، و هى نفس فكرة ابن سينا الفلسفية التى تحدث عنها فى قصيدته التى أولها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز و ترفع

و غير جبران ، يتحدث رشيد أيوب فى هذه المجمرعة عن أنفس الشعراء و كم هى رقيقة حنون تتأثر لأدنى العواطف و تشابه أرقى الكائنات ، و فيها يتحدث عن الروح أيضا بقوله :

يا نسمة فى مروج الحب نافحة حيث الحمائم لا تنفك نائحة

ناشدتك الله إن باكرت سائحة عندالسواقى بجو الروح سابحة

فهينمى تترنح أنفس الشعرا[١٠٢]

و يناجى نسيب عريضة نفسه وروحه فى هذه المجموعة أيضا بقوله :

لا حت قصور الخيال تعلو متون الغمام

يا أخت روحى تعالى أطلت فيها المقام

ثم يتحدث عن الناس الذين حوله يقوله :

الناس من هم ؟ جسوم ضاعت يهن النفوس

إن يرقدوا فنعيم رقادهم فى البؤوس

و يتألم إذا يجد نفسه ساهرة حين هم نائمون و يؤلمه أكثر أن يكون مثلهم يكسو جسمه روحه :

---

١٠١ . المرجع السابق، ص ٩
١٠٢ . المرجع السابق، ص ٩

Dhaka University Institutional Repository



و احسرتا أنا منهم ما دام جسمى اللبوس

ناموا و نفسى يقظى تهذى بذكر الشموس

ترجو انتهاء اعتقالى لكى تقض الخيام

يا أخت روحى تعالى تلقى إليك الزمام[١٠٣]

هذه النزعة الصوفية التأملية التى سرت فى شعر نسيب عريضة و فى بعض أشعار غيره من عمال الرابطة هى التى فاضت بها صفحات المجموعة . فالنفس والقلب والروح أشياء محسوسة يفتن الشعراء فى التعبير عنها و عما يخالجها من عواطف و أحاسيس و ما يعتريها من قلق أو طمانينة . و إلى جانب هذا فالأدب عندهم يجب أن يكون إنسانيا خالصا فيه منفعة لبنى الإنسان فى كل العصور والأزمان ، و هذا هو الذى يجعله خالدا باقيا بقاء الروح التى توحيه .

و يجب ألا يخفى على الباحث ، أو حتى على القارىء العادى ، ما يتجلى فى سطور مجموعة الرابطة القلمية من روح شرقية غالبة على معظم ما كتبه شعراؤها و أدباؤها ، فهذا ميخائيل نعيمه يتحدث فى قصيدته أخى عن الحرب و ويلاتها ، و بأى شىء ترى ستذكره الحرب سوى بلاده و وطنه الأول الذى تركه فى ظروف أشبه ما تكون بظروف هذه الحرب بما فيها من خراب و دمار و تأخر و انحطاط ، فيصرخ من أعماق قلبه مناجيا أخاه الشرقى فى حديث طويل حار يختمه بقوله :

أخى من نحن ؟ لا وطن ولا أهل ولا جار

إذا نمنا إذا قمنا ردانا الخزى والعار

لقد خمّت بنا الدنيا كما خمّت بموتانا

فهات الرفش واتبعنى لنحفر خندقا آخر

نوارى فيه أحيانا[١٠٤]

والشاعر الصوفى المتأمل - نسيب عريضة - يحن لبلدته حمص فيذكره هذا الحنين بأمجادها و رجالها المشهورين فيكتب فى المجموعة قصة ديك الجن الحمصى ، و كأنما يريد أن يقول : إننا معشر المهاجرين ، و إن كنا نعيش فى عالم غربى و نتأثر بمؤثرات غربية و ندعو إلى نزعة تجديدية أقرب إلى الغرب منها إلى الشرق ، إلا أن هذا لا ينسينا مجد آبائنا و ذكريات أسلافنا العظام ممن تركوا آثارا فى التاريخ أو الأدب وغيره . وهو بهذا يحقق مبدأ من مبادئ الرابطة.

---

١٠٣ . المرجع السابق، ص ١٨٠ – ١٨١

١٠٤ . المرجع السابق، ص ١٦

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الرابع : أثر المجموعة فى الشرق العربى و فى المهجر

كانت عقول أبناء الشرق العربى قد بدأت تتفتح نحو التجديد ، و لو بصورة أولية ، منذ بدء دخول المؤثرات الأجنبية والمبادئ التجديدية التى لاحت فى بعض قصائد أحمد شوقى (١٨٦٨-١٩٣٢م) و حافظ إبراهيم (١٨٧٢-١٩٣٢م) ، ثم مطران (١٨٧١-١٩٤٩م) الشاعر الإبداعى و جماعة الديوان من بعده ، فى مصر و على أيدى أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٨م) و مارون نقاش (١٨١٧-١٨٥٥م) و نجيب الحداد (١٨٦٧-١٨٩٩م) و فرح أنطون (١٨٦١-١٩٢٢م) و غيرهم من اللبنانيين . فما إن وصلت مجموعة الرابطة القلمية إلى ابناء الشرق العربى حتى تقبلتها القلوب والعقول أحسن قبول ، و سارع إلى قراءتها الأدباء والمتأدبون وأخذ أصحاب الصحف والمجلات العربية ينقلون بعض محتوياتها و خاصة ما كان من كتابات جيران و نعيمه وإيليا أبى ماضى الذين كانوا أحد عمالها حتى ذلك الوقت و أصدرت دار الهلال كتاب العواصف لجبران فى طبعة جميلة أنيقة ، ثم طبعت له مجموعة أخرى من كتبه . وصدرت له فى مصر أيضا تنائياته الشعرية المعروفة باسم المواكب و مجموعته المختارة البدائع والطرائف .[١٠٥]

و كذلك اهتم بعض الأفراد من المعنيين بالأدب فى مصر بجمع بعض القطع الشعرية والنثرية من أدب المهجر ، مثل الذى فعله الأستاذ محيى الدين رضا حسين أصدر كتاب بلاغة العرب فى القرن العشرين و هو عبارة عن مختارات بأقلام رسل البلاغة العربية - كما جاء فى الكتاب - فى أمريكا الشمالية والجنوبية . و ما صدرت هذه المجموعة حتى نفدت من السوق بأقصى سرعة ، و تتابعت على ناشرها كلمات الشكر والتأييد من أشهر أدباء الأقطار العربية مثل : عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) و إبراهيم عبد القادر المازنى (١٨٨٩-١٩٤٩م) والآنسة مى (١٨٨٩-١٩٦٤م) و غيرهم ، فكان هذا مشجعا له على إعادة طبع الكتاب فى عام ١٩٢٤م . و فى عام ١٩٢٤ أيضا صدرت مجموعة أخرى من شعر المهجر و نثره فى كتاب بعنوان : ما رواء البحار أو النبوغ العربى فى العالم الجديد جمعها و أشرق عليها الأستاذ توفيق الرافعى ، و هو الذى جمع قبلها بعامين ما قبل فى تكريم الفيلسوف المهجرى أمين الريحانى من خطب و قصائد فى كتاب سماه أمين الريحانى - ناشر فلسفة الشرق فى بلاد الغرب .[١٠٦]

---

١٠٥ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٩١

١٠٦ . المرجع السابق ، ص ٩١

Dhaka University Institutional Repository



و فى عام ١٩٢٣م صدرت فى مصر مجموعة مقالات أدبية و نقدية لميخائيل نعيمه فى كتاب الغربال و كان لهذا الكتاب أثره أيضا فى نفوس الأدباء و النقاد الشرقيين ، فكتب عباس محمود العقاد مقدمة للكتاب حبذ فيها ما يدعو إليه المؤلف من روح تجديدية صادقة و بعد عن التقليد . ولا عجب فعباس العقاد كان من الداعين إلى هذه النزعة الجديدة و من المفكرين فيها و من الناعين على أمير الشعراء أحمد شوقى تشبثه بالقديم . و إذن فلقد وصل تأثير كتابات أعضاء الرابطة القلمية فى العالم العربى إلى درجة كبيرة ، و أوجد لها بينهم مؤيدين كثيرين و مقلدين أكثر . و سرعان ما عرفت بين أدباء الشباب فى الشرق ، تلك البلاغة التى أطلقوا عليها بالبلاغة الجبرانية والتى تتميز بالتشبيهات الخيالية الرقيقة والألفاظ ذات الجرس الموسيقى الحنون . و ممن تبع هذه الطريقة من أدباء مصر الأول الآنسة مى و توفيق الرافعى و غيرهما ، كما تبعها أيضا أعضاء مدرسة أبولو و مؤيدوها ، و هى المدرسة الشعرية التى أسسها الدكتور أحمد زكى أبو شادى (١٨٩٢-١٩٥٥م) فى الإسكندرية ، قبل هجرته إلى العالم الجديد، و ظلت تنفح الشعر الحر ويدافع عنه مدة من الزمن و فى غير مصر و لبنان من الأقطار العربية ، وجد لمدرسة المهجر أنصار كثيرون ففى تونس شغف أبو القاسم الشابى بأدب المهجر واستأسره منه أسلوب جبران خاصة ، فكانت النزعة الجبرانية فى تعابيره و خياله .[١٠٧]

448940

و فى الحجاز وجدت طائفة من الشعراء جنحت إلى شعر المهجر فتأثرت بأسلوب جبران و نعيمه و عريضة و غيرهم . كما نجد عند بعض الناثرين الحجازيين روحا من نثر المهجر الذى يسميه الدكتور محمد مندور (١٩٠١٩٦٥م) النثر المهجرى .[١٠٨]

و لكن ليس معنى هذا أن أدب الرابطة القلمية لم يجد له معارضا لا فى الشرق ولا فى الغرب أو أن كل الأدباء كانوا يؤيدونه و يدعون له . بل على العكس، و ككل نزعة تجديدية أو فكرة مستحدثة ، كان للأدب المهجرى الذى نتحدث عنه هنا نصيب من المعارضة فى الشرق العربى وذلك حين نقم أنصار المحافظة والتقليد على هذا : لشعر الذى لا يتوخى البحور المعروفة والأوزان المطروفة ليس غير، وعلى هذا النثر الذى قد بدأ يشق طريقا جديدا ما سلكه أباء وأجداد لهم من قبل وقد عارضوا فى ذلك الأدب خاصة عدم اهتمام أصحابه أحيانا باللغة و قواعدها والصرف ومشتقاته والعروض و ما عرف فيه من أوزان وبحور . وكان من المعارضين له فى مصر الدكتور محمد حسين

---

١٠٧ . البير اديب، مجلة الأديب، (بيروت: ١٩٤٩م) ، ع١، ص ٤٩
١٠٨ . المصدر السابق، ع ١٢، ص ٤٢

ঢাকা বিশ্ববিদ্যালয় গ্রন্থাগার

Dhaka University Institutional Repository



هيكل و إبراهيم عبد القادر المازنى (١٨٨٩-١٩٤١م) و الدكتور طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣م) الذى كتب نقدا لديوان الجداول - لإيليا أبى ماضى (١٨٩٤-١٩٥٧م) ضمنه الجزء الثالث من كتابه حديث الأربعاء.[١٠٩]

و حتى فى العالم الجديد نفسه ، لم تعدم حركة الشعر التجديدى التى قامت بها الرابطة القلمية معادين و خصوما ظهروا فى الميدان ، منهم الشعراء والمتشاعرون فى أمريكا الشمالية . و منهم الشعراء الكبار أحيانا فى أمريكا الجنوبية . و كانت مدرسة الشعر المهجرى الجنوبى قد بدأت تظهر و عرف من أعلامها : الشاعر القروى وشكر الله الجر وإلياس فرحات وغيرهم كثيرون ممن كونوا فيها بعد العصبة الأندلسية، والدارس لشعر المهجر الجنوبى مجدة أقل تحررا من شعر الشماليين الى نحن بصدده ، وأكثر تعلقا بالماضى و بالشعراء القدامى فى الشرق العربى ، يقول إلياس فرحات :

أصحابنا المتمردون خيالهم تقضى قريش به و تحيا حمير
لغة مشوهة و معنى حائر خلف المجاز ومنطق متحير
و زعيمهم فى زعمهم متفنن عجبا أكان الفن فيما يضمر
لا الأرض تفهم ما يصوره لها ذاك الزعيم ولا السماء تفسر

وفى هذا دليل واضح على اتجاههم المعاكس لاتجاه الرابطة القلمية من حيث الحرية والتجديد فى اللفظ والمعنى . و فى كلام فرحات اتهام غير لائق لزعيم الرابطة جبران - و قد صرح أنه يقصده فى ديوانه - ولأهداف الرابطة كذلك.

ولكن جبران لم يسكت أمام هذه الصيحات المعادية فقد كان حاد الطبع أبى النفس، فرد عليهم مبينا الفرق بينهم وبينه شارحا أهداف رابطته معتزا بها، فيقول من قصيدة بعنوان "يا من يعادينا":

جاورتم الأمس و ملنا إلى يوم موشى صبحة بالخفاء
و رمتم الذكرى وأطيافها و نحن نسعى خلف طيف الرجاء
و جبتم الارض وأطرافها و نحن نطوى بالفضاء الفضاء

---

١٠٩. شعراء الرابطة القلمية ، ص ٩٢

Dhaka University Institutional Repository



فنراه هنا يبين أهداف المهاجرين عامة من حياتهم فى المهجر والشعراء منهم خاصة لما لديهم من حس مرهف و شعور رقيق ، فهم لا يودون نبش الماضى ولا الالتفات إلى الوراء ، كل همهم النظر إلى الأمام والعمل والبحث فى طريق المستقبل ، ثم تأخذه الحمية فيدافع عن نفسه و عن زملائه بقوله :

لوموا و سبوا والعنوا واسخروا  و ساوروا أيامنا  بالخصام
وابغوا وجوروا و ارجموا واصلبوا  فالروح فينا جوهر  لا يضام
فنحن نحن كوكب  لا يسير  إلى الوراء فى النور أو  فى الظلام
إن تحسبونا ثلمة فى الأثير  لن تستطيعوا رتقها  بالكلام[١١٠]

يقول ميخائيل نعيمه عن أثر هذه الروح المعارضة أو العدائية لأدب الرابطة القلمية : فما كانت تقم إلا لتزيدها قوة و حماسة واندفاعا ولتنمى عدد أنصارها و مريديها ومقلديها والمعجبين بها فى كل قطر عربى ، حتى حار فى أمرها أصحابها و اعداؤها على السواء ، فما عادوا يعرفون إلى ما ذا يعزون سر قوتها وبعد تأثيرها . فمن قائل إن السر فى الأدب الأمريكى الذى تأثر به عمال الرابطة القلمية ، و هو قول فارغ . و من قائل إنه فى جو الحرية الأمريكية و هو قول أفرغ . ومن قائل إنه فى تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة العربية و أصولها ، وهو قول أفرغ و أعقم من القولين الأولين . أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الذى جمع عمال الرابطة القلمية فى فسحة محدودة من ديار غربتهم، ولمحة معلومة من زمان هجرتهم ، ووضع فى صدر كل منهم جذوة تختلف عن أختها حرارة و بهاء ، ولكنها من موقد واحد وإياها .[١١١]

---

[١١٠] . المرجع السابق ، ص ٩٣ - ٩٤
[١١١] . جبران خليل جبران ، ص ١٨٢

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الخامس : تأثر أعضاء الرابطة بالغرب

وقبل أن نختتم الكلام عن الرابطة القلمية وأعضائها ومجموعتها وأعمالها و أهدافها وما لاقت من تأييد ومعارضة ، يجدر بنا الرجوع قليلا إلى الوراء لكى نتساءل: و ما الذى أوحى إلى تلك العصبة من الأدباء الأصدقاء بتأسيس هذه الجمعية ؟ ومن الذى نفخ فيها أول ما نفخ من روحه وعزمه ؟ ومن الذى هداها إلى هذه المثل والنزعات الجديدة التى اختطتها لنفسها فى عالم الأدب و سارت فى سبيلها حتى لاقت ما لاقت من نجاح وانتشار ؟

نحن نعلم أن جبران خليل جبران كان المحرك الأول والداعية الأكبر لتاسيس الرابطة و كل اجتماع يجتمعون من أجلها ، يتجلى هذا الاهتمام فى عدد من رسائله التى كان يبعث بها إلى نعيمه من مدينة بوسطن حيث قضى معظم و قته فى تلك الفترة مستشفيا مما ألم به من مرض . و لقد كان بادى التأثر فى بعض رسائله لعدم تمكنه من حضور اجتماع الأربعاء الذى كان يعقده جميع الأعضاء فى دار جريدة السائح، كما يظهر من خلال هذه الرسائل أنه لم يكن يضن بما تجود به قريحته وهو على فراش المرض من آراء وتوجيهات لمستشاره نعيمه ولبقية عمال الرابطة كذلك.[١١٢]

و نلاحظ أن جبران قد ذكر فى رسالة من رسائله لنعيمه ، و هى مؤرخة بعام ١٩٢٣م جمعية أدبية سورية كانت موجودة فى دمشق باسم الرابطة الأدبية وكان يرأسها فى ذلك الوقت خليل مردم بك وكانت تصلهم أعداد من مجموعتها على ما يبدو .

ولكن جبران لم يعجب بما يعجب بما حرره كتاب تلك الرابطة الذين كانوا يعنون بالقشور اللفظية ، ووجد أن بينهم و بين هؤلاء هوة عظيمة لا يمكن إغفالها من حيث المبادئ والأفكار . ويبدو أن ميخائيل نعيمه مستشار الرابطة كان يبغى إيجاد بعض التعاون بين رابطة نيويورك و رابطة دمشق ، ولكن جبران لم يحبذ هذا الرأى وإن كان قد صرح فى تواضع بأنه رهن لرأى المجموع و خاضع لصوت الأكثرية ، ورأى جبران أيضا أنه إذا كان لا بد من التعاون مع بعض كتاب المشرق فليكن مع من يماثلونهم فى القول والعمل . ونجده يقترح اسم الأستاذ عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) لهذا الخصوص.[١١٣]

---

[١١٢] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٩٢

[١١٣] . نعيمه ، رسالة جبران ، ص ٩٥

Dhaka University Institutional Repository



فمن الثابت إذن أن الرابطة القلمية لم تتأثر خطى أية رابطة عربية قديمة فى الشرق أو الغرب ، بل على العكس ، لقد كان من أهدافها أن تكون جديدة فى بالها ، طريقة فى أسلوبها ، لم يسبق لها مثيل فى الأدب العربى .

و لكنا نرى أنه لا بد قد كان هناك باعث على تكوينها بهذه الصورة وعلى هذا النحو ، و دافع ساعدها على الظهور بسرعة واحتلال مكانتها الممتازة فى فترة وجيزة من الزمان ، و هذا الباعث لم يأت من الشرق ولا من الشرق ولا من أدب الشرق ، كما أنه لم ينبع من نفوس أصحابها فحسب ، بل إنا لو ذهبنا أبعد قليلا لوجدنا جبران رئيس الرابطة القلمية على صلة وثيقة ببعض الشعراء الأمريكيين و شاعراتهم فى ذلك الحين ، فهو فى أوائل عام ١٩١٨م قدم لصديقه نعيمه فى إحدى زيارات الأخير له ، عددا من مجلة الفنون السبعة التى كانت تصدر فى حلة جميلة ، وكان اسم خليل جبران بين أسماء مديرها ومحرريها أيضا .[١١٤]

ولم يكتب لمجلة الفنون السبعة أن تعيش إلا شهورا قليلة ، كان منها أنها شجعت جبران على الكتابة بالإنجليزية و أعطته نماذج يعرضها فى شعره فى الأندية الأدبية و مكنته من الاتصال بجمعية الشعر النيويوركية التى أتاحت له أن يلقى فى اجتماع من اجتماعاتها شيئا من نتاج قلمه . و أصبح عضوا فيها فيما بعد .[١١٥]

و يكفينا هذا دليلا على أن جبران كان على صلة ، وعلى صلة و ثيقة يعدد لا بأس به من المنتديات الأدبية الأمريكية ، وكان بينه وبين بعض شاعرات أمريكا وأدبياتها صداقة تبلغ حد المتانة والإخلاص فى بعض الأحيان كتلك الصداقة الروحية التى كانت بينه و بين الآنسة مارى هاسكل مديرة إحدى مدارس البنات ، وهى التى أنفقت عليه طوال مدة تعلمه الرسم فى فرنسا وكتلك التى توثقت بينه و بين إحدى الشاعرات لدرجة أنها قد حضرت ساعة احتضاره بالمستشفى ، وهى التى أبلغت صديقه نعيمه الخبر و تدعى بربارا يونج و قد كتبت فيما بعد كتابا عن جبران كما عرفته و عن ذكرياتها معه و عن آرائه و أفكاره .[١١٦]

و من قبل هذا كان جبران قد عرف بفنه و شهر برسومه الدقيقة فى الأوساط الأمريكية المختلفة ، كما ينبغى ألا ننسى أنه كان على جانب من الثقافة يتيح له الاطلاع على كل ما وصلت إليه يده من الآثار الأدبية الأمريكية ، وربما وجد فى بعض

---

١١٤ . جبران خليل جبران ، ص ١٦٢
١١٥ . المصدر السابق، ص ١٦٣
١١٦ . Barbara young ,This man from Lebanon ,(N,yourk: ١٩٤٤)

Dhaka University Institutional Repository



هذه الآثار ما يستحق التقليد والاحتذاء. ومما لا شك فيه أن الرجل الثانى فى الرابطة القلمية وهو ميخائيل نعيمه، لم يفته مدة دراسته ، الاطلاع على أسس الثقافة الأمريكية والأدب الأمريكى بمراحله المختلفة - و هى قصيرة محدودة - و خاصة أنه قد درس أربع سنوات فى جامعة و شنجتن بالولايات المتحدة ونال اجازتها فى الحقوق .

وأغلب الظن أن بقية عمال الرابطة ممن أحسنوا اللغة الإنجليزية - أو عرفوها على الأقل كتابة وقراءة - قد اطلعوا هم الأخرون على ذلك الأدب الأمريكى والحركات الأدبية المعروفة فى تاريخه ، وعلى أثار رحاله المشهورين وشاعراته المعروفات . و ليس من الممكن أن تعيش جماعة أدبية كهذه الجماعة المفكرة المجددة فى بلد أجنبى اللغة والأداب ولا تطلع على ما لهذا البلد من أثار أدبية هى فى صميم موضوع اهتمامها، و لكننا نلاحظ فى الوقت نفسه أن معظم الدين كتبوا عن الرابطة القلمية قد لمحوا فى آثار أعضائها بعض التأثر بالنزعة الرومانسية الأوربية . و مع اعترافهم بأن الرابطة القلمية هى أول مدرسة منظمة فى الأدب العربى تنحو نحو التجديد بجرأة و شجاعة ، فهم يعترفون أيضا بوجود شبه كبير بينها وبين تلك المدرسة الرومانسية ، حتى فى أسباب تكونها ، فهناك الثورة الفرنسية وهنا الحرب العظمى الأولى .[١١٧] و حتى فى الفن والتصوير فهما متشابهان أيضا إلا أن المدرسة الرومانسية كان لها أكثر من مصور بينما كان للرابطة القلمية مصور واحد هو جبران ويذهب البعض إلى أكثر من هذا فيقولون إن ميخائيل نعيمه ناقد الرابطة يأخذ نفس المكانة فيها كتلك التى أخذها سنت بيف ناقد المدرسة الرومانسية .

و أنا أسلم بوجود بعض الشبه بين المدرستين فى المبادى والأفكار عموما لا فى التفصيلات الجزئية كالتى ذكرها البعض . ومع ذلك فأنا لا أرجع بعيدا إلى عهد الرومانسية الأوربية التى طغت على الأدب الغربى بعد الثورة الفرنسية ، بل أجد ما هو أقرب من هذا بالنسبة لشعراء المهجر الذين أتحدث عنهم . ففى أمريكا كان الأدب ما يزال متأثرا بتلك الحركة الروحية القوية التى ظهرت على أيدى إمرسن (١٨٠٣ – ١٨٨٤) و غيره من الشعراء الذين نزعوا فى شعرهم نحو مذهب الترانسندنتلزم (Transcendentalism) و معنى هذه الكلمة العناية بكل ما هو روحى والسمو بالروح إلى آفاق علوية ، و معاونة كل من يعيش بالروح ، و فى هذا ما فيه من التسامى والعلو الذى اتسمت به هذه الحركة التى يقول مؤرخو الأداب عنها إنها مظهر لا حق لحركة

---

[١١٧]. مارون عبود ، جدد و قدماء ، (بيروت: ١٩٥٤م)، ص ٩٨

Dhaka University Institutional Repository



الرومانسية الأوربية نفسها ، وخاصة أن كلتا الحركتين تسير على مبدأ عدم الصبر على التفكير الكلاسيكى السقيم الذى يوصف بأنه رتيب ممل كما أن بعض كتاب الأمريكيين ممن انتموا إلى هذه الحركة يشبهون نظراءهم من كتاب الإنجليز.[١١٨]

وهذه الحركة الأدبية التى تدعو إلى السمو والجمال الروحى والمعنوى كانت ترمى أيضا إلى تشجيع كل فرد على تتبع ملكاته الخاصة وعبقريته الكامنة فى داخله . و هذا الاعتقاد بأهمية الفردية الشخصية هو الذى حدده ودعا إليه الكاتب الكبير إمرسن . كما تعد حركة المتسامين هذه الحركة الوحيدة الظاهرة فى الأدب الأمريكى ، و قد كان لها مجلة تسمى المزولة كانوا يكتبون فيها ويعبرون عن آرائهم ، وقد عرفوا بحب الحرية الشخصية والأمل فى التقدم الاجتماعى وقلوبهم معلقة بالمستقبل ، لا يميلون إلى الرجوع للماضى، وكان زعيمهم إمرسن معروفا بحبه للرحلات والتجارب فقد زار أوربا عدة مرات وصل فى إحداها إلى مصر . وأهم قطعة شعرية له بعنوان وأهم قطعة فلسفية له بعنوان الطبيعة وهى من الشعر المنثور.

وبعد إمرسن جاء شعراء أمثال و تيير و لونجفلو و وتمان ممن حافظوا على هذه المبادئ و نموها ، وليس غريبا مطلقا أن يكون شعراء العرب فى أمريكا الشمالية قد اطلعوا على هذه الأداب وفهموا مذاهبها وأهدافها ، وراقتهم أفكارها وآراؤها فاحتذوا حذوها وعملوا مثلها ، ولا شك أن الميل إلى التسامح الدينى الذى عقب، التزمت الشديد فى حياة الأمريكيين الأولين الفارين بدينهم من الاضطهاد فى أوربا مثل ال ( puritans ) كان من الميول التى جمعت من المدرستين أيضا، عدا المسائل الروحية التى اتفق فيها الفريقان.[١١٩]

---

١١٨ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٩٧-٩٨

١١٩ . المرجع السابق ، ص ٩٨

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل السادس : نهاية الرابطة القلمية

أيا كان أصل الرابطة القلمية وأية كانت مراميها ، فقد انتشرت مبادئها و شاعت كتابات عمالها فى جميع البلاد الناطقة بالضاد ، والفضل فى ذلك لعمالها أنفسهم الذين أبدوا من التعاون فيما بينهم ، ما جعل الذجاح حليفهم فى كل عمل قاموا به حتى غدت رابطتهم ذات قيمة أدبية ومعنوية رفعت من شأنهم بين مواطنيهم الأمريكيين ونبهت الأذهان والعقول فى العالم العربى نحو ذلك النور الذى انبثق من أرض كولومبس هاديا الشعراء العرب نحو طريق واضح ملموس .

والحق أن هؤلاء الأصدقاء والزملاء كانت تربطهم أكثر من رابطة و تقوم بينهم أكثر من مودة ، و قد قامت بين بعضهم رابطة النسب أو القرابة أحيانا ، عدا رابطة الأخوة المتينة التى لا تنفصم . فكانوا دائما يجتمعون و يتسامرون و يتضاحكون ، و كثيرا ما اجتمعوا فى نزههم وخلواتهم حيث يتذاكرون عهود الصبا ومرابع الشباب فى أرض الوطن ، كما كانوا مثال التعاون والمساعدة إذا ما نزلت بهم نازلة أو حلت بأحدهم مصيبة .[١٢٠]

والقارئ لكتاب نعيمه عن صديقه و زميله جبران يتبين كل هذا ، و يستشف من خلاله تلك الصلة الروحية القوية التى قامت بينهم و لم تنفصم عراها ما داموا على قيد الحياة ، بل ظلوا أوفياء لبعضهم إلى ما بعد الممات . و بعد أن التأم شمل الإخوان العاملين ردحا من الزمان سعدوا فيه بالصحبة والألفة واتحاد الأرواح و القلوب ، وانتجوا فى خلاله ما يعد كنزا من كنوز الأدب العربى الحديث ، مناهم الله يفقد عميدهم ورئيسهم جبران فى أبريل عام ١٩٣١م، وكان حزنهم عليه عظيما ، وخاصة على نفس صديقه الأعز ميخائيل نعيمه الذى لم يطق البقاء طويلا فى العالم الجديد ، فغادره إلى موطنه الأول حيث يعيش الآن فى قريته الهادئة على سفح ذرا صنين و فى ظلال الشخروب . و من هناك أخذ يمد الأدب العربى بنفحات طلية من أدبه و فلسفته و ذكرياته و تجاربه . و هناك أصدر ديوانه همس الجفون كما أصدر عددا من الكتب النقدية والفلسفية بالعربية والإنجليزية ، ولا شك أنه يشعر براحة نفسية عظيمة بعد أن عاد إلى مسقط رأسه بسكنتا التى كان يحلم بالعودة إليها و يترنم

---

[١٢٠] . المرجع السابق، ص٩٩

Dhaka University Institutional Repository



باسمها مع زميله جبران حين كان الأخير ينادى بالعودة إلى بشرى وصومعة مار سركيس . ولكن جبران لم تحقق له الأيام أمله ، فعاد نعيمه بمفرده ، و هو كما قلت يقضى جل وقته فى قريته الحبيبة متأملا ، ونادرا ما يغادرها إلى مدينة بيروت القريبة منها لقضاء بعض الأعمال أو لمقابلة الأصدقاء والمعجبين والطلاب أحيانا ، وهو لايضن بالمعونة الأدبية والإجابة على الكثير من أسئلة الكتاب والباحثين ، وقد تشرفت بمقابلته شخصيا فى مدينة بيروت صيف عام ١٩٥٤م ، بناء على طلب منى للاستفادة من غزير معلوماته و تجاربه الشخصية وخاصة إبان عمله فى الرابطة القلمية ، فتفضل مشكورا بتلبية رغبتى وحقق لى ما رجوته من نفع و نصائح لست فى غنى عنها فى هذا الجانب . وأما بقية الزمرة الأوفياء من أعضاء الرابطة ، فقد خسروا أيضا غير جبران و نعيمه ، الشاعر الرقيق رشيد أيوب الذى توفى فى ديسمبر عام ١٩٤٩م فى مدينة بروكلن الذى لبى نداء ربه فى مارس عام ١٩٤٦م فى مدينة بروكلن أيضا .[١٢١]

وأما الشاعر الحمصى الأخر : ندره حداد (١٨٨١-١٩٥٠م) فقد لبى نداء ربه بعد سنوات قليلة إذ توفى فجأة فى حفلة عرس ببيت أحد أصدقائه وذلك فى عام ١٩٤٩م ، و يظهر أن زميله الشاعر إيليا أبا ماضى كان حاضرا الحفل فرثاه بقصيدة رائعة.[١٢٢]

وهكذا انتثر العقد الذى اجتمعت حباته عددا من السنين ، و تألقت أرواح أصحابه مدة من الزمن . خاصة بعد أن توفى الشاعر إيليا أبو ماضى نفسه كما مر وهو الذى كان يعمل فى مجلة السمير التى أسسها منذ زمن ، كما عاون من خلالها فى نشر بعض دواوين زملائه من الراحلين والباقين ، فأصدر فى عام ١٩٣٨م ديوان صديقه الشاعر محبوب الخورى الشرتونى ولم يكن من عمال الرابطة ، وكذلك طبع ديوان الشاعر مسعود سماحة ، وهو أيضا لم يكن عاملا فى الرابطة القلمية .

ومما يؤسف عليه حقا أن هؤلاء الشعراء والأدباء الراحلين لم يعوضوا و لم ينهض غيرهم من الشعراء فى أمريكا الشمالية ليحل محلهم . قد يكون هناك شعراء مقلون متفرقون فى البلاد ، ولكنهم بأى حال لن يبلغوا ما بلغه سالفوهم من علو الشأن والمنزلة ، وفى اعتقادى أنه لن ينهض فى أمريكا

---

١٢١ . المرجع السابق، ص١٠٠

١٢٢ . زهير ميرزا، إيليا أبوماضى شاعر المهجر الأكبر ، ( سوريا : دار اليقظة العربية ١٩٤٥م )، ص ٣٧٥

Dhaka University Institutional Repository



الشمالية جبران اخر ولن يوجد ميخائيل نعيمه شان فى تلك البلاد ، وإن المواطنين السوريين هناك من الناشئين آخذون فى الابتعاد عن الحياة العربية واللغة الغربية شيئا فشيئا ، وبالطبع هم لم ينشأوا على نفس الطرق العربية التى جاء بها أباؤهم ، ولن يتقنوا اللغة العربية - فيما لو تعلموها - إلى حد أن ينظموا بها شعرا رصينا مستحقا بل كلهم آخذون فى سبيل (التأمرك) و إن نظموا فقد ينظمون بالإنجليزية لا بالعربية ، و إذن فإن الرابطة القلمية التى أنشأها جبران ونفخ فيها نعيمه من روحه ورواها بقية الشعراء والكتاب بعطر أنفاسهم ، و التى عاشت زمنا فى تاريخ الأدب العربى المجدد ، قد انقرضت أو هى آخذة فى الانقراض وسائرة فى طريق الزوال . ولقد قرأت رسالة صغيرة نشرها صاحب مجلة الأديب اللبنانية الأستاذ ألبير أديب وردت إليه من الأستاذ أحمد عبد الجبار مستشار المفوضية السعودية العربية فى الولايات المتحدة ، يقول فيها : من أديبات أمريكا اللادى إستير تعرف كثيرا عن الأدب العربى المعاصر ، و أحب كاتب لديها المرحوم جبران خليل جبران ، ثم يقول : أما الجالية التى يهمك أمرها فإنه يؤسفنى أن لا أجد أثرا للرابطة القلمية و لم يبق هنا من الأدباء والشعراء الذين يمكن أن نفتخر بهم سوى إيليا أبى ماضى و ندرة حداد .

ومعروف أن رابطة أخرى قامت فى المهجر بعد رابطة نيويورك ، ولكن فى أمريكا الجنوبية هذه المرة ، تجمع شمل شعراء الجنوب وتوحد مسعاهم و تقوم لهم بنفس ما قامت به الرابطة القلمية لعملها وأزيد ، تسمى العصبة الأندلسية ومن شعرائها شفيق و فوزى المعلوف ( ١٨٩٩-١٩٣٠م) والشاعر القروى رشيد سليم الخورى (١٨٨٧-١٩٨٤م) وشكر الله الجر (١٨٩٨-١٩٧٥م) و نعمه قازان (١٩٠٧-١٩٧٩م) وإلياس فرحات وإلياس قنصل وغيرهم كثيرون. و قد أصدرت العصبة الأندلسية مجلتين هامتين هما : العصبة الأندلسية و الأندلس الجديدة هذا عدا عددا من الصحف العربية التى تصدر فى مختلف المدن الأمريكية الجنوبية من سنت باولو وريودى جانير وشرقا إلى بونس آيرس غربا .هذا ويذكر الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى فى كتابه رائد الشعر الحديث أنه قد وجدت فى عصرٍ متأخر رابطة أدبية باسم رابطة " منيرفا". [١٢٣]

---

[١٢٣] . شعراء الرابطة القلمية، ص ١٠١

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل السابع : البيئات الفكرية العربية فى المهجر الشمالى والرابطة القلمية

دراسة البيئات الأدبية التى كونها المهاجرون السوريون فى مدن أمريكا الشمالية تنفع فى فهم المحيط الذى انغمس فيه الأدباء المهجريون بعد هجرتهم ، و قد رموا فيه بذورا تحمل سمات تمردها من أوطانها [١٢٤] ، فعانوا تجارب المخاض الفكرى والفنى فى أجواء غريبة تفسر الحياة تفسيرا يختلف عن تفسيرها هى . و هم - فى تعبيرهم عن آلام هذا المخاض - يعبرون عن تجربة هذه البيئات الجديدة و عن شخصيتها القلقة ، من خلال تجاربهم و ذواتهم . و ما كان يمكن هؤلاء الأدباء أن ينتجوا نتاجا أصيلا لو لم يعبروا عن هذه الأشواق والآلام التى عناها المهاجرون .[١٢٥]

والأدب المهجرى - فى الأصل - لم يكتب للمجتمعات العربية فى الوطن ، و إنما كتب لهذه البيئات الصغيرة الغربية المستوحشة . و إذا كان هذا الأدب لقى رواجا فى بعض أنحاء الوطن ، فلأن هذه البيئات التى كونها المهاجرون كانت - حينذاك - قريبة العهد بالمجتمعات التى خلفوها ، و بالقيم التى تسودها ؛ فقد كانت هذه المجتمعات تعانى أيضا تجربة الوقوف عند مفترق الطريق بين القديم والحديث ، ونمو الفردية البورجوازية الممتازة - آنذاك - بنضالها فى سبيل تثبيت كيانها وفرض ذاتها . ولأن النغمة الرومانسية التى طلع بها هؤلاء الأدباء كانت محببة مستساغة . ولأن القيم التى نادى بها الأدب المهجرى قيم إنسانية عامة :

ودراستنا أدب هذه البيئات ، هى - فى الواقع - دراسة هذا المخاض المنيف الذى تعرضت له هذه البيئات فى صراعها مع المجتمع الأمريكى ، وما أحست به من قلق و ضياع وحنين وتمرد ، قبل أن تدفع إلى الخضوع والتسليم ، فهى إذا دراسة - من وجهة بالغة العنف - لالتقاء حضارتنا و قيمنا بحضارة الغرب و قيمه ، التقاء معناه فى هذه البيئات : الوقوف وجها لوجه :

ولم يكن الأدب المهجرى إلا سورة هذا الصراع . و لتبلغ أعلى ذراه فى التعبير عنه، و نضج حين استوت لهؤلاء المهاجرين شخصية مستقلة قائمة على مناهضة القيم التى يتبنا ها هذا المجتمع الطاحن فى موقفه من الإنسان وفى تقدير الحياة و

---

[١٢٤] . درج الذين كتبوا فى الأدب المهجرى ، أو نظروا فى اتجاه من اتجاهاته الفكرية ، او درسوا أديبا من ادبائه ، على أن يصدروا بحوثهم بمقدمات فى دراسة أحوال سورية و لبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر ، و ما كان يود المجتمع آنذاك من قلق فى حياته العامة ، مما دفع إلى المهاجرة أو شجع عليها.

[١٢٥] . النثر المهجرى ، ص ١٥

Dhaka University Institutional Repository



تفسيرها ، من ناحية ، و على مناهضة كثير من القيم الرجمية التى يتبناها مجتمعهم الذى خلفوه فى الوطن ، من ناحية أخرى .[١٢٦]

لقد جاء هؤلاء المهاجرون من قرى شرقية بسيطة إلى مدن مكتظة ذات تقاليد معقدة . فلا غرابة أن تصيبهم الدهشة[١٢٧] ، وأن يحسوا حينا طويلا بالتشتت و تشوش الأفكار[١٢٨] وبالغربة الموحشة التى تعطل النمو ، حتى لقد ذكرتهم نيويورك - و فيها انحصرت أكبر الجاليات السورية ببابل التى قرأوا عنها فى العهد القديم . على أن هذه المرحلة لم تطله كثيرا ، فسرعان ما سحوا و بدأوا يعون واقعهم و طبيعة تجربتهم ، و يحددون موقفهم من المجتمع الجديد والمجتمع القديم الذى خلفوه ، و بدأت تنضح - بذلك - سمات شخصيتهم الخاصة التى بدت بعد ذلك فى أدبهم وميزته بالجدة والأصالة.

و قد أبى بعض المهاجرين - فى بدء المهاجرة - أن يتخلى حتى عن الطربوش العثمانى ، و نربيج النارجيلة ، والشاربين العريضين ، والتربية فى الجلوس [١٢٩] ، و أسست الجمعيات المختلفة ، وكان من بعض أهدافها العمل على أن يحتفظ المهاجرون بتقاليدهم وبآداب اللغة العربية والموائد الشرقية الأكثر كرما ووزعا وعفافا وشهامة و مروءة وعزة [١٣٠] ، فراعوا فى تعازيهم و تهانيهم وأعيادهم هذه المظاهر الدقيقة التى عرفوها فى و طنهم [١٣١] . و حرص بعضهم على لقب (البيك)[١٣٢] الذى جاء به من الوطن . و كانوا ينكرون شفيع كنيسة القرية التى هاجروا منها .[١٣٣]

على أنهم احتفظوا بما هو أخطر من هذا كله : بخلافاتهم المذهبية والطائفية والقروية [١٣٤] ، فقد التفت كل طائفة حول نفسها ، وأصدرت نشرة أو جريدة عربية تحمل رأيها . وكثيرا ما كانت تشب بين هذه الصحف ممارك مخجلة [١٣٥] تزيد فى تمزيقهم . و قد وقعت بعض جرائم القتل إجابة لثأر قديم قام فى الوطن .[١٣٦] ونتج عن ذلك أن المجتمع الأمريكى لم يكد يعير هذه البيئات المهاجرة التفاتا ، ففيليب حتى لا يعرف مما كتب الأمريكيون عن السوريين - قبل أن يضع كتابه عن السوريين فى أمريكا إلا

---

١٢٦ . المصدر السابق، ط ٣، ص ١٦

١٢٧ . عبد المسيح الحداد، حكايات المهجر، (نيويورك: ١٩٢٠)، ص ١٠٢ ـ ١٠٣

١٢٨ . يوسف أبى خاطر، مقال: " المهاجرة و أضرارها" مجلة المشرق، (بيروت: ب ت)، عدد ٢٢ ص ٧٣١

١٢٩ . حكايات المهجر، ص ٧ ، ١٤ ، ١٨

١٣٠ . نسيم نوفل، بطل لبنان، (الإسكندرية: ١٨٩٦م)، ص ٥٨

١٣١ . حكايات المهجر، ص ١٩٣

١٣٢ . المصدر السابق ، ص ١٤

١٣٣ . المصدر السابق، ص ٢٩ ؛ الدكتور أبو شادى : دراسات أدبية، (القاهرة: ب ت)، ص ١٥ ـ ١٦

١٣٤ . المصدر السابق، ص ٥٢

١٣٥ . حكايات المهجر، ص ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٩

١٣٦ . قال الأشتر: حدثنى الأستاذ نعيمة بهذا فى مقابلتى إياه ببيروت بتاريخ ٥ / ١٢ / ١٩٠٨

Dhaka University Institutional Repository



ثلاث مقالات نشرت فى مجلة نيويوركية ، مع كتيب ألفه لوشس هوميللر . فقد اختبا السوريون - على حد تعبيره - وراء مجلاتهم و جرائدهم العربية، فلم يسمع الأمريكى صوتهم ، و أساء فهمهم ، حتى إن القضاة فى عام ١٩٠٩م قضوا منح الجنسية الأمريكية لطالبيها من السوريين بدعوى أنهم ليسوا من العرق الأبيض[١٣٧] ، ريصف حتى المستعمرات التى أنشأها المهاجرون فيشبهها بالمياه الراكدة المتجمعة على ضفاف النهر ، فى حين يهدر تيار المدنية الجارف بقربها[١٣٨] . ونشرت المقتطف فى سنة ١٩٠٥ سؤالا من أحد المهاجرين يقول فيه : إن الأوربيين و غير هم من المهاجرين إلى أمريكة سريعو الامتزاج بالأمريكيين ، إلا السوريين ، فإنهم يبقون محافظين على عاداتهم و لو قضوا العمر كله هنا .

وقد قلنا إن موقف جيل المهاجرة من الحياة الأمريكية فى بدء المهاجرة موقف معقول بسيط التفسير : فالموقف الحضارى فى العالم الجديد يختلف فى أسسه الفكرية و فى مظاهره المادية عن الموقف الحضارى الذى عايشه هذا الجيل فى الوطن . و قد كانت نيويورك فى عين أحد المهاجرين سنة ١٩١٦م مقبرة واسعة مشحونة بأشلاء الحب المقتول محشوة بجثث العواطف المخنوقة ، مملوءة ببقايا الشرف الموطوء[١٣٩] ، وهى فى عين مهاجر آخر مدينة قلبها من حديد وعقلها من معادن الذهب والفضة[١٤٠]. وأمريكا كلها فى رأى نسيب عريضة : فروس مبطن بجهنم .[١٤١]

و كان لا بد أن ينتهى هذا الصراع مع الزمن ، فيفتح المحافظون قلوبهم قليلا للحياة الجديدة ، ويبدأ التآلف بين البيئات العربية والمجتمع الحديث ، فتأسس جمعيات الصداقة ومؤسسات التعاون . و تبدأ الصحافة العربية تصل المهاجرين بحياتهم الجديدة و تنقل إليهم أخبارها ، إلى جانب أخبار الوطن ومشكلاته . ويطوف الباعة المهاجرون بالمدن والأرياف ، فيتحسسون مشكلات المجتمع ويحاولون تفهمها. ويؤسسون المتاجر فتقوم بينهم وبين المؤسسات الاقتصادية الأمريكية الكبيرة علاقات التعاون أو التنافس ، فتساعد على النفوذ إلى صميم الحياة الأمريكية ، و يبدأ بعض المهاجرين يشاركون فى الحياة السياسية الأمريكية ، وينتسبون إلى

---

١٣٧ . المقال: "السوريون من السلالة البيضاء ، و لو كره الأمريكيون" ، مجلة المباحث ١٩٠٩م، عدد يناير، ص ١٠٦٠ - ١٠٦٧

١٣٨ . كان المهاجرون السوريون يلتفون حول أنفسهم فى شوارع يختارونها فى المدن الأمريكية ، فهم فى بوسطن فى حى الصينيين ، و فى نيويورك فى شارع واشنطن . و قد كانوا فى هذه الأخيرة يسكنون أعالى البنايات التى يشغل طباقها السفلى محال تجارية و مصانع آلية و إدارات مختلفة : حكايات المهجر، ص ٦

١٣٩ . أمين مشرق ، مجلة الفنون ( ١٩١٦م)، ع ٧، ص ٥٩١

١٤٠ . أمين الريحانى " فى ذكرى جبران " المقتطف ( ١٩٣١م)، عدد أكتوبر، ص ٢٠١

١٤١ . نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، (نيويورك: ١٩٤٦م)، ص ٢٧١

Dhaka University Institutional Repository



الأحزاب،[١٤٢] وينخرطون فى الجيش .[١٤٣] وبذلك أصبحوا أقرب إلى قلب الفرد الأمركيى، و بدأوا يتعلون وصنع الحياة الأوربية . و كان ذلك كله دليلا على أن هذه البينات بدأت تعى واقعها و تواجه مشكلاتها .

و قد برع السوريون واللبنانيون فى التجارة منذ القديم ، فلا غرابة أن تكون عمود عملهم فى المهجر ، إلى جانب الزراعة . و لكنهم - فيما يبدو - شغلوا عن بناء شخصيتهم الأدبية ، فلم يبدوا للصحافة تشجيعا . فكانت الصحافة ما تكاد تبدأ صدورها حتى تتوقف.[١٤٤] وأهملوا إنشاء المدارس الخاصة ، ولم يعنوا بالتعليم العالى[١٤٥] واعتبر الأغنياء الصحفيين والأدباء عالة ، فرفضوا تشجيعهم.[١٤٦]

و لم يثبت كثير من محترفى الأدب . ولكن الموهوبين لم يستطيعوا أن يغفلوا الاستجابة للصوت الحار المنبثق من قلوبهم ، فمضوا فى طريقهم يعبرون عن أوجاعهم الذفسية . وقد رفع هؤلاء من مستوى الصحافة العربية فى المهجر ، وانتزعوها - مع الأيام - من أيدى الجهلاء والمسترزقة ، وجعلوها فى أيدى الأكفياء ، حتى أصبحت هى مدرسة اللغة العربية فى المهجر . وهى التى عملت - فى هذه البينات - على توضيح القيم الفكرية الجديدة ، فهيأت الطريق - بذلك - لظهور الجمعيات الأدبية والمجلات الكبيرة . و من هنا يأخذ تأسيس الرابطة القلمية معناه العميق .[١٤٧]

و لا شك أن إنشاء الرابطة يعتبر تعبيرا ناضجا عن استواء شخصية المهاجرين فى بيئاتهم الجديدة . فهى تعنى أن فئة منهم أصبح لها رأى خاص تعبر عنه فى الحياة والأدب . وهو رأى تكون لها من تحديد موقفها من الحياة الجديدة التى تعيشها ، والحياة القديمة التى خلفتها ، على أساس قاعدة فكرية عامة . وقد أصبحت هذه الفئة تثق بقدرتها على التعبير عن رأيها و تخطيط الحقل الأدبى - الذى هو صورة الحياة - تخطيطا جديدا يحقق - فى رأيهم - الشروط اللازمة لتوجيه النتاج الأدبى توجيها يضمن له الاحتفاظ بالقيم الفنية التى يبشرون بها . و فى هذا يقول قانون الرابطة إن هذه الروح الجديدة التى ترمى إلى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد ، إلى دور الابتكار فى جميل الأساليب والمعانى ، لحرية فى نظرنا بكل تنشيط و مؤازرة ، فهى أمل اليوم

---

١٤٢ . كان عبد المسيح حداد و وليم كاتسفليس فى الوفد الذى مثل السوريين المنتسبين إلى الحزب الجمهورى فى أمريكا ، أمام الرئيس كوليدج ، المقال : "السوريون فى المهجر" ، المباحث ( ١٩٣٤) ، عدد نوفمبر، ص ٦١ ـ ٤

١٤٣ . فيليب حتى ، "السوريون فى أمريكة " المقتطف ١٩٢٢م، عدد مايو، ص ٤٢٣

١٤٤ . جورج صيدح، أدبنا و أدباؤنا فى المهاجر الأمريكية ، (بيروت: ١٩٥٧م)، ص ٣٦ ـ ٢

١٤٥ . المقتطف ( ١٩٢٢م)، عدد مايو ، ص ٤٣٣

١٤٦ . أدبنا و أدباؤنافى المهاجر الأمريكية ، ص ٣٧

١٤٧ . النثر المهجرى ، ص٢٠

Dhaka University Institutional Repository



وركن الغد . كلما أن الروح التى تحاول بكل قواها حصر الآداب واللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء فى المعنى والمبنى ، هى فى عرفنا سوس ينخر جسم آدابنا و لغتنا.[١٤٨]

ويمكن أن نعتبر قيام الرابطة - فى حد ذاته - دليلا على أن الصلة بين المهاجرين والمقيمين قد اختمرت ، فلم يعد المهجر فرعا فحسب من الدرجة البعيدة ، وإنما هو كيان أدبى خاص له سماته الخاصة[١٤٩] . و لكنه كيان ملتفت إلى الوطن ، معترف بالأصل . ذلك أن الرابطة قامت لتصحح المقاييس الأدبية القديمة على ضوء تجارب أفرادها وثقافتهم و اتجاهاتهم الفكرية ، و لتنشىء أدبا عربيا يتبنى هذه المقاييس الجديدة ، يقول قانون الرابطة : بيد أننا ، إذا ما عملنا على تنشيط الروح الأدبية الجديدة، لا نقصد بذلك قطع كل علاقة مع الأقدمين . فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر إلهام الكثيرين غدا وبعد غد . إلا أننا لسنا نرى فى تقليدهم سوى موت لآدابنا . لذلك فالمحافظة على كياننا الأدبى تضطرنا للانصراف عنهم إلى حاجات يومنا ومطالب غدنا . و حاجات يومنا ليست كحاجات أمسنا.[١٥٠]

و هكذا يبدو تأسيس الرابطة ، ذات الغايات المحددة والمنهج الواضح ، إعلانا ضخما عن المهجر الذى استقامت له شخصية ورأى وإرادة . ومن هنا يفسر التقاء اعضاء الرابطة حول أهدافها تفسيرا بسيطا طبيعيا : فهو التقاء تم بعد مخاض قارب بين الأنواق والمفهومات ، و أنضج هذه الروابط التى تقيم الكيان الأدبى المتميز ، بالرغم من تفاوت الطاقات و تفرق المواهب.[١٥١]

و نظن أن قوة الرابطة القلمية وبلوغ تأثيرها فى أدبنا الحديث ، فردهما إلى هذا الالتقاء الذى وفق بين أعضائها فى الأهداف والمسالك[١٥٢] ، فقد كان كل منهم يؤكد - بطريقته الخاصة - الأثر الذى يخلفه ميله ، حتى كادت تستقيم لهم جميعا طريق واضحة معروفة المصدر والمنتهى . ويمثل هذه الطريق أتم تمثيل ، قول ميخائيل نعيمة فى المقدمة التى كتبها لمجموعة الرابطة القلمية سنة ١٩٢١م : إن الرابطة

---

١٤٨ . جبران خليل جبران ، ص١٧٦

١٤٩ . يجب أن ينكر أنه كان فى المهجر حين أسست الرابطة ست مطابع عربية وست مجلات : فيليب حتى : السوريون فى أمريكة - المقتطف ١٩٢٢م ، عدد مايو، ص ٤٣٣

١٥٠ . جبران خليل جبران ، ص١٧٧

١٥١ . من هنا يكون قول قسطنطين زريق عن الرابطة : إنها و حدت قواهم فى سعيهم الأدبى والروحى ، و جعلت منهم مصدرا من مصادر الإشعاع لحياة عربية بدأت تفتح عينها للنور، الأديب ١٩٤٦م، العدد ٨، ص ٧٧ ، و قول مارون عبود : إن إنشاء الرابطة القلمية واتخاذ السائح مجلة لها ، إنما هو إنشاء مدرسة كاملة بالفعل . المكشوف، ص ٢

١٥٢ . مقال: " إسماعيل أدهم السادسة" مجلة الحديث، ج ١٨ ، ص ٣٠٨

Dhaka University Institutional Repository



القلمية ما كانت لتقدم هذه المجموعة إلى قراء العربية لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الأدب رسولاً ، لا معرضا للأزياء اللغوية والبهرجة العروضية . فان لم يكن لها إلا تشويق بعض الأرواح الناشئة إلى طرق الأدب عن سبيل النفس لا عن سبيل المعجمات فحسبها ثوابا ، فقد كفانا ما عندنا من المعجزات اللغوية ، و آن لنا أن نتعطف - و لو بالتفاتة - على ذالك الحيوان المستحدث الذى كان ولا يزال سر الأسرار ولغز الألغاز.[١٥٣]

فالإنسان إذن : تصوير أزمته من الداخل ، ووضع الحلول لهذه الأزمة ، والتعبير عنها تعبيرا حيا أصيلا ، تلك هى القاعدة التى نهض عليها بناء الرابطة ، وقد ساعد على التقاء أعضائها حول هذه القاعدة أنهم استقوا ثقافاتهم من مصادر متقاربة أو موحدة ، و أنهم عانوا تجارب متماثلة ، فقرب ذلك بين وجهات النظر ،[١٥٤] وحدد مصادر عامة للتكوين الفكرى .

---

١٥٣ . مجموعة الرابطة القلمية، ص ٧

١٥٤ . ذكر عبد المسيح حداد أن الرابطة ولدت أول مرة خلال الحرب ، و كان من أعضائها الريحانى و لكنها حلت نفسها سريعا لأن نجيب ديب - صاحب مرآة الغرب - انتسب إليها ، و هو لا يتفق معهم فى الفكر والشعور ، مقابلتى لعبد المسيح بتاريخ ٢٥ / ٦ / ١٩٦٠

Dhaka University Institutional Repository



## مصادرالتكوين الفكرى العامة لكتاب الرابطة

نستطيع أن نحصر مصادر التكوين الفكرى العامة لدى كتاب الرابطة فى أربعة عناصر :

**الأول** : الثقافة المسيحية وما انتهى إليها من فلسفات الشرق و أديانه .

**الثانى** : الثقافات الأجنبية ، وما اطلعوا عليه من آداب الغرب و فلسفاته .

**الثالث** : تجربة المهاجرة التى وسعت أفاق حياتهم و وضعتهم فى قلب الحضارة الحديثة ، و علمتهم الحنين والتفكير الدائم فى الوطن .

**الرابع** : الثقافة العربية التى امتد اتصال بعضهم بها إلى مدى صالح ، و قصر اتصال بعضهم فلم يجاوز كتبا يمكن حصرها .

و سنبدأ الآن بالكلام على هذه المصادر فى إيجاز ، حتى تمكن من فهم أدبهم الذى يعكس ـ فى وضوح ـ تأثرهم العميق بها .

يجب أن نلاحظ أن هؤلاء الأدباء مسيحيون كلهم ، أكثرهم موازنة و بعضهم من الأرثونكس . وقد كان للعقيدة الدينية فى الشام ، منذ أكثر من نصف قرن ، شأنها الكبير فى توجيه مقدرات الفرد وصياغة شخصيته ، واختيار ألوان ثقافته . فليس غريبا إذن أن ينشأ هؤلاء الأدباء نشأة مسيحية يكون الكتاب المقدس فيها هو الحقيقة الأولى فى حياتهم . فإذا أحسوا بالحاجة إلى أن ينظروا فى الحياة و معانيها ، فعلوا ذلك على ضوء ما تعلموا من حقائق هذا الكتاب . و قد كان غاية ما استطاعوه فى المهجر أن يجعلوا من بعض الحقائق رموزا ، وأن يصلوا بين الإنجيل والثقافات الدينية الشرقية التى يمكن أن تعد منابع أو أصولا لحقائق الإنجيل الكبيرة . و من هنا تشابهت الحلول التى اختارها هؤلاء الأدباء لمشكلة الإنسان فى موقفه من نفسه و محيطه و وطنه ، و فى موقفه من الله.[١٥٥]

و كان جبران و نعيمة ـ بحساسيتهما المفرطة ، و شعورهما بالحاجة إلى النفاذ فى صميم الأشياء ـ أكثر أدباء المهجر التصاقا بهذه الحقائق . و لقد استغرقتها الصوفية المسيحية استغراقا كاملا حتى وصلا إلى التناسخ والتقمص ، وهما أقصى ما وصلت إليه الفلسفات الشرقية القديمة من حلول لقضية الإنسان الكبرى ، وما يتعلق بها من قضايا الخير والشر والفناء والخلود .

---

[١٥٥] . النثرالمهجرى ، ص ٢٤ـ٢٥

Dhaka University Institutional Repository



و قد اجتمع أكثر هؤلاء الأدباء حول هذه العقيدة ، حتى أصبح التصوف سمة من سمات تفكير هذه الجماعة . وهى أوضح السمات فى أدبهم على كل حال . وأتقن اكثر هؤلاء الأدباء اللغات الأجنبية ، واطلعوا - بنسب متفاوتة - على آدابها . و كان بعضهم يتقن أكثر من لغة واحدة إلى جانب لغته العربية ، فنعيمة كان يتقن الروسية و الإنجليزية ، و يقرأ الفرنسية . ووليم كاتسفليس كان يجيد الفرنسية و يقرأ الإنجليزية، ولا بد أن تكون إقامة جبران فى باريس أكثر من سنتين قد أكسبته معرفة قراءة الفرنسية إلى جانب الإنجليزية . ونسيب عريضة كان يقرأ الروسية و قد ترجم بعض قصائده عنها إلى جانب الإنجليزية .[١٥٦]

وكان أكثر هؤلاء الأدباء يعرف لغة أجنبية - على الأقل - قبل أن يهاجر ، فقد عرفنا أن نعيمة وعريضة كانا تلميذين فى المدارس التى أنشأتها الجمعية الروسية الفلسطينية ، وقد درسا فى الناصرة فى مدرسة المسلمين الروسية . ثم سافر نعيمة إلى بولتافا فازداد نفوذا فى اللغة الروسية ، حتى تمكن من قراءة شوامخ الأدباء الروس : دستويفسكى وتولستوى وتورجنيف والناقد بلينسكى و غوغول و غيرهم . قال الأشتر و قال نعيمة فى حديثه إلى[١٥٧] : كنت أقرأ كالمنهوم ، كالمسافر الجائع . وكنت أحس أن هذه دنيا جديدة تتفتح لى . دنيا واقعية حية ، لا زخارف وجناسات وبهلوانيات لغوية . و لقد عرفنا أن ويلم كاتسفليس درس فى كلية الآباء اليسوعيين ، و أجاد الفرنسية قبل أن يهاجر .قال الأشتر ويقول عنه عبد المسيح : إنه كان يعرف الإنجليزية أيضا .و قد أقبل بعض هؤلاء الأدباء فى مهجرهم على الاستفادة من مكتبات الغرب الغنية . و جمع بعضهم فى بيته كتبا أجنبية كثيرة . و إن زائر متحف جبران فى بشرى يرى مكتبته التى تعدت أربع خزائن ، و قد امتلات بالكتب الأجنبية الأدبية والفلسفية ، و مباحث الديانات والتاريخ والاجتماع .[١٥٨]

و يقول نعيمة : "لاشك فى أن أدباء المهجر أفادوا من احتكاكهم بالآداب الغربية... إن ما لاقوه من غنى فى خزائن الآداب الغربية ساعد إلى حد كبير على تفتح مواهبهم واستثمارها ، كل على هواه ، وبالطريقة التى تلائم ميوله ومزاجه . فجبران ما ابتدع أسلوبه الغنى بالألوان والأنغام ، والبعيد عن الإسفاف والابتذال ، والمشحون بالاستعارة المبتكرة والنبضات والانفعالات ، لولا أنه عرف نيتشه طاغور. ولا هو اختار لذالك الأسلوب إلا أنه كان

---

١٥٦ . المرجع السابق ، ص ٢٥
١٥٧ . فى القاهرة بتاريخ ١٦ / ١٢ / ١٩٥٧
١٥٨ . فى مقابلتى اياه بتاريخ ٢٥ / ٦ / ١٩٦٠

Dhaka University Institutional Repository



ذلك الأقرب إلى ذوق المصر وذوق الشاعر فيه من أى أسلوب سواه . وكذلك الريحانى وأسلوبه الذى هو تارة أسلوب كارليل و طورا أسلوب إمرسون وأحيانا أسلوب والت هويتمن . و كذلك قل فى كاتب هذه السطور ، فلولا أنه نزف من معين الأدب الروسى كان له أسلوبه فى النقد والنظم والقصة ... ."[١٥٩]

ولعل هذا التحليل الدقيق لأساليب بعض أدباء المهجر ، وردها إلى مصادر تأثرها الأصلية ، دليل ما اتسعت له ثقافة نعيمة من اطلاع عميق على آداب الغرب .

و سيبدو فى دراستنا لآثار هؤلاء الكتاب - على كل حال - مدى تأثرهم بهذه الآداب والثقافات الأجنبية ، ولقد غادر هؤلاء الأدباء وطنهم الجميل ، و خلفوا و راءهم أهلا و ذكريات عزيزة صفاها البعد من الشوائب ، إلى أرض جديدة ومناخ كئيب ، حيث الحياة باردة كالثلج ، و قاتمة كالرماد ، و صامتة كأبى الهول[١٦٠] . فأحسوا بالتعاسة ، وأخذت القيم الاجتماعية الغربية التى يولدها السعى المحموم وراء الكسب المادى ، تحز فى أرواحهم . وقد عكس نتاجهم الأدبى هذه الأحوال النفسية القلقة ، حتى غدت تجربة المهاجرة منبعا عميقا من منابع هذا النتاج . فما يكاد القارىء يمضى أسطرا فى شعرهم أو نثرهم ، حتى يحس مرارة هذه التجربة مترسبة فى أعماق الكلمات ، و يتسرب إلى نفسه شعور موحش بالغربة والفراق واليتم ، و كان - من نتيجة ذلك - أن غنوا و طنهم غناء كله شجن و عذوبة . فوصفوا أرضه و سماءه ، وشببوا بمحاسنه . و شفت صدورهم عن خضرة شجره وانطلاق ضبابه ، حتى لقد بدوا عاجزين عن مغادرته.[١٦١]

على أنهم حاولوا ، بعد زمن قصير من الذهول ، أن يلتفتوا إلى حياتهم الجديدة . و بدأوا - مع الزمن - يحسنون السلوك فى شعابها و تعرف خفاياها و مشكلاتها ، فتأثر الواحد منهم بأوضاعها كرجل زكى الفؤاد ، و بعاداتها كفرد اجتماعى ، ثم تأثر بجوها

---

١٥٩ . المقال:" أدب المهجر" الحديث : ١٨٤٩م ، عدد يناير ، ص ٤١

١٦٠ . من رسالة جبران إلى يوسف الحويك يصف له الحياة فى بوسطن : المكشوف١٩٣٧م ، عدد ١١١، ص ٧ ؛ حويك ، ذكرياتى مع جبران، (بيروت:١٩٥٩م)، ص ٢١١

١٦١ . يقول عبد المسيح حداد يصف هذه الحال : ... فإن ركب الحمار إلى الغدير ، والمشى إلى الكرم فى وسط الغبار والطين ، والنوم على المرج فى ساعة الظهر إبان تلهب أشعة الشمس ... أجمل فى قمس ابن سورية القديم من الوقوف فى شارع برودواى حيث تزدحم الكارات والسيارات والعربات ، و يتلفت المارون هنا و هناك ليروا لأنفسهم مخرجا يعبرون منه إلى ناحيتهم المقصودة آمنين الأخطار . و الكوخ المبنى من أغصان الشجر القائم فى الكرم ، أجمل المنام من سرير فى منزل لا تدخله أشعة الشمس دقيقة فى السنة . والجلوس عند النافذة فى البيت السرى حيث يمتد البصر إلى أميال ، فيشرف الناظر على الآكام والأودية ، أجمل من بناية ولورث ذات الطباق الثمانى والخمسين . والقمباز الذى يستطيع معه لابسه أن يجلس كيفما شاء القرفصاء والأربعاء ، أنا متكئا ، و آخر متمددا دون أن يشعر بشىء بعد على ساقيه و فخذيه و ركبتيه ، أجمل و ألطف من التقيد بسلاسل البنطلون. حكايات المهجر، ص ٤٢ - ٣

Dhaka University Institutional Repository



الفكرى الواسع كأديب منتج .[١٦٢] و هكذا استمرت تجربة المهاجرة فى حياتهم ، و لكنها هدأت قليلا و أتاحت للمجتمع الجديد المتمتع بالحريات فى القول والفكر أن ينفذ فيها بخصائصه شيئا فشيئا ، حتى أصبحت هذه التجربة منبعا تمده مسالك مختلطة ، و ينكشف فى أدبهم عن نزعات كثيرة مشتبكة : فهو الحنين والتشوق والضيق . و هو التعلق بالحرية والتمرد على الجمود الفكرى و محاربة الإقطاع الدينى والسياسى . و هو اتساع الأفق والتمرس بحضارة رائعة . و يحاول أحد الباحثين أن يجمع هذه النزعات فى قوله : إن الذى يطالع آثارهم الفكرية يلمس ما للبيئة من تأثير فيها . و هذه الآثار تتجلى لنا فى بعض نزعات نفسية ترجع عند التحقيق إلى اثنتين رئيسيتين هما : حب الحرية والحنين إلى الشرق .[١٦٣]

أما الثقافة العربية فقد بدأ اتصالهم بها فى مدارسهم الطائفية الخاصة التى كان يباح لها أن يتلقى طلابها دروسهم فيها بلغتهم القومية الخاصة . و كانت إرساليات الإنجيليين نقلت معركة التبشير إلى اللغة العربية بترجمتها الإنجيل إليها ، فلحقت بها إرساليات اليسوعيين والإرساليات الأخرى . و من هنا أتيح للمسيحيين أن يتعلموا العربية فى مدارسهم الخاصة ، و أن يتصلوا بالثقافة العربية على نحو ما أتيح لأبنائنا هؤلاء .[١٦٤]

و قد عمق بعض هؤلاء الأدباء اتصالهم بهذه الثقافة و أحبوها ، و تأثروا بها تأثرا عميقا خلف آثارا واضحة فى نتاجهم الأدبى مضموناً و شكلا . و يمثل هذا الفريق نسيب عريضة وإيليا أبو ماضى ، كان الأول يلزم الفرع الشرقى من دار الكتب العامة بنيويورك لا يكاد يغادره . و كان ملجأ رفاقه فى الرابطة فيما يتصل بهذه الثقافة و مصادرها ، حتى سموه "دائرة المعارف العربية" . واحتفظ أبو ماضى بلغة مشرقة متينة ، و كشف نثره الذى كتبه فى مجلته "السمير" عن تأثره العميق بمصادر الثقافة الأدبية العربية بوجه خاص .[١٦٥]

و لم يتح هذا القدر من الاتصال بالثقافة العربية للآخرين على الإجمال ، فقد غادر جبران وطنه و هو فى الثانية عشرة لايكاد يعرف شيئاً كثيرا من لغة . فلما عاد إليه بعد ثلاث سنوات لم يستطب أسلوب تعليم العربية فى مدرسة الحكمة ، فنادرها دون أن يهيأ له أن يستكمل عدة تسهل له اتصاله بمصادر الثقافة العربية ، والمطالع

---

١٦٢ . أدبنا و أدباؤنا فى المهاجر الأمريكية، ص ٤٤
١٦٣ . أنيس الخورى المقدسى ، الاتجاهات الفكرية فى الأدب العربى ، مجلة الحديث، عدد ٢ ، ص ٦٩
١٦٤ . النثر المهجرى ، ص ٢٨-٢٩
١٦٥ . المرجع السابق، ص ٢٩

Dhaka University Institutional Repository



على مكتبة جبران فى بشرى لا يجد فيها إلا مجموعة ضئيلة من الكتب، العربية لا يتجاوز عدد كتبها ما يحتويه رف صغير ، على حين تملأ الكتب الأجنبية الخزائن الأربع كلها.[١٦٦]

وانصرف نعيمة ـ بعد تخرجه من الناصرة ، و سفره إلى بوالتافا ـ إلى قراءة الآداب الأجنبية ، ثم لم يتح له ، من بعد ، الرجوع إلى ما حصل من الثقافة العربية و تنميته إلا فى الوطن . والمطلع على بعض ما كتبه نعيمة فى السنوات الأولى من هجرته ، يدرك صدق ما نقول . و يصح هذا القول نفسه ـ على نحو أمضى ـ فى عبد المسيح حداد و وليم كاتسفليس . و يجب، أن نذكر هنا ما أشرنا إليه من أن التعليم الذى تلقاه هؤلاء الأدباء فى مدارسهم الأجنبية أو الطائفية ـ إجمالا ـ كان تعليما موجها لم يقصر فى أن يوحى إليه بالتصاق الثقافة العربية الأصيلة بالعقيدة الإسلامية.[١٦٧] فليس غريبا ، من بعد ، أن يبدو نتاجهم الأدبى ـ فى حدود الاستثناءات ـ مقطوع الصلة بأصول هذه الثقافة ، كلما لاحظ ذلك المستشرق جيب و نص عليه .[١٦٨]

و يجب ألا يفهم من هذا ما زعمه جيب من أن المهجريين قصدوا إلى قطع الصلة فى أدبهم بالتراث الإسلامى والتحول إلى التراث المسيحى ، فإنما جاء ذلك ـ عند بعضهم ـ نتيجة لحياتهم فى الظروف التى أحاطت بهم . و قد كان منهم من انصرف إلى الثقافة العربية الأصيلة كلما قلنا . و يجب ألا نغفل أيضا عن أن بعض هؤلاء الأدباء اتصل ـ على نحو ما ـ من جوانب هذه الثقافة ، بما هو متفق و عقيدتهم فى وحدة الوجود. و قد بدا ذلك فى اهتمامهم بعينية ابن سينا على وجه الخصوص . و أثار بعض أعلام هذا التراث خيال جبران ، فرسم صورهم التى تراها فى كتاب البدائع والطرائف. و شهد الذين زاروا المهجر بتقدير هؤلاء الأدباء للثقافة الإسلامية ، و اعتزازهم بها باعتبارها ثقافة ذات قيم إنسانية عامة .[١٦٩]

و لا شك أن إقامة هؤلاء الأدباء فى ديار غريبة مقطوعة الأسباب بأجواء الثقافة العربية ، يشفع ـ من ناحية أخرى ـ لما بدا فى أدب بعضهم من استمرار انقطاع الصلة بأصول هذا التراث .

---

[١٦٦] . ذكر عبد المسيح حداد : أن جبران كان يقرأ العربية قليلا فى المهجر : (مقابلتى إياه تاريخ ٢٥ / ٩ / ١٩٦٠م)

[١٦٧] . قال الأشتر لم ينكر عبد المسيح حداد ـ فى حديثه إلى بأن التصاق الثقافة العربية بالإسلام كان اعتقادا اجتمع عليه بعض أعضاء الرابطة ، مقابلتى إياه بتاريخ ٢٥ / ٦ / ١٩٦٠

[١٦٨] . مجلة السياسة الأسبوعية ، سنة ١٩٦٠م ، العدد ٢٠٤ ، ص ١

[١٦٩] . أدبنا و أدباؤنا، ص ٥٣ ؛ أبو شادى ، دراسات أدبية، ص ٤٠

Dhaka University Institutional Repository



# الباب الرابع : شعراء الرابطة القلمية

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الأول: جبران خليل جبران (١٨٨٣-١٩٣١م)

جبران خليل جبران بن ميخائيل بن سعد، (٦ يناير ١٨٨٣م - ١٠ إبريل ١٩٣١م) من أحفاد يوسف جبران الماروني البشعلاني، شاعر لبناني أمريكي، ولد في بلدة بشري شمال لبنان وتوفي في نيويورك بداء السل، سافر مع أمه وإخوته إلى أمريكا عام ١٨٩٥م، فدرس فن التصوير وعاد إلى لبنان، وبعد أربع سنوات قصد باريس لمدة ثلاث سنوات، وهناك تعمق في فن التصوير. عاد إلى الولايات الأمريكية المتحدة مرة أخرى وتحديدا إلى نيويورك، وأسس مع رفاقه "الرابطة القلمية" وكان رئيسها. جمعت بعض مقالاته في كتابه "البدائع والطرائف".[١٧٠]

### حياته

ولد هذا الفيلسوف والأديب والشاعر والرسام من أسرة صغيرة فقيرة في بلدة بشري[١٧١] في ٦ يناير ١٨٨٣م. وقال نعيمة ولد فى السادس من ديسمبر[١٧٢] وكانت وقتها تابعة لمتصرفية جبل لبنان العثمانية. كان والده خليل جبران الزوج الثالث لوالدته كاملة رحمة التي كان لها ابن اسمه بطرس من زواج سابق ثم أنجبت جبران وشقيقتيه مريانا وسلطانة.[١٧٣]

كان والده، خليل سعد جبران، يعمل راعياً للماشية ويمضي أوقاته في الشرب ولعب الورق. كان صاحب مزاج متغطرس، ولم يكن شخصاً محباً، كما يتذكر جبران، الذي عانى من إغاظته وعدم تفهمه. وكانت والدته كاملة رحمة، من عائلة محترمة وذات خلفية دينية، واستطاعت أن تعتني بها ماديا ومعنويا وعاطفيا وكانت قد تزوجت بخليل بعد وفاة زوجها الأول وإبطال زواجها الثاني. كانت شديدة السمرة، ورقيقة ، وصاحبة صوت جميل ورثته عن أبيها. كان له ولد من زوجها الأول اسمه بطرس، بعد أن مات زوجه أصبحت أرملة ،[١٧٤] ولما ولد جبران من خليل كان عمره ستة أعوام. لم يذهب جبران إلى المدرسة لأن والده لم يعط لهذا الأمر أهمية ولذلك كان يذهب من حين إلى آخر إلى كاهن البلدة الذي سرعان ما أدرك جديته وذكاءه فأنفق الساعات في تعليمه الأبجدية والقراءة والكتابة مما فتح أمامه مجال المطالعة والتعرف إلى التاريخ والعلوم والآداب.

---

١٧٠. أحمد قبش، تاريخ الشعر العربى الحديث، (بيروت: دار الجيل ب ت)، ص ٢٩٥
١٧١. هذه القرية واقعة فى الشمال من لبنان ، فيها التقى خليل والد جبران كاملة بنت الخورى اصطفان عبدالقادر رحمة. النبى ، ص ٦
١٧٢. جبران خليل جبران ، ص٢٥
١٧٣. حنا الفاخورى، تاريخ الأدب العربى (لبنان:دار الجيل ب ت) ، ص٢١٩-٢٠٢
١٧٤. د.ثروت عكاشه ، النبى : ترجمة موازية للنصين الأنجليزى والعربى (مصر: دار الشروق ١٩٩٨م) ، ط ١٢، ص ٦

Dhaka University Institutional Repository



وبفضل أمه ، تعلم الصغير جبران العربية ، وتدرب على الرسم والموسيقى . ولما لاحظت ميل الرسم لديه، زودته بألبوم صور لـ ليوناردو دافنشي، الذي بقي معجباً به بصمت. بعد وقت طويل، كتب يقول: "لم أر قط عملاً لليوناردو دافنشي إلا وانتاب أعماقي شعور بأن جزءاً من روحه تتسلل إلى روحي...". شجع جبران على التصوير شئ يشبه تشجيع أمه له على القراء، فلقد وصلته مدرسة التصوير فى مدرسته بمصور معروف فى أمريكا هو ماجر ،فإذا جاء جبران هذا الصور فرحبه وأعانه فى فنه .

تركت أمه بصمات عميقة في شخصيته، ولم يفته أن يشيد بها في "الأجنحة المتكسرة": "إن أعذب ما تحدثه الشفاه البشرية هو لفظة "الأم"، وأجمل مناداة هي "يا أمي". كلمة صغيرة كبيرة مملوءة بالأمل والحب والانعطاف وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة. الأم هي كل شيء في هذه الحياة، هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف، هي ينبوع الحنو والرأفة والشفقة والغفران، فالذي يفقد أمه يفقد صدراً يسند إليه رأسه ويداً تباركه وعيناً تحرسه."

سنواته الأولى أمضاها جبران لا مبالياً، رغم الشجارات بين والديه والسقوط من فوق ذلك المنحدر الذي ترك فيه التواء في الكتف. تتلمذ في العربية والسريانية على يد الأب جرمانوس. وعلمه الأب سمعان القراءة والكتابة في مدرسة بشري الابتدائية. ويروي صديقه الكاتب ميخائيل نعيمة أن الصغير جبران كان يستخدم قطعة فحم ليخط بها رسومه الأولى على الجدران. ويحكى أنه طمر يوماً، وكان عمره أربع سنوات، ورقة في التراب وانتظر أن تنبت. في العاشرة من عمره وقع جبران عن إحدى صخور وادي قاديشا وأصيب بكسر في كتفه اليسرى، عانى منه طوال حياته.

لم يكف العائلة ما كانت تعانيه من فقر وعدم مبالاة من الوالد، حتى جاء الجنود العثمانيون عام (١٨٩١م) وألقوا القبض عليه أودعوه السجن بسبب لسوء إدارته الضرائب التي كان يجيبها. أدين، وجرد من كل ثرواته وباعوا منزلهم الوحيد، فاضطرت العائلة إلى النزول عند بعض الأقرباء ولكن الوالدة قررت ان الحل الوحيد لمشاكل العائلة هو الهجرة إلى الولايات المتحدة الإمريكية سعيا وراء حياة أفضل.

Dhaka University Institutional Repository



## العودة إلى لبنان

قررت عائلة جبران وخصوصا أمه أن الشهرة المبكرة ستعود عليه بالضرر، وإنه لا بد أن يعود إلى لبنان لمتابعة دراسته وخصوصا من أجل إتقان اللغة العربية[١٧٥] .. وكان قد أثار تردد جبران المتزايد إلى أوساط "داي"، الذي لم تكن سمعته تدعو للارتياح، قلق الأسرة. وازدادت الأمور سوءاً بعد أن وقع في شراك زوجة تاجر في الثلاثين من عمرها، وغيابه المتكرر عن البيت ليلاً. وكان قد فتن قبلها بامرأة أخرى... وفكرت كاملة بإعادة ابنها المراهق إلى لبنان. فلم يعترض جبران فعاد إلى بيروت وهو يتكلم لغة إنكليزية ضعيفة، ويكاد ينسى العربية أيضا.

رحل إلى بيروت في ٣٠ أغسطس ١٨٩٨م. كان بين أمتعته الأناجيل وكتاب لتوماس بلفنيتش في الميثولوجيا اكتشف فيه الفنان الناشئ جبران دراما بروميثيوس، وأسطورة أورفيوس، والنبي الفارسي زرادشت، والفلسفة الفيثاغورسية، والأساطير الهندية...

هرع جبران فوراً إلى بشري، وحضن أبيه، وتوافد الأقارب والأصدقاء لرؤية "الأمريكي". كان بينهم أستاذه الشاعر والطبيب سليم الضاهر، الذي نصحه بمتابعة دروسه في "كوليج دو لا ساجيس"، التي بقي فيها زهاء ثلاث سنوات. ورغم تأخره في العربية الفصحى، "طلب" الفتى قبوله في صف أعلى وعدم سؤاله قبل ثلاثة أشهر. وقبل القيمون "شروط" جبران، الذي أعجبتهم جرأته وقوة شخصيته. كان من بين أساتذته الأب يوسف حداد، الشاعر والكاتب المسرحي الذي اكتشف برفقته كنوز اللغة العربية، وابن خلدون، والمتنبي، وابن سينا، والشعراء الصوفيين. وبدأ يجيد التعبير عن أفكاره بلغته الأم، وكتب أولى نصوصه بالعربية. وتعلم الفرنسية وأخذ يقرأ آدابها. ويتذكر جبران أن تلك المدرسة كانت صارمة؛ وأنه لم يكن يمتثل لمعلميه؛ وأنه كان أقل تعرضاً للعقاب من بقية التلاميذ، لأنه كان يدرس كثيراً. كان في الصف يسرح في فكره دائماً، ويرسم، ويغطي كتبه ودفاتره برسوم كاريكاتورية لأساتذته. كان جبران في نظر رفاق الصف غريباً، بشعره الطويل الذي يرفض قصه، ومواقفه غير المألوفة.

في بداية العام ١٩٠٠م ، مع مطلع القرن الوليد، تعرف جبران على يوسف الحويك وأصدرا معا مجلة المنارة وكانا يحرراانها سوية فيما وضع جبران رسومها وحده. وبقيا يعملان معا بها حتى أنهى جبران دروسه بتفوق واضح في العربية والفرنسية والشعر (١٩٠٢م) وكان

---

[١٧٥]. حناخاخورى ، تاريخ الأدب العربى ، ص٢٢٠

Dhaka University Institutional Repository



في عام ١٩٠١م تم اختيار إحدى قصائده لنيل الجائزة التقديرية. وكان يتوق بحماس لنيل هذه الجائزة، لأن التلميذ الممتاز في هذه المدرسة هو الأكثر موهبة في الشعر، كما قال.

## عودته إلى أمريكا .. والمآسي في انتظاره

وقد وصلته أخبار عن مرض أفراد عائلته، فيما كانت علاقته مع والده تنتقل من سيء إلى أسوأ فغادر لبنان عائدا إلى بوسطن سنة ١٩٠٢م، ولكنه لسوء حظه وصل بعد وفاة شقيقته سلطانة. وخلال بضعة أشهر كانت أمه تدخل المستشفى لإجراء عملية جراحية لاستئصال بعض الخلايا السرطانية. قرر شقيقه بطرس ترك المحل التجاري والسفر إلى كوبا. وهكذا كان على جبران أن يهتم بشؤون العائلة المادية والصحية. ولكن المآسي تتابعت بأسرع مما يمكن احتماله. فما لبث بطرس أن عاد من كوبا مصابا بمرض قاتل هو السل وقضى نحبه بعد أيام قليلة في ١٢ مارس ١٩٠٣م[١٧٦] فيما فشلت العملية الجراحية التي أجرتها الوالدة في استئصال المرض وقضت نحبها في ٢٨ يونيو من السنة نفسها.

إضافة إلى كل ذلك كان جبران يعيش أزمة من نوع آخر، فهو كان راغبا في إتقان الكتابة باللغة الإنكليزية، لأنها تفتح أمامه مجالا أرحب كثيرا من مجرد الكتابة في جريدة تصدر بالعربية في أميركا كالمهاجر ولا يقرأها سوى عدد قليل من الناس. ولكن إنكليزيته كانت ضعيفة جدا. ولم يعرف ماذا يفعل، فكان يترك البيت ويهيم على وجهه هربا من صورة الموت والعذاب. وزاد من عذابه أن الفتاة الجميلة التي كانت تربطه بها صلة عاطفية، وكانا على وشك الزواج في ذلك الحين جوزيفين بيبادي، عجزت عن مساعدته عمليا، فقد كانت تكتفي بنقد كتاباته الإنكليزية ثم تتركه ليحاول إيجاد حل لوحده. في حين أن صديقه الآخر الرسام هولاند داي لم يكن قادرا على مساعدته في المجال الأدبي كما ساعده في المجال الفني.

مع فجر القرن العشرين، كانت بوسطن، التي سميت أثينا الأمريكية، مركزاً فكرياً حيوياً اجتذب فنانين مشهورين و واعدين. وكان بعضهم راغباً في الخروج من معاقل المادية للبحث عن سبل فنية جديدة واستكشاف ميثولوجيا وحضارات الشرق بل وعلومه الباطنية والروحية. وغاص جبران في هذا المجتمع البوسطني الذي تزدهر فيه حركات صوفية كان أبلغها تأثيراً الحكمة الإلهية التي أنشأتها عام ١٨٧٥م الأرستقراطية الروسية هيلينا بتروفنا بلافاتسكي التي اطلعت على تراث الهند، وشجعت نهضة البوذية والهندوسية. وشيئاً فشيئاً، اتضح له أن

---

[١٧٦] . المرجع السابق ، ص ٢٢٠

Dhaka University Institutional Repository



الروحانية الشرقية التي تسكنه يمكن أن تجد تربة خصبة في هذه البيئة المتعطشة للصوفية... . في ٦ يناير ١٩٠٤م ، عرض "داي" على جبران عرض لوحاته في الربيع القادم. لم يكن أمامه سوى أربعة أشهر. وبتأثيرات من عالم "وليم بليك"، أنجز رسوماً عديدة تفيض بالرمزية.

## جبران والحب

جبران جالسا ذات يوم فى معرض أقامه لصوره يشكو إلى نفسه عدم إقبال جمهور على شرائها ، وفيماهوكذلك اقتحمت عليه عزلته سيدة رشيقة أخذت تلقى على الصور المعروضة نظرة فاحصة هنا وهناك. وحين رأى منها جبران هذا الاهتمام سألها إن كان ثمة مايخفى عليها ، فأجابت : لاأكذبك ،إنى فى حاجة إلى من يشرح الكثير من هذه الصورالتى هى من الغرابة بمكان، وما أحب إلى وأنا من المولعات بالفن أن أعرف ما خفى على منها . ترى من هو مصورها ؟ فأشارجبران إلى نفسه ، فتقدمت إليه تعرفه باسمها ، وأنها تدير مدرسة مس هاسكل للبنات ، وتسأله من أى بلد هو ؟ فيقول : للبنان. ثم دعته إلى زيارتها بمدرستها على أن يقيم معرضا لصوره بها .وهناك قدمته إلى مدرسة فرنسية تدعى ميشلين على حظ كبير من الجمال ، وذكرت له أن الجميع متفقون على حبها وأنها ملاكهم جميعا.[١٧٧] وكانت ميشلين حبه الأول .

## مارى هاسكل

اجتذبت أعماله كثيراً من الفضوليين، ولكن قليلاً من الشارين. وعبر عدد من النقاد عن إعجابهم بها. قدمته جوزفين إلى امرأة من معارفها اسمها ماري هاسكل (١٩٠٤م)، فخطت بذلك صفحات مرحلة جديدة من حياة جبران. كانت ماري هاسكل امرأة مستقلة في حياتها الشخصية وتكبر جبران بعشر سنوات، وقد لعبت دورا هاما في حياته منذ أن التقيا. فقد لاحظت أن جبران لا يحاول الكتابة بالإنكليزية، بل يكتب بالعربية أولا ثم يترجم ذلك. فنصحته وشجعته كثيرا على الكتابة بالإنكليزية مباشرة. وهكذا راح جبران ينشر كتاباته العربية في الصحف أولا ثم يجمعها ويصدرها بشكل كتب، ويتدرب في الوقت نفسه على الكتابة مباشرة بالإنكليزية.

عزم جبران على البحث عن عمل أكثر ربحاً من الرسم. ولما علم بأن شاباً لبنانياً يدعى "أمين غريب" أصدر صحيفة بالعربية في نيويورك اسمها "المهاجر"، تقرب منه وأطلعه على رسومه وكتاباته وقصائده. قبل "غريب" مقابل دولارين في الأسبوع لجبران. وظهرت أول مقالة

---

[١٧٧] . جبران خليل جبران ، ص ٨٦-٨٧

Dhaka University Institutional Repository



له في "المهاجر" بعنوان "رؤية". كان نصاً مفعماً بالغنائية أعطى الكلام فيه لـ "قلب الإنسان، أسير المادة وضحية قوانين الأنام".

وفي ١٢ نوفمبر ١٩٠٤م، احترق مبنى معرض "داي"، وأتى على موجوداته كلها، بما في ذلك رسوم جبران. وتحت صدمة الحريق، الذي وصفه بأنه مشهد جديد من التراجيديا التي يعيشها منذ سنتين، أصبح جبران يكتب أكثر مما يرسم. وخصه "أمين غريب" بزاوية منتظمة بعنوان "أفكار"، ثم استبدله بعنوان "دمعة وابتسامة"، حيث راح جبران يتحدث عن المحبة، والجمال والشباب والحكمة. ونشرت له "المهاجر" عام ١٩٠٥م كتاباً بعنوان "الموسيقى".

**باريس .. مرحلة جديدة**

كانت باريس في بدايات القرن العشرين حلم فناني العالم كله،وصل جبران إليها فى عام ١٩٠٨م. بعد وصوله إليها بوقت قصير، أقام في "مونبارناس"، وسرعان ما انتسب إلى "أكاديمية جوليان"، أكثر الأكاديميات الخاصة شعبية في باريس، التي تخرج منها فنانون كبار، "ماتيس"، و"بونار"، و"ليجيه"... وانتسب كطالب مستمع إلى "كلية الفنون الجميلة". أوقات فراغه، كان جبران يقضيها ماشياً على ضفاف نهر السين ومتسكعاً ليلاً في أحياء باريس القديمة. بعد أن ترك باريس لاحقاً، قال لصديقه "يوسف حويك" الذي عاش معه سنتين في مدينة النور: "كل مساء، تعود روحي إلى باريس وتتيه بين بيوتها. وكل صباح، أستيقظ وأنا أفكر بتلك الأيام التي أمضيناها بين معابد الفن وعالم الأحلام...".

لم يستطع جبران البقاء طويلاً في "أكاديمية جوليان"، حيث وجد أن نصائح أستاذه فيها لم تقدم له أية فائدة. من المؤكد أن أسلوبه لم يستطع إرضاء روح جبران الرومانسية. في بداية شباط ١٩٠٩م، عثر الفنان على أستاذ جديد: "بيير مارسيل بيرونو"، "الفنان الكبير والرسام الرائع والصوفي.."، حسب عبارة جبران. لكنه تركه أخيراً، بعد أن نصحه الفنان الفرنسي بالانتظار والتمهل حتى ينهي كل قاموس الرسم، فجبران نهم إلى المعارف والإبداع وراغب في حرق المراحل.. . تردد حينذاك إلى أكاديمية "كولاروسي"، المتخصصة في الرسم على النموذج، والتي كانت تستقبل فنانين أجانب، غير أن جبران كان يفضل العمل وحيداً وبملء الحرية في مرسمه، وزيارة المعارض، والمتاحف، كمتحف اللوفر، الذي كان يمضي ساعات طويلة في قاعاته الفسيحة. وأعطى دروساً في الرسم لبعض الطلبة. وانخرط في مشروع طموح: رسم بورتريهات شخصيات شهيرة، وقد ابتدأها بالنحات الأمريكي "برتليت"، دون أن نعرف بدقة إن كان قد التقى بهؤلاء.

Dhaka University Institutional Repository



في هذه الأثناء، توفي والده. وكتب إلى ميري هاسكل يقول: "فقدت والدي.. مات في البيت القديم، حيث ولد قبل ٦٥ سنة.. كتب لي أصدقاؤه أنه باركني قبل أن يسلم الروح. لا أستطيع إلا أن أرى الظلال الحزينة للأيام الماضية عند ما كان أبي، وأمي وبطرس وكذلك أختي سلطانة يعيشون ويبتسمون أمام وجه الشمس..."كان جبران دائم الشك، طموحاً، ومثالياً، متصوراً أنه يستطيع إعادة تكوين العالم، وسعى إلى إقناع الآخرين بأفكاره ونظرياته حول الفن، والطبيعة...، وقلقاً، وكثير التدخين، وقارئاً نهماً، وقد أعاد قراءة "جيد" و"ريلكه" و"تولوستوي" و"نيتشه"، وكتب نصوصاً بالعربية وصفها المحيطون به بأنها "حزينة و وعظية".

في ذلك الوقت، قدم إلى باريس عدد كبير من دعاة الاستقلال السوريين واللبنانيين، المطالبين بحق تقرير المصير للبلدان العربية الواقعة تحت النير العثماني. وظهرت فيها جمعيات سرية تطالب بمنح العرب في الإمبراطورية العثمانية حقوقهم السياسية وبالاعتراف بالعربية لغة رسمية... وتردد جبران إلى هذه الأوساط وتشرب بأفكارها. ورأى أن على العرب أن يثوروا على العثمانيين وأن يتحرروا بأنفسهم .رغب جبران في التعريف بفنه. ونجح في الوصول إلى أشهر معارض باريس السنوية، معرض الربيع، حيث استطاع أن يعرض لوحة عنوانها "الخريف"، آملاً أن يمر بها "رودان العظيم" فيعجب بها ويثمنها. جاء الفنان الفرنسي، ووقف لحظة أمامها، وهز رأسه، وتابع زيارته. بعد ذلك، راح يهيئ اللوحات التي دعي لعرضها في معرض الاتحاد الدولي للفنون الجميلة في باريس الذي دعي إليه بشكل رسمي. إلا أن عدم الاستقرار أتعبه، فتخلى عن المشروع ليترك باريس ولم تتسن له بعد ذلك العودة قط إلى مدينة الجمال والفنون، ولا إلى مسقط رأسه لبنان. ولم تأته فرصة لرؤية إيطاليا التي طالما حلم بزيارتها.

**غادر باريس ليعود إلى بوسطن**

عام ١٩٠٨م غادر جبران إلى باريس لدراسة الفنون[١٧٨] وهناك التقى مجددا بزميله في الدراسة في بيروت يوسف الحويك. ومكث في باريس ما يقارب السنتين ثم عاد إلى أمريكا بعد زيارة قصيرة للندن برفقة الكاتب أمين الريحاني. وصل جبران إلى بوسطن في ديسمبرعام ١٩١٠م، حيث اقترح على ماري هاسكل الزواج والانتقال إلى نيويورك هربا من محيط الجالية اللبنانية هناك والتماسا لمجال فكري وأدبي وفني أرحب. ولكن ماري رفضت الزواج منه بسبب فارق السن، وان كانت قد وعدت بالحفاظ على الصداقة بينهما ورعاية شقيقته مريانا العزباء وغير المثقفة. وهكذا انتقل جبران إلى نيويورك ولم يغادرها حتى وفاته. وهناك عرف نوعا من

---

[١٧٨] . كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى ، (القاهرة:دار المعارف ، ب ت)، ط٤، ج٢، ص ١٠٩٤

Dhaka University Institutional Repository



الاستقرار مكنه من الانصراف إلى أعماله الأدبية والفنية فقام برسم العديد من اللوحات لكبار المشاهير مثل رودان وساره برنار وغوستاف يانغ وسواهم.

**ماري العزيزة**

حال وصوله إلى بوسطن في بداية نوفمبر، هرع لرؤية أخته "مارينا". ثم مضى للقاء "ميري"، التي أعلمته على الفور - حرصاً منها على إبقاء الفنان تحت رعايتها - بأنها مستعدة للاستمرار في منحه الخمسة وسبعين دولاراً التي كانت تقدمها له إبان إقامته الباريسية. ونصحته باستئجار بيت أوسع لممارسة فنه بحرية. وساعدته في تحسين لغته الإنكليزية. وتعززت صداقتهما. وفي ١٠ ديسمبر، زارها في بيتها لمناسبة عيد ميلادها السابع والثلاثين، وعرض عليها الزواج. لكنها رفضت بحجة أنها تكبره بعشر سنوات. وكتب لها فيما بعد أنها جرحته بهذا الرفض. وقررت "ميري" أن تتراجع وتقبل. ثم عادت فرفضت مرة أخرى.. ربما بسبب علاقاته مع نساء أخرى، أو لخوفها من الزواج بأجنبي. وسعى جبران بعد ذلك لإغراق خيبة أمله في العمل. وسرعان ما شعر بأن بوسطن مدينة باردة وضيقة وأنها أصغر من طموحاته الفنية، خصوصاً بعد تلك الإقامة في باريس الرحبة والدافئة، عدا الجرح الذي تركته فيه "ميري". وقرر المغادرة إلى نيويورك. حزم حقائبه غير آسف، حاملاً معه مخطوطة "الأجنحة المتكسرة" ونسخة من "هكذا تكلم زرادشت" لنيتشه.

**جبران في نيويورك**

قال الشاعر والكاتب الفرنسي "بول كلودل" بعد وصوله إلى نيويورك عام ١٨٣٨م "بالنسبة للغريب الذي يقع هنا، جاهلاً كل شيء ودواعي كل شيء، تكون أيامه الأولى مذهلة..". إلا أن جبران فهمها فوراً: "نيويورك ليست مكاناً يمكن أن يجد فيه المرء راحة". بدأ إقامته بزيارة متحف "متروبوليتان ميوزم أف آرت"، الذي خرج منه مندهشاً. تعرف إلى الجالية اللبنانية، وبعض مشاهير نيويورك. في هذه الأثناء، جاءت "ميري" إلى نيويورك ووجدته يرسم لوحة "إيزيس". زارا بعض المتاحف والأوابد. وبعد ذلك، عادا معاً إلى بوسطن، حيث تهيأت الصديقة لقضاء عطلة في غرب البلاد. وعرضت حينذاك على جبران مبلغ خمسة آلاف دولار دفعة واحدة بدلاً من المبالغ الصغيرة المتقطعة. قبل بالعرض وألح بأن يوصي لها بكل ما يملك، عرفاناً بجميلها. وكتب وصية أدهشت أصدقاءه. أوصى بكل لوحاته ورسومه إلى "ميري" أو إن كانت متوفاة، إلى "فرد هولاند داي" وبمخطوطاته الأدبية إلى أخته وبكتبه في لبنان إلى مكتبة بشري.

Dhaka University Institutional Repository



استغل جبران الصيف لإنهاء "الأجنحة المتكسرة" وروتشة لوحة "إيزيس"، وبدأ برسم لوحات جديدة، وزين بالرسوم كتاباً لأمين الريحاني، وكتب مقالتين، إحداهما بعنوان "العبودية"، حيث يندد بالعبودية التي تقود شعباً وفقاً لقوانين شعب آخر، والأخرى بعنوان "أبناء أمي" يتمرد فيها على مواطنيه الذين لا يثورون في وجه المحتل. وحضر محاضرة للشاعر والكاتب المسرحي الإيرلندي "وليم ييتس" (جائزة نوبل ١٩٢٣م)، وتعارفا والتقيا مراراً. في ١٨أكتوبر الأول عاد جبران إلى نيويورك وأقام في مبنى "تنث ستريت ستوديو" المخصص للفنانين. في هذه السنة نشر روايته "الأجنحة المتكسرة"، أكثر أعماله رومانسية، والتي أنبأت بأسلوبه وفكره المستقبليين.

في ١٥ إبريل ١٩١٢م، هزت العالم حادثة غرق الـ "تيتانيك"، التي كان على متنها مئات الأشخاص، بينهم ٨٥ لبنانياً، غرق ٥٢ منهم. كانت الكارثة صدمة بالنسبة لجبران، الذي عز عليه النوم تلك الليلة. في اليوم نفسه، التقى بعبد البهاء، ابن بهاء الله مؤسس حركة البهائية الروحية في إيران، ودعاه لإلقاء خطاب أمام أعضاء "الحلقة الذهبية" حول وحدة الأديان.في بداية الخريف، التقى جبران بالكاتب والروائي الفرنسي "بيير لوتي"، الذي جاء إلى نيويورك لحضور عرض مسرحية "بنت السماء" التي ألفها مع ابنة الأديب والشاعر الفرنسي "تيوفيل غوتيه". وقد عبر له "لوتي" عن قرفه من صخب أمريكا وقدم له نصيحة: "أنقذ روحك وعد إلى الشرق؛ مكانك ليس هنا!".

كيف يمكننا تصور جبران في هذه الفترة من حياته ؟ كانت له ملامح أهل قريته: وجه ملوح بالسمرة، وأنف بارز، وشارب أسود وكثيف، وحاجبان مقوسن كثان، وشعر معقوص قليلاً، وشفتان ممتلئتان؛ وجبين عريض مهيب مثل قبة، وعينان يقظتان تنمان عن ذكاء هذا الشخص قصير القامة ذي الابتسامة المشرقة الموحية ببراءة الأطفال؛ "مكهرب، ومتحرك كاللهب" ميري ؛ وطبيعة هي أقرب إلى الحزن ؛ محب للانعزال "الوحدة عاصفة صمت تقتلع كل أغصاننا الميتة"، ويجد لذة في العمل؛ أنوف، وبالغ الحساسية، ولا يتسامح مع أي نقد؛ مستقل وثائر بطبيعته، يأبى الظلم بأي شكل . كان يدخن كثيراً: "اليوم - كتب إلى ميري - دخنت أكثر من عشرين سيجارة. التدخين بالنسبة لي هو متعة وليس عادة مستبدة...". وليلاً، كي يبقى متنبهاً ويستمر في عمله، كان يتناول القهوة القوية ويأخذ حماماً بارداً. إلا أن أسلوب الحياة إياه بدأ ينهك جسمه ويضفي عليه ملامح الكبر.

Dhaka University Institutional Repository



في العام ١٩١٣م، التقى بعدد من مشاهير عالم الفن النيويوركيين، مثل الشاعر "ويتر بوينر". وفي شباط تخلى لـ "ميري" عن مجموعة من لوحاته وفاء للدين، متمنياً أن يتخلص من هذا الوضع الذي كان يضايقه. وعاد إلى إكمال مجموعة بورتريهاته، مخصصاً إحداها للمخترع الأمريكي "توماس إديسون" وأخرى لعالم النفس السويسري "كارل غوستاف يونغ" الذين قبلا الجلوس ليرسمهما جبران. والتقى بالفيلسوف الفرنسي "هنري برجسون" الذي وعده بأن يسمح له برسمه في باريس، معتذراً آنئذ بسبب الإنهاك من السفر، وبالممثلة الفرنسية "ساره برنهاردت": "باختصار، كانت لطيفة يؤكد جبران. حدثتني بفرح غامر عن أسفارها إلى سورية ومصر، وأخبرتني أن أمها كانت تتكلم العربية وأن موسيقى هذه اللغة كانت وما تزال حية في نفسها". وقبلت أن تجلس ليرسمها، ولكن عن بعد "كي لا تظهر ملامح وجهها". كانت قد أصبحت في عامها التاسع والستين.

افتتح جبران فى نيويورك مرحلة جديدة من مراحل حياته ، تعرف إلى مؤلفات الفيلسوف الألمانى نيتشه ولاسيما كتابه هكذا تكلم زرادشت وماعرف جبران نيتشه حتى كاد ينسى كل من عرفهم قبله من كبار الكتاب والشعراء.[١٧٩]

في إبريل ١٩١٣م، ظهرت في نيويورك مجلة "الفنون"، التي أسسها الشاعر المهجري الحمصي نسيب عريضة. ونشر فيها جبران مقالات متنوعة جداً وقصائد نثرية. ووقع فيها على دراسات أدبية كرسها لإثنين من كبار الصوفيين، الغزالي وابن الفارض، الذين تأثر بأفكارهما.

**الأديبة ماري زيادة**

"مي" هو الاسم الذي اختارته تلك المرأة القلقة، التي تبدو، كالبحر، تارة هادئة وشفافة، وأخرى ثائرة. ولدت عام ١٨٨٦م، من أب لبناني وأم فلسطينية. رحلت أسرتها عام ١٩٠٨م إلى القاهرة. أتقنت لغات عدة، وأظهرت مواهب استثنائية في النقد والأدب والصحافة. حولت دارتها في القاهرة إلى صالون أدبي، وراحت تستقبل فيها كبار الأدباء والمثقفين، كـ طه حسين وعباس محمود العقاد و يعقوب صروف. اكتشفت جبران عام ١٩١٢م، عبر مقالته "يوم مولدي" التي ظهرت في الصحافة. وأسرها أسلوبه. وقرأت "الأجنحة المتكسرة" وخالفته في رأيه للمرأة في هذه الرواية. تراسلا، وتبادلا في رسائلهما الإطراء وتحدثا عن الأدب. روى لها همومه اليومية،

---

[١٧٩] . جبران خليل جبران ، ص ١٣٠-١٣١

Dhaka University Institutional Repository



وطفولته وأحلامه وأعماله. وانعقدت بينهما علاقة ألفة وحب. وطلب منها عام ١٩١٣م تمثيله وقراءة كلمته في حفل تكريم شاعر القطرين خليل مطران. كانت "مي" حساسة جدا وحالمة. ولما انقطعت رسائل جبران عقب قيام الحرب العالمية الأولى، تعلقت بذكرى مراسلها البعيد ورفضت كل الطامحين إلى الزواج منها. وتمنت في مقالة لها أن تكون بقرب ذلك الوجه الذي يمنع البعد رؤيته. لم يلتقيا قط، غير أن الكاتبين شعرا أنهما قريبان أحدهما من الآخر، وأحس أن "خيوطا خفيفة" تربط بين فكرهما وأن روح "مي" ترافقه أينما اتجه.

في عام ١٩٢١م، أرسلت له صورتها، فأعاد رسمها بالفحم. واكتشف بسعادة أنها امرأة مليئة الوجه، ذات شعر بني قصير، وعينين لوزيتي الشكل يعلوهما حاجبان كثان، وشفتين ممتلئتين. وجد في نظرتها البراقة شيئاً معبراً يجتذبه، وفي ملامحها بعضاً من الذكورة، صرامة كامنة تضفي عليها مزيداً من الجاذبية: "مي" تجسد الأنوثة الشرقية. كان في هذه المرأة كل ما يعجبه، غير أنها بعيدة جداً. ولم يكن يشعر أنه مهيأ بعد لترك أمريكا فيتخلى عن حريته. هذا الحب الروحي، الفكري، أعجبه. ولكن هل فكر بمجرد ما لكماته من وقع على قلب مراسلته ؟

في عام ١٩٢٣م، كتب لها يقول دون كلفة: "أنت تعيشين فيّ وأنا أعيش فيك، تعرفين ذلك وأعرفه". كانت "مي"، كلما بدت عبارات مراسلها أكثر جرأة أو شابها بعض سخرية من تعبير اختارته دون قصد منها، تلجأ إلى "مقاطعته" وتلوذ بصمت يستمر أشهراً أحياناً. مشاعرها الحقيقية كانت تبوح بها في مقالاتها. وإن كانت قد خصت أعماله بمقالات نقدية مدحية، فقد نهرته في أخرى. وفي مقالة بعنوان "أنت، الغريب"، عبرت عن كل هواها نحو "ذاك الذي لا يعرف أنها تحبه" و"الذي تبحث عن صوته بين كل الأصوات التي تسمعها". في رسالة له عام ١٩٢٤م، عبرت له "مي" عن خوفها من الحب. ورد عليها جبران: ".. هل تخافين ضوء الشمس؟ هل تخشين مد البحر وجزره؟...". فاجأه موقفها. وبدا أنه اختار التراجع لإنقاذ حريته أو وقته، مفضلاً عدم الانطلاق في علاقة قد تتطلب منه ومنها تضحيات كبيرة. أدركت "مي" حينذاك، بمرارة، سوء التفاهم بين رغبتها وفكرة جبران عن علاقتهما. وأسفت أنها كانت على هذا القدر من الصراحة والمباشرة. وصمتت ثمانية أشهر، رآها جبران "طويلة كأنها أزل". رغم كل شيء استمرت مراسلاتهما متباعدة، حتى وفاة جبران لتبقى واحدة من الأخصب والأجمل في الأدب العربي.

Dhaka University Institutional Repository



## الحرب الكبرى

أقلقت الحرب جبران رغم بعده عن ساحات المعارك بآلاف الكيلومترات. وجعله الوضع في لبنان مضطرباً: استولت السلطات العثمانية على كل موارد البلد، وصادرت الماشية، وانتشرت المجاعة، وقمع المعارضون وعلق جمال باشا السفاح مشانق الوطنيين اللبنانيين والعرب في الساحات العامة. وشعر بالذنب لبعده عن "أولئك الذين يموتون بصمت". ولم يتردد في قبول منصب أمين سر لجنة مساعدة المنكوبين في سوريا وجبل لبنان. وساهم بمشاركة الجالية السورية ـ اللبنانية في بوسطن ونيويورك في إرسال باخرة مساعدات غذائية إلى مواطنيه.

دفع هذا النشاط بعض الكتاب لأن يجعلوا من جبران أيديولوجياً وصاحب نظرية سياسية، غير أنه لم يكن من ذلك في شيء. وقد رد على من حضه للقيام بدور الزعيم السياسي بالقول: "لست سياسياً، ولا أريد أن أكون كذلك". كان دافعه هو حس المسؤولية وتلبية نداء الواجب. كان همه إنسانياً، تحرير الوضع البشري من كل عبودية.

## الرابطة القلمية

فى سنة ١٩٢٠م تألفت الرابطة القلمية وانتخب جبران عميدا لها .[١٨٠]

## أدب جبران

كان في كتاباته اتجاهين، أحدهما يأخذ بالقوة ويثور على العقائد والدين، والآخر يتتبع الميول ويحب الاستمتاع بالحياة. أبطأ هذا النشاط الإنساني والأخبار المأساوية التي توافدت عليه من أوروبا والمشرق نتاجه الأدبي. صحيح أنه نشر عام ١٩١٤م مجموعته "دمعة وابتسامة"، غير أنها لم تكن سوى جمع لمقالات بالعربية (٥ مقالة نشرت في "المهاجر"، وكان هو نفسه قد تردد في نشرها. كانت ذات نفحة إنسانية وضمت تأملات حول الحياة، والمحبة، والوضع في لبنان وسورية، وقد اتخذت شكل القصيدة المنثورة، الأسلوب غير المعروف في الأدب العربي، وقد كان رائده. في هذه الفترة تقريباً، شعر بالحاجة للكتابة بالإنكليزية، هذه اللغة التي يمكن أن تفتح له الكثير من الأبواب وتمكنه من ملامسة الجمهور الأمريكي. قرأ "شكسبير" مرة أخرى، وأعاد قراءة الكتاب المقدس مرات عدة بنسخة "كينغ جيمس".. . كانت إنكليزيته محدودة جداً، غير أنه عمل طويلاً ويجد حتى أتقن لغة شكسبير ولكن دون أن يتخلى عن لغته الأم: "بقيت أفكر

---

[١٨٠] . حنا الفاخورى، تاريخ الأدب العربى ، ص ٢٢٣

Dhaka University Institutional Repository



بالعربية".".. كان غنى العربية، التي أولع بها، يدفعه دائماً إلى سبر الكلمة التي تتوافق بأفضل شكل مع مثيلتها في الإنكليزية، بأسلوب بسيط دائماً..."، كما ذكرت مساعدته بربارة يونغ.

من أين يبدأ ؟ كان أمامه مشروع "النبي"، الذي نما معه منذ الطفولة. سار العمل بطيئاً جداً. أراد أخيراً أن يجد موضوعاً يستقطب أفكاره ولغته الثانية. وفكر جبران: ما الذي يمكن، مع الإفلات من العقاب، أن يكشف حماقة الناس وجبنهم وينتزعه حُجُب المجتمع وأقنعته ؟. المجنون. أغرته الفكرة. لم ينس "قزحيّا" في الوادي المقدس وتلك المغارة التي كانوا يقيدون فيها المجانين لإعادتهم إلى صوابهم، كما كانوا يعتقدون. في "يوحنا المجنون"، كان قد كتب يقول إن "المجنون هو من يجرؤ على قول الحقيقة"، ذاك الذي يتخلى عن التقاليد البالية والذي "يصلب" لأنه يطمح إلى التغيير. برأيه، "أن الجنون هو الخطوة الأولى نحو انعدام الأنانية... هدف الحياة هو تقريبنا من أسرارها، والجنون هو الوسيلة الوحيدة لذلك".

في هذه الأثناء، شارك في مجلة جديدة، التي كان ينشر فيها كتاب مشهورون، مثل جون دوس باسوس وبرتراند راسل، ومن خلالها أضحى مشهوراً في الأوساط الفنية النيويوركية، حيث نشر رسومه ونصوصه الأولى بالإنكليزية.

كانت فترة ١٩١٤م ـ ١٩١٦م غنية باللقاءات: تردد جبران إلى صالونات المجتمع الراقي الذي كانت تديره نساء متنفذات. تعرف إلى الفنانة الشهيرة "روز أونيل"، وعمدة نيويورك، والشاعرة "آمي لويل"، والرسام الرمزي "ألبرت رايدر". في خريف ١٩١٦م، التقى مرة أخرى بمخائيل نعيمة، الذي ألف فيه كتاباً، جبران خليل جبران". كان "نعيمة" يدرس في روسيا قبل أن يتوجه إلى الولايات المتحدة، حيث درس أيضاً القانون والآداب. كتب كلاهما في "الفنون"، وكلاهما آمنا بالتقمص، وناضل كلاهما من أجل تحرير بلدهما عبر لجنة المتطوعين، جبران كمسؤول عن المراسلات بالإنكليزية ونعيمة كمسؤول عن المراسلات بالعربية.

في ديسمبر ١٩١٦م، التقى أخيراً بـ "رابندراناته طاغور١٨٦١-١٩٤١م)"، الشاعر الهندي الشهير، المتوج بجائزة نوبل في الآداب لعام ١٩١٣م. وكتب إلى "ميري" في وصفه قائلاً: "حسن المنظر وجميل المعشر. لكن صوته مخيّب: يفتقر إلى القوة ولا يتوافق مع إلقاء قصائده...". بعد هذا اللقاء، لم يتردد صحفي نيويوركي في عقد مقارنة بين الرجلين: كلاهما يستخدمان الأمثال في كتاباته ويتقنان الإنكليزية واللغة الأم. وكل منهما فنان في مجالات أخرى غير الشعر".

Dhaka University Institutional Repository



مع اقتراب الحرب من نهايتها، أكب جبران أكثر على الكتابة. ألف مقاطع جديدة من "النبي"، وأنهى كتابه "المجنون"، التي اشتملت على أربعة وثلاثين مثلاً (قصة قصيرة رمزية) وقصيدة. أرسلها إلى عدة ناشرين، لكنهم رفضوها جميعاً بحجة أن هذا الجنس الأدبي "لا يباع". لكنه وجد ناشراً أخيراً، وظهر العمل عام ١٩١٨م مزيناً بثلاثة رسوم للمؤلف. وكان جبران قد كتب بعض نصوصه بالعربية أصلاً، ثم ترجمها إلى الإنكليزية. ويروي فيه حكاية شخص حساس ولكن "مختلف"، يبدأ بإخبارنا كيف أصبح مجنوناً. "... في قديم الأيام قبل ميلاد كثيرين من الآلهة نهضت من نوم عميق فوجدت أن جميع براقعي قد سرقت... فركضت سافر الوجه في الشوارع المزدحمة صارخاً بالناس "اللصوص! اللصوص! اللصوص الملاعين!" فضحك الرجال والنساء مني وهرب بعضهم إلى بيوتهم خائفين مذعورين... هكذا صرت مجنوناً، ولكني قد وجدت بجنوني هذا الحرية والنجاة معاً...". تميز أسلوب جبران في "المجنون" بالبساطة واللهجة الساخرة والمرارة، وشكل هذا العمل منعطفاً في أعمال الكاتب، ليس فقط لأنه أول كتاب له بالإنكليزية، بل لما فيه من تأمل وسمو روحي. وأرسل نسخة منه إلى "مي زيادة"، التي وجدته سوداوياً ومؤلماً. وأرسل نسخة أخرى إلى جيرترود باري، حبيبته الخبيئة. ربما أخفى جبران هذه العلاقة كي لا يجرح "ميري" ومن أجل أن لا تمس هذه العلاقة اللاأفلاطونية صورته الروحية. كان لجبران علاقات غير محددة، أفلاطونية وجسدية: جيرترود شتيرن التي التقاها عام ١٩٣٠م واعتبرت نفسها حبه الأخير، وماري خواجي و ماري خوريط، وهيلينا غوستين التي أكدت، كما فعلت "شارلوت" و"ميشلين" بأن جبران "زير نساء"، وقد روت، مازحة ومداعبة، أنه طلب منها ذات مرة أن تشتري له مظلة ليقدمها إلى شقيقته "ماريانا"، لكنها اكتشفت بعد حين أنه قد أهداها لامرأة أخرى. هذه المغامرات عاشها جبران سراً, إما حفاظاً على سمعة تلك العشيقات أو خوفاً من تشويه الصورة التي كان يريد أن يعطيها حول نفسه: صورة الناسك، صورة الكائن العلوي، عاشق الروح وليس الجسد.

في نوفمبر١٩١٨م، أعلن الهدنة أخيراً. وكتب جبران إلى "ميري" يقول: "هذا أقدس يوم منذ ميلاد اليسوع!".في مايو ١٩١٩م، نشر جبران كتابه السادس بالعربية، "المواكب". كان قصيدة طويلة من مائتين وثلاثة أبيات فيها دعوة للتأمل، كتبها على شكل حوار فلسفي بصوتين: يسخر أحدهما من القيم المصطنعة للحضارة؛ ويغني الآخر، الأكثر تفاؤلاً، أنشودة للطبيعة ووحدة الوجود. وقد تميز الكتاب بتعابيره البسيطة والصافية والتلقائية.في نهاية عام ١٩١٩م، نشر مجموعة من عشرين رسماً. وقد أدخل الناشر إلى مقدمتها نصاً للناقدة الفنية أليس رافائيل إكستين، حيث جاء فيها أن جبران "يقف في أعماله الفنية عند الحدود بين الشرق والغرب

Dhaka University Institutional Repository



والرمزية والمثالية". وقد قيل إن "جبران يرسم بالكلمات"، إذ يبدو رسمه في الواقع تعبيراً دقيقاً عن أفكاره.

## منتدى الشعراء المنفيين وتأسيس الرابطة القلمية

في ليلة ٢٠ إبريل ١٩٢٠م، رأى الكتاب السوريون واللبنانيون في اجتماع لهم في نيويورك أنه يجب التصرف من أجل "إخراج الأدب العربي من الموحل، أي الركود والتقليد الذي غاص فيهما". يجب حقنه بدم جديد. وقرر المشاركون تأسيس تنظيم يتمحور حول الحداثة ويكرس لجمع الكتاب وتوحيد جهودهم لخدمة الأدب العربي. وجد جبران الفكرة ممتازة ودعا الأعضاء للاجتماع عنده بعد أسبوع لاحق.

اجتمعوا في ٢٨ التالي وحددوا أهداف التنظيم الذي سموه "الرابطة القلمية"، التي ضمت جبران، و"إيليا أبو ماضي" و"ميخائيل نعيمة" و"عبد المسيح حداد" صاحب مجلة "السايح" وآخرين، في نشر أعمال أعضائها وأعمال الكتاب العربي الآخرين وتشجيع تعريب أعمال الأدب العالمي، فضلاً عن أهداف أخرى. انتخب جبران رئيساً، وميخائيل نعيمة أميناً للسر.

بقيت الرابطة تجتمع دورياً تقريباً حتى وفاة جبران. نشر الأعضاء مقالات في مجلة "السايح" وكرسوا عدداً في العام للمختارات. وأضحت الرابطة بأفكارها المتمردة رمزاً لنهضة الأدب العربي. رأى جبران أنه لن يكون للغته العربية مستقبل إذا لم تتحرر من القوالب القديمة ومن "عبودية الجمل الأدبية السطحية"، وإذا لم تتمكن من إرساء حوار حقيقي مع الغرب وتتمثل تأثير الحضارة الأوروبية دون أن تجعلها تهيمن عليها. في أغسطس ١٩٢٠م، أصدرت منشورات الهلال القاهرية مجموعة تضم ٣١ مقالة لجبران كانت قد ظهرت في صحف مختلفة ناطقة بالعربية. حملت "العواصف" على عيوب الشرقيين - تعلقهم بالماضي بالتقاليد القديمة -، رافضة حالة خضوع المضطهدين وضعفهم، داعية إياهم إلى الطموح والرفعة. بعد أسابيع لاحقة، نشر جبران كتابه الثاني بالإنكليزية، "السابق" الذي زينه بخمسة من رسومه. وقد جاء على شكل أمثال وحكايات صغيرة مفعمة بالحكمة والتصوف، وكان بمثابة تهيئة لكتاب جبران الأهم، "النبي". سنة ١٩٢٣م نشر كتاب جبران باللغة الإنكليزية، وطبع ست مرات قبل نهاية ذلك العام ثم ترجم فورا إلى عدد من اللغات الأجنبية، ويحظى إلى اليوم بشهرة قل نظيرها بين الكتب.

Dhaka University Institutional Repository



في هذه الأثناء، حينما كان يعمل بمثابرة على مخطوطة "النبي"، ساءت صحته، ولم يداوها الفرار إلى الطبيعة برفقة الأصدقاء. آثر البقاء في بوسطن قرب شقيقته "ماريانا"، ولم يعد يطمح إلا إلى إنهاء مخطوطته والعودة إلى مسقط رأسه، غير أن أمنية العودة اصطدمت بمشكلة كبيرة: ملاحقة دائني والده القضائية لاسترجاع ديونهم ممن تبقى من أفراد الأسرة، جبران وماريانا.

## رائعة جبران الكبيرة .. النبي

سنة ١٩٢٣م ظهرت إحدى روائع جبران وهي رائعة "النبي" ففي عام ١٩٩٦م، بيعت من هذا الكتاب الرائع، في الولايات المتحدة وحدها، تسعة ملايين نسخة. وما فتئ هذا العمل، الذي ترجم إلى أكثر من أربعين لغة، يأخذ بمجامع قلوب شريحة واسعة جداً من الناس. وفي الستينيات، كانت الحركات الطلابية والهيبية قد تبنت هذا المؤلف الذي يعلن بلا مواربة: "أولادكم ليسوا أولاداً لكم، إنهم أبناء وبنات الحياة المشتاقة إلى نفسها...". وفي خطبة شهرية له، كرر جون فيتزجرالد كندي سؤال جبران: "هل أنت سياسي يسأل نفسه ماذا يمكن أن يفعله بلده له أم أنك ذاك السياسي الهمام والمتحمس الذي يسأل نفسه ماذا يمكن أن يفعله من أجل بلده؟".

حمل جبران بذور هذا الكتاب في كيانه منذ طفولته. وكان قد غير عنوانه أربع مرات قبل أن يبدأ بكتابته. وفي نوفمبر ١٩١٨م، كتب إلى "مي زيادة" يقول "هذا الكتاب فكرت بكتابته منذ ألف عام..". ومن عام ١٩١٩م إلى عام ١٩٢٣م، كرس جبران جل وقته لهذا العمل، الذي اعتبره حياته و"ولادته الثانية". وساعدته "ميري" في التصحيحات، إلى أن وجد عام ١٩٢٣م أن عمله قد اكتمل، فدفعه إلى النشر، ليظهر في سبتمبر نفس العام. "النبي" كتاب ممتميز جداً ممن حيث أسلوبه وبنيته ونغمية جمله، وهو غني بالصور التلميحية، والأمثال، والجمل الاستفهامية الحاضة على تأكيد الفكرة نفسها، من يستطيع أن يفصل إيمانه عن أعماله، وعقيدته عن مهنته ؟ أو ليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها ؟

أمكن أيضاً إيجاد تشابه بين "النبي" و"هكذا تكلم زرادشت" لنيتشه. من المؤكد أن جبران قرأ كتاب المفكر الألماني، وثمنه. اختار كلاهما حكيماً ليكون لسان حاله. الموضوعات التي تطرقا إليها في كتابيهما متشابهة أحياناً: الزواج، والأبناء، والصداقة، والحرية، والموت... . كما نعثر على بعض الصور نفسها في العملين، كالقوس والسهم، والتائه.... . مع ذلك، ففي حين تتسم الكتابة النيتشوية برمزية شديدة وفصاحة تفخيمية، تمتاز كتابة "النبي" بالبساطة والجلاء وبنفحة

Dhaka University Institutional Repository



شرقية لا يداخلها ضعف. ونيتشه أقرب بكثير إلى التحليل الفلسفي من جبران، الذي يؤثر قول الأشياء ببساطة. "النبي" هو كتاب في التفاؤل والأمل. وبطريقة شاعرية، وأسلوب سلس، يقدم لنا جبران فيه برسالة روحية تدعونا إلى تفتح الذات و"إلى ظماً أعمق للحياة".

ماذا يقول لنا جبران في "النبي" على لسان حكيمه؟. عندما طلبت منه المطرة، المرأة العرافة، خطبة في المحبة، قال: "المحبة لا تعطي إلا نفسها، ولا تأخذ إلا من نفسها. المحبة لا تملك شيئاً، ولا تريد أن يملكها أحد، لأن المحبة مكتفية بالمحبة". ولما طلبت رأيه في الزواج، أجاب: "قد ولدتم معاً، وستظلون معاً إلى الأبد. وستكونون معاً عندما تبدد أيامكم أجنحة الموت البيضاء.. أحبوا بعضكم بعضاً، ولكن لا تقيدوا المحبة بالقيود.. قفوا معاً ولكن لا يقرب أحدكم من الآخر كثيراً: لأن عمودي الهيكل يقفان منفصلين، والسنديانة والسروة لا تنمو الواحدة منهما في ظل رفيقتها". وفي الأبناء، يقول: أولادكم ليسوا أولاداً لكم. إنهم أبناء وبنات الحياة المشتاقة إلى نفسها، بكم يأتون إلى العالم ولكن ليس منكم. ومع أنهم يعيشون معكم فهم ليسوا ملكاً لكم". وفي العمل: "قد طالما أخبرتم أن العمل لعنة، والشغل نكبة ومصيبة. أما أنا فأقول لكم إنكم بالعمل تحققون جزءاً من حلم الأرض البعيد، جزءاً خصص لكم عند ميلاد ذلك الحلم. فإذا واظبتم على العمل النافع تفتحون قلوبكم بالحقيقة لمحبة الحياة. لأن من أحب الحياة بالعمل النافع تفتح له الحياة أعماقها، وتدنيه من أبعد أسرارها".....

في عام ١٩٣١م، كتب جبران بخصوص "النبي": "شغل هذا الكتاب الصغير كل حياتي. كنت أريد أن أتأكد بشكل مطلق من أن كل كلمة كانت حقاً أفضل ما أستطيع تقديمه". لم تذهب جهوده عبثاً: بعد سبعين سنة على وفاته، ما يزال يتداوله ملايين القراء في أنحاء العالم.

بقي جبران على علاقة وطيدة مع ماري هاسكال، فيما كان يراسل أيضا الأديبة مي زيادة التي أرسلت له عام ١٩١٢م رسالة معربة عن إعجابها بكتابه " الأجنحة المتكسرة". وقد دامت مراسلتهما حتى وفاته رغم انهما لم يلتقيا أبدا.

**مؤلفاته بالعربية**

**الموسيقى:** كتيب وضعه جبران فى صباه ثم نشره سنة ١٩٠٥م فى نيويورك ، وطواه على تأملات فى الموسيقى وطاقاتها التعبيرية والتاثيرية. فهى حديث القلوب وهى كالحب عم تأثيرها الناس. وقد ألقى جبران نظرة سريعة على منزلة الموسيقى عند الأمم. وفى هذا الكتاب تلمس الأسلوب الجبرانى فى فجر تفتحه.

Dhaka University Institutional Repository



**عرائس المروج:** كتاب ظهر سنة ١٩٠٦م، وانطوى على ثلث قصص : رماد الأجيال والنار الخالدة ومرتا البانية ويوحنا المجنون.

**الأرواح المتمردة :** كتاب ظهر سنة ١٩٠٨م وانطوى على أرواح تمردت على التقاليد والشرائع القاسية التى تحد من حرية الفكر والقلب والتى تسمح لحفنة من الآدميين أن تتحكم فى أرزاق الناس وعواطفهم وأعناقهم باسم القانون وباسم الدين . وفى الكتاب أربع قصص هى السيدة وردة الهانى، صراخ القبور، مضجع العروس، خليل الكافر.

**الأجنحة المتكسرة :** كتاب ظهر سنة ١٩١٢م وانطوى على قصة جبران فى حبه الأول وكيف حالت التقاليد وسلطة رجال الدين دون اقتران الحبيبين ، فاقترنت الفتاة بابن أخى المطران عن غير حب وكان فى ذلك شقاءها.

**دمعة وابتسامة :** كتاب ظهر سنة ١٩١٤م وفيه مقالات انطوت على مواعظ فى المحبة التى تشد الأكوان بعضها إلى بعض ، وفى ألوهية الإنسان وغير ذلك من الموضوعات.

**المواكب :** قصيدة طويلة ظهرت سنة ١٩١٩م ، وفيها نظرات فلسفية فى أهم شؤون الحياة البشرية كالخير والشر الدين والحق والعدل وما إلى ذلك . كانت المواكب نتيجة لتلك الحالة القلقلة التى أحسها جبران ما بين قوتين تتجاذبانه : قوة الإيمان بحكمة الحياة وعدلها وجمالها فى كل ما تأتيه وقوة النقمة التى آثارها فيه نيتشه من جديد على ضعف الناس وتواكلهم وكل ما فى حياتهم الباطنية و الخارجية من قذارة و بشاعة .

**المؤلفات الإنكليزية :**

**المجنون :** كتاب ظهر سنة ١٩١٨م وانطوى على أمثال وتأملات فى موضوعات شتى . وجبران يشعر فيه بالوحدة ويثور على المنافقين والضالين .

**السابق :** كتاب ظهر سنة ١٩٢٠م واتخذ فيه جبران أسلوب الأمثال أيضاً ، وجعله تمهيداً لكتاب النبى .

**النبى :** كتاب ظهر سنة ١٩٢٣م ، وهو كتاب جبران وهدف حياته ، بل هو القمة التى اتجهت إليها جميع قواه. وهو يقع فى ٢٨ فصلا فى المحبة ، والزواج والأبناء والعطاء والغذاء والعمل والفرح والترح والمساكين والثياب والبيع والشراء وماإلى ذلك.

**رمل وزبد :** كتاب ظهر سنة ١٩٢٦م وفيه مجموعة من الحكم والآراء منثورة فى غير نظام .

**يسوع بن الإنسان :** كتاب ظهر سنة ١٩٢٨م ، ويسوع جبران يختلف تماماً عن يسوع الإنجيل.

**آلهة الأرض :** كتاب ظهر سنة ١٩٣١م، وهو آخر كتاب ظهر له فى حياته .

Dhaka University Institutional Repository



**التائه :** ظهر سنة ١٩٣٢م بعد وفاة جبران ، وفيه نحو خمسين قصة من قصص التائه. [١٨١]

**المراحل فى أدب جبران**

**١ - المرحلة الأولى** - وجوه لبنانية : تبدأ المرحلة الأولى من مراحل الألم الإجتماعى فى آثار جبران ، وأذا نحن أمام سلسلة من القصص فى عرائس المروج ، رماد الأجيال ، النار الخالدة ، مَرتا البانية ، يوحنا المجنون وفى الأرواح المتمرّدة وردة الهانى ، صراخ القبور ، مضجع العروس وخليل الكافر)، وفى الأجنحة المتمرّدة وغيرها . وفى هذه القصص ثورة على إقطاعية السياسة، وإقطاعية التقاليد الإجتماعية ، وإقطاعية الدين . إنها انتفاضت طبيعة غنية بالعاطفة والإخلاص ، طبيعة منفعلة بما شاهده جبران فى بلاده الراسفة فى القيود ، التقهقرة عن ركب الحضارة ، انتفاضت نفس اصطرع فيها طموح النفس وخمول البلاد ، ورأت فى قوانين البشر ودساتيرهم مرضا عضالا يجنى على أبناء بلادها ويجعلهم موتى أمام وجه الحياة الطليق . والوثبة جريئة تنطلق مع واقع الأفراد وتطوى شرائع العباد من غير ما نظر إلى طبيعة البشر الاجتماعية، وإلى واقعهم الحياتى . إنها وثبة فى الهواء من حقائق مرة إلى نتائج أشد مرارة. ففى قصتى وردة الهانى و مضجع العروس تمرُّد على شريعة الزواج وتقاليد الشرقيين التى تتزوج فيها الفتيات وكأنهن سلع تباع وتشترى ، فهذا شيخ هرم يقترن بفتاة فى نضارة الشباب ، وهذه فتاة تجبر على الاقتران بمن لاتحب ، وهذه آخرة حافلة بالويل والشقاء ، وفى قصتَّى خليل الكافر و يوحنا المجنون ثورة على رجال الدين واتّهام لهم بأنهم يستبيحون أموال الناس وأملاكهم ، وفى الأجنحة المتكسرة رواية حب جبران الأول الدراسة فى بيروت ، وثورة عارمة على رجال الدين الذين يستعملون سلطتهم أحيانا لفصل القلبين المتَّحَدَين بزواج المحبة ، كما جرى لجبران وصديقته سلمى كرامة ، وفى قِصتَّى مرتا البانية وصراخ القبور ثورة على وحشية الرجال وفساد شرائع البشر ، وثورة على ما يسميه البشر عدالة وما هو فى الحقيقة إلاظلم وطغيان . وهكذا ترى جبران فى القصص يحوم حول الوجوه اللبنانية ، ويتعلق ببعض أحداث الحياة اللبنانية ، وهو لم ينطلق بعد فى أجواء النظرات العالمية ، إنه فى طور التكوّن الذاتى ، فيرى أسلوب القصص أقرب الأساليب إلى ذلك الطور ، أسلوب القصص الخالى من التعقيد الذى يرين الوجوه أكثر مما يطوّر الأحداث ، الذى يهتم لرسم الصور أكثر مما يهتم لإظهار أعماق لتلك الأحداث ، والذى يعمل على إثارة العواطف وإلقاء الدروس الاجتماعية أكثر مما يعمل على خلق المتعة الفنية . وليس فى الأمر غضاضة بالنسبة إلى العبقرية الجبرانية ، إنها ذات هدفها أن تهزّ الوجود القائم وتوجهه الى وجود مثالى ، وقد تكون المثالية الجبرانية محض خيال ، ولكنها مثالية

---

[١٨١] . حنا الفاخورى ، تاريخ الأدب العربى، ص ٢٢٧-٢٣٠

Dhaka University Institutional Repository



جبرانية تنسجم والنفس العامرة بالشعور الإنسانى ، وتتناغم والأوهام التى تحفل بها تلك النفس على أنها حقائق أزلية . وليس السر فى أن تكون بعض آراء الرجل الضالة ، وانما السر فى تلك النية السليمة التى تثب بها العبقرية الطفلة إلى أجواء فسيحة على أجنحة محبة حقيقة عميقة ، والسر أيضا فى ذلك السحر الكتابى الذى يبتكر الأخيلة ، ويجعل الكتابة رسما وموسقى ، ويأتيك بالرائع الرائع من الصور التى لم يعرفها الأدب العربى من قبل ، ولاسيما فى (الأرواح المتمردة) حيث اكتملت أداة الكاتب .

٢ - **المرحلة الثانية** - هكذا تكلم زرادشت : أما المرحلة الثانية من أدب جبران فهى مرحلة الزرادشتية الجبرانية هكذا تكلم زرادشت ، وهكذا ..يتكلم جبران ، سيحاول التكلم كنيتشه ، وإذا كلامه العواصف - حقار القبور - الملك السجين - يا بنى أمى - نحن وأنتم الأضراس المسوسة .. و المواكب وإذا كلامه وقفة عنيقة أمام الوجود ، وقفة تأملية ، وقفة بركانيّة .

ففى حقار القبور يرى جبران أن الناس أموات لأنهم يرتعشون أمام العاصفة ولا يسيرون معها ، ويرى أن حفر القبور خبر عمل يعمله ، وأن انصرافه إلى الشعر والفن إضاعة للوقت . وفى العبودية يرى أن الناس عبيد الحياة وأنهم من ثمّ غارقون فى الذلّ والهوان ، ويرى أن العبودية مخيمة على القصور والمعاهد والهياكل ، وأن الحرية على الأرض شبحّ هزيل يسير منفردا محدقا إلى وجه الشمس . وفى "المليك السجين" يقف جبران أمام الأسد المسجون فى قفص ويعلن أنّ الأرض غابة من الأهوال تسكنها حيوانات داجنة الكظاهر ، معطرة الأنناب ، مصقولة القرون ، لا تقضى شرائعها ببقاء الأنسب بل بدوام الأروغ والأحيل ، ولا تؤول تقاليدها الى الأفضل بل إلى الأخبث والأكذب . أما ملوكها فليست أسدا نظيرك بل هم مخاليق عجيبة لهم مناقد النسور وبراثن الضبع والسنة العقارب ونقيق الضفادع وفى "يا بنى أمى" يقف جبران أمام أبناء قومه موقف العدوّ . إنه يتنكرلهم : أنا أكرهكم يا بنى أمى لأنكم تكرهون المجد والعظمة . أنا أحتقركم لأنكم تحتقرون نفوسكم . أنا عدوّكم لأنكم أعداء الآلهة ولكنكم لاتعلمون ... . وهكذا تمتد "الزرادشية الجبرانية" فى سخط رهيب . وليس هنالك ما يتنافى مع نفسية جبران كما يدّعى ميخائيل نعينة ، فما العواصف إلا تضخم الأرواح المتمردة ، وما حكايات المرحلة الأولى إلا نواة الآراء المبثوثة فى مقالات المرحلة الثانية .

أما "المواكب" فحلمة شعرية طواها جبران على خواطر فلسفية فى الخير والشر والدين والحق والعدل وما إلى ذلك من شؤون الحياة المختلفة ، والقصيدة أشبه بحوار بين شخصين ، وما الصوتان سوى صدى النزاع الداخلى فى نفس جبران ما بين إيمانه بقطرة الأنسان الإلهية وبين ما كان يبصره فى حياة الناس من بشاعة ووجع وتشويش.

Dhaka University Institutional Repository



**٣- المرحلة الثالثة - المصطفى : هدأت العاصفة عند جبران شيئا فشيئا . وأخذ يتحول عنه ظل نيتشه**[١٨٢] **(١٨٤٤١٩٠٠م) الناقم على البشر ، وأخذ جبران ينظر إلى الوجود نظر الحكيم الذى يريد أن يبنى مجتمعا أفضل ويعلم الناس طريق الحياة . لقد عرف حقيقة الحياة فى تأمله ، ولمس ما فيها من جمال وتنسّم - على حدّ قول ميخائيل نعيمة - جمال الروح الكلى فوضع كتابه "النبى" ، وجعله سلسلة مقالات فى شكل قصة تبدأ بذكر نبى مختار اسمه "المصطفى" انتظر اثنتى عشرة سنة فى مدينة أورفليس مترقبا عودة سفينته إلى المدينة لكى يركبها عائدا الى الجزيرة التى ولد فيها . وفى أثناء تلك المدّة كان يعلم أبناء أورفليس حتى أصبح فيهم المعلم المحبوب . ولما وصلت السفينة وتأهب للرحيل خرج أبناء أورفليس ليودّعوه ويظهروا له محبتهم ، وراحوا يسألونه الأسئلة الأخيرة وهو يجيب عنها ، حتى كانت الأسئلة والأجوبة مادة كتاب "النبى" والمصطفى هو جبران نفسه ، والجزيرة هى وطنه لبنان . وكان جبران شديد الحنين الى بلاده . شديد التطلّع الى أجوائها . وأما الميترا التى تخرج من الهيكل لوداعه والتى يرمقها المصطفى بحنان كلىّ لأنها كانت أسبق الناس الى اكتشافه والإيمان به حين لم يكن قد مرّ عليه فى مدينتهم إلا يوم واحد فهى مارى هاسكل التى ساعدت جبران أجمل مساعدة فى حياته الفنية . ولاشك أنّ لتعاليم المسيح ومواقفه أعظم الأثر فى كتاب النبىّ ، وإن ذهب ميخائيل نعيمة الى أن جبران لم يتأثر فيه إلا بزرادشت نيتشه من حيث الأسلوب والشكل الخارجى ، ولم يعرف معانيه إلا من أعماق نفسه الجبرانية . قال : لئن دفع جبران فى كتابه "النبى" جزية كبيرة لنيشته من حيث القالب فهو من حيث الروح التى سكبها فى ذلك القالب لم يدفع جزية إلا لخياله ، أما تلك الروح فهى من ينبوع الروح الفيّاضة التى تستقى منه كلّ روح .**

**تناول الأستاذ فرانكل نبىّ جبران بالدرس وعدّه من الكتب العالمية ومما قال : الحق يقال أنه قلما يوجد موضوع من المواضيع الهامة فى الحياة التى هى شغل الناس الشاغل فى دوائرهم العلمية العليا لم يطرقه المؤلف ، فكان فى بعض هذه المواضع موجزا وفى بعضها مسهباً ، فى هذا الكتاب الصغير بعدد صفحاته، الكبير ببالغ حكمته وخالد آياته . ولذلك لايخطر لك أنّ قلة صفحات هذا الكتاب تحملك على الظنّ أنّ فى استطاعتك أن تقرأه فى وقت قليل . فهو من الكتب الفريدة فى العالم "كالكوميديا الإلهية" لدانتى ، و"الفردوس الضائع" لملتون ... الكتب التى يجب أن تُقرأ أوّلا وثانياً وثالثا وعاشرا وفى كلّ يوم وكل ساعة ، إذا كان القارئ يودّ إدراك جواهرها والحصول على دُررها . وتتضح لكم عظمة الكتاب من سرد بعض المواضيع التى يطرقها المؤلف فيه ، مثل الحب والزواج ، الأولاد ، الأخذ والعطاء ، العمل واللعب ، الفرح والترح ،**

---

[١٨٢] . هو فيلسوف ألمانى . أخذ بمذهب التطور و قال إن الحياة ليست غير تنازع البقاء و بقاء الأصلح ، كان من مؤسسى العرقية الجرمانية . يتلخص مذهبه بما يدعى إرادة القوة ، من كتبه نشأة المأساة وروح الموسيقى ، المسافى وظله ، هكذا تكلم زرادشت ، مدائح ديونيزوس وإرادة القوة. المنجد فى الأعلام، ص ٥٨٢

Dhaka University Institutional Repository



الأكل والشرب ، والبيع والشراء ، البيوت ، الثياب ، الجرائم والعقوبات ، الشرائع والحرية . الخير والشر ، الألم ، اللذة ... وإننى لا أبالغ قطّ إذا قلت إنّ كلّ خطبة من خطبه كافية لأن تكون أساسا متينا لأىّ عظة من العظات الكبرى ... .

ويضيف فرانكل : والحقيقة التى لا مرية فيها أنّ جبران هو من بداءة هذا الكتاب إلى نهايته نبىّ محبة وسلام . فهو يدعو كلّ إنسان إلى القيام بعمله بروح المحبة . وهكذا إذا قرأنا الكتاب نرى فى كلّ صفحة بل فى كلّ سطر من سطوره فيضاً روحيّا خالداً يتدفق من معين نفس عظيمة غنية بعطايا الحكمة ، حتى أنه عندما يتكلم عن الأشياء التى هى بعرفنا مادّية ، كالبيع والشراء والأكل والشراب، نرى فى كلماته عاطفة روحية وقوة أدبية تأخذان بمجامع القلوب .

ويعرض فرانكل لقضيّة الدين فى كتاب النبىّ ، ويرى أنّ جبران يعتقد ويعلم أنّ الدّين يكون حقيقة لاريب فيها فى حياة الإنسان إذا كان الإنسان يستقبل الصالح النافع الذى تقدّمه له الحياة شاكراً فرحا واثقاً بأنه عطيّة الله ، ويستقبل الضارّ المحزن ثابت العزم شجاعا صبوراً ليكون أيضا هو عطيّة من الله . وقد أوضح جبران أنّ الإنسان التقى الفاضل الذى يحفظ فى قلبه خميرة الدين والفضيلة التى تخمّر الحياة بأسرها ، لايكتفى بأن يقبل ما تقدمه له الحياة من العطايا الربّانية شاكراً ، بل هو الذى يفرح بعطايا الحياة ، ثم يشكر الله الذى جعله أهلا لأن يعطى المحتاجين ماهم فى حاجة إليه من هذه العطايا التى نالها .[١٨٣]

**٤- اجتماعيات جبران :**

**أ- ثورة صادرة عن محبة :** ظهر جبران خليل جبران فى عهد كان الشرق فيه ينتقل من طور الرجعيّة والعبودية والتقيّد بكل طور إلى الانفلات والتحرر والإستقلال كما أوضحنا ذلك فى ما سبق . ثم أنه اتصل بمدنية الغرب وانطلاقية الشعوب الأوربّية والأمريكية ، ورأى أن فى هذه الإنتطلاقية نفسها استعباداً للإنسان فى قواه الجسدية والروحيّة . نظر جبران إلى الشرق فوجده يتململ ، ونظر الى لبنان فوجده يتحرك فى قيوده السياسية والإجتماعية والخرافات والتقاليد البالية ، ونظر إلى العالم فوجده غير العالم الذى يتخيله ، ووجده راسفا فى قيود الشرائع والأحكام والمادّية ، فاضطربت نفسه واختلجت وثارت فى عنف على أوضاع الناس أجمعين ، وعلى أوضاع الشرق خاصة ، ولم تكن تلك الثورة ، ولكنها كانت صادرة عن محبة عميقة للناس عامّة وللشرقيين خاصّة، ولاسيما اللبانيين منهم . لقد أراد وضعاً أفضل ، وعالما أسمى ، وقد بلغت به المثاليّة هذه إلى حدّ بعيد ، حتى وصلت الواقع باللاواقع .

**ب - الأوضاع التى ثار عليها جبران :** ذكرنا الكتب التى ثار جبران على الإقطاعيّة فى بلاده ، تلك الإقطاعيّة التى ظهرت فى السياسة وفى الاجتماع فى الدين . فتناول التقاليد والسلطة

---

[١٨٣] . المصدر السابق، ص ٢٣٠-٢٣٤

Dhaka University Institutional Repository



وكلّ ما رآه شاذًا أو توهّم أنه كذلك ، ثم انتقل إلى الناس أجمعين ورأى الفساد فى طرائق حياتهم ، ولسن تصرّفهم ومقاييس آرائهم ، ورأى أنّ كلّ شيئ فيهم عامل من عوامل عبوديّتهم ، وأنهم بعيدون عن الأجواء الحرّة التى تسبح فيها النفوس والأجساد ، وتلقى فيها القلوب بالقلوب ، حيث لاحاجة إلى شرائع طقوس وعادات ، وحيث لا ظلم ولا بغض ولا انتقام ، عن الأجواء التى تسيطر فيها المحبة الشاملة بقانونها ونظامها وطقوسها ، أى بحريتها المطلقة التى هى وحدها القانون والنظام والطقوس .

ثار جبران على حدّ قول صلاح لبكى (١٩٠٦-١٩٥٥م) على الرّجال الذين يبيعون نفوسهم ليشتروا بأثمانها ما كان دون نفوسهم قدرًا وشرفًا وعلى النساء اللواتى يسرن ممدودات الأعناق غامزات العيون على ثغورهنّ ألف ابتسامة وفى أعماق قلوبهنّ غرض واحد ، وعلى ذوى نصف المعرفة الذين يبصرون فى المنام خيال العلم فيتخيلون أنهم أصبحوا من المدارك بمقام النقطة من الدائرة ، ويرون فى اليقظة أحد أشباح الحقيقة ، فيتوهمون أنهم قد امتلكوا جوهرها الكامل المُطلق ، وعلى الخشن الذى يظنّ اللطف ضرباً من الضعف ، والتساهل نوعا من أجبلة ، والترفع شكلا من الكبرياء وعلى المتموّلين الذين يظنون أنّ الشموس والأقمار والكواكب لاتطلع إلا من خزائنهم ولاتغيب الا فى جيوبهم ، وعلى السّاسة الذين يتلاعبون بأمانى الأمم وهم يذرون فى عيونهم الغبار الذهبى ويملأون آذانها برنين الألفاظ ، وعلى ذلك البناء العظيم الهائل ، المدعوّ حضارة، ذلك البناء المتقن الصُنع والهندسة ، القائم فوق رابية من الجماجم البشرية ... .

وهكذا يثور جبران فى قصة " وردة الهانى" على تزويج الفتيات ممن لايعرفهم وزوجهن فى شقاء لامفرمنه ، ويتنكر للزواج الذى لايقوم على محبة حقيقة ، وللتقاليد العمياء التى تجعل من المرأة ألعوبة فى يد القضاء ، ويعلن حقوق المرأة وبطلان كلّ رابطة بين المرأة والرجل بمعزل عن الروح والعواطف : لقد جعلنى رفيقة مضجعة بحكم العادات والتقاليد قبل أن تصيّرنى السماء قرينة له بشريعة الروح والعواطف ... . ويثور جبران فى قصة " حفار القبور" على الزواج كما يجرى بين الناس ويعلن أنه عبودية وأن الناس كاذبون لايعبدون غير أنفسهم ، وأن أفضل المهَن حفر القبور ، وفى قصة "صراخ القبور" على ما يمليه الناس عدالة : سفك الدماء محرم ، ولكن من جعل سلب الأرواح فضيلة ، خيانة النساء قبيحة ، ولكن من صيّر رجمَ الأجساد جميلا ؟ وفى قصة " مرتا البانيّة " على وحشيّة الرجل الذى يفتك بسذاجة والعفاف ويرميهما فى أحضان الدعارة ، وفى "خليل الكافر " يثور على الإقطاعيّة القائمة على جهل الناس وضعفهم وفقرهم ، وفى "مضجع العروس" يثور على الشرائع والتقاليد كما يثور على النفاق الإجتماعى ،

Dhaka University Institutional Repository



ويجعل الحياة المُثلى فى الحب كما يجعل الحب وحده شريعة الحياة ، ويثور أيضًا على الاتكاليّة والإستلام ...

وهكذا ترى جبران فى كتبه الأجنحة المتكسّرة و عرائس المروج والأرواح المتمردة و"المواكب" و "العواصف" يحمل معول الهدم فى ثورة انفعالية شديدة ، وهو يذوب لوعة على بلاده ، ويحاول أن يعصف بها ليوقظها من غفلتها .[١٨٤]

ج- **مثالية جبران :** وجبران فى "النبى" يخطّ طريق الحياة المُثلى وإذا هى تحرر من كلّ شريعة سوى شريعة المحبة الشاملة ، وإذا هى اعتبار الحياة طريقا إلى الموت والموت طريقا إلى الحياة بالتناسخ ، والله روحا موزعة فى أجزاء الكون ... والعبادة والدين حياةً وعملا . وهنا يلتقى جبران بالأفلاطونية الحديثة ، ويُبدى تأثره بالفلسفة الإشراقية وببعض ما نجده عند الفارابى وإخوان الصفاء وأبى العلاء المعرى (٩٧٣-١٠٥٧م) . ويرى جبران أنّ فى الوجود وحدة ، وأن هنالك نفسًا إنسانية كلية تتوزّع الى نفوس جزئية ، وأن الإنسان وحدة فى نفسه وفى جسده وأن الله يستريح فى العقل ويتحرك فى الأهواء.

والمحبة فى نظر جبران أساس كلّ شيئ ، بنى عليها مدينته الفاضلة أعنى كتاب "النبى" وهى شاملة ، وهى أقوى من كلّ قوة ، وأصبح جميع النواميس ، هى عطاء واستقلال ، والرّابط الوحيد بين أجزاء الكون ، وبها تقوم وحدته وحياته .

وجملة القول أنّ اجتماعيّات جبران هى توق إلى حياة غير هذه الحياة ، وهى إن طُبّقت مبادئها على مجتمعات هذه الدنيا فككت عراها ، وجعلتها مسرحا للفوضى الحياتية والفكرية ، فوحدة الوجود لاتكفى المحبة فى هذا الكون الفاسد لربطها ، والانفلات من الطقوس والقيود لايؤمن العبادة والإحترام الغير ، والحلوليّة التى يميل إليها جبران ، ونشوة النرفانا ،التى تستهويه ، وشعور الإنسان بأنه هو الفضاء ، والبحر ، والنار وكل شيئ وتأليه جبران ، نوعا ما، للمرأة وجسد المرأة ، كلّ ذلك لايمكنه أن يحلّ مشاكل الواقع الإنسانى الشديد التعقد .

وفضل جبران الأكبر فى اجتماعياته أنه وجه الأنظار إلى مناطق الضعف ومواطن التجمد ، ومدّ فكرالناس نحو الانطلاقية ، ونحو عالم المحبة ، وفتح الصدور والقلوب للعاطفة الإنسانية الخالدة ، وقال لكل فرد من أفراد المجتمع ما قاله فلاسفة القِدم : إعراف نفسك ، ففى معرفة النفس مبدأ الحرية ، ومنطلق المحبة .

وهكذا كان جبران خليل جبران رسول المحبة والسلام فيما بين الناس.[١٨٥]

**٥ ـ الفلسفة الجبرانية :**

---

١٨٤ . المصدر السابق، ص ٢٣٤-٢٣٦

١٨٥ . المصدر السابق، ص ٢٣٦-٣٧

Dhaka University Institutional Repository



أ - تطور جبران خليل جبران فى تفكيره تطورا شديدا ، ولم تتبلور فكرته إلا بعد مخاض طويل ، فقد انطلق من لبنان يحمل ثقافة غير واسعة ، وعقيدة مسيحية انتقلت إليه من ذوية ومن بيئته ، ولم يتعمق فيها درسا وتحليلا ، وكان شأنه فى ذلك كله شأن عامّة الشعب من الشرقيين ، وقد واجه فى أمريكا الشمالية ما واجهه أكثر المهجرين من احتكاك بحرية فكرية واسعة ، وتيارات أيديولوجية متباينة ، ومن انفتاح وعى على ما ينشر ، وما يتداول ، وما تصل أصداؤه وترجماته من أوربة ، وما ذهبت فيه الشيع البروتستانتية مذاهب تحررية شتى . فكان من ذلك كله أن نزع المهجريون الشماليون وعالم الروح ، وصدعتهم آراء نيتشه ، ورومنطقية وليم بليك، وتخيلات وينان ، وخصوصا روحانية التيوصوفية ونظرياتها الحلولية والكونية ، فانجرف الكثيرون فى تيّارات اختاروا منها ما شاءوا ، وبرّز منهم من برّز من أمثال جبران وميخائيل نعيمة ، وكان جبران رأس المدرسة الفلسفية المهجرية ، وكان نعيمة مكبّرا لصوت جبران وموسعا لآرائه فى كثير من الترديد وكثير من الشخصية .

ب - والمجال هنا ليس مجال توسّع فى التيّارات المختلفة التى كانت فى أساس الفلسفة الجبرانية ، وإن كانت لنا كلمة نقولها ففى التيصوفية التى ظهرت منذ القرن الخامس عشر وراحت تمتد وتتفرع ، وتدّعى أن معرفة الله تتم عن طريق معرفة الذات وبواسطة الوحى الذاتى، فتسمو بذلك الروح الإنسانية سموا تتحد فى نهايته بالله ، ولا يتم لها ذلك إلا بعد عودات تقمصية تصعد بعد كلّ عودة تصعيدا يُدنيها من هدفها وكمالها أعنى التألّه الذى وُجدت له ، وفيه تجد التألّق الذاتى ، وهكذا يكون الإنسان فى دائرة صيروؤية متواصلة ينتهى فى ختامها إلى الكمال المطلق .

والتيصوفية ترفض من أجل التقاليد والأنظمة التى تورثتها الأجيال ، ولاتجد فروقا بين الأديان ، فهى جميعها فى نظرها واحدة ، ولاتقوم إلا إذا توجّهت بالإنسان إلى معرفة ذاته ومنها إلى التعالى التألهى الذى يُحقق الذات الإنسانية الكاملة فيه . فهى إذن تتوجه الى قلب الإنسان تُخليه بالمحبة من كلّ ما يعوق نموّ التعاليم الإلهية ، وتجعله بصفاء المحبة مصدراً للإلهام ومركزا للإشعاع الإشراقىّ ، وهى من ثم تقول بالوحدة نهائيا بين الإنسان والله ، وتمتد فى نظريّتها الى حلولية تُحِلُّ الله فى كلّ جزءٍ من أجزاء الكون ، وإلى وحدة كونية تنطلق من الله كإشعاعات الشمس ثم ترتدّ فى موجاتٍ صيرورية متلاحقة .

ج - وجد جبران فى التيوصوفية غذاءً لنزعته الصوفية ودعما لرسالته الإصلاحيّة . ومنطلقا لعمله الاجتماعى ، كما وجد تفسيراً للهاجس الإنجيلى الذى كان يملأ أجزاءه الروحية ، فراح يفهم بعض أقوال السيد المسيح وتعاليمه على الطريقة التيصوفية ، فيجد عنده الرجعة ، والإنسان المتألّه ، والمثال الأعلى للكمال الإنسانى الذى أنهى دوراته التقمّصيّة وتألّه ، وانتصب

Dhaka University Institutional Repository



يُعلم الناس كيف ينعتقون ، والذى ، إن عاد إلى الأرض ، فإنما تكون عودته لمساعدة الناس على السير فى طريق الانعتاق ، حتى ينتهوا معه إلى دائرة النور الأعلى فى وحدة كونيّة شاملة .

وجبران الذى وجد أن مولده جرى فى الوقت نفسه الذى ولد فيه المسيح ، أى فى السادس من يناير ، يرى أنه دُعى ، تيوصوفيا ، إلى صوفية حاول أن يحققها فى ذاته، وأن يدعو الناس تحقيقا برفض التقاليد ، واعتناق مذهب المحبة ، والتعالى فوق الأديان ، والرى فى الطريق الروحية التى اختطها المسيح ، واتخاذ المسيح مثالا أسمى لكل كمال . وهكذا نجد عند جبران هاجس التمثل بالمسيح لأنه يرى فيه الإنسان السوبرمان المتأله .

د - لاشك أنّ جبران سلك فى فلسفته طريق النموّ والتطور ، فكانت مرحلته الأولى مرحلة الرومنسية المتألمة التى تنتصر للدين من مفسديه ، وللمجتمع والحياة الإجتماعية من الذئاب البشرية والظالمين ، وكانت مرحلته الثانية مرحلة القوة والتمرّد والثورة على التقاليد والعادات ، والإمتداد فى الطموح الإنسانى إلى التحرر المطلق ، وكانت مرحلته الأخيرة الوقوف مع المصطفى يسوعا إنسانيا أنهى دوراته التقمّصية وتجوهر فى الذات الكلية ، وفى وحدة وجوديّة ، تشرق عليها المحبة ، وتربطها بعضها ببعض برباط مقدّس أزلى .

وفى عمرة هذا التطور تعمل الرؤى التيوفية عملها ، فتصبّ الأفكار الجبرانية فى حلولية تخرج الرجل من أزمته النيشوية ، بل تذيبها فى إشراقية توجد ما بين الله والكون ، وتجعل من المحبة جاذبية كونية ، ونظاما شاملا يقوم مقام أنظمة البشر المصطنعة . وهكذا فالحلولية فى نظر جبران هى حلول الله فى العالم حلولا جوهريا ، هى الله فى الكل والكل فى الله ، وهكذا فالطبيعة كلها مظاهر إلهيّة للجمال الوجودى ، والجمال جوهر الوجود الطبيعى ، ومبعث المحبة أتى تسيّر الكون . والإنسان يسمو بالمحبة وبها يندمج فى وحدة الوجود ، أى فى الله الحال فى الكون والقائم به الكون ، وذلك فى تسام تدرُّجى يتم فى عوداتٍ تقمّصية مختلفة . وقد عبّر جبران فى شتى آثار عن حتمية التقمّص وقال إنه جاء إلى الأرض عدّة مرات ، وأنطق المصطفى بهذا الرأى فوعد أتباعه بالعودة ، والعودات هذه مراحل معرفة تنتهى بالتأله كما قلنا سابقاً . وهكذا فالموت باب لحياة جديدة ، والحياة الجديدة حلقة من دورات من الجهد الشخصى يتفوّق به الإنسان على الذات بالمعرفة والمحبة اللتين يصلانه بالله الذات الكلية الكبرى ، وبهذا يختلف جبران عن المتصوفين الذين يعتمدون التقشف للوصول إلى الله ، ويقولون بالمشاهدة الباطنية طريقا الى إدراك الله ، أما جبران فينكر لهذه الطريقة ويرى فى الجسد رفيقا جوهريا للنفس ، وهيكلا لها يحل فيه الله ، كما يرى فى اليقظة المعنوية والروحية طريقا الى إدراك الله، والوحدة التى يطلبها فى الطبيعة ليست للنسك والصلاة والتقشف بل سعيا وراء اليقظة الروحية، وغوصا فى بحار المحبة ، وتساميا عرفا إلى الله .

Dhaka University Institutional Repository



هـ - والنفس فى فلسفة جبران عنصر روحانى لا نراه يتعمق فى دراسة جوهره ، فيكتفى بمعالجته معالجة تيوصوفية مزيج من عقيدة مسيحية ونظرية أفلاطونية ، وتأمل جبرانى . ولئن رأينا عند جبران استيحاء للنظريات والمذاهب المختلفة ، فهو يخالفها فى عدة أمور ، فلا يقول بالمثل الأفلاطونية ، ولا بالتناسخ ، ولا بالسجن الجسدى التطهيرى ، كما لايقول بانتهاء النفس بعد الموت الى الجنة أو إلى النار ، ولكنه يرى أن النفس البشرية شعلة متقدة فصلها الله عن ذاته قبل ابتداء الدهر ، وهى حين تنفصل عن الجسد تمضى الى فضاء عالم الأرواح ، بل الى ظل الله حيث النور والراحة ، ثم تعود الى جسد جديد لأن دورة الحياة لاتنتهى بعمر واحد .

و - إنه لمن الصعب جدًا أن نحصر الفكر الجبرانى ، وأن نثبت شتى آرائه بطريقة واضحة ودقيقة ، فهو كثيرا ما يدوّن آراءه بطريقة تخيلية ورمزية ، وهو كثيرا ما يُعبّر عن تأثيرات تنطبع فى نفسه من هنا وهناك فى غير تتبُّع وتحقيق علمى ، وقد نراه يترجرج ما بين عقيدته الدينية الأصلية والمذاهب المختلفة التى انفتحت عليها نفسه ، فيعمل على المزج والتفسير للخروج الى ما أوردناه فى هذا القسم من دراستنا . وقد يطول بنا المجال لو أردنا تتبع جبران فى شتى تلاوين آرائه ، وشتى انطباعاته النفسية , وفى ما ذكرنا طريق الى مطالعة كتبه ، فمن طلب الزيادة وتفصيل الجزئيات عمد الى تلك الكتب واستمتع بقراءة أدب حافل بالروعة والجمال .[١٨٦]

٧ - الأسلوب الجبرانى :

أ - **اللون القصصى :** لم يعدّ جبران لأن يكون قصّاصا بكل ما فى الكلية من معنى ، فقصصه تسيطر عليه طبيعة الفنان الوجدانىّ المُرهَف الحسّ والشعور - على حدّ قول نعيمة - وطبيعة المرشد والمصلح والواعظ . ولهذا لم يهتم جبران للعقيدة والسرد والسياق بقدر ما اهتمّ للمغزى ولبث الشعور ، وتركيب الصور ، واختراعات الخيال الخلاّق السّاحر . فقد رمى فى قصصه الى النقد التهكم ، ومزج أقاصيصه بآرائه الإجتماعيّة ، وجعلها مركبًا لإنطلاق خياله , وتلوينات فنّه ، وملأها بالعناصر المؤلمة من الحياة التى كان نظره دائم الامتداد اليها ، رغبة منه فى تفجير شعوره على قلوب المتألمين ، ورغبة منه فى إطلاق صوته فى وجود المتكبّرين والمستبدّين الذين لايشعرون بشعور البائسين . وهكذا كان قصصه دروسا ، ورسوما ، ورحلات فنيّة تنطلق من الواقع وتهبط فى اللاواقع .

ب - **الأسلوب الكتابى :** كان جبران فيلسوفا فى برد شاعر . سكب أفكاره فى قالب جبرانى خاصّ يقوم على التلوين الكتابى ، والتقطيع الموسيقى ، والإبتكار البديعى ، والإنطلاق الخيالى

---

[١٨٦] . المصدر السابق، ص ٢٣٧-٢٤٠

Dhaka University Institutional Repository



الذى ينطلق والسير فى خفة وسهولة وعذوبة أخاذة . وهكذا كانت كتابته عمقا من الفكر فى عالم من السحر .

ويعمد جبران الى الرمزية فى كتابه ، تلك الرمزية الرومنطيقية التى تصوغ من العاطفة والخيال والموسيقى سلم جمال يصعد فيها القارئ التصيُّد بالأفكار والتمتع برؤى الإيحاء من وراء أجواء لاتخلو من ضباب ، أجواء بعيدة الأفاق، يمتد فيها النظر الى أن يحط على جبل رأسه فى العلاء وأصله فى أعماق الأرض والواقع .

ولكل شئ فى كتابة جبران سرّ وسحر ، للفظة المفردة ، والعبارة المركبة ، لتقطيع العبارة ، وتآلف الحروف ، للموسيقى المتصاعدة من كلّ حرف وكلّ لفظة وكلّ عبارة . وجبران خليل جبران من أقدر من اختار لفظة تعبرية ، وركب جملة خيالية موسيقية . وهو ولا شك ساحر بلفظه وعبارته ومجمل كتابته.

لقد قيل عن جبران إنه عاش فى حضن الأمواج والدموع ولأحلام ، يهجر هذا العالم بقلق وجودىّ عميق كأنما هو فى غربة عن ذاته ، يُفتش عن إنقاذ الإنسان فى مجابهة أبديّة لأعداء الإنسان الكامنة فى أغوار نفس الإنسان ذاته ... كان جبران ابن المحبة والجمال فعمل كنبى على صقل الوجود الإنسانى ونزع الزيف منه ، ولو كلفه ذلك الغالى ، وحتى الذات ... خلق عالما جديدا ورفيقا من الأدب الشخصانى الهادف ، الحالم فى كمال الذاتية الفردية، وكمل الإنسان ... التفات من القواعد الكلاسيكيّة وانبعاث العنصر العاطفى مع حتمية الموسيقى ، وصرخة الذات المتألمة إزاء أمراض المجتمع الرافض للمثل الإنسانية الرفيعة، كل هذه العناصر جسّدت فى أدب جبران السمات الرومنطيقية الصميمة .[١٨٧]

**وفاته**

كانت صحة جبران قد بدأت تزداد سوءاً. وفي ٩ ابريل، وجدته البوابة يحتضر فتوفي جبران في ١٠ ابريل ١٩٣١م في إحدى مستشفيات نيويورك[١٨٨] وهو في الثامنة والأربعين بعد أصابته بمرض السرطان فنقل بعد ثلاثة أيام إلى مثواه الأخير في مقبرة "مونت بنيديكت"، إلى جوار أمه وشقيقته وأخيه غير الشقيق. ونظمت فوراً مآتم في نيويورك وبيونس آيرس وساوباولو حيث توجد جاليات لبنانية هامة. وبعد موافقة شقيقته "ماريانا"، تقرر نقل جثمان جبران في ٢٣ تموز إلى مسقط رأسه في لبنان. واستقبلته في بيروت جموع كبيرة من الناس يتقدمها وفد رسمي. وبعد احتفال قصير حضره رئيس الدولة، نقل إلى بشري، التي وري فيها الثرى على أصوات

---

١٨٧ . المصدر السابق، ص٢٤٠-٤١

١٨٨ . كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى ، ج٢، ص١٠٩٥

Dhaka University Institutional Repository



أجراس الكنائس. وإلى جوار قبره، نقشت هذه العبارة: "كلمة أريد رؤيتها مكتوبة على قبري: أنا حي مثلكم وأنا الآن إلى جانبكم. أغمضوا عيونكم، انظروا حولكم، وستروني....". عملت شقيقته على مفاوضة الراهبات الكرمليات واشترتا منهما دير مار سركيس الذي نقل إليه جثمان جبران، وما يزال إلى الآن متحفا ومقصدا للزائرين.

وفضلاً عن الأوابد التي كرست للفنان في وطنه الأم (متحف جبران، وساحة جبران التي دشنت في وسط بيروت عام ٢٠٠٠م)، هنالك مواقع، وتماثيل، ولوحات تذكارية تكرم ذكراه: في الولايات المتحدة نصبان تذكاريان لجبران، أحدهما في بوسطن، والآخر في واشنطن. ويضم عدد من أشهر المتاحف الأمريكية العديد من لوحات جبران. وكانت الجالية اللبنانية في البرازيل قد دشنت، أيضاً مركزاً ثقافياً سمي "جبران".

و قدم العديد من الفنانين العرب أغانى من كلمات جبران خليل جبران و منهم فيروز والفنانة ماجدة الرومي، واخيرا احتفل الفنان المصري طوني قلدس بيوبيل ١٢٥ عام على ولادة الشاعر والأديب عام ٢٠٠٨م

## نماذج من قصائد جبران

### أمام عرش الجمال

هربتُ من الاجتماع وهِمْتُ في ذاك الوادي الواسع...
مصغيًا إلى محاورات العصافير... وجلستُ أسامِرُ وَحْدَتي وأناجي نفسي.
نفس ظامئة رأت كل ما يرى سرابًا وكل ما لا يرى شرابًا.
ولما انطلقتْ عاقِلَتي من محبس المادة إلى فضاء الخيال،
التفتُ فإذا... حورية لم تتخذ من الحلي والحلل سوى غصن من الكرمة تستر
به بعضَ قامَتِها، وإكليلٍ من الشقيق يجمع شعرها الذهبي...
وإذ عَلِمَتْ من نظراتي أنني مسلوب الفجأة والحيرة، قالت:
أنا ابنة الأحراج فلا تجزع.
... أنا رمز الطبيعة.
أنا العذراء التي عبدها آباؤك فبنوا لها مذابح وهياكل في بعلبك وأفقا وجبيل...
أما ألوهيتي فهي مستمدة من جمال تراه كيفما حولت عينيك.

Dhaka University Institutional Repository



جمال هو الطبيعة بأسرها.

جمال كان بدء سعادة الراعي بين الربى،

والقروي بين الحقول،

والعشائر الرحل بين الجبل والساحل.

جمال كان للحكيم مرقاة إلى عرش حقيقة لا تجرح.

قلتُ ودقاتُ قلبي تقول ما لا يعرفه اللسان:

إن الجمال قوة مخيفة رهيبة.

فقالت وعلى شفتيها ابتسامة الأزهار،

وفي نَظرها أسرارُ الحياة:

أنتم البشر تخافون كل شيء حتى ذواتكم.

تخافون السماء وهي منبع الأمن.

تخافون الطبيعة وهي مرقد الراحة...

وبعد سكينة مازَجَتْهَا الأحلامُ اللطيفة سألتها:

ما هذا الجمال...؟

قالت:

هو ما كان بنفسك جاذب إليه.

هو ما تراه وتودُّ أن تُعطِي لا أن تأخذ.

هو ما شَعَرْتَ، عند ملقاه، بأيد ممدودةٍ لضمّه إلى أعماقك.

هو ما تحسبه الأجسام محنة والأرواح منحة.

هو ألفة بين الحزن والفرح.

هو ما تراه محجوبًا وتعرفه مجهولاً وتسمعه صامتًا.

هو قوة تبتدئ في قدس أقداس ذاتك وتنتهي فيما وراء تخيلاتك...

واقتَرَبَت ابنَةُ الأحراج منّي،

ووضعت يدها المُعَطّرة على عيني، ولما رَفَعَتْهَا رأيتُنِي وحيدًا في ذلك الوادي.

فرجعت ونفسي مرتدّة:

إن الجمال هو ما تراه وتود أن تعطي لا أن تأخذ

فقرات من مقال في كتاب (دمعة وابتسامة)

بين الحقيقة والخيال

Dhaka University Institutional Repository



تحملنا الحياة من مكان إلى مكان.
وتنتقل بنا التقادير من محيط إلى آخر...
ونحن لا نرى إلاّ ما وَقفَ عثرة في سبيل سيرنا
ولا نسمع سوى صوتٍ يخيفنا.
يتجلى لنا الجمال على كرسي مجده فنقترب منه.
وباسم الشوق ندنّس أذياله،
ونخلع عنه تاج طهره.
يمرُّ بنا الحبُّ مكتسيًا ثوبَ الوداعة، فنخافه ونختبئ في
مغاور الظلمة، أو نتبعه ونفعل باسمه الشرور. والحكيم
بيننا يحمّله نيرًا ثقيلاً وهو ألطف من أنفاس الأزهار
وأرق من نسيماتِ لبنان.
تقف الحكمة في منعطفات الشوارع،
وتنادينا على رؤوس الأشهاد،
فنحسبها بُطلاً ونحتقر مبدِعِيها.
تدعونا الحرية إلى مائدتها لنلتذّ بخمرها وأطعمتها، فنذهب ونشره...
فتصير تلك المائدة مسرحًا للابتذال ومجالاً لاحتقار الذات.
تمدُّ الطبيعَةُ نحونا يد الولاء،
وتطلب منا أن نتمتع بجمالها، فنخشى سكينتها ونلتجئ
إلى المدينة، وهناك نتكاثر بعضُنَا على بعض كقطيع رأى ذئبًا خاطفًا.
تزورنا الحقيقة منقادة بابتسامة طفل، أو قبلة محبوبة،
فنوصد دونها أبواب عواطفنا ونغادرها كمجرم دنس
القلب البشري يستنجد بنا،
والنفس تنادينا...
ونحن أشدُّ صَمَمًا من الجماد لا نعي ولا نفهم.
وإذا ما سمع أحد صراخ قلبه ونداء نفسه، قلنا:
هذا ذو جِنَّة، وتبرّأنا منه.
هكذا تمر الليالي ونحن غافلون.
وتُصَافِحُنَا الأيَّامُ ونحن خائفون من الليالي والأيام.
نقترب من التراب،

Dhaka University Institutional Repository



والآلهة تنتمي إلينا.

ونمرُّ على خبز الحياة، والمجاعة تتغذى من قوانا.

فما أحب الحياة إلينا،

وما أبعَدَنَا عن الحياة

من كتاب (دمعة وابتسامة)

## ابتهال للموسيقى

أيتها الموسيقى!

يا (أوتربي) المقدسة.

لقد رقصتْ أخَوَاتُكِ الفنونُ فيما غبر من الأجيال زمنًا

وَوُضِعْن في معاقل النسيان آخر...

وأنتِ تهزئين بهنّ،

ولم تتنازلي عن مسرح النفس يومًا واحدًا،

كأنّك صدى القبلة الأولى التي وضعها آدم على شفتيْ حوّاء.

صدًى له صدًى له صدى تتناقل وتتناسخ وتكتنف الكلّ وتحيا بالكلّ...

يا بْنة النفس والمحبة.

يا إناء مرارة الغرام وحلاوته.

يا أخيلة القلب البشري.

يا ثمرَةَ الحزن وزهرةَ الفرح.

يا رائحة متصاعدة من طاقة زهور المشاعر المضمومة.

يا لسان المحبين ومذيعة أسرار العاشقين.

يا صائغة الدموع من العواطف المكنونة.

يا موحِيَة الشّعر ومنظّمَة عقودِ الأوزان.

يا موحّدة الأفكار مع نتف الكلام،

ومؤلفة المشاعر من مؤثّرات الجمال...

ياأيتها التموّجات الأثيريَّة الحاملة أشباح النفس...

إلى أمواجِكِ نُسلّم أنفُسَنَا

Dhaka University Institutional Repository



وفي أعماقك نستودع قلوبنا,
فاحمليها إلى ما وراء المادّة
وأرينَا ما تُكِنُّه عوالم الغيب
كتاب (الموسيقى)

## يوم مولدي

في مثل هذا اليوم وَلَدَتْنِي أمّي.
في مثل هذا اليوم منذ خمس وعشرين سنة
وَضَعَتْنِي السَّكِينَةُ بين أيدي هذا الوجود المملوء بالصراخ والنزاع والعراك.
... قد سرت خمسًا وعشرين مرة مع الأرض والقمر والشمس والكواكب
حول الناموس الكلي الأعلى، ولكن:
هوذا نفسي تهمس الآن أسماء ذلك الناموس
مثلما ترجّع الكهوفُ صَدَى أمواج البحر...
منذ خمس وعشرين سنة خَطَّتْنِي يَدُ الزَّمان كَلِمة
في كتاب هذا العالم الغريب الهائل. وهاأنذا كلمة مبهمة،
ملتَبِسَةُ المعاني، تَرْمُزُ تارَةً إلى لا شيء وطورًا إلى أشياءَ كثيرة.
... في هذا اليوم تنتصب أمامي معاني حياتي الغابرة،
كأنّها مرآة ضئيلة أنظر فيها طويلاً فلا أرَى سِوَى أوجُهِ
السّنينَ الشاحبة، وملامح الآمال والأحلام والأماني
المتجعِّدة كملامِح الشيوخ. ثم أغمض عيني وأنظر ثانية
في تلك المرآة فلا أرى غيرَ وجهي. ثم أحدِّق إلى وجهي
فلا أرى فيه غيرَ الكآبة. ثم أستنطِقُ الكآبة فأجِدُهَا خرساء
لا تتكلّم. ولو تكلّمَتِ الكآبة لكانت أكثرَ حَلاوَة من الغبطة.
في الخمس والعشرين سنة الغابرة قد أحببت كثيرًا.
وكثيرًا ما أحببتُ ما يكرهُه الناس وكرهْتُ ما يستحسنونه.
والذي أحْبَبْتُه عندما كنتُ صَبِيًّا ما زلت أحبُّه الآن.
والذي أحبُّه الآن سأحبُّه إلى نهاية الحياة.
فالمَحَبَّةُ هي كل ما أستطيع أن أحصل عليه

Dhaka University Institutional Repository



ولا يقدر أحَدٌ أنْ يُقْقِدَني إيَّاه....

أحببتُ الحريَّة فكانت محبتي تنمو بِنُمُوّ معرفتِي عبوديَّة الناس للمجد

والهوان، وتتَّسِعُ باتِّساع إدراكي خُضُوعَهُم

للأصنام المخيفة التي نَحَتَتْهَا الأجيالُ المظلمة،

ونَصَبَتْهَا الجَهَالة المستَمِرّة،

ونَعَّمَتْ جَوَانِبَهَا ملامِسُ شِفَاهِ العبيد،

لكنَّني كنتُ أحبُّ هؤلاء العبيد بمحَبَّتي الحرية،

وأشفِقُ عَليهم لأنهم عميان يُقَبِّلونَ أحناك

الضواري الدامية ولا يبصرون، ويمتصُّون

لهاث الأفاعي الخبيثة ولا يشعرون، ويَحْفِرُون

قبورَهُمْ بأظافِرِهِم ولا يعلمون.

أحْبَبْتُ الحريَّة أكثرَ من كلِّ شيء لأنَّني وجدتُهَا فتاة

قد أضناها الانفراد، وأنْحَلَهَا الاعتزال... حتى صارت

خيالاً شَفَّافًا يَمُرُّ بين المنازل،

ويَقِفُ في منعَطَفَاتِ الشَّوارع،

وينادي عابري الطريق... فلا يسمعون ولا يلتفتون.

في الخمس والعشرين سنة أحببتُ السعادة... لكنني

لم أجدها... ولما انفَرَدْتُ بطلبها سمعت نفسي تهمس في أذني قائلة:

السعادة صَبِيَّةٌ تولَدُ وتحيا في أعماق القلب ولن

تجيء إليه من محيطه. ولمَّا فَتَحْتُ قلبي لكي أرى السعادة

وجدت هناك مرآتها وسريرها وملابسها، لكنني لم أجدها.

وقد أحببت الناس. أحببتهم كثيرًا.

والناس في شرعي ثلاثة:

واحد يلعن الحياة،

وواحد يباركها،

وواحد يتأمل بها.

فقد أحببت الأول لتعاسته، والثاني لسماحته، والثالث لمداركه...

واليوم... أقف بجانب نافذتي،... ثم أنظر مُتَأمِّلاً بما وراءَ المدينة، فأرى

البرِّيَّة بكلِّ ما فيها من الجمال الرهيب...

Dhaka University Institutional Repository



ثم أنظر متأمّلاً بما وراءَ البحر فأرى الفضاءَ غيرَ المُتَنَاهِي
بكلّ ما فيه من العوالِم السَّابِحة،
والكواكبِ اللاَمِعَة،
والشموس والأقمار والسيَّاراتِ والثَّوابتِ وما بينها
من الدوافِع والجواذِبِ المتسالمة المتنازعة، المتولّدة، المتحوّلة،
المُتَمَاسِكَة بِناموسٍ لا حدَّ له ولا مدى...
أنظرُ وأتأمّل بجميع هذه الأشياء... فأنسى الخمس
والعشرين... ويظهر لي كِيَانِي ومحيطي بكلّ ما أخفاه
وأعلَنَهُ كَذَرَّةٍ من تنهُّدَةِ طفلٍ ترتجف في خلاء أزَليّ
الأعماق، سرمديّ العُلُوّ، أبديّ الحدود. لكني أشعر
بكيان هذه الذرة، هذه النفس، هذه الذات التي أدعوها
أنا... وبصوتٍ مُتَصَاعِدٍ من قُدُس أقدَاسِهَا تصرخ:
سلام أيتها الحياة.
سلام أيتها اليقظة.
سلام أيتها الرؤيا.
سلام أيها النهار الغامِرُ بنورك ظلمَةَ الأرض.
سلام أيها الليل المظهِّر بظلمتِكَ أنوارَ السماء.
سلام أيتها الفصول.
سلام أيها الربيع المُعِيدُ شَبِيبَةَ الأرض.
سلام أيها الصيف المذيعُ مجدَ الشمس.
سلام أيها الخريف الواهبُ ثمارَ الأتعاب وإلّة الأعمال.
سلام أيها الشتاء المُرجعُ بثوراتك عزمَ الطبيعة.
سلام أيتها الأعوام الناشِرَة ما أخفته الأعوام.
سلام أيتها الأجيال المُصلِحَة ما أفسدته الأجيال.
سلام أيها الزمن السائرُ بنا نحو الكمال.
سلام أيها الروح الضابطُ أعنّة الحياة.
والمحجوبُ عنا بِنِقَابِ الشَّمْس .

باريس، ٦ يناير ١٩٠٨م

من مقال في كتاب (دمعة وابتسامة)

Dhaka University Institutional Repository



## على باب الهيكل

قد طهَّرتُ شفتيَّ بالنار المقدَّسة لأتكلَّم عن الحب،
ولمَّا فتحت شفتيَّ للكلام وجدتُنِي أخرس.
كنت أترنّم بأغاني الحب قبل أن أعرفه.
ولما عرفتُه تحوَّلتِ الألفاظ في فمي إلى لهاث ضئيل،
والأنغام في صدري إلى سكينة عميقة.
وكنتم أيها الناس، فيما مضى، تسألونني عن غرائب
الحب وعجائبه، فكنت أحدّثكم وأقنِعُكم. أما الآن، وقد
غمرني الحب بوشاحه، فجئتُ بدوري أسألكم عن
مسالكه ومزاياه فهل بينكم من يجيبني ؟
... هل بينكم من يستطيع أن يُبَيِّن قلبي
لقلبي ويوضحَ ذاتي لذاتي ؟
ألا فأخبروني ما هذه الشعلة التي تَتَّقِد في صدري
وتلتهم قواي وتُذيب عواطفي وميولي ؟
وما هذه الأيدي الخفية الناعمة الخشنة التي تَقبِضُ
على روحي في ساعة الوحدة والإنفراد، وتسكب في
كبدي خمرةً ممزوجة بمرارَةِ اللذة وحلاوة الأوجاع ؟
وما هذه الأجنحة التي ترفرف حول مضجعي
في سكينة
الليل فأسهَرَ مترقبًا ما لا أعرفه،
مُصغيًا إلى ما لا أسمعه،
مُحدّقًا إلى ما لا أراه،
مفكرًا بما لا أفهمه،
شاعرًا بما لا أدركه،
مُتأوِّهًا لأنَّ في التأوُّهِ غصَّاتٍ أحبَّ
لديَّ من رنَّةِ الضَّحِك والابتهاج،
مستسلمًا إلى قوة غير منظورةٍ تُميتُني

Dhaka University Institutional Repository



وتُحييني ثم تُميتُني وتُحييني حتى يطلع الفجر
ويملأ النور
زوايا غرفتي فأنام إذ ذاك...
وبين أجفاني الذابلة ترتعش أشباح اليقظة
وعلى فراشِيَ الحجري تتمايل خيالات الأحلام.
وما هذا الذي ندعوه حبًا ؟
أخيروني ما هذا السر الخفيّ
الكامِنُ خلفَ الدهور،
المختبئ وراءَ المرئيّات،
السّاكِنُ في ضمير الوجود؟
ما هذه الفكرة المطلقة التي تجيءُ سببًا
لجميع النتائج
وتأتي نتيجةً لجميع الأسباب؟
ما هذه اليقظةُ التي تتناول الموتَ والحياة,
وتبتَدِع منهما حلمًا أغرَبَ مِنَ الحياة
وأعمَقَ من الموت؟
أخبروني أيها الناس.
أخبروني هل بينكم من لا يستيقظ من رقدة الحياة
إذا ما لمس الحبُّ روحَه بأطرافِ أصابعه؟
هل بينكم من لا يترك أباه وأمَّه ومسقط رأسه
عندما تناديه الصَّبِيَّةُ التي أحبَّها قلبُه ؟
هل فيكم من لا يمخر البحر ويقطع الصحاري، ويجتاز
الجبال والأودية ليلتقي المرأة التي اختارتها روحه ؟
أيُّ فتًى لا يتبع قلبه إلى أقاصي الأرض إذا
كان له في أقاصي الأرض حبيبة
يستطيب نكهة أنفاسها،
ويستلطف ملامس يديها،
ويستعذب رنّة صوتها؟
أيُّ بشريّ لا يحرق نفسه بخورًا أمام إله

Dhaka University Institutional Repository



يسمَعُ ابتهاله ويستجيبُ صلَواتِه ؟

وقفتُ بالأمس على باب الهيكل

أسأل العابرين عن خفايا الحب ومزاياه.

مرَّ أمامي كهل... وقال متأوهًا:

الحبُّ ضعف فطري ورثناه عن الإنسان الأوّل.

ومرَّ فتى... مفتول الساعدين وقال مترنمًا:

الحبُّ عزم يلازم كياننا

ويصل حاضرنا بماضي الأجيال ومستقبلها.

ومرَّت امرأة كئيبة... وقالت متنهّدة:

الحب سمٌّ قتّال تتنفسه الأفاعي السَّوداء...

ومرَّت صبيَّة مورّدة الوجنتين وقالت مبتسمة:

الحب كوثر تسكبه عرائس الفجر في الأرواح...

ومرَّ طفلٌ ابنُ خمس وهتف ضاحكًا:

الحبُّ أبي والحبُّ أمّي.

وانقضى النَّهار.

والناس يَمُرُّون أمام الهيكل.

وكلٌّ يصوِّر نفسَه متكلمًا عن الحب،

ويبوح بأمانيه مُعْلنًا سرَّ الحياة.

ولمَّا جاء المساء، وسكنت حركة العابرين،

سَمِعْتُ صوتًا آتيًا من داخل الهيكل يقول:

الحياة نصفان: نصف متجلّد ونصف ملتهب.

فالحب هو النصف الملتهب.

فدخلت الهيكل إذ ذاك،

وسجدت راكعًا، مبتهلاً، مصليًا، هاتفًا:

اجعلني يا رب طعامًا للهيب.

اجعلني أيّها الإله ماكلاً للنار المقدّسة.

آمين

مختارات من مقال في كتاب (العواصف)

Dhaka University Institutional Repository



**أعطِني النّايَ وَغَنّ**

أعطنـــي النّـــايَ وَغَـــنّ فالغِنَـــا سِـــرُّ الخـــلود
وأنيـــنُ النّـــاي يبقـــى بعـــد أن يفنـــى الوجـــود
هـــل تَخِـذْتَ الغـابَ مِثْـلي مـــنزلاً دون القُصُـــور
فَتَتَبَّعْـــتَ الســـواقي وتســـأَلْتَ الصخـــور؟
هـــل تحـــمَّمْتَ بعِطـــرٍ وتَنَشَّـــفْتَ بنـــور
وَشَـــرِبْتَ الفَجْـــرَ خَـــمْرًا فـــي كـــؤوسٍ مِـــنْ أثـير؟
هـل جَلَسْـتَ العَصْـرَ مثْـلي بيـــنَ جَفْنَـــاتِ العِنَـــب
و العنـــاقيدُ تـــدلّت كَثُرَيَّـــاتِ الـــذَّهَب؟
فَهْـــيَ لِلصَّـــادي عُيُـــونٌ وَلِمَـــنْ جَـــاعَ الطعـــام
وهـــي شَـــهْدٌ وَهْـــيَ عِطْـــرٌ وَلِمَـــن شَـــاءَ المُـــدَام
أعطنـــي النّـــايَ وَغَـــنّ فالغنـــا عـــزمُ النفـــوس
وأنيـــنُ النّـــاي يبقـــى بَعْـــدَ أن تَفْنَـــى الشـــموس
أعطنـــي النّـــايَ وَ غَـــنّ فالغنـــا خـــيرُ العُلُـــوم
وأنيـــنُ النّـــاي يبقـــى بعـــد أن تُطْفَـــا النجـــوم
هـــل فَرَشْـتَ العشـبَ ليـلاً وَتَلَحَّـــفْتَ الفَضَـــا
زاهِـدًا فـي مـا سـيأتي ناسـيا مـا قـد مضـى
وســـكون الليـــل بَحْـــرٌ موجُـــه فـــي مَسْـــمَعك
ويصَـــدْر ِ اللّيـــل قلـــبٌ خَـــافِقٌ فـــي مَضْجَـــعك؟
أعطِنـــي النّـــايَ و َغَـــنّ فالغِنَـــا خَـــيْرُ الصَّـــلاة
وأنيـــنُ النّـــاي يَبْقَـــى بَعْـــدَ أن تَفْنَـــى الحَيَـــاة

مختارات من لازمة المُطوَّلة الشعرية: (المواكب)[١٨٩]

---

[١٨٩] . الرابطة_القلمية/http://ar.wikipedia.org/wiki

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الثانى : ميخائيل نعيمة (١٨٨٩ ـ ١٩٨٨م)

مفكر عربي كبير وهو واحد من ذلك الجيل الذي قاد النهضة الفكرية والثقافية وأحدث اليقظة وقاد إلى التجديد واقسمت له المكتبة العربية مكاناً كبيراً لما كتبه وما كتب حوله. فهو شاعر وقاص ومسرحي وناقد متفهم وكاتب مقال متبصر ومتفلسف في الحياة والنفس الإنسانية وقد أهدى إلينا آثاره بالعربية والانجليزية والروسية وهي كتابات تشهد له بالامتياز وتحفظ له المنزلة السامية.

### حياته

ميخائيل نعيمة ولد في بسكنتا في جبل صنّين في لبنان في شهر تشرين الأول من عام ١٨٨٩م وأنهى دراسته المدرسية في مدرسة الجمعية الفلسطينية فيها، تبعها بخمس سنوات جامعية في بولتافيا الأوكرانية بين عامي ١٩٠٥م و ١٩١١م حيث تسنّى له الاضطلاع على مؤلفات الأدب الروسي، ثم اكمل دراسة الحقوق في الولايات المتحدة الأمريكية (منذ ديسمبر عام ١٩١١م) وحصل على الجنسية الأمريكية. انضم إلى الرابطة القلمية التي أسسها أدباء عرب في المهجر وكان نائبا لجبران خليل جبران فيها. عاد إلى بسكنتا عام ١٩٣٢م واتسع نشاطه الأدبي . لقب ب"ناسك الشخروب" ، توفي عام ١٩٨٨م عن عمر يناهز المئة سنة. وتعود جذور ميخائل نعيمه إلى بلدة النعيمة في محافظة اربد في المملكة الاردنية الهاشميه وهذا ما ذكره ميخائيل النعيمه في حوار مع الكاتب الاردني والمؤرخ روكس بن زائد العزيزي.

### أعماله

**أـ قصصه:** نشر نعيمة مجموعته القصصية الأولى سنة ١٩١٤م بعنوان "سنتها الجديدة"، و كان حينها في أمريكا يتابع دراسته، وفي العام التالي نشر قصة "العاقر" وانقطع على ما يبدو عن الكتابة القصصية حتى العام ١٩٤٦م إلى أن صدرت قمة قصصه الموسومة بعنوان "مرداد" سنة ١٩٥٢م، وفيها الكثير من شخصه وفكره الفلسفي. وبعد ستة أعوام نشر سنة ١٩٥٨م "أبو بطة"، التي صارت مرجعاً مدرسياً وجامعياً للأدب القصصي اللبناني/العربي النازع إلى العالمية، وكان في العام ١٩٥٦م قد نشر مجموعة "أكابر" "التي يقال أنه وضعها مقابل كتاب النبي لجبران".

Dhaka University Institutional Repository



سنة ١٩٤٩م وضع نعيمة رواية وحيدة بعنوان "مذكرات الأرقش" بعد سلسلة من القصص والمقالات والأشعار التي لا تبدو كافية للتعبير عن ذائقة نعيمة المتوسع في النقد الأدبي وفي أنواع الأدب الأخرى."مسرحية الآباء والبنون" وضعها نعيمة سنة ١٩١٧م، وهي عمله الثالث، بعد مجموعتين قصصيتين فلم يكتب ثانية في هذا الباب سوى مسرحية "أيوب" صادربيروت ١٩٦٧م. ما بين عامي ١٩٥٩م و ١٩٦٠م وضع نعيمة قصة حياته في ثلاثة أجزاء على شكل سيرة ذاتية بعنوان "سبعون"، ظنا منه أن السبعين هي آخر مطافه، ولكنه عاش حتى التاسعة والتسعين، وبذلك بقي عقدان من عمره خارج سيرته .[١٩٠]

**ب- شعره:** "مجموعته الشعرية الوحيدة هي "همس الجفون" وضعها بالإنكليزية، وعربها محمد الصابغ سنة ١٩٤٥م، إلا أن الطبعة الخامسة من هذا الكتاب (نوفل،بيروت ١٩٨٨م) خلت من أية إشارة إلى المعرب.

**مؤلفاته**

في الدراسات والمقالات والنقد والرسائل وضع ميخائيل نعيمة ٢٢ كتاباً، نوردها بتسلسلها الزمني:

- الغربال ١٩٢٧م.
- كان يا ما كان ١٩٣٢م.
- المراحل، دروب ١٩٣٤م.
- جبران خليل جبران ١٩٣٦م.
- زاد المعاد ١٩٤٥م.
- البيادر ١٩٤٦م.
- كرم على درب الأوثان ١٩٤٨م.
- صوت العالم ٢٠٠٥م ١٩٤٩م.
- النور والديجور ١٩٥٣م.
- في مهب الريح ١٩٥٧م.
- أبعد من موسكو ومن واشنطن ١٩٦٣م.
- اليوم الأخير ١٩٦٥م.

---

[١٩٠] . تاريخ الشعر العربى الحديث، ص٣٠٠

Dhaka University Institutional Repository



- هوامش ١٩٧٢م.
- في الغربال الجديد ١٩٧٣م.
- مقالات متفرقة، يابن آدم، نجوى الغروب ١٩٧٤م.
- مختارات من ميخائيل نعيمة وأحاديث مع الصحافة ١٩٧٤م.
- رسائل، من وحي المسيح ١٩٧٧م.
- ومضات، شذور وأمثال، الجندي المجهول.

**التعريب**

قام ميخائيل نعيمة بتعريب كتاب "النبي" لجبران خليل جبران، كما قام آخرون من بعده بتعريبه (مثل يوسف الخال، نشرة النهار)، فكانت نشرة نعيمة متأخرة جداً سنة ١٩٨١م، وكانت شهرة "النبي" عربياً قد تجاوزت آفاق لبنان. الانفتاح الثورى فى سنة ١٩١١م غادر ميخائيل نعيمة روسيا و عاد إلى لبنان، وفى السنة نفسها انتقل الى واشنطن مع شقيقه راح يدرس اللغة الإنكليزية التى تتيح له دخول الجامعة و دراسة الحقوق ؛ وهكذا كان فدخل الجامعة و تخرج منها سنة ١٩١٦م بشهادة الآداب والحقوق، وانتمى إلى جمعية التيوصوفية الفكرية، واعتنق مبادئها ولاسيما مبادى التقمص، وميزان الصواب والعقاب وما إلى ذلك. وفى تلك الأثناء وضع كتابه الآباء والبنون وثار فيه على الأوضاع الاجتماعية السائدة فى الشرق العربى.

**فى الرابطة القلمية**

فى سنة ١٩١٩م سافر ميخائيل نعيمة إلى فرنسة بعد أن سدت الحرب العالمية الأولى فى وجهه باب الرجوع إلى لبنان، و بعد أن أنهى خدمته العسكرية فى الجيش الأميركى، فالتحق بجامعة رين (Renne) ودرس تاريخ فرنسة الفن والأدب الفرنسيين ثم عاد إلى الولايات المتحدة و عمل محل تجارى، و سنة ١٩٢٠م أنشئت الرابطة القلمية، فانتخب مستشارا لها، وعهد إليه فى وضع نظامها. و بعد موت جبران أى سنة ١٩٣١م قرر العودة إلى لبنان، و فى ربيع السنة التالية وصل إلى بيروت.

**فى الفلك والشخروب**

أخذ ميخائيل نعيمة ينظر فى أمر إقامته و أراد أن يكون له كجبران صومعة يناجى فيها أحلامه، وينطلق فى عالم تأملاته، فوقع اختياره على الشخروب بجانب بسكنتا، و راح يقضى معظم أوقاته فى كهف هناك سماه الفلك ، منفردا، بعيدا عن ضوضاء الناس، غارقا فى أحضان

Dhaka University Institutional Repository



الطبيعة ، يحاول اكتناه الحقائق الوجودية ، والوصول، عن طريق التأمل والتحليل ، إلى حالة من الكشف الإشراقى ، وكان هاجسه فى كل ذلك الرؤية الجبرانية ، والسبيل إلى تخطيها، وإذا هنالك فى أكناف ذلك الكهف تختلط الرؤى ، وتمتزج التعاليم والمذاهب والايديولوجيات ، وإذا هنالك مذهب نعيمى يعتصره صاحبه اعتصارا، يعمل فيه على التجديد فيغرق فى أكلكتيكية قد لا تخلو من تناقضات ، وقد لا تخلو من أوهام أو اضطراب ، فيطربلها النزاعون إلى المذهبية والتمذهب، والميالون بطبعهم إلى المغامرات الإيديولوجية التى يلفها الضباب ، وتستدير الهالة و يتضخم عدد المعجبين ، وإلى جانب ذلك كله تبقى الحقيقة التى لا بد من كشفها ؛ فالرجل القوى عبقرى، وجهوده جبارة ، و فكره ضخم ، أسلوبه الأدبى ساحر؛ والصورة التى نرى من خلالها نفسه صورة مثالية شديدة الإيحاء ، و جديرة بالخلود.

**شخصيته**

لمسنا من خلال حياة منخائيل نعمة العناصر الرئيسية التى تتكون منها شخصيته . و لم يبق لنا نغلا نان نورد كلمة وجيزة لنسيبه الأستاذ المحامى كعدى فرهود كعدى يصفه فيها وصف معرفة ، ويقول أتقن منخائيل نعيمة الربية والروسية الإنكليزي ، وألم إلماما كافيا بالفرنسية ، فكان له من هذه اللغات مفاتيح لخزائن أدب الغرب الشرق التى كنز من كنوزها ما جعل القلم واللسان يسلسان له قيادهما، فهو فصيح اللسان، سيال القلم ، واسع الاطلاع، عميق الفكر، بعيد الخيال، ثبت الجنان ، صلب الرأى حتى العناد ، حريص على شخصيته أن تمس ولو بكلمة أوأشارة لا يداجى بعيد عن الزلفى والمجاملة.[١٩١]

**ميخائيل نعيمة المفكر**

أ- **وجود الله :** ميخائيل نعيمة رجل مؤمن و لكنه أحيانا يريد ان يظهر بمظهر العلماء والمتفلسفين الطبيعيين لكى يعال عليه انه ابن العصر، وقد عرف ايمانه مراحل من الشك والارتباك بعامل التيار الفولتيرى ، وعامل الماجية التى اجتاحت العالم فى القرن التاسع عشر والعشرين ، ففيما نراه مؤمنا مطمئنا فى إيمانه نراه مضطربا يتساءل من هو ذلك المكون المهندس ؟ أهو رب أم مجموعة من الأرباب ؟ أهو ما يدعونه الطبيعة ؟ ومع ذلك نراه يتغلب على الشك، ويؤمن بالله إيمانا ثابتا ، ويحاول أن يقوم بما يفرضه عليه إيمانه من طاعة و ثقة وشكر ، وأن يسير فى طريق الكمال والتجرد لكى يبلغ إلى نوع من اللقاء يتجلى له فيه الله، وإلى نوع من التحاد بالله والفناء فيه . وهكذا تفاعلت فالنفس نعيمة أيديولوجيات كثيرة من تعاليم'نجيلية

---

[١٩١]. ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه ، ص ٢٢-٢٣

Dhaka University Institutional Repository



ولاهوتية ، وتيارات فلسفية فولتيرية ، وصوفية مشرقية وأفلاطونية حديثة ، وروحانية روسية ، وغير ذلك مما طحنه فى تاملاته أراد أن يقدم منه لأرواح مجتمعه غذاء اكلكتيكيا عجينا ، ولا عجب فى أن نلمس عنده فى موضوع الله تذبذبا أحيانا ، ولا ادريه احيانا أخرى ، وبين كل ذلك وتحت كل ذلك إيمانا حقيقيا يحاول أن يحدد مصادره ومراميه فى كثير من التفلسف الذى رمى من ورائه إلى أن يكون نبى زمانه ، و"بوذاه" المعمد بمعمودية المسيح.[١٩٢]

**ب- حقيقة الله :** الله فى نظر نعيمة حقيقة أزلية ، وهو يطلق عليا أسماء كثيرة ، فهو تارة الله، وتارة أخرى النظام والحياة ، وهو تارة الكائن المهندس، وتارة اخرى القدرة والمحبة ، وفى الاسماء المختلفة التى يستعملها نعيمة للدلالة على جوهر الاله أثر لتيارات فلسفية وعملية مختلفة، الأنظمة سرية كان لها يد فى توجيه تفكيره ؛ وهو يرى ان الله روح ويكثر التفلسف حول حقيقة الروح.[١٩٣]

**ج- الإنسان :** انطلق ميخائيل نعيمة فى التفتيش عن حقيقة الإنسان من أقوال السيد المسيح ، وكان الإنجيل- على حد قوله - المصباح الذى اهتدى بنوره ، ونحن نرى أنه اهتدى بآراءه متعددة ومتباينة ، كما حاول ، فى شتى مواقفه ، أن ينطلق من مذاهب يفسرها تفسيرا يتمشى ونفسيته ، ومن أقنوال يجعلها فى أساس ما يريد البلوغ إليه . وهكذا كان موقفه بالنظر الى الإنسان موقف تأليه ، وموقف رجعة عن طريق التقمص . أما التأليه فمستمد من فكرة التأنس المعتمدة فى معظم الفرق المسيحية ، ومن أقوال السيد المسيح الذى ينتسب الى الله بالبنوة؛ فيرى نعيمة فى الغنسان ابنة إلهية ، ويرى فيه من ثم إلها فى قمط ، ويراه على صورة الله ومثاله ومخلوقا وخالقا فى آن واحد ؛ وهو من ثم يصفه بالصفات الإلهية أى بأنه كامل وعنوان الحناة الكاملة ، وبأنه طفل إلهى انطوى كيانه على كل قوى الألوهية ، ومنها معرفة كل شئ ، القدرة على كل شئ.[١٩٤]

**التقمص وركائزه فى نظر نعيمة**

يجدر بنا أن نعود الى نظرية التقمص عند نعيمة، وقد عرفنا كيف وصل إليها ، و كيف حاول أن يجد لها مخرجا يرضى نفسه ، ويتمشى الروحانية التى اتهجها فى مساره الإنسانى .

---

١٩٢ . حنا الفاخورى، تاريخ الأدب العربى، ص ٣٨٠
١٩٣ . المصدر السابق، ص ٣٨١
١٩٤ . المصدر السابق، ص ٣٨٢

Dhaka University Institutional Repository



وها هو ذا فى حديث توجه به إلى طلاب معهد الآداب الشرقية فى الجامعة اليسوعية سنة ١٩٧٤م يبرر اعتماده مذهب التقمص ، ونحن نورده كما نقله ملحق النهار:

عند ما سئل عن عقيدة التقمص ، تحدث نعيمة عما عاناه من ألم روحى قبل أن يهتدى إلى هذه العقيدة ، إذ كان يعذبه جدا أن يرى فى الأرض ما يدعونه الشر ، إلا أن الكنيسة أسكتت قلقه فترة عند ما عزت الشر إلى عصيان الإنسانين الأولين آدم و حواء أوامر الله ، وعندما جعلت الموت جزاء ذلك الشر.[١٩٥]

**ميخائيل نعيمة الأديب**

١- ميخائيل نعيمة من أكابر الأدباء المعاصرين ، وقمة من قمم النهضة الأدبية فى العالم العربى ، وقد خطا بالكتابة النثرية خطوات حاسمة ، ونقلها إلى ميدان الحياة حيث سقطت الأشكال الموروثة و حل الإبداع ، فكان معه الادب أدب الحياة الذى يرفض التقليد والاجترار ، ويجمع فى أطوائه من التراث مثل ما يصب فيه من روافد الثقافة الحديثة ومعطيات الحضارة الجديدة ، ويبرز فى شخصيته الفذة حافلا بالجدة والوعة الجمالية ، يحمل هموم حياتنا الصغيرة والبيرة ، و كل ما يجول فى عالمنا من حزن وسعادة يأس وأمل.

٢- والكتابة عند نعيمة هى الطبيعة فى عفويتها ، وسهولة مجراها ، وسلاسة تركيبها . إنها تهدف إلى نقل الفكرة فى أمانة ودقة ، ولا ترى لنفسها أى هدف آخر من أهداف التأنق والتجمل . وهى من ثم تروق ولاتبهر ، وتختلف اختلافا شديدا عن كتابة جبران ، فليس فيها العصف الجبرانى ، ولا فيها الروح التى تتقمص كل كلمة وكل عبارة ، وتشدك إليها بجاذب سحرى ، وإنما فيها الطرءة البلدية ، والإشراق الحيى الذى لا يقرع ولا يصدع .

٣- وأراد نعيمة أن يسكب على كتابته صور الطبيعة فى شتى ظاهراتها ، وفى أدق أشكالها، فكانت كتابته غنية فى مادتها وفى عنصر الطبيعة المنتشر فيها ؛ وإنك تراه أبدا كالنحلة التى تحوم حول الأعشاب والرياحين ، وحول الجبال والوهاد ، والصخور والجداول ، تراه غارقا فى الطبيعة غرقا رخيا ، وتراه مع الطتيعة أبدا هاننا ورثضيا ، يذكرها كيفما تقلب .

٤- وكتابته ميخائيل نعيمة هى كتابة الواقعية التى تحتضن الواقع فى غير وقاحة و لا قباحة . تحتضنه على أنه واقع أى مظهر من مظاهر الحقيقة الكونية الإلهية ، تحتضنه بمحبة و شغف ، وتعالجه معالجة اطمئنان، و تضيفى عليه من أفاويه الروح ، و صدق العاطفة ما يبعث فيه نبضا وإن خافتا، و حياة وإن ساكنة .

---

[١٩٥] . المصدر السابق، ص ٣٨٤

Dhaka University Institutional Repository



٥- وكتابة ميخائيل نعيمة بعيدة الأغوار ، عميقة النظرات ، يحاول أن يجد فيها تفسيرا للكون ، ولكل ما فيه ، فإذا قرأتها رافقك سياقها ، وإذا طفا فكرك على سطحها راعك صفاؤها وسمو إنسانيتها ، وإذا حاولت الغوص على أعماقها أقلقك التعسر فى تحليل نظرياتها ؛ وأنت على كل حال وجد فيها متعة للنفس، ورياضة للعقل، ونموذجا فذا للتخيل الذى لا يرافقه صرامة المنطق .[١٩٦]

## منزلة نعيمة

يجدر بنا فى خاتمة هذه الدراسة الموجزة أن نورد ملخصا للمحاضرة التى ألقاها فى قاعة محاضرات الجامعة اليسوعية ببيروت روجيه ارنالديز ، الأستاذ فى جامعة السوربون ، بعنوان القيم الإنسانية فى مؤلفات نعيمة والتى بين فيها منزلة أديبنا العالمية بكلام صريح أو رجت بعضه صحيفة النهار البيرتونية على الوجه الآتى: بعد ما أكد أرنالديز أن مفهوم القيمة يكاد لا يغيب من مؤلفات نعيمة ، قال إنها تفرض عنده رؤيا فلسفية للوجود والواقع الإنسانى ، وهو بهذا المعنى يجد نفسه على خط واحد، ومن منطلق واحد مع أكثر من مفكر عالى معروف. و نعيمة كان يدرك تلك القرابة الروحية التى تجمعه بسواه من مفكرى العالم . وكان يرا نفسه ملزما بتوضيح هذه القرابة أكثر مما كان مضطرا للغوص فى ذاته وخصوصيته .[١٩٧]

## نماذج من أشعار ميخائيل نعيمة

### أخي

أخي ! إنْ ضَجَّ بعدَ الحربِ غَرْبيٌّ بأعمالِهْ
وقدَّسَ ذِكْرَ مَنْ ماتوا وعَظَّمَ بَطْشَ أبطالِهْ
فلا تهززْ لمن سادوا ولا تشمتْ بمَنْ دَانَا
بل اركعْ صامتاً مثلي بقلبٍ خاشِعٍ دامِ
لتبكي حَظَّ موتانا

***

أخي ! إنْ عادَ بعدَ الحربِ جُنديٌّ لأوطانِهْ
وألقى جسمَهُ المنهوكَ في أحضان خِلاّنِهْ

---

[١٩٦] . المصدر السابق، ص ٣٨٧ -٨٩
[١٩٧] . المصدر السابق، ص ٣٨٩

Dhaka University Institutional Repository



فلا تطلبْ إذا ما عُدْتَ للأوطان خلائا
لأنّ الجوعَ لم يترك لنا صَخْبًا نناجيهم
سوى أشْبَاح مَوْتَانا

***

أخي ! إنْ عادَ يحرث أرضَهُ الفلاحُ او يزرَع
ويبني بعدَ طول الهَجْر كُوخًا هَدْهُ المِدفَع
فقد جَفَّتْ سَوَاقِينا وَهَدَّ التلُّ مَأوَانا
ولم يترك لنا الأعداءُ غَرْسًا في أراضِينا
سوى أجْيَاف مَوْتَانا

***

أخي ! قد تَمَّ ما لو لم نَشَأهُ نَحْنُ مَا تَمَّا
وقد عَمَّ البلاءُ ولو أرَدْنَا نَحْنُ مَا عَمَّا
فلا تندبْ فأذن الغير لا تُصْغِي لِشَكْوَانَا
بل اتبعني لنحفر خندقًا بالرفش والمِعْوَل
نوارِي فيه مَوْتَانَا

***

أخي ! مَنْ نحنُ ؟ لا وَطَنٌ ولا أهْلٌ ولا جَارُ
إذا نِمْنَا ، إذا قُمْنَا ردَانَا الخِزْيُ والعَارُ
لقد خَمَّتْ بنا الدنيا كما خَمَّتْ بمَوْتَانَا
فهات الرَّفْشَ وأتبعني لنحفر خندقًا آخَر
نُوَارِي فيه أحيَانَا

## النهر المتجمد

يا نهرُ هل نضبتْ مياهُكَ فانقطعتَ عن الخرير ؟
أم قد هَرِمْتَ وخار عزمُكَ فانثنيتَ عن المسير ؟

***

بالأمس كنتَ مرنماً بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديثَ الدهور

***

Dhaka University Institutional Repository



بالأمس كنتَ تسير لا تخشى الموانعَ في الطريق
واليومَ قد هبطتْ عليك سكينةُ اللحدِ العميق

***

بالأمس كنتَ إذا أتيتُكَ باكياً سألتني
واليومَ صرتَ إذا أتيتُكَ ضاحكاً أبكيتني

***

بالأمس كنتَ إذا سمعتَ تنهُّدِي وتوجُّعِي
تبكي ، وها أبكي أنا وحدي، ولا تبكي معي !

***

ما هذه الأكفانُ ؟ أم هذي قيودٌ من جليد
قد كبَّلتْكَ وذلَّلتْكَ بها يدُ البرْدِ الشديد ؟

***

ها حولك الصفصافُ لا ورقٌ عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلما مرَّتْ بهِ ريحُ الشمال

***

والحَوْرُ يندبُ فوق رأسِكَ ناثراً أغصانَهُ
لا يسرح الحسُّونُ فيهِ مردِّداً ألحانَهُ

***

تأتيه أسرابٌ من الغربان تنعقُ في الفضَا
فكأنها ترثِي شباباً من حياتِكَ قد مَضَى

***

وكأنها بنعيبها عندَ الصباح وفي المساء
جوقٌ يُشَيِّعُ جسمَكَ الصافي إلى دار البقاء

***

لكن سينصرف الشتا ، وتعود أيامُ الربيع
فتفكَّ جسمكَ من عِقالٍ مَكَّنَتْهُ يدُ الصقيع

***

وتكرّ موجتُكَ النقيةُ حُرَّةً نحوَ البحَار
حُبلى بأسرار الدجى ، ثملى بأنوار النهار

Dhaka University Institutional Repository



***

وتعود تبسمُ إذ يلاطف وجهَكَ الصافي النسيم
وتعود تسبحُ في مياهِكَ أنجمُ الليل البهيم

***

والبدرُ يبسطُ من سماه عليكَ ستراً من لُجَيْن
والشمسُ تسترُ بالأزاهر منكبَيْكَ العاريَيْن

***

والحَوْرُ ينسى ما اعتراهُ من المصائبِ والمِحَن
ويعود يشمخ أنفُهُ ويميس مُخْضَرَّ الفَنَن

***

وتعود للصفصافِ بعد الشيبِ أيامُ الشباب
فيغرد الحسُّونُ فوق غصونهِ بدلَ الغراب

***

قد كان لي يا نهرُ قلبٌ ضاحكٌ مثل المروج
حُرٌّ كقلبكَ فيه أهواءٌ وآمالٌ تموج

***

قد كان يُضحي غير ما يُمسي ولا يشكو المَلَل
واليوم قد جمدتْ كوجهكَ فيه أمواجُ الأمل

***

فتساوتِ الأيامُ فيه : صباحُها ومساؤها
وتوازنَتْ فيه الحياةُ : نعيمُها وشقاؤها

***

سيّان فيه غدا الربيعُ مع الخريفِ أو الشتاء
سيّان نوحُ البائسين ، وضحكُ أبناء الصفاء

***

نَبَذَتْهُ ضوضاءُ الحياةِ فمالَ عنها وانفرد
فغدا جماداً لا يَحِنُّ ولا يميلُ إلى أحد

***

وغدا غريباً بين قومٍ كانَ قبلاً منهمُ

Dhaka University Institutional Repository



وغدوت بين الناس لغزاً فيه لغزٌ مبهمُ

***

يا نـهرُ ! ذا قلبي أراه كما أراكَ مكبَّـلا

والفرقُ أنّك سوفَ تنشطُ من عقالِكَ ، وهو لا

## إلى دودة

تدبّين دبَّ الوهن في جسميَ الفاني وأجري حثيثاً خلف نعشي وأكفاني

فأجتاز عمري راكضاً متعثراً بأنقاض آمالي وأشباح أشجاني

وأبني قصوراً من هباءٍ وأشتكي إذا عبثتْ كفُّ الزمان ببنياني

ففي كل يومٍ لي حياةٌ جديدةٌ وفي كلّ يومٍ سكرةُ الموتِ تغشاني

ولولا ضبابُ الشكّ يا دودةَ الثرى لكنتُ ألاقي في دبيبكِ إيماني

فأترك أفكاري تُذيع غرورَها وأترك أحزاني تكفّن أحزاني

وأزحف في عيشي نظيركِ جاهلاً دواعيَ وجدي أو بواعثَ وجداني

ومستسلماً في كلّ أمرٍ وحالةٍ لحكمةِ ربّي لا لأحكام إنسان

****

فها أنتِ عمياءٌ يقودكِ مُبصرٌ وأمشي بصيراً في مسالك عُميان

لكِ الأرضُ مهدٌ والسماءُ مظلةٌ ولي فيهما من ضيق فكريَ سِجْنان

لئن ضاقتا بي لم تضيقا بحاجتي ولكنْ بجهلي وادّعائي بعرفاني

ففي داخلي ضدّان: قلبٌ مُسلّمٌ وفكرٌ عنيد بالتساؤل أضناني

توهّم أن الكونَ سرٌّ وأنّهُ يُنال ببحثٍ أو يُباح ببرهان

فراح يجوب الأرضَ والجوَّ والسَّما يُسائل عن قاصٍ ويبحث عن دان

وكنتُ قصيداً قبل ذلك كاملاً فضعضع ما بي من معانٍ وأوزان

****

وأنتِ التي يستصغر الكلُّ قدرَها ويحسبها بعضٌ زيادةَ نقصان

تدبّين في حضن الحياةِ طليقةً ولا همَّ يُضنيكِ بأسرار أكوان

فلا تسألين الأرضَ مَنْ مدَّ طولها ولا الشمسَ من لظّى حشاها بنيران

ولا الريحَ عن قصدٍ لها من هبوبها ولا الوردةَ الحمراءَ عن لونها القاني

وما أنتِ في عين الحياةِ دميمةٌ وأصغرُ قذراً من نسورٍ وعُقبان

فلا التبرُ أغلى عندها من ترابها ولا الماسُ أسنى من حجارةِ صوّان

Dhaka University Institutional Repository



هل استبدلتْ يوماً غراباً ببلبلٍ وهل أهملتْ دوداً لتلهو بغزلان؟
وهل أطلعتْ شمساً لتحرقَ عوسجاً وتملأ سطحَ الأرض بالآس والبان؟
لعمركِ، يا أختاه، ما في حياتنا مراتبُ قدْرٍ أو تفاوتُ أثمان
مظاهرها في الكون تبدو لناظرٍ كثيرةَ أشكالٍ عديدةَ ألوان
وأقنومُها باقٍ من البدء واحداً تجلتْ بشُهبٍ أم تجلتْ بديدان
وما ناشدَّ أسرارَها، وهو كشفُها، سوى مشترٍ بالماء حرقة عطشان[١٩٨]

---

[١٩٨] . الرابطة_القلمية/http://ar.wikipedia.org/wiki

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الثالث : إيليا أبوماضى (١٨٩٤-١٩٥٧م)

## نشأته

ولد إيليا ضاهر أبي ماضي في المحيدثة في المتن الشمالي في جبل لبنان عام ١٨٨٩م وهاجر إلى مصر سنة ١٩٠٠م وسكن الإسكندرية وأولع بالأدب والشعر حفظاً ومطالعة ونظماً. أجبره الفقر أن يترك دراسته بعيد الابتدائية، فغادر لبنان إلى مصر ليعمل في تجارة التبغ، وكانت مصر مركزاً للمفكرين اللبنانيين الهاربين من قمع الأتراك، نشر قصائد له في مجلاتٍ لبنانية صادرة في مصر، أهمها "العلم" و"الاكسبرس"، وهناك، تعرف إلى الأديب أمين تقي الدين، الذي تبنى المبدع الصغير ونشر أولى اعمال إيليا في مجلته "الزهور".[١٩٩]

## مسيرته الأدبية

في مصر، أصدر أبو ماضي أول دواوينه الشعرية عام ١٩١١م، بعنوان "تذكار الماضي"، وكان يبلغ من العمر ٢٢ عاماً، شعره السياسي والوطني جعله عرضة لمضايقات السلطة الرسمية، فهاجر عام ١٩١٢م إلى أمريكا الشمالية، وصل أولاً إلى مدينة سينسيناتي، وهناك عمل مع أخيه مراد في التجارة، وتنقل بعدها في الولايات المتحدة إلى ان استقر في مدينة نيويورك عام ١٩١٦م وهناك عمل نائباً لتحرير جريدة مرآة الغرب وتزوج من ابنة مالكها السيدة دورا نجيب دياب وأنجبت له اربعة أولاد.

تعرف إلى عظماء القلم في المهجر، فأسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة الرابطة القلمية، التي كانت أبرز مقومات الأدب العربي الحديث، وتعتبر هذه الرابطة أهم العوامل التي ساعدت أبي ماضي على نشر فلسفته الشعرية.

في ١٥ أبريل ١٩١٩م، قام إيليا أبو ماضي بإصدار أهم مجلة عربية في المهجر، وهي"مجلة السمير" التي تبنت الأقلام المغتربة، وقدمت الشعر الحديث على صفحاتها، واشترك في إصدارها معظم شعراء المهجر لا سيما أدباء المهجر الأمريكي الشمالي، وقام بتحويلها عام ١٩٣٦م إلى جريدة يومية. امتازت بنبضها العروبي.

لم تتوقف "السمير" عن الصدور حتى وفاة شاعرنا بنوبة قلبية أسكتت قلبه المرهف بالشعر في ١٣ نوفمبر ١٩٥٧م.

---

[١٩٩] . تاريخ الشعر العربى الحديث، ص ٣٠٣

Dhaka University Institutional Repository



## أهم الأعمال

تفرغ إيليا أبو ماضي للأدب والصحافة، وأصدر عدة دواوين رسمت اتجاهه الفلسفي والفكري أهمها:

- "تذكار الماضي" (الاسكندرية ١٩١١م): تناول موضوعات مختلفة أبرزها الظلم، عرض فيها بالشعر الظلم الذي يمارسه الحاكم على المحكوم، مهاجماً الطغيان العثماني ضد بلاده.
- "إيليا أبو ماضي" (نيويورك ١٩١٨م): كتب مقدمته جبران خليل جبران ، جمع فيه إيليا الحب، والتأمل والفلسفة، وموضوعات اجتماعية وقضايا وطنية كل ذلك في إطار رومانسي حالم أحياناً وثائر عنيف أحياناً أخرى، يكرر شاعرنا فيه تغنيه بجمال الطبيعة.
- "الجداول" (نيويورك ١٩٢٧م): كتب مقدمته ميخائيل نعيمة.
- "الخمائل" (نيويورك ١٩٤٠م): من أكثر دواوين أبي ماضي شهرةً ونجاحاً، فيه اكتمال نضوج ايليا أدبياً، جعله شعر التناقضات، ففيه الجسد والروح، والثورة وطلب السلام، والاعتراف بالواقع ورسم الخيال.
- "تبر وتراب"
- "الغابة المفقودة" [٢٠٠]

## أهم العوامل المؤثرة في شعر أبي ماضي

أحاطته الطبيعة في طفولته، وكانت قرية المحيدثة تحاصر إيليا أبو ماضي بأشكال الجمال الأخضر والجداول المغردة للجمال، فتعلم حب الطبيعة وتعلق بمناجاتها. الفقر، فنشأته في قسوة الفقر، جعلت منه رسولاً للفقراء، فكتب دوماً عن المساواة الاجتماعية، فكلنا من تراب، لا غني ولا فقير. الهجرة، والاغتراب، كان التشرد في الغربة ثاني مدماك في اتجاه أبي ماضي، ومن التشرد تعلم الوفاء للوطن، فأغزر في الشوق اليه والعناية بطيفه الباق في قلبه. الاختلاط بالنخب، ففي المهجر، كان أبي ماضي منغمساً في علاقته برواد النهضة العربية وقادة الفكر التحرري الأدبي، فاستفاد منهم، وبنى منهجه الشعري وأسلوبه الأدبي.[٢٠١]

---

[٢٠٠] . المصدر السابق، ص ٣٠٣

[٢٠١] . الرابطة_القلمية/http://ar.wikipedia.org/wiki

Dhaka University Institutional Repository



**ميزات أشعار إيليا أبى ماضى**

١ - تظهر فى شعر أبى ماضى قوة الحياة متدفقة العاطفة ، فيشعر الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وعلى تباعد أوطانهم ومشاربهم أنهم يرون فيه صورة عن نفسهم ، وعن نوازعهم وآمالهم وتفكيرهم .

٢ - وأول ما يستلفت النظر هو أن أبا ماضى يسير فى شعره نحو أهداف تنبع من صميم المجتمع وتستمدّ قوّتها وعمقها من صدق صاحبها وإخلاصه ، ومن اتصال وشغف شديدين بالطبيعة بحيث يأخذ مواضيعه وأمثلته وإلهامه من نباتها وجمادها ، من أشواكها وورودها ، من مائها وسمائها ، ومن حيوانها وطيرها .

٣ - ويصطبغ شعر أبى ماضى باصبغة الفلسفية . وهو يحب الحياة ويحب الأحياء فيها ويصورها لهم نقيّة لحلوة ويستهدف سعادة المجتمع ، ويدعوه الى تنقية الحياة من الأشواك والأدران .

٤ - أما أسلوبه الشعرىّ فهو صاف رقراق كنفسه نقرأه بثغور مشرقة وقلوب يغمرها الحب والأمل . وهو أسلوب البساطة والوضوح الذى يحمل أبعد معانى الحياة فى أعماقه .

والذى يزود شعر أبى ماضى بعناصر الحيوية والتأثير هو أن شعره ينبع من قلبه ولعلّ أبرز ما يقرّب هذا الشعر الى النفوس نواح ثلاثة : النزعة الإنسانية ، والدعوة الى محبة الحياة ، واستلهام الطبيعة .

٥ - وتعجبك عند أبى ماضى هذه الثورة التى تمزّق الأقنعة المزيفة وتكشف للإنسان ذاته فى عريها الجميل ، فى براءتها وأصالتها ، فى حقيقتها التى لاتعرف التشويه والخداع ، إنها عملية غوص على الجوهر المدفون تحت ستائر الوهم والضياع ، إنها الدعوة الصادقة الى الإعراض عن التوافه والتخلى عن بشاعة الغرور والأدّعاء ، للوقوف بنصاعة أمام مجهر الحقيقة ، أمام وجه الشمس التى تحرق بأشعّتها كلّ البراقع ولايكبر فى عينيها إلا الذين طهُرت نفوسهم وسمت عن أدران الطنب والبغض والإسبداد .

٦ - وأبو ماضى فى محاولته الإنسانية ، قد لايكون من الذين قبضوا على الرؤى البعيدة الكامنة فى أعماق الإنسان ، ولكنه استطاع ، بالجدل والإستفهام والخبر ، وأن يجسّد الفكرة التى رمى إليها ، وأن يكون مؤثرًا ومقنعا فى آن واحد . فالأمثلة التى عرضها والتاكيد على ضعف الإنسان وحقارته وتشير الى براعة أبى ماضى فى استنفاد المعنى وتطويقه من كل جوانبه بحيث يسمى الغرض واضحا والغاية مقيّدة .

٧ - يغلب على أسلوب أبى ماضى طابع الجمود ، فهو على متانة اللفظة وأصالتها ، لايقبض على الكلمة ذات المضمون النغمىّ الذى يذيب النفس ويحملها فى نشوة الذهول الى عوالم

Dhaka University Institutional Repository



السمفونيات الشعرية الخالدة . الكلمة عند أبى ماضى مقيدة بالمعنى شأن الكلمة العلمية ، أنه يكتب بعقله لابشروده وانخطافه ، يكتب بوعيه لا باغترابه خلف جدران الصمت والتجربة والنفسيّة المزلزلة .

شعر أبى ماضى يهزّ النفوس ويطربها ولكنه لايترك فيها الجرح الذى تبغيه الأعمال الشعريّة العظيمة ، ولا النشوة التى يعيشها القارئ فى إيجاره خلف الصورة وغرقه فى بحور الضوء والظلّ واللون والرموز . إنه يكثر من الاستفهام والجواب والنّفى والنداء ملبيًا بذلك حاجة مباشرة فى النفس تزول حالما ينتهى وقعها .

٨ ـ وكثيرا ما يعتمد إيليا أبو ماضى على أسلوب القصص فى شعره أو القصص الخرافى الأسطوريّ ويستخرج منه دروسا إنسانية ذات قيمة ، وقصصُه رائع السرد ، يعتمد فيه على عنصرى المفاجأة والتشويق . وأبو ماضى يمتلك طاقة دراميّة فريدة . إن وقفتنا أمام قصيدة مثل " الكنجة المحطّمة " أو "تعالى " أو "زهرة أقحوان" لتهدينا الى شاعر غنائيّ يدور شعره حول ذاته فى آلامها وأفراحها . فإذا تدرّجنا قراءة شعره نحو قصائد أخرى مثل "التينة الحمقاء" و "ابن الليل" و "الشاعر والملك الجائر " وقفنا أمام قصائد تتحدّث عن نفسها ..... وهذا خصب من نوع فذّ فى شاعرية أبى ماضى ، مكنّه من خلق شخصيات لا تمحى . فاتينة الحمقاء شخصية أو معلم من معالم الشعر ، وشخصية الشاعر والملك الجائر ، أو الصراع بين القوة والفنّ فى سبيل الخلود، ليست نبضات غنائية تفترُ بعد حين . ومثل هذا الغنى فى الطاقة الشعرية ، مجموعا الى القدرة على التمثّل الجماعىّ لنفسه الأمّة ، هو الذى يجعل من أبى ماضى شاعرا كبيرًا .[٢٠٢]

**نماذج من أشعار إيليا أبوماضى**

إيليا أبي ماضي هذا الشاعر الغزير الإنتاج، الذي خلّف لنا عدة دواوين شعر تذخر بالمشاعر الوجدانية، وتفيض بالأحاسيس الرقيقة الراقية.. وأهم هذه الدواوين "تذكار الماضي"، و"الجداول"، و"الخمائل" .. و"تبرّ وتراب".. كانت هذه الإبداعات نتاج فتراتٍ زمانية متعاقبة .. ومحطاتٍ مكانية متنوعة في حياة شاعرنا، من جبال لبنان إلى شواطئ الإسكندرية، إلى طرقات نيويورك.. ولكنه لم يَنْسَ قط الشرق العزيز، ولبنان الحبيب الذي قال عنه أبو ماضي:

لُبنانُ والأمــلُ الذي لذويــهِ ... والشّعرُ قال بنيتُ عرشــي فيهِ
وتحبُّهُ والثلجُ فــي واديــهِ ... بقــلائد العقيان تستغويــهِ
بالأنجم الزهــراء تسترضيهِ ... حتــى أعودَ إليه أرضَ التيهِ
اثنــانِ أعيا الدهرَ أن يُبليهما ... سألوا الجمــالَ فقال هذا هيكلي

---

٢٠٠. د. إحسان عباس ومحمد يوسف نجم ، الشعر العربى فى المهجر الشمالى، ( بيروت:صادر، ١٩٥٧م)، ص ١٥٨

Dhaka University Institutional Repository



تشتاقهُ والصـيفُ فوق هضابه وإذا تمدُّ له نُكـاء حبالـها
وإذا تُنقّطهُ السمـاءُ عشيـة وطني ستبقى الأرضُ عندي كلها

وكما غنّى أبي ماضي لوطنه الأول لبنان، فقد غنى لوطنه الثاني مصر التي كان لها في نفسه أثرٌ كبير .. فقد وجد فيها الرزق والعلم.. وخطت فيها أولى خطواته على طريق الأدب.. لذلك قال في حبها:

بروحـي وما ملكته يدي ويمشي الفناءُ إلـى الجلمدِ
فكم بي في الناس من مُقتَدِ أيا مصـرُ أفديك بالأنفسين
أحبك حتى تجف البحـار وما أنا وحدي المحبُ الأمينُ

وشعر أبي ماضي يزخر بالأمل والتفاؤل، ويرد على من يدعي أن ظروف الحياة حولنا قد تدعو للتشاؤم؛ إذ يقول:

قلتُ ابتسم يكفي التجهمُ في السما قال السمـاءُ كئيبة وتجهما
لن يُرجع الأسف الصبا المتصرما قال الصبا ولّـى فقلتُ له ابتسم
صارت لنفسي في الغرام جهنما قال التي كانت سمـائي في الهوى
قلبي فكيف أطيقُ أن أتبسمـا؟ خـانت عهودي بعد ما ملكتُها
قضّيتَ عمـركَ كلـه متألما قلتُ ابتسم واطـرب فلو قارنتها
يأتي إلـى الدنيا ويذهبُ مرغما قال البشـاشةُ ليس تُسعد كائنًا
شبرٌ فإنك بعـدُ لـن تتبسما قلت ابتسم ما دام بينك والردى
متلاطـمٌ ولذا تُحـبُ الأنجما فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى

وأبي ماضي عاشق للحياة وجمالها رافض للشكوى والتبرم من عنائها، يقول لمن يضيق بهذا العناء المتجاهل للجمال من حوله:

كيف تغـدو إذا غدوت عليلا أيا هذا الشـاكي وما بك داءٌ
تتوقـى قبل الرحيل الرحيلا إن شر الجُناة في الأرض نفسٌ
أن تـرى فوقها الندى إكليلا وترى الشوك في الورود وتعمى
من يظـن الحياة عبئًا ثقيلا هو عبءٌ علـى الحياة ثقيلٌ
لا يرى في الوجود شيئًا جميلا و الذي نفسـه بغير جمالٍ
لا تخف أن يزول حتى تزولا فتمتع بالصبـح ما دمتَ فيهِ

Dhaka University Institutional Repository



كما أنه عاشق متيم للطبيعة، ولعل هذا العشق هو سر تفاؤله فهاهو يتحدث عن الطبيعة حديث الصب المدله :

سرّ اللطافة في النسيم الساري  يا ليتني لصٌ لأسرق في الضحى
في زرقة الأفق الجميل العاري  وأجسّ مؤتلق الجمال بأصبعي
والسرّ في جذل الغدير الجاري  ويبين لي كنهَ المهابة في الربى
الوادي الكئيبِ وصولة التيار  وبشاشة المرج الخصيبِ ووحشة

ويرافقه حب الطبيعة إلى مهجره في أمريكا، فيرسم صورةً بديعة لشلال ميلفيرد الشهير لا تخلو من شوق وتحنان لبلاده؛ إذ يقول في أبيات يذكرنا نظمها بالشعراء العباسيين:

وأنا لشوقي لا يقر قراري  شلال "ميلفيرد" لا يقر قرارُهُ
وله ضجيج الجحفل الجرار  فيه من السيف الصقيل بريقه
أتراه يغسلها من الأوزار  أبداً يرشُ صخوره بدموعه
أبصرتَ حول السفح شبه غُبار  فإذا تطاير ماؤه متناثرًا
ويصولُ كالضرغام ذي الأظفار  كالبحر ذي التيار يدفعُ بعضهُ

ولكن هذا العاشق للطبيعة والجمال والأمل .. يبدو أنه لاقى العناء في الحب .. إذ يصفه بقوله:

فقلتُ الردى والخوفَ في البعدِ والقربِ  وقائلةٍ ماذا لقيتَ من الحُبِّ
شمائلَ غُرًا لا تُنال بلا حبِ  فقالت عهدت الحبَّ يكسب ربَّه
نفور المهاراءَ فأمسيتُ فيحربِ  فقلت لها قد كان حبًّا فزاده
فلما عرفتُ الحبَ صرتُ بلا قلبِ  وقد كان لي قلبٌ وكنت بلا هوى

وإذا كان شاعرنا قد وجد الشقاء في الحب، فأين يجد السعادة إذن؟

كالفلك في النهر هاج النوءُ مجراهُ  مرت ليالٍ وقلبي حائرٌ قلقٌ
أضنى المسيرُ مطاياهُ وأضناهُ  أو كالمسافر في قفرٍ على ظمإٍ
وأبلغُ الأمرَ نفسي ليس تهواهُ  لا أدرك الأمر أهواهُ وأطلبه
عانٍ فأنت امرؤٌ في قلبك الله  ما دام قلبُك فيه رحمةٌ لأخ

Dhaka University Institutional Repository



ولكن موقف أبي ماضي من الغرام وتباريحه لا ينعكس على رؤياه للحب بمعناه الرحيب الذي يحرص على إشاعته بين البشر، فيقول :

وابغض فيمسي الكونُ سجنًا مُظلما　　أحبب فيغدو الكـوخُ لونًا نيرًا
والمرءُ لـولا الحـبُ إلا أعظما　　ما الكأسُ لولا الخمرُ غير زجاجةٍ
زهرًا وصـــار سرابُها الخداعُ ما　　لو تعشقُ البيداءُ أصبح رملها
ورآهُ ذو جهـلٍ فظـنَّ ورَجَّما　　لاح الجمالُ لذي نهـى فأحبه
المـرءُ ليس يُحبُّ حتـى يفهما　　لا تطلبـن محبةً من جاهلٍ

ولا يعني ما سقناه من أشعار أن إيليا كان بمعزلٍ عن قضايا أمته السياسية والاجتماعية، فعندما كان في مصر وجد فيها مُستعمرا غاشما وحُكاما طغاة، يواجههم شعبٌ مطحون وثوارٌ مخلصون .. فوجد لزامًا عليه أن ينخرط في صفوفهم ويسهم بشعره في نضالهم.. فقال:

أنا لا أرضى لمصرٍ أن تُضاما　　خَلّني أستصرخُ القومَ النياما
هاجـه العابثُ بالحق فلاما　　لا تلُم في نصرة الحق فتىً
نقرئ النيل التحايا والسلاما　　وقفا في شاطئ النيل معي
منعوها مـاءَهُ إلا لمامـا　　و أنا جيه أمانـي أمـةٍ
بيننا تجمـع مصرًا والشآما　　لستُ مصريًا ولكن نسبة
مثلما يرتقبُ الصادي الغماما　　أمـةٌ ترتقبُ استقلالها

وعندما وجد الظلم الاجتماعي يسحق ملايين الكادحين البسطاء ليثري طبقة مسيطرة تحميها السلطة الظالمة، صرخ بوجههم قائلا:

وإن ملأ السكك الجائعونْ　　كلوا واشربوا أيها الأغنياء
تُعلمهم كيف فتك المنونْ　　مُروا فتصولَ الجنودُ عليهم
سُراةُ البلاد فمن يحرسونْ　　إذا الجند لم يحرسوكم وأنتم
فيا ليت شعريَ من يقتلونْ　　وإن هم لم يقتلوا الأشقياء
فإنهمُ للردى يولـدونْ　　و لا يحـزننكمُ مـوتُهمْ
وإن قدر الله شيئًا يكونْ　　و قولوا كذا قـد أراد الإله

ولكن مهما تلبدت السماء بالغيوم التي تحيل ضوءها ظلامًا، تعود أبيات قصائده لتحوم في رحاب الأمل الفسيح والأحلام الوردية:

وابسمي كالنجم إن جنَّ المساءْ　　أبسمي كالورد في فجر الصباء
وإذا ما تسترُ الغيـمُ السماءْ　　وإذا ما كفـن الثلجُ الثرى
وتوارى النورُ في كهفِ الشتاءْ　　وتعرى الروضُ من أزهاره

Dhaka University Institutional Repository


تخلقـي حولك زهرًا وشذاءْ  فاحلمـي بالصيفِ ثم ابتسمي

فهو هكذا دائمًا يجد في الطبيعة كنزًا شائع الملكية ومنجمًا للأمل والتفاؤل وبلسمًا لجراح المعذبين الذين يعاتبهم بقوله:

والأرضُ ملكٌكَ والسما والأنجمُ  كـم تشتكي وتقـول إنك معدمٌ
ونسيمـها والبلبلُ المُترنمُ  ولـك الحقول وزهرُها وأريجها
دورًا مزخـرفةً وحينًا يهدمُ  والنور يبني في السفوح وفي الذرى
آياتـه قُدَّام مـن يتعلمُ  فكأنه الفنـنُ يعرض عـابثًا
بحرٌ تعومُ به الطيورُ الحوَّمُ  و كأنـه لِصفائـهِ و سنـائِهِ
وتبسمـت فعلام لا تتبسمُ  هشـت لك الدنيا فمـ ا لك واجمًا

لقد كان إيليا أبي ماضي شاعرًا صاحب رسالة يقول في وصف شعره ورسالته:

مالي وللتشبيبِ بالصهبـاء  أنا مـا وقفتُ لكـي أشبب بالطلا
إني نبذتُ سفاسـف الشعراء  لا تسألوني المدح أو وصف الدُمى
مدحًا وبتُّ أصون ماءَ حيائي  باعـوا لأجل المال ماءَ حيائهم
قد بات واسطة إلى الإثراء  لم يفهمـوا بالشعـر إلا أنـه

في دراسة شعره

يعتبره النقاد: شاعر الأمل والتفاؤل قال: السماء كئيبة وتجهمَ، قلت ابتسم يكفي التجهم في السماء، قال الصبا ولى فقلت له ابتسم، لن يرجع الأسف الصبا المتصرّما ، كان الجمال حاضراً في أغلب أعمال أبي ماضي، وامتاز بعشقه للطبيعة (يا ليتني لصٌ لأسرق في الضحى، سرّ اللطافة في النسيم الساري، وأجسّ مؤتلق الجمال بأصبعي، في زرقة الأفق الجميل العاري وجعله قريناً بكل شيء، ويوصف بأنه كان يحمل روح الشرق في المهجر، حمل هم أمته، فكتب لمصر عندما هددها الطغيان: خَلِّني أستصرخُ القومَ النياما، أنا لا أرضى لمصرٍ أن تُضاما، لا تلم في نصرة الحق فتىً، هاجه العابثُ بالحق فلاما.

كما لم ينس أوجاع الفقراء والمسحوقين فكتب لهم كثيراً وجعلهم من ثوابت قلمه المبدع وإن هم لم يقتلوا الأشقياء، فيا ليت شعريَ من يقتلونْ ، ولا يحزننكمُ موتُهمْ، فإنهمُ للردى يولدونْ ، وقولوا كذا قد أراد الإله، وإن قدر الله شيئا يكونْ.

Dhaka University Institutional Repository



أما الوطن، فلم يغب، فكان لبنان محور يوميات ايليا أبو ماضي ، اثنان أعيا الدهر أن يبليهما، لبنان والأمل الذي لذويه وأجاد مع الحرب العالمية في ترجمة الحنين إلى العائلة والأرض شعراً: يا جارتي كان لي أهلٌ وإخوان، فبتت الحرب ما بيني وبينهم، كما تقطع أمراس وخيطان، فاليوم كل الذي فيه مهجتي ألم، وكل ما حولهم بؤس وأحزان، وكان لي أمل إذا كان لي وطن) نصل إلى الحب، كانت تجارب أبي ماضي قاسية عاطفياً، ولكنه احتفظ بالأمل الذي لم يفارق كتاباته، فكان يخرج دوماً حالماً مبرراً القسوة والانكسار جاعلاً منه قلعة تفاؤل وتمسك بالحب، رغم انه لم ينف الحزن في قلبه، الا انه ميزه عن اليأس، (إنما تلك أخلفت قبل ليلين من موعدي، لم تمت لا وإنما أصبحت في سوى يدي.

**فلسفته**

إيليا أبو ماضي، هو الشاعر الفيلسوف، كان ذو رؤيةٍ فلسفية لكل شيء، فله في الموت فلسفة وفي الكون والوجود، وفي السياسة وفي المجتمع وفي الحب، آمن أن الإنسان خالد وأن الموت ليس آخر المطاف، بل تكملة للمسيرة، شارك جبران خليل جبران في إيمانه بالتقمص والعودة بأشكالٍ حياتية أخرى، خصص مساحة من شعره للماورائيات، عادى التعصب والطائفية، ونبذها في قصائده مبشراً بديانة الإنسان!

**خلاصة**

اذاً، نستطيع أن نجزم أخيراً، ان ما تعرضنا له، هو أحد أهم معالم الشعر الحديث، ومادة النقد الدسمة التي احتار فيها النقاد، فإيليا أبو ماضي طوب بفلسفته وحكمته وعبقرية عباراته ونظرياته، طوب نفسه قديس الشعر، والمغامر الذي جعل الشعر رسالة فلسفية، وكسر جماد الشعر القديم وكيفه مع الحداثة، في مزيج حضاري بين الغرب والشرق. و قلده في ذلك الكثيرون من الشعراء وحذوا حذوه ومنهم الشاعر الفلسطيني سمير لطفي موسى حيث ترجم له للايطاليه العديد من الاعمال كما نجزم أن أبو ماضي، هو شاعر القضية، قضية الوطن والجمال والثورة الاجتماعية والحب. وقال يوسف أسعد داغر: هو شاعر هادئ، عميق التفكير، رحب الخيال ، رفيع الذوق، خفيف الظل ، صافي المنهل ، صادق النبرة ، لايمارى ولا يصانع ولا يتحذلق ،

Dhaka University Institutional Repository



ويترفع عن كل مبتذل . وهو شاعر إنسانى فى نزعته ، يدعو إلى التكمل النفسى والعمل الصادق للخير والإحسان![٢٠٣]

---

[٢٠٣] . يوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبية ، ج٢ ، ص

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الرابع : نسيب عريضة (١٨٨٧-١٩٤٦م)

ولد نسيب عريضة في شهرأغسطس سنة ١٨٨٧م في مدينة " حِمْص " بشمال سوريا، لوالدين أرثوذكسيين هما أسعد عريضة وسليمة حداد .

تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة حِمْص الروسية المجانية ، وعندما ظهر تفوقه في الدراسة اختارته الجمعية الروسية الإمبراطورية ليكمل تعليمه الثانوي في مدرسة المعلمين الروسية بمدينة الناصرة في فلسطين .

وقد عاش نسيب عريضة منذ سنة ١٩٠٠م في القسم الداخلي لمدرسة " الناصرة" حيث التقى بعد سنتين قضاهما في مدرسة المعلمين الروسية بتلميذ جديد ، أصبح فيما بعد صديقاً وزميلاً له مدى حياته هو ميخائيل نعيمة ، كما التقى بزميل آخر هو الشاعر عبد المسيح حداد . وأمضى في مدرسة الناصرة مدة خمس سنوات أنهى خلالها تعليمه.

أغرم بالقراءة والتأمل منذ صغره في الطبيعة والحياة ، فقرأ أمهات الكتب في الأدب العربي خاصة دواوين الشعراء ، ثم بدأ يقرض الشعر في مختلف موضوعات الحياة وغلب على شعره التأمل .

سافر نسيب إلى نيويورك عام ١٩٠٥م وكان عمره لا يتجاوز سبع عشرة سنة ، وكان مملوءاً بالتطلع والطموح فاشتغل في المصانع والمتاجر المختلفة ، وكانت الحياة شاقة ، ولم يخفف عنه آلامها إلا عالم الشعر الذي أحبه .

في سنة ١٩١٢م أسس مطبعة وأصدر منها مجلة "الفنون " التي احتلت مكاناً محترماً في أمريكا والعالم العربي، حيث اهتمت بشؤون الآداب والفنون الرفيعة ، ولكنها احتجبت لظروف الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م بعد أن صدر منها عشرة أعداد ، ثم عاد ليصدرها مرة أخرى سنة ١٩١٦م وظلت تصدر حتى سنة ١٩١٨م ، ثم توقفت بسبب الظروف المادية فاشتغل في التجارة مع أبناء عمه ، ولكنه شعر أن آماله قد انهارت فامتلأت كتاباته الشعرية والنثرية بروح الحزن والأسى والوحدة والتشاؤم .

قال فيه جورج صيدح: كان، رحمه الله ، ركنا متينا من أركان الرابطة القلمية وموضع ثقتها، عرف بالإخلاص والغيرة عليها، وأحبه الجميع لدماثة أخلاقه، ونبالة روحه، وعفة قلمه

Dhaka University Institutional Repository



ولسانه. قليل الكلام كثير العمل والإنتاج. امتلأ قلبه بالحب الإنسانى حتى لا موضع فيه للبغض والحسد والكبرياء.[٢٠٤]

وقال فيه ميخائيل نعيمة: كان ممتازا بأخلاقه، فهو وديع، لطيف، خجول، دافئ اللسان، لايغتاب ولاينم. وهذه الصفات رافقته حتى آخر حياته.[٢٠٥]

تزوج نسيب عريضة سنة ١٩٢٢م السيدة نجيبة شقيقة الشاعرين عبد المسيح الحداد وندرة حداد ولم ينجبا أطفالاً .

ترك التجارة وتسلم رئاسة تحرير جريدة مرآة الغرب لصاحبها نجيب دياب، ثم انتقل إلى جريدة الهدى لصاحبها نعُوم مكرزل ، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية عُيِّنَ كمحرر في القسم العربي في مكتب الاستعلامات الحربية الأمريكية ، وعمل فيها نحو سنتين ، ثم اعتزل العمل لمرضه حيث عانى من متاعب القلب والكبد، وعكف على جمع ديوانه ، ولكنه مات والديوان بين يدي المُجَلِّد في بروكلين في ٢٥ مارس ١٩٤٦م .[٢٠٦]

**مؤلفاته :**

١ ـ ديوانه الوحيد "الأرواح الحائرة" الذي صدر سنة ١٩٤٦م ، والذي يحتوي على ٩٥ قصيدة ، منها مطوّلتان إحداهما بعنوان "على طريق إرم " في ٢٣٦ بيتاً موزعة على ستة أناشيد ، والقصيدة المطولة الأخرى بعنوان " احتضار أبي نواس" ، في ٧٢ بيتاً استوحى فيها احتضار الشاعر العباسي أبي نواس .

٢ـ أسرار البلاط الروسي ، رواية مترجمة عن الروسية .

٣ـ ديك الجن الحِمْصي (قصة منشورة في مجموعة الرابطة القلمية ) .

٤ـ الصمصامة ( قصة منشورة في مجموعة الرابطة القلمية ) .

٥ـ وله مقالات وفصول مختلفة نشرها في مجلات وجرائد المهجر .[٢٠٧]

---

٢٠٤ . أدبنا وأدباءنا فى المهاجر الأمريكية، ص ٢٧٤

٢٠٥ . حنا الفاخورى، تاريخ الأدب العربى، ص ٦٢١

٢٠٦ . الرابطة القلمية/http://ar.wikipedia.org/wiki

٢٠٧ . تاريخ الشعر العربى الحديث، ص ٢٩٥

Dhaka University Institutional Repository



## نسيب عريضة الشاعر

فى ديوانه خمس وتسعون قصيدة، إحداهما بعنوان "على طريق إرم" وثانيهما بعنوان "احتضار أبى فراس". أما الأولى خريطة للمراحل التى اجتازها الشاعر فى حيرته، والثانية فيها ٧٢ بيتا، وهى أشبه بمسرحية تمثل لنا احتضار أبى فراس كما تخيله الشاعر.

## ميزات الشاعر

١- **الحيرة:** هى الميزة الأولى لشعر نسيب عريضة: حيرة أمام الوجود ؛ وحيرة أمام ما وجده فى بلاد الاغتراب. ومن أشهر قصائد الحيرة فى ديوان نسيب عريضة القصيدة على الطريق ومنها قوله:

لماذا وقفت بخوف وحيره  أيا نفس عند الطريق العسيره؟
ألا أمشى فإن الحياة قصيره  ألا أمشى!

ومن ذلك أيضا القصيدة (مركب الفؤاد) التى تنطلق فيها روح الشاعر فى حيرة تكتنفها الشكوك، وتتهادى فى موسيقى أمواجها نفسه الهائمة فى متاهات الوجود ، ومن قوله فيها:

قلبى بلا شراع  يطوف فى البحار
قد قارب التداعى  من كثرة الأسفار

٢- **الألم :** هوالميزة الثانية فى شعر نسيب ، وهو رفيق الحيرة والخيبة ؛ وقد تعددت أسبابه وبواعثه فى حياة الشاعر، فمن ضيقة مادية ، إلى ضيقة نفسية ، إلى ضيقة فى بلاده ، إلى غير ذلك مما تنفست به قصائده ، ومما أشعل فى أبياتها وألفاظها وأساليب تعبيرها نارا لاهثة ومحرقة .

٣- **النزعة الإنسانية :** هى النزعة التى تشمل شعر نسيب عريضة بمجمله فى ما فعل و ما قال ، وهو إنسانى فى انطوائيته نفسها لأنه آمن انه يصور الألم الإنسانى العام من خلال ذاته المتألمة.

٤-**التحرر :** تجد عند نسيب عريضة تحررا شديدا من قيود الكلاسيكية العربية ، فهو رومنسيته المهجرية يخرج على نظام الخليل فى الأوزان والتفاعيل ، فيستخرج منها مقاييس تتناغم ونبضات وجدانه تتمشى وحركة الأفكار والعواطف فى مجمل كيانه.[٢٠٨]

---

[٢٠٨] . المصدر السابق، ص٦٢٢-٦٢٣

Dhaka University Institutional Repository



## نماذج من أشعاره

### يا نفسُ

يا نفسُ ، ما لكِ والأنينْ ؟ تتألمينَ وتُؤلِمينْ !
عذَّبْتِ قلبي بالحَنينْ وكَتَمْتِهِ ما تَقصُدينْ
قد نامَ أربابُالغرامْ وتَدَثَّروا لُحَفَ السلامْ
وأبَيْتِ يا نفسُ المنامْ أفأنتِ وَحْدَكِ تشعُرينْ
الليلُ مَرَّ على سِوَاكْ أفمَا دَهَاهُمْ ما دَهَاكْ ؟
فَلِمَ التمرُّدُ والعِرَاكْ ما سُورُ جِسْمِي بالمَتِين

أطلقتِ نَوْحَكِ للظلامْ إيَّاكِ يَسمعكِ الأنَامْ
فَيَظُنَّ زَفْرَتَكِ النِّيَامْ بُوقَ النُّشُور ليوم دِينْ

يا نَفْسُ مَا لَكِ في اضْطِرَابْ كفريسةٍ بينَ الذئابْ ؟
هَلاَّ رَجَعْتِ إلى الصَّوَابْ وَبَدَلْتِ رَيْبَكِ باليَقِينْ !

أحَمَامَةٌ بينَ الرِّيَاحْ قد سَاقَهَا القدَرُ المُتَاحْ
فابْتَلَّ بالمَطَرِ الجَنَاحْ يا نَفْسُ مَا لكِ تَرْجُفِينْ ؟

أوَمَا لِحُزْنِكِ من بَرَاحْ حتَّى وَلَوْ أزِفَ الصَّبَاحْ !
يَا لَيْتَ سِرَّكِ لِي مُبَاحْ فأعِي صَدَى ما قد تَعِينْ !

أسَبَتْكِ أرْوَاحُ القَتَامْ فأرَتْكِ من خَلف اللِّثَامْ
فطَمِعْتِ في ما لا يُرَامْ؟ يَا نَفْسُ ، كم ذا تَطْمَحِينْ !

أصَعِدْتِ في رَكْبِ لنُزُوغْ حتَّى وَصَلْتِ إلى الرُّبُوغْ
فأتَاكِ أمْرٌ بالرُّجُوغْ أعَلى هُبُوطِكِ تَأسَفِينْ ؟

أمْ شَاقَكِ الذِّكْرُ القَدِيمْ ذِكْرُ الحِمَى قَبْلَ السَّدِيمْ

Dhaka University Institutional Repository



فوَقفتِ في سِجْن الأديمْ  نَحْوَ الحِمَى تَتَلفَّتِينْ ؟

أأضَعْتِ فِكْرَا في الفَضَاءْ  فتَبَعْتِهِ فوقَ الهَوَاء
فنَأى وَغَلغَلَ في العَلاءْ  فرَجَعْتِ ثكلى تَنْدُبِينْ ؟

أسلكْتِ في قُطْرِ الخَيَالْ  دَرْبَا يَقُودُ إلى المُحَالْ
فحَطَطْتِ رَحْلَكِ عِنْدَ آلْ  يَمْتَصُّ رَيَّ الصَّادِرِينْ

فنَسيتِ قصْدَكِ والطِّلابْ  ووَقفتِ يُذْهِلكِ السَّرَابْ
وَهَرَقْتِ فضْلاتِ الوطَابْ  طمَعَا بمَاءٍ تَأمُلِينْ؟

حتَّى إذا اشْتَدَّ الأوَامْ  وَالآلُ أسْفرَ عَنْ رُكَامْ
غَيَّبْتِ رَأسَكِ كَالنَّعَامْ  في رَمْل قلبي تَحفرِينْ !

أعَشِقْتِ مثْلكِ في السَّمَاءْ  أخْتَا تَحِنُّ إلى اللِّقاءْ
فجَلَسْتِ في سِجْن الرَّجَاءْ  نَحْوَ الأعَالِي تَنْظُرِينْ ؟

لوَّحْتِ باليَدِ والرِّدَاءْ  لِتَرَاكِ ، لكنْ لا رَجَاءْ
لم تَدْرِ أنَّكِ في كِسَاءْ  قَدْ حِيكَ مِنْ مَاءٍ وَطِينْ

أتَحُولُ دُونَكُمَا حَيَاهْ  لوْ كَانَ يَبْلُوهَا الإلهْ
لبَكَى عَلى بَشَرٍ بَرَاهْ  رَحِمَا يُصَارِعُهَا الجَنِينْ

يَا نَفْسُ ، أنتِ لكِ الخلودْ  ومَصِيرُ جسمي لِلْحُود
سَيَعِيثُ عَيْنَكِ فيهِ دُودْ  فَدَعِي لهُ مَا تَنْخَرِينْ

يَا نَفْسُ هلْ لكِ في الفِصَالْ  فالجِسْمُ أعْيَاهُ الوِصَالْ
حَمَّلْتِهِ ثِقَلَ الجِبَالْ  وَرَذَلْتِهِ لا تَحْفِلِينْ

Dhaka University Institutional Repository



عَطَشٌ وَجُوعٌ وَاشْتِيَـاقْ  أسَفٌ وَحُزْنٌ وَاحْتِـراقْ
يَا وَيْحَ عَيْشِي ! هَلْ تُطَاقْ  نَزَعَاتُ نَفْسٍ لا تَلِيـنْ !

والقلبُ ، وَا أسَفِي عَلَيـهْ !  كَالطِّفْلِ يَبْسُطُ لِي يَدَيـهْ
هَلاَّ مَدَدْتِ يَدًا إلَيـهْ  كَالأُمَّهَـاتِ إلى البَنِيـنْ !
غَذَّيْتِـهِ مُرَّ الفِطَـامْ  وَحَرَمْتِـهِ ذَوْقَ الغَـرَام
وَصَنَعْتِ شَيْخًا مِنْ غُلاَمْ  يَحْبُو إلى بَابِ السِّنِينْ

فَغَدَا كَحَفَّـارِ القُبُـورْ  يَبْذُ العَوَاطِفَ في الصُّدُورْ
وَبَنِيتُ يَهْتِـفُ بِالثُّبُـورْ  يَشْكُو إلَيكِ ، وَتَشْمَتِيـنْ

أعْمَى تُطَاعِنُـهُ الشُّجُونْ  وَجِرَاحُـهُ صَارَتْ عُيُونْ
وَبِهَا يَرَى سُبُلَ المَنُـونْ  فَيَسِير سَيْرَ الظَافِرِيـنْ

حَتَّى إذَا اقْتَـرَبَ المُـرَادْ  تُطْلَـى رُؤَاهُ بِالسَّـوَادْ
وَيَعُود مَكْفُوفًـا يُقَـادْ  بِرَنِيـنِ عُكَّـازِ الحَنِينْ

يَتَلَمَّسُ النُّـورَ البَعِيـدْ  بِأَنَامِـلِ الفِكْرِ الشَّرِيـدْ
وَيَسِيلُ مِنْ فَمِـهِ النَّشِيدْ  سَيْلَ الدِّمَاءِ مِنَ الطَّعِينْ

أرَأَيْتَ بَيْـتَ العَنْكَبُوتْ  وَذُبَابَـةً فِيـهِ تَمُـوتْ !
رَقَصَتْ عَلَى نَغَمِ السُّكُوتْ  أَلَـمَّا فَلَمْ يُغْنِ الطَّنِينْ

فَكَذَاكَ في شَـرَكِ الرَّجَاءْ  قَلْبِي يَلَـذُّ لَـهُ الغِنَـاءْ
مَا ذَاكَ شَدْوًا ، بَلْ رِثَـاءْ  يَبْكِي بِـهِ الأَمَلُ الدَّفِينْ

يَا نَفْسُ إنْ حُمَّ القَضَا  وَرَجَعْتِ أنتِ إلى السَّمَا
وعَلَى قَمِيصِكِ مِنْ دِمَـا  قَلْبِي فَمَـاذَا تَصْنَعِينْ ؟

Dhaka University Institutional Repository



ضَحَّيْتِ قلبي للوُصُولْ  وَهَرَعْتِ تَبْغِين المُثُولْ
فإذَا دُعِيتِ إلى الدُّخُولْ  فبأيِّ عَيْنٍ تَدْخُلِينْ !

كِفْنُوهُ !

كِفْنُوهُ !
وادْفِنُوهُ !
أسْكِنُوهُ
هُوَّةَ اللَّحْدِ العَمِيقْ .
وَاذْهَبُوا لا تَنْدِبُوهُ ، فَهْوَ شَعْبٌ
مَيِّتٌ لَيْسَ يُفِيقْ .

ذَلَّلوهُ ،
قَتَّلوهُ ،
حَمَّلوهُ
فَوْقَ مَا كَانَ يُطِيقْ .
حَمَلَ الذُّلَّ بِصَبْرٍ مِنْ دُهُورٍ
فَهْوَ فِي الذُّلِّ عَرِيقْ .

هَتْكُ عِرْضٍ ،
نَهْبُ أرْضٍ ،
شَنْقُ بَعْضٍ
لَمْ تُحَرِّكْ غَضَبَـهْ
فَلِمَاذَا نَذْرِفُ الدَّمْعَ جُزَافـا ؟
لَيْسَ تَحْيَا الحَطَبَـهْ !

Dhaka University Institutional Repository



لا ، وَرَبِّي
مَا لِشَعْبٍ
دُونَ قَلْبٍ
غَيْر مَوتٍ مِنْ هِبَـة
فَدَعُوا التَّارِيخَ يَطْوِي سِفْرَ ضُعْفٍ
وَيُصَفِّي كُتُبَـهْ .
وَلْتُثَاجِرْ
فِي المَهَاجِرْ
وَلْتُفَاخِرْ
بِمَزَايَانَا الحِسَانْ
مَا عَلَيْنَا إِنْ قَضَى الشَّعْبُ جَمِيعَا ،
أَفْلَسْنَا فِي أَمَانْ

رُبَّ ثَارٍ ،
رُبَّ عَارٍ ،
رُبَّ نَارٍ ،
حَرَّكَتْ قَلْبَ الجَبَانْ
كُلُّهَا فِينَا وَلَكِنْ لَمْ تُحَرِّكْ
سَاكِنَاً إِلاَّ اللِّسَانْ

وَقَفْتُ

وَقَفْتُ وقد ضـاقَ بي سبيلُ المُنَى الساخِرهْ
ولم يبقَ من مَذْهَبـي سوى كَدَرِ الآخِرَهْ

وقفتُ وحيداً ضَلُولاً ضعيفاً حليفَ الشَّجَنْ
أُريـدُ الصـلاةَ طويـلاً لِمَنْ ؟ كِدْتُ أنسى لِمَنْ ؟

Dhaka University Institutional Repository



إلى مَنْ يُصلّي فتى تَعَوَّدَ غيرَ الصلاةْ
وأشْغَلَ قلباً عَنّا وَضَلَّ بغيرِ الإلـه

أيَا مَنْ سناهُ اختفى وراءَ حُدودِ البَشَرْ
نَسِيتُكَ يومَ الصَّفَا فلا تَنْسَنِي في الكَدَرْ

أيَا غافراً أرْحَمَنا يَرَى ذلَّ أمْسِي وَغَدْ
مَعَاذَكَ أنْ تَنْقَمَا وحِلْمُكَ مِلءُ الأبَدْ

مَرَاعِيكَ خُضْرُ المُنَى هي المُشْتَهى سَيِّدِي !
وجِسْمِي دَهَاهُ العَنَا حَنَانَيْكَ ، خُذْ بيَدِي ![٢٠٩]

---

[٢٠٩] . الرابطة_القلمية/http://ar.wikipedia.org/wiki

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الخامس : رشيد أيوب (١٨٧١ - ١٩٤١م)

هو شاعر لبنانى مهجرى عُرف بالشاعر الدرويش، وأطلق عليه لقب الشاعر الباكى الشاكى، ولد فى بسكنتا وتلقى فيها دروسه الابتدائية ثم هاجر الى الولايات المتحة بعد رحلة قام بها الى باريس وما نشستر ، وفى سنة ١٩٠٥م انتقل الى نيويورك واشترك مع زملائه فى تأسيس الرابطة القلمية وفى تغذية بعض الصحف والمجلات بالمقالات النثرية والقصائد الشعرية . توفى سنة ١٩٤١م ودُفنت معه أخلاقه الطيبة وخفة روحه ، ولطف فكاهته .

لرشيد أيوب ثلاثة دواوين شعرية : الأيّوبيات (١٩١٧م) ، و أغانى الدرويش( ١٩٢٨م) ، وهى الدنيا ( ١٩٣٧م) .[٢١٠] كان فى ديوانه الأول شاعر الحريّة ينشدها لنفسه، وخصوصا لوطنه الذى فتكت به وبلات الحرب العالميّة الأولى ، وقاسى من اسبداد الأتراك وظلمهم مالم يقاسيه فى يوم من أيام تاريخه الطّويل ، وكان فى ديوانيه الثانى والثالث شاعر الرومنسية الثائرة الذى لايرى فى المجتمع إلا نفسه وشجونها وأشواقها، ولا يطلب من الدنيا أن تمنحه إلا خيمة الناطور، ليعيش فيها قانعا بفقره وعزلته .

كان رشيد أيوب شديد التأنى فى نظم الشعر ، شديد الحرص على جمال الايقاع وقد جاء شعره حافلا بالبساطة والطلاوة وارقة والموسيقى . قال يصف نفسه فى شخص الدرويش :

وقفنا عند مرآهُ حَيَارَى ، ما عرفناهُ
عجيب فى مَعَانيهِ غريب فى مزاياهُ
له سربالُ جَوَّابٍ غُبارُ الدهر غَشَّاهُ
ووجه لوَّحَتْهُ الشمسُ غَرَتْ فيه عَيْناهُ
سألنا الناسَ من هذا ؟ فقالوا : يعلمُ اللهُ ![٢١١]

---

[٢١٠] . تاريخ الشعر العربى الحديث، ص ٢٨٦
[٢١١] . حنا الفاخورى، تاريخ الأدب العربى، ص ٦١٨-٦٢٠

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل السادس : ندره حداد (١٨٨١-١٩٥٠م)

## طمانينة ورضا :

ندره حداد شاعر حمصى ، ولد بحمص سنة ١٨٨١م، هاجر من حمص إلى نيويورك عام١٨٩٧م. هو وأخوه عبد المسيح (١٨٩٠-١٩٦٣م) من مؤسسى الرابطة القلمية .[٢١٢] نشأ على ضفاف العاصى وقضى حداثته و أول شبابه بين مروج حمص الغناء وحدائقها المترامية، ثم ما لبث أن اضطرته الحياة الى خوض غمار البحار والسفر الى العالم الجديد ، ولكنه هناك كانت تتهادى أمام عينيه مدينته الحبيبة وتتوارد الى خاطره ذكرياته فيها ، فتخرج على لسانه شعرا عذبا وأنغاما من الشوق والحنين تعد نموذجا رائعا لهذا النوع من الشعر فى أدب المهجر بوجه عام .

عمل ندره حداد أول نزوله فى مدينة نيويورك بالتجارة التى كانت تتلقف كل قادم الى العالم الجديد لينفق فى ميدانها الساعات الطوال من نهاره وبعض ليله نظير قلة من النقود لم تكن تساوى تلك المشقة وذلك الجهاد ، مما جعل المهاجرين اللبنانيين والسوريين بوجه خاص يكرهون هذه الحياة المادية الرتيبة التى تأكل من أعمارهم وتقضى على شبابهم ولا يتمتعون معها بيسر العيش وسعادة البال .

ولكن ندره حداد كان محتاجا إلى المال فظل يكد ويعمل ، ويخفف عن نفسه بين الحين والحين بقول الشعر ومساعدة أخيه الأستاذ عبد المسيح حداد فى تحرير جريدة السائح، وما لبث أن عرضت عليه وظيفة فى بنك لبنان الوطنى بنيويورك فانتقل اليها وظل فيها يتعاطى الصرافة وشؤون المال إلى أن توفى فجأة أثناء الاحتفال بعرس أحد أصحابه خلال عام ١٩٥٠م، فكانت وفاته طريفة فى نوعها ، شاعرية فى وقوعها، فرثاه أصدقاؤه بقصاعد عصماء ونعته صحف المهجر ومجلاته الأدبية ، ورثاه الشاعر إيليا أبو ماضى بقصيدة قيمة قال فيها : شاعر ، أعجبُ معنى صاغه للبرايا موته المبتكرُ.

أما ديوان أوراق الخريف الذى خلفه الشاعر، وكان قد جمع فيه كل ما قال من شعر حتى عام ١٩٤١م، فإنه خيز ما يمثل لنا شخصية ندره وحياته وعواطفه وأحاسيسه وكل ما جال بخاطره من ذكريات وأحلام وآمال ، ويمتاز بذلك التعبير البسيط الذى عرف ندره البعيد عن مظاهر الكلفة والتصنع ، شأنه فى قول الشعر كشأنه فى معاملة الناس ، صريح ، سموح و محب للخير ، فياض الشعور . ولا شك أن فى تسمية ديوانه بهذا الاسم دلالة على نفسيته الحزينة وررحيته الرقيقة المتأثرة بمآسى الحياة وما ينتابها من ظروف وأحوال لاتبعد جميعها عن أن تكون محزنة جالبة للأسى والألم . ولكن شاعرنا كان ذا نفس راضية مطمئنة ، يحب المسالمة

---

[٢١٢] . تاريخ الشعر العربى الحديث، ص ٣٠٩

Dhaka University Institutional Repository



ويبعد عن المشكلات والتعقيد فلم يرد أن يتخذ من حزنه وسيلة للأنين والشكوى وترديد معانى اليأس والحيرة، ولا أراد أن يغتنم فرصة تألمه من الحياة والناس فيصب جام غضبه عليهما ويضمر الحقد والكراهية لهما . بل على العكس نراه يسير فى طريقة آمنا مطمئنا لاتزعزعه الأهوال ولاتهد من حوله المصائب . إنه يقابل كل أحداث الحياة بابتسامة تنم عن إيمان عميق وقدرة على الصبر والتأسى .

ومن ناحية أخرى فإنه يعتبر قدومه إلى العالم الجديد بداية فصل الخريف من فصول حياته، مع أنه لم يهاجر من وطنه إلا فى شرح الشباب . وإنما هو الحزن لفراق بلاده وأهله وآلام الغربة والابتعاد جعلته ينظر الى حياته فى مهجره هذه النظر الحزينة الواجمة . فاستمع إليه يتذكر ليالى صفوه فى أرض الوطن ومجالس لهوه ومرحه هناك فيقول فى ليالى الصفاء :

ليالى صفوى ألا أين أنت وأين قماريُّك الصادحه ؟
تباعدتِ عنى وخلّفتنى بدُنيا تغالبنى جامحه
تعالى نجدد عهدا مضى فنفسى بأشجانها رازحه
تعالى ترى مهجة قد حكت بتسكابها الأعين السابحة

ولكن ليالى صفو لاتسمع ولاتجيب ، وتمر السنون ويطول بعده وما من عودة أو لقاء فيهتف مخاطبا جنة الدنيا مدينة حمص مسقط رأسه ومرتع صباه :

لاتحسبى بعدى عن الأوطان بغضا ولا ضربا من السّلوان
كيف السُّلوُّ ولى فؤاد كلما ذكر الأحبة زاد فى الخفقان

ولا يئن ندره من ألم الفراق ولا يشكو لأحد أوصاب البعيد والهجر ، ولكنه يؤكد للناس أنه راض بحاله ، ومقتنع بما قسمت له الأيام . ومع ذلك فهو لاينسى ذلك الوطن البعيد الذى ملأ حبه شغاف قلبه فأضحى قريبا فى نظره ، متمثلا أمام مخيلته وفى أحلامه :

قلتُ للأئم الخلىّ القاسى أنا راض بما ترانى أقاسى
لستُ والله ما حييت بناس وطنا بقلبى رأسى
ليس تقصيه غربة أو تناسى

وكيف ينساه وهو يتغنى بذكره كلما غنت الطيور فى الصباح فأدخلت الانشراح على القلوب والصدور ؟

عنها يحس بنشوة كمن يشرب الراح بين أحبائه ونداماه فى مدينة حمص الغالية . وهوغدا وسار فى مروج الدنيا الجديدة وحدائقها المليئة بالورود والأزهار يتخيل نفسه متجولا فى مروج العبار ببلدته العزيزة حيث تكثر أشجار الشبح والآس . أما دوحة الميماس الشهيرة بمدينة حمص فإنه ليذكرها الأمسيات الناعمة عند ما يجلس فى الرياض المحيطة بالنهر فيرى أشباح أشجار

Dhaka University Institutional Repository


الصفصاف تتخايل فى مائه الرقراق . حتى قبة ضريح خالد بن الوليد التى تميز مدينة حمص من بعيد نراه يتخيلها ويتمثل صورتها كلما رأى قبة من قباب القصور والمبانى فى العالم الجديد . ومعنى هذا أنه يتمثل مدينته المحبوبة بكل مناظرها وشتى مظاهر الأنس والبهجة فيها ، وإنه ليتمنى على الله أمنية ليس تحقيقها عليه ببعيد ، هى أن يرى بلاده العزيزة قبل مماته وأن تكون فى تربتها مقبرة له تحوى عظامه بعد الفناء . ولكن تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن .

وفى أنغام عذبة من الشوق والذكريات يصور ندره حداد مشاعر المغتربين جميعا لا شعوره وجده فحسب ، فيقول فى ذكرى الغريب :

يا أيها الشرق كم فى الغرب مكتئبا ... يئن أنة مشتاق و ينتحب
يبكى على الفه النائى البعيد وقد ... دهنه فيك خطوب الدهر والنوب
يسائل الريح فى الاسفار إن عصفت ... والنوم ناء ودمع العين منسكب
ويسأل الشمس إذ تأتيه مشرقة ... عمَّن يحب وقد حفت به الكرب
لاالريح تخبره ، لاالشمس تجده ... لا الدهر يسعفه ، لا الموت يقترب
فى الحياة فأحلاها وأجملها ... ألا أرانى عن الأحباب أغترب

هو يترنم فى غربته بهذه الأشواق وينفس عن كربة بمثل هذه الأنات، حتى إذا جاء وافد أو جماعة من الشرق ، كان أول الملبين لدعوة الداعى إلى تكريمهم وإظهار الولاء والمحبة لهم ، فهم يمثلون البلاد العزيزة والربوع الغالبة ، فيخاطبهم بقوله :

كأنى ناظر وطنى أمامى ... فلا شكوى ولا شوق يدبُّ

ويستمر ندره فى ترديد هذه الأنغام المشجية والعزف على تلك الأوتار الناعمة الرقيقة من الحب والشوق والذكريات حتى إذا أحس بمضىّ شبابه وحلول جيش المشيب الذى بدأ يرسل إنذاراته فى رأسه ، ساوره الخوف وانتابه القلق ، لا لقرب الأجل أو خشية من النهاية ، بل خوفا من أن يموت فى ديار الغربة دون أن تكتحل عيناه برؤية وطنه المقدس ، فإذا هو يهتف مطالبا أصحابه أن يأخذوه إلى تلك البلاد الجميلة لأنه يزيد أن يجتلى محاسنها قبل حلول القضاء ، فتزول همومه ويبتعد عنه الشقاء .

خذونى ولو مرة فى الزمن ... إلى نهر ((أورنت)) ذاك الجميل
لا نقى بمرآه ذاك الحن ... هموما دهنى زمانا طويل
خذونى إلى أرض حمص صحابى ... فإنى بها لاأزال الولوعُ
وقولوا إذا مت دون إياب ... يراه الحنين وذرف الدموعُ

Dhaka University Institutional Repository



وندره حداد هنا يذكرنا بزميله الشاعر الحمصى نسيب عريضة الذى هتف . فى أخريات أيامه :

مرت ثلاثون لم أنس الربوعَ وهل  تنسى مواثيق أرحام وأيمان ؟

وبالرغم من هذه الأنات الخفيفة والزفرات الهادئة التى يصعدها ندره حداد باعثا بها مع أخر أنفاسه إلى وطنه الحبيب البعيد ، فإنه يعيش فى أرض الغربة راضيا بحاله مستسلما لقضاء الله منتظرا فراجه ، بدون قلق أو ارتباك ولعله عبر عن حاله وصفاته حين تحدث عن الشاعر كغيره من الشعراء الرابطة ، فقال مصورا شاعره المثالى وقد عنّى به نفسه :

هو راض بحاله  ظلم الدهر أم عدل
هو راض عن الزما  ن، وراض بما فعل
هو فى الصابر والرضا  والوفاء مضرب المثل

وفى الحق إن ندرة حداد قد فهم نفسه تمام الفهم وعبر عن شخصيته أصدق التعبير دون مواربة أو تكلف أو تعديل . ويستمر فى هذه المقطوعة يتحدث عن بقية صفات الشاعر الذى عناه فيقول :

هو فى الحب دمعة  ليتها دمعة الجذل
شاركت كلّ ذى ضنى  فى ضناه وذى العلل
يعشق الغصن لالحسن  به بل لما حمل
والغدير الصغير يسقى  العطاشى ولم يُسل

وهذه الأبيات تقضى بنا الى الحديث عن جانب آخر من جوانب شخصية ندره حداد، ذلك هو الجانب الإنسانى، وعماده النفع العام للناس وحب الخير لهم جميعا ما داموا إخوانا فى الإنسانية، دون تميز بين غنيهم وفقيرهم وكريمهم وبخيلهم وأميرهم وحقيرهم، وتطالعنا هذه الروح الوافية المخلصة لكل إنسان فى أولى مقطوعات ديوان "أوراق الخريف" التى جعل الشاعر عنوانها دالا على ما فيها من إنسانية فسماها "شرّمعى " وشرح فيها مذهبه وأهدافه ومعاملته للناس .

وتقترن هذه النزعة النفسية عنده بنزعة الزهد وعدم الاهتمام بعرض الدنيا وزخرفها وبما فيها من مال زائل، وقد عاش ندره يعمل فى شئون المال التجارية والمصرفية طول حياته فخبر الناس وعرف صحبتهم له وشدة حرصهم عليه، فانقلبت هذه الأحاسيس فى نفسه إلى اشمزاز من

Dhaka University Institutional Repository



الغنى وكره للمادة، ودعوة إلى الجود بالمال وعدم البخل والبعد عن التراث، فيقول فى قطعة بعنوان"أنفق فضول المال" :

ماذا يفيد المرءُ لو أنه جُمع مال الأرض فى عمره
أليس ما يجمعه ذاهبا إلى السوى إن بات فى قبره
فيا كثير المال من غيره ويا قليل البذل من يسره
أنفق فضول المال حبا تنل شكر الذى أثريتَ من فقره
فحاتم ما عاش فى عصرنا لو لم يجد بالمال فى عصره

وهذه الدعوة إلى الجود بالمال والإحسان إلى الناس منتشرة فى أبياته التى يتحدث فيها عن الغنى ، فهو مثلا ينصح ابنه "وليم" بأن يجد ويعمل ولا يأمن من أن يحاول جمع المال والوصول إلى الغنى والثروة، ولكن يجب ألا ينسى أن إنفاق المال ينميه ويزيد من قيمته، فهو لايطلب من ابنه أن يقلد أباه فى معيشته وأن يلتزم طريق الفقر التى التزمها والده، لأنه لم يجن منها سوى التعاسة والأنين برغم ما يبدو عليه من رضا ظاهر، ومن حيث لذلك الماضى الذى مر بما فيه من حياة العسر والشقاء . فهو لايمكن أن ينساه أو يكف عن تذكره وكيف وهو قطعة من حياته :

ماضى نسج يدى فلا أرضى وإن ارغمتُ نزعه
هو لى رداء أرتد يه مرقعا وبغير رقعه

وندره حداد يقف على النقيض مع نسيب، عريضة اليائس الحائر الحزين أما ندره فهو برغم فقره ويؤس حاله وكل ما لاقاه من شقاء ومشقة فى حياته، مازال يأمل فى الأيام خيراً وينتظر من الله فرجاً، وإن كان قد تجاوز عهد الشباب وحل برأسه المشيب، فمن العيب أن يحجم المرأ عن خوض غمار الحياة مجرد أن ظهرت فى رأسه شعرة بيضاء، فالحى هو الذى يسير ويتقدم، والواقف ميت وإن نبض قلبه بالحياة، ويسرد ندره فى مقطوعة "يا رفيقى" مجموعة من النصائح والعظات القيمة التى تبعث الهمم وتحيى العزم وتفجر الأمل بعد اليأس :

فلنسر ولتكن الذكرى لما قد مرّ لحنا
كم حملنا من أذى الدهر طويلا واحتملنا
رُبّ ماض كان فى شدّ ته للشيب عَونا
رُبّ آت لم ترده كان إنشادا وَنَنا

إن هذا الشاعر الحزين الذى يحسن دائما بدنو أجله ويفرّق من شعرات وأنه البيض يرى فيها خريف حياته، يعد برغم هذا مثلا حيًّا للتفاؤل والغبطة والرضا والقناعة، وكل هذا نائج عن

Dhaka University Institutional Repository



إيمان منه بقدرة الله وثقة بقضائه وتسليم لأمره . وكثيرًا ما أتى فى هذا السبيل بحكم ومواعظ تعد من أغلى الأبيات وأنفعها للناس. مثل قوله :

إذا مارُمت من دنياك شيئا  يسرك فالمسر هو القليل
وكنَّ بقليل ما زادتْ قنوعا  فليس إلى الذى ترجو وصول
كشمس الأفق نلمسها خيوطا  وإن رُمنا المزيد فلا سبيل

فهذه من الحياة تعطى لتمتع، وتمنح لتأخذ، وترخى لتشد وتقسو، ولكن علاجها الصبر والقناعة دائما .

ومع هذا التسليم بالواقع والرضا بما كان والتفاؤل بالذى سيكون، لايسلم شعر ندره حداد من رشاش أصابه من نزعة الشك التى غمرت شعر أعضاء الرابطة بوجه عام . فهو ليس متأملا ولا متفلسفا كبعضهم ، ولكنه كثيرًا ما يجلس وحيدا فيفكر فى أمور دنياه وأمور دينه، أما أمور دنياه فقد رضى بما كان منها اقتنع بنصيبه فيها . وأما أمور دينه فهذه هى التى حيّرته وجعلته يشك ويقلق ، فيقول مثلا فى إحدى مقطوعاته:

إن أمر الدين لغر  جعل الناس حيارى

وليست، مسألة الشك فى الدين غريبة على شعراء المهجر - ومنهم شعراء الرابطة القلمية - فهم الذين عاشوا أول حياتهم فى بلاد تفرق بين الأديان . وذاقوا من الاضطهاد الوانا ومن العذاب النفسى أشكالا، ورأو من نواحى الفرقة والاختلاف الطائفى بين المسيحيين أنفسهم ما نفرهم من فكرة الأديان، وجعلهم يعتبرونها السبب فيما يحدث فى الشرق من مشاحنات ومقاتلات وحروب .

ولقد أطلعوا على تاريخ بلادهم وقرأوا مذبحة السئين وعلاقتها بالدين والطائفية فاوجدت كل هذه العوامل فى نفوسهم اشمئزازا ونفورا من الأديان، ولكن هذا النفور لم يؤدّ بهم إلى الكفر . فهم مازالوا مؤمنين ، أدى بهم الى عدم التفريق بين الأديان مهما كانت ، فالدين للواحد الديان ، والأنبياء كلهم طيبون أخيار فيهم يحبونهم جميعا ويعترفون بهم جميعا ، ولا داعى المسفسطة الدينية والتفلسف فى أمور العبادة ، بل إن منهم المسيحى الذى امن بمحمد ، نبى الإسلام ، كما فعل رشيد أيوب حينما فاخر الغرب بالعروبة وبمحمد بالذات وذلك فى قوله :

فنحن بنو الأعراب كنا ولم نزل  بما خصصنا المولى نفوق الأجانبا
فمن يا ترى أعلى الورى كمحمد  وأرفعهم مجدا وأسمى مناقبا

وتجلت هذه الثورة على الأديان عندهم فى تمردهم على طقوس الكنيسة المسيحية وغيرها من طقوس العبادة فى الأديان الأخرى، فهم يعتبرونها مظاهر خلابة ليس لها كبير قيمة، يقول ندرة حداد فى تخيلات :

ودَّ غيرى الصلوة الله فى الجا  مع، أو فى كنيسة، أو كنيس

Dhaka University Institutional Repository



وودت الصلوة لله فى الرو ض، بعيدا عن كل هذى الطقوس
حيث لا اسمع المرائى يصل عاليا يستغيث بالقديس
حيث لاواعظ يصيح وفيه من شرور ما ليس فى إبليس

ولم تكن ثورة ندرة على رجال الدين هى أولى من نوعها فى شعرهم فقد سبقه الى ذلك عميد الرابطة جبران خليل جبران ، وسن لهم سنة فى ذلك فاتبعوه وساروا على الدرب وراءه .

وشعراء الرابطة القلمية ، إذ يتمردون على الدين ورجاله، يلجأون الى الطبيعة الصافية فى البرارى والمروج فيجدون فيها دروسا ومواعظ أبلغ من دروس الكنيسة ومواعظها ، يردون فى ذلك صدى النزعة التى انتشرت فى أوربا نزعة العودة إلى الطبيعة لتقدس هى من دون الأنبياء، وفيها تتجلى قدرة الله بأروع الأيات تفوق أيات اى كتاب سماوى فى نظرهم ولقد تمادى فى كتاب الغرب فى هذا حتى وصلوا فى عصر الحديث إلى الكفر بكل شيئ إلا بالطبيعة مثلما فعل برنارد شو (١٨٥٦-١٩٥٠م) مثلا فهو لايريد للإنسان المثالى إلا أن ينشأ على دين عماده الحرية، فلا ينص على إسلامه او نصرانيته أو يهوديته بمجرد أن يولد ولا علة له بهذه الأديان، وأنما يترك للطبيعة تملى عليه من الدين أو اللادين ما تريد . ولعل رواية "زنجية تبحث عن الله" تصور هذه النظرة الى الدين التى شاعت فى أوربا أول الفرق العشرين ، ثم أخذت تتطور حتى وصلت الى هذا الشك فى كل شيئ والنفور من اى شيئ مقرر من قبل . فندره حداد يريد أن يصل فى الروض بعيدا عن عيون الناس وفضولهم . وهو لن يتنازل عن هذه النظرة المؤمنة بالطبيعة وجمالها وبديع صنعها :

إن عشبا أشعُهُ فى البرارى لهو خير من الكبا للنفوس
وسماعَ الطيور تنشدُ أحلى من سماع الأجراس والناقوس

ويرى ندره أنه يجب أن نغير نظرتنا إلى الدين تلك النظرة التقليدية الجامدة ، ويرى أنه يجب البدء بالأطفال نعلمهم التسامح وسعة الأفق وبعد النظر ، فينصح ابن عم له أن يربى طفله على هذه المبادئ الجديدة التى لن يمسها التعصب والانقسام فيقول:

يا بنُ عمى أنا ممن وجدُوا الأديان علة
كل يوم بين أهل الد ين تجهيز و حمله
ملة تطلب أن تجشاحَ بإسم الدين مله
فإذا أحببتَ هذا الطفل أن يحسن فعله
صنه من دين انقا ماتٍ وأرْهام مضِلة

Dhaka University Institutional Repository



ويتجلى تمرده على الدين فى قصيدة جميلة بعنوان "الراهبة" يحكى فيها قصة فتاة صغيرة مات والدها فزج بها أهلوها فى الدير . فنشأت فيه على الرغم منها وقاست الأمرين من الخضوع للرؤساء فيه . وكبرت وترعرعت وأحسست بالأنوثة تدب فى جسمها ، فخرجت ذات يوم إلى شاطئ الغدير تبثه نجواها وشكواها ، فرأت فتى مقبلا من بعيد ، وما اقترب منها حتى أخذ يشكو لها ظلم الناس وقسوة الحياة خارج الدير. وأنه يئس منها فجاء يطلب الغفران ويقضى بقية أيامه متعبدا زاهدا . وهنا تجيبه الفتاة بما يغير نظرته إلى الدير وأهله ورسومه فتحكى له من مظالم حياة الأديار مالم يكن يعلم ومن قسوة الرهبان وخداعهم مالم يكن ينتظر. وتسأله الفتاة فى استغراب واستنكار :

أإلى الدير مسجن الأبرياء ومقرّ الأيتام والتعساء

أنت آت ترجو حياة هناء بين جدرانه وترجو الأمانة ؟

وتكون النهاية أن يعدل الفتى عن دخول الدير وتخرج الفتاة منه ليعيشا معا عيشة آمنة وادعة .

وهكذا تجد أن الشاعر ندره حداد قد مثل مبادئ الرابطة القلمية التى انتمى إليها . وحقق أهدافها وشارك فى بث أفكارها وآرائها ، ولكن هناك ناحية واحدة يظهر أنه لم يقتنع بهاء أو لعله . لبساطة تفكيره وعدم ميله الى الفلسفة والدرس العميق والتفكير . لم يدرسها ويتفهم أسرارها تلك هى مسألة خلود النفس وارتفاعها الى عالمها العلوى بعد فناء الجسد التى آمن بها كل أعضاء الرابطة الأخرين . فنحن لانجد له قصيدة فى توضيح هذه الأفكار . وإن يكن قد تحدث عن نفسه . وخاطبها . ولكن خطابا بسيطا ساذجا . ونراه يقول فى إحدى مقطوعة :

ليس يدرى غير من أبدعها ما مصير النفس بعد المقبره

وبالرغم من أنه لم يفكر كثيرًا ولم يتعمق تأملاته ، فإنه يقرر أنه مازال شاكًا لايصل الى يقين .

أطلتُ تفكيرى فلم أستفد و كان ما أمّلتُ أمرًا عير

فكنتُ فى فكرى وفى يقظتى كما أنا ، لافرق : أعمى ، بصير[٢١٣]

---

[٢١٣] . المصدر السابق، ص ٦٢٤-٦٣٠

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل السابع : المقارنة بين شعراء الرابطة القلمية فى الأدب

إن مصادر التكوين الفكري العامة لا يمكن أن تعني انمحاء المفارقات الشخصية بين هؤ لاء الأدباء ، فذلك يعنى أن يغنى الو احد منهم عن الأخرين ، وهو أمر ليس بالصحيح.

لقد حمل هؤلاء الأدباء وراثات مختلفة ، و عاشوا في أسر مختلفة ، في بيئات تختلف طبيعة وسعة ومدى في الاتصال بمصادر التأثر الفكرية ، ثم هم قابلوا في المهجر أحداثا يختلف بعضها عن بعض ، و عانى بعضهم آلاما لم يعانها الآخرون ، واتصل بعضهم بالمجتمع الجديد اتصالا لم يتح للآخرين ، واضطر بعضهم إلى التجول فى المدن الأمر يكية و الأرياف ، على حين دخل بعضهم في نيويورك لا يكاد يغادرها إلا قليلا. ولابد أن يؤثر هذا كله وأشياء أخرى مما يشبهه في نظرة كل منهم إلى الحياة ، واستجابته لأحداثها ، ثم في تعبيره عن هذه الاستجابة فيها أنتج من شعر و نثر.

## جبران خليل جبران

فأما جبران لقد نشأ في أسرة متوسطة،[٢١٤] و نجله أب سكير ورث- يدوره- الإدمان عن أبيه . وكان عمه أيضا مدمنا ، كثيرا ما يغلبه السكر فينطرح في بشري، في الأقنية الممتدة على جانبى الطريق العام، فينقل إلى بيته ولا يصحو إلا في صباح اليوم التالي.[٢١٥]

وكانت تجول فى دماء الأسرة جرثومة السل التي صرعت أخته وأمه وأخاه في بوسطن فلا غرابة إذن أن يرث جبران طاقة عصبية مهتاجة سريعة الاستجابة ، وأن يقبل على الخمرة إقبالا مرضيا ، وأن تكثر شكواه من ارتعاش قلبه وانطفاء عافيته في كثيرمن الأحيان . وأنت تجد مثل هذه الجمل في رسائله إلى نعيمة : أما أنا فبين صحتي المشوشة ومشيئة الناس بى أشبه شيء بآلة موسيقية محلولة الأوتار، في فى يد جبار يضرب عليها أنغاما غريبة خالية من الأ لفة والتناسب . ربما كان السكوت أجدر بى حتى يعود هذا القلب إلى ما كان عليه منذ سنة[٢١٦] . قال لى الأطباء في أوائل الصيف أن أهجر الكتابة بكل أشكالها.[٢١٧] منذ أيام وأثارهن هذه الغرفة ، وقد قمت من فراشي لأكتب إليك . أنت تعلم أني تركت نيويورك مريضا ولم أزل أحارب التسمم في معدتي.[٢١٨] كنت مصابا بالداء المعروف بالنقرس الصيفي الخ...[٢١٩]

---

٢١٤. أمين خالد، "مقالات في نقد جبران " مجلة المشرق (بيروت : ب ت)، ج ٣، ص ٦٤٢

٢١٥. فؤاد حبيش، مجلة المكشوف (بيروت: ١٩٣٦م )، العدد ٦٣ ، ص ٨

٢١٦. المصدر السابق ، جبران خليل جبران، ص ٢٨١

٢١٧. المصدر السابق ، ص ٢٨٧

٢١٨. المصدر السابق، ص ٢٩٠

٢١٩. المصدر السابق ، ص ٢٧٧

Dhaka University Institutional Repository



هذا كله ولم يقض جبران في هذه الحياة أكثر من ثمانية وأربعين عاما وإذا لم نكن نريد أن نرد ما يحرص بعض الناس على تسميته (بعبقرية جبران) إلى التهاب الدماغ ، بتاثير جرثومة السل المتوارثة ، وانفجاره ، قبل أن يحترق ، عن عبقرية رائعة ،[٢٢٠] فلا نريد ان نقلل من تاثير هذه الوراثة التعسة فى التاثير على طاقته العصبية، حتى لتلتهب استجابة لأقل المؤثرات وتطلق خياله فى آماد قصية عجيبة ، فيطوف فى وديان غائمة ، ومزارع تتقلب فيها الحياة مع فصول السنة كانها ظل إله غير معروف جالس بين الأرض والشمس.[٢٢١]

وكان جبران يحس أن في قلبه صورا وأشباحا تتمايل وتتمثى وتهادى كالضباب ، حتى ليعجز أن يضعها في قوالب من الألفاظ.[٢٢٢] وكان يحس في بعض الأحيان أنه ضباب يرتعش فى الفضاء.[٢٢٣] ولا نريد أن نقلل من تأثير هذه الوراثة أيضا فيها كان يحس أحيانا من الهبوط والضيق عقب فترات الاشتمال العصبي ، وتأثير ذالك في قلبه ، وما كان يعكس قي عينيه من نظرات حزينة إلى الحياة ، كأن الشحوب والاصفرار والزفرات والنحول حيثما يجيل بصره : فهذا وجه صغير مصفر وهاتان عينان مكحولتان بخيالات التعاسة والفاقة ، وفم مفتوح قليلا كأنه جرح عميق في صدر متوجع ، وقامة صغيرة مهزولة منحنية ... كأنها غصن من الورد الأصفر الذابل.[٢٢٤]

وقد قضى جبران طفولته في بشري[٢٢٥] القائمة على كتف الوادي المقدس قاديشا ، والفارقة في زرقة عميقة وخضرة ناضرة . تحيط بها من أطرافها جبال شاهقة تكر في أعمقها الينابيع ، وتبدو فيها فجوات وهية غامضة يغيب فيها الخيال . وكثيراً ماتطوف برؤوس الجبال غيوم كثيفة رمادية ، ويزحف الضباب المرتعش فيغطي بيوت القرية ، كأنه أجنحة سحرية لطائر أسطوري يخفي رأسه وراء الأفق المجهول.

ولقد أدرك النساك منذ القديم جلال هذه البقعة ، فاتخذوا من جبالها وفجوات صخورها خلوات ، فسمي الوادي بالسريانية وادي قاديشا ، أي الوادي قادس[٢٢٦] واتخذ بعض الرهبان الإيطاليين ديرا لهم في سفح من سفوح جبال رز المطلة على الوادي ، وهو دير مار سركيس[٢٢٧] المحفور في الصخر- ان جبران – وهو صبي – يتسلق الجبل ويقف لحظات مبهورا يطل على الوادي ساكن ، ويسمع الغربان النائحة المتفرقة في رءوس الجبال ، وعويل الينابيع صائرة إلى مصيرها

---

٢٢٠. المكشوف ١٩٣٦م، العدد ٦٣ ، ص ٨
٢٢١. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ، (بيروت: صادر،١٩٥٠،١٩٤٩م، ج١، ص ٧٦
٢٢٢. جبران خليل جبران، ص ٢٨١
٢٢٣. المصدر السابق ، ص ٢٨٣
٢٢٤. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ج ١، ص ٨٠
٢٢٥. ترتفع عن سطح البحر ١٤٥٠ مترا
٢٢٦. نسيم نوفل، بطل لبنان( الإسكندرية:١٨٩٦م)، ص ٥٢ ، ٥٣
٢٢٧. المصدر السابق، ص ٥٢

Dhaka University Institutional Repository



في جوف الصخر ، على حين يبدو الأرز الخالد (أرز الرب) أمدا ، كأنه بعض أناشيد التوراة يهتف بها التاريخ القائم بين السمع والبصر ، نسبح بها القمم العالية.[٢٢٨] و كان يتنفس هذا الفضاء الحر بما في قلبه من شوق الانطلاق والتحرر من قيود الأرض ، وما في خياله من تهويمات مزر كشة، ضباب سحري ما يفتأ يزحف من البحر والحقول...

وقد خلف لنا جبران – في بعض دفاتره المدرسية- صورا لخياله في هذه المرحلة، كتبها وهو طالب في مدرسة الحكمة لم يكد يتحاوز الخامسة عشرة إلا قليلا . وتجد فيها الخيال المحوم الذي يرفض أن يطأ الأرض إلا مجازا ، الصور المنتزعة من جو بشرى . يقول : « أخذت اليراع ، وطيرت رائد الأفكار ، فسقطت على جنوع الألفاظ والتقطت ثمارها ورجعت إلى أعشاش الطروس ، وولدت فراخها . تطايرت طيور الأفكار في سماء المعانى ، وسقطت على غصون اليراعة وغردت ألحانها . ارتفعت أبخرة الأفكار بحرارة شمس الذكاء إلى فضاء المعانى ، ففاجأتها أرياح الإرادة الباردة وأسقطتها على الأقلام شؤبوبا ، فسال على الطروس مدادا.[٢٢٩]

صياغة مصطنعة ، ولكنها الأصول الأولى للطريقة التي اتبعها جبران فيها بعد : الكتابة بالصور والزخارف والإحساس الممتلىء والخيال المتدافع . و في كلها تشير في وضوح ، إلى وراثات جبران وجو بشري.[٢٣٠]

ويبدو أن جبران لم يتخل ، حياته كلها ، عن إيمانه برغم تمرده . فقد كان إحساسه الصوفي العميق يستغرق شكوكه وبذيها . وقد بقي تمرده على الدين في حدود ثورته بممثليه . و كانت هذه الثورة تقترن دائما بتمجيد المسيح والرجوع إلى نصوص الإنجيل لاستشهادها على ما آلت إليه تعاليم المسيحية على أيدي رجال الدين . ويلوح لنا أن العقيدة التي أخذ بها في تفسير وجوده كانت الحل الوحيد الذي يمكن أن يحفظ عليه اتزانه النفسى ، و يعصمه من الانهيار . ذالك أنها عقيدة وقودها الإحساس والخيال ، وهما ثروة جبران المخزونة النامية التي كان يحس – دائمًا- بالحاجة إلى الإنفاق منها ، وتبديد بعض طاقاتها . فجاءت العقيدة تغطي هذه الحاجة ، وتستنفد هذه الطاقات . وبذالك حولتها عن الانحر افات الخطيرة التى كانت خليقة أن تهوش هذه النفس وتعبث بنظامها ، فإن الإلحاد أو الشك – وهما المزلقان اللذان كان يمكن جبران أن يرتمى فيها – لن يوفرا له الإيمان بالمثال الذي يقيم المتمردون ، عن طريقه ، دعامتهم النفسية ، ويسوغون ثورتهم . وسيفقد جبران، يفقد هذا الإيمان، مثاله الجميل الذي جسده المسيح . وستصبح ثورته معطلة لا غاية لها . وسينتهى – بذالك – إلى فوضى نفسية شبيهة بالفوضى التي انتهى إليها

---

٢٢٨ . المصدر السابق، ص ٦٥-٧٥
٢٢٩ . المشرق : العدد ٣٧ ، ص ٢٥٠
٢٣٠ . المكشوف ( ١٩٣٩م)، العدد ١٩٤ ، ص ١٥

Dhaka University Institutional Repository



نيتشة ، وهو الذي ثار ثورته بدون مثل ، ثم حاول أن تخلق لها المثال (السوبرمان) فانتهى إلى لا شيء .

ومن هنا ، يمكن أن نفهم هذا الاضطراب الذي أصاب شخصية : جبران بعد اتصاله بنيتشة . فقد حاول هذا الجبار أن يقضي على مثال جبران ، فعطل نموه وفجر طاقاته في مسالك مسدودة ، فضاع . واستعر ضياعه حتى عاد من حديد إلى العقيدة و المثال ، فانفتحت الأبواب ، وانصرفت الطاقات في مسالكها الطبيعية ، فوجد نفسه .

وقد اندفع جبران في تقديس مثاله على قدر ما يمكنه إحساسه النافذ ، عاطفته القوية . وكان المسيح – بيديه المسمرتين على الصليب ، وعينيه الذابلتين اللتين يضطرم فيها حزن عميق لا قرار له – يرضى خيال جبران وإحساسه الأصيل بالكآبة ، حتى ليخيل إليه أحياناً أنه هو نفسه معلق – في مثاله – على الصليب ، تتدفق الدماء من فمه ، و تتعالى في أذنيه تراتيل بعيدة تقدس استشهاده ، وتتغنى بآ لامه ومجده...

ولقد أعانته عقيدته بشمول الحياة و وحدتها على الا حتفاظ بهدا الإيمان ، وعلى تقريب المثال من نفسه ، حتى يتم اندغامه فيه . وبذالك وجد إحساسه العميق بذاته مداه ، عن طريق تقديسها ، من خلال المثال .

وكان لإحساس جبران بذاته ، آثار ضخمة فى شخصيته . فقد جعلته كثير الغرة على كرامته، شديد الثقة بنفسه ، والرغبة في إظهار تأثيره على الناس[٢٣١] وقد مكنته هذه الثقة العميقة بنفسه ، من أن يمارس سلطاناً عجيباً على رفاقه من أعضاء الرابطه، فعبد المسيح حداد كانت تتسارع دقات قلبه وتستيقظ أشباح نفسه ... وتتملكه رعشة مجهولة حين كان يرى جبران . وهو يقول في بساطة : كانت لجبران شخصية رائعة كشخصية يسوع . ويقول : وإن ما شعرت به نحو جبران شعر به أيضاً أعضاء الرابطة القلمية.[٢٣٢]

ولعل اللطف البادي في قسماته ، وما تزخر به عيناه من أحلام وخيالات ، كانت تعين على إحكام هذا التأثير ، فقد كان جبينه ملائكياً – على حد تعبير عبد المسيح حداد - ، وكانت ملامحه سحرية تبث منها دلائل العبقرية . ولقد تنبأ له أحد المصورين وهو فتى بأنه خلق لرسالة علوية.[٢٣٣] ووصفته غبرييلا مسترال من أدبيات أمريكة الإنسانية بقولها : كان يحمل بين تلافيف

---

٢٣١. كان جبران يكره النقد ويثور بمن يوجهه إليه . وكان يحب التمجيد ويستريح إلى مادحه : ألبرت الريحني نقلا عن أخيه أمين، القلم الجديد (الأردن : ١٩٥٢م ) ، العدد ١، ص ١٢

٢٣٢. حبيب مسعود، مجلة العصبة (برازيل، ١٩٤٨ م )، العدد ٤ ، ص ٣٧١

٢٣٣. المصدر السابق، ص ٣٧١ - ٣٧٢

Dhaka University Institutional Repository



دماغه كل أحلام الشرق : ذكاء خرق ، لطف غير متناه ، نعومة و رقة تفوقان الوصف . ترى في عينيه وهو يحدثك بريق العبقرية ولمعان النبوغ. [٢٣٤]

ويتضح ما قلناه عن إحساس جبران بهذه الذات ، واندغامها في مثاله وتمجيدها من خلاله ، مما يمكن أن يلحظ فى أدبه من تكرار كلمات النبوة و النبي . لقد كان – وهو الذي يشف أدبه عن نفسه في صفاء ووضوح – يحس بأنه مختار لرسالة علوية . وبقي يجول في هذه الدائرة الغامضة حتى أخرج كتابه النبي وقد أحس بهذا بعض الباحثين ودللوا عليه في أدبه . يقول خليل تقي الدين (١٩٠٦-١٩٨٧م) : ألم يراود خيال النبوة عيني جبران ؟ ألم يعتقد ربيب الأرز أنه رسول بعث به الشرق هادياً لأبناء الغرب الضالين ؟[٢٣٥] ويسميه إلياس أبو شبكة المسيح الجديد[٢٣٦] ولقد تمت دورة النبوة هذه بعد موته وانتقاله إلى دير مار سركيس ، إذ كتب على مدخل الدير بعد دفن جبران : هنا يرقد نبينا جبران. [٢٣٧] وما زال جثمانه في الكنيسة تحرسه الشموع ، ويقام في كل سنة – في ذكرى نقل الرفات – قداس صارخ إلى جانب القبر، وتصدح الموسيقى مع موجات البخور ...[٢٣٨] وقد انتهى عبد المسيح حداد أخيراً إلى وصفه في صراحة بأنه في القرن العشرين ! ونقل عن رئيس أساقفة نيويورك الذي زار جبران قوله : إنه كان في زيارة قديس ، أو نبى من الأنبياء![٢٣٩] وأخذت بعض مجلات المهجر تسميه النبي العظيم![٢٤٠] ولعل نعيمة أراد – من بعض أهداف الطريقة التي اتبعها في كتابه عن جبران – أن يحطم هذه الأسطورة المجيبة ، و أن يعيد صديقه إلى الإنسان الذي عرفه فيه .

على أننا قادرون هنا أن نضع يدنا على مكمن الصراء العنيف الذي شمل حياة جبران . وهو الصوارع بين مثله الأعلى الذي آواه في روحه ، وواقعه الإنسانى الغائص في الشهوات . وقد كتب نعيمة كتابه عن جبران من هذه الزاوية ، لأنه منها ينبعث الضوء القوي الذي يفسر شخصيته ونتاجه.[٢٤١]

وليس عجيباً أن يكون جسد جبران في مستوى روحه غراماً و يقظة ، فقد كانت طاقته العصبية العاتية توقظ خلاياه كلها . وقارىء أدبه يجده في أرفع نشواته الصوفية يدور حول عمود قائم مبهم يود يفلت منه لو استطاع ، فذاك هو الجسد الملتهب الذي يتلظى حرماناً من الصلة الجنسية المنتظمة . وهو القائل في رسالة له : خلق الله لنفرح ونتمتع بكل شيء في هذه الحياة ،

---

٢٣٤. حبيب مسعود، جبران حياً وميتاً (القاهرة:أبوالهول١٩٣٢م)، ص٤١٠

٢٣٥. خليل تقى الدين، مقالته "جبران خليل جبران " : المكشوف ١٩٣٦م ، العدد ٥٠ ، ص ٢

٢٣٦. إلياس أبو شبكة ، مقالته "أثر الثورة الفكرية أضرمها جبران في نفوس الناشئة العربية". عدد المكشوف الخاص بجبران، ص ٦

٢٣٧. جبران خليل جبران، ج٢ ، ص ٢٢١

٢٣٨. عدد المكشوف الخاص بجبران، ص ١

٢٣٩. مقال: " من حديثه إلى" مجلة العصبة ( ١٩٤٩م)، العدد ١، ص ١٠٣٣ - ٣٤

٢٤٠. مجلة الكرمة البرازيلية : (برازيل١٩٣٣م )، عدد يناير، ص ٥٢

٢٤١. ينقض الحويك هذا القول فيها يتصل بالمدة التي عاشها مع جبران في باريس. يوسف الحويك، ذكرياتى مع جبران، ص ١٢٦،١

Dhaka University Institutional Repository



على قدر ما ترسم الحكمة في أعماقنا . فإذا ما امتنع الإنسان عن استخلاص اللذي في الكائنات كان هو الجاني على نفسه.[٢٤٢]

و لعل هذا ماجعل أمين خالد[٢٤٣] يقول في غلو وإغراق : إننالا نعلم:هل تعبر كلمة روح عن شيء في جبران سوى رائحة الجسد ؟ ويقول : أجل ، الأنانية المجردة ، وشهوة التلذذ بحلاوة المرأة العارية ؛ هذه هي الثوراة القلبية الواحدة التي أنبتت الكرمة الجبرانية بورقها وعناقيدها والدبس الذي صنع منه زبيبها . وإلى هذا رمى مارون عبود فيها قال من أن جبران كان يتحدث عن الروح وهو غارق في جسده . وقد أضاف : وهذا ما يحملني على التأكد أن الرجل وثني المعتقد وإن كتب عن يسوع ما كتب ؛ فيبقي عتيق يرى في مسيحه شخصه أدونيس![٢٤٤]

ولسنا في حاجة إلى الجملة المسرحية الأخيرة التى اعتاد مارون عبود أن يذيل بمثلها آراءه[٢٤٥] فلم يكن جبران يرى فى المسيح شخصية أدونيس ، وإنما هو التفسير البسيط الذي قدمناه الشخصية التى تصطرع فيها عوامل متناقضة أبعد التناقض . وبتأثير هذا الصراع الذى لا يدعه يستريح إلى اتجاه ، علش في حال يصفها فقوله : إن نفسى لجائعة ظامئة إلى مأكل ومشرب لا أدرى أين هما،[٢٤٦] ويقوله : أشغالي كثيرة وأحلامي عظيمة ومطامعي هائلة مخيفة يتصاعد إلىعالى السماء ثم تهبط بنفسى إلى أعماق الجحيم.[٢٤٧]

**ميخائيل نعيمة**

أما نعيمة فقد ولد في بسكنتا[٢٤٨] من أبوين يتصفان بالأتزان الكامل جسدا وروحا، فقد عاش كلاهما حتى جاوز الثمانين، [٢٤٩] ونجلا ستة أولاد، كان ميخائيل ثالثهم. وكانا ينعمان بإيمان عميق تقليدى، فهما لا ينقطعان عن الكنيسة وحضور القداسات. ويريدان لأولادهما أن ينشؤوا مؤمنين بالله والكنيسة الأرثوذ كسية.

وقد ورث نعيمة- فيما يبدو- عن هذين الأبوين جهازا عصبيا متزنا، لا يفلت انفعالا حتى يشده بخيط من خيوط العقل. فهو متهيئ للسيطرة على المنطقة الغامضة في أعماقه، حتى ليصلح أن يعد نموذجا للانسان الذي تأتلف عاطفته القوية مع عقله القوي، فلا تتحكم فيه المصارعات

---

٢٤٢. مجلة الأديب ( ١٩٥١م ) ، العدد ٤ ، ص ٥٩

٢٤٣. أمين خالد، مقالاته "الجوهر الفرد في أدب جبران ". المشرق، ص ٥٢٧ و ٥٢٩ و ٦٦٢) ؛ الحبيب جاماتي، المقالة " المرأة في حياة جبران" الهلال :( ١٩٤٧ ) عدد فبراير، ص ٩٧ -١٠٣

٢٤٤. مارون عبود، مجدون ومجترون ، (بيروت:١٩٤٨)، ص ٢١٠ و ٢١١

٢٤٥. لمارون عبود حكم آخر في جبران يقول فيه : إن جبران من رجال الأجياله ، وليس في الأدب العربي من هو أعظم من جبران ! المكشوف ، عدد جبران ، ص ٣

٢٤٦. جميل جبر، مي وجبران،(بيوت١٩٥٠م)، ص ٢٠

٢٤٧. مجلة الأديب ( ١٩٥١ )، العدد ٤ ، ص ٥٩

٢٤٨. كانت تضم في أواخر القرن الماضي أربعة آلاف نسمة، وهى تعلو ١٣٥٠ مترا عن سطح البحر: لبنان بعد الحرب، ص٨٥.

٢٤٩. اسماعيل أدهم، المقالة الثانية، مجلة الحديث، العدد ١٨، ص٨٢

Dhaka University Institutional Repository



التى تحكمت في جبران. وقد أعانه هذا الاتزان على أن يخرج من أزمته النفسية التى عاناها قبيل العشرين وبعدها منتصرا، فقد نهضت لشكوك عقله عاطفة قوية وإحساس نافذ بالحياة ومعانيها، فخفضت من حدة الشكوك، ثم كادت تطفئها مع الزمن.

وكان لبسكنتا الجميلة أثر كبير في تربية إحساسه وإنكاء عاطفته وخياله. فالقرية الكبيرة ذات المياه الغزيرة غارقة في جنائن التفاح والكمثري والكرمة.[٢٥٠] وهى واقعة في سفح صنين الذي تتألف من خصوره الملتمعة أشكال غريبة أسطورية. وفي أسفلها يقع الوادي الرهيب الفاغر شدقيه : وادي الجماجم.

وقد ورثت الأسرة مزرعة صغيرة هى: الشخروب، في سفح مرتفع من سفوح الجبل، واتخذت منها مصيفا لها [٢٥١] وكان ميخائيل- وهو صغير- يتسلق إليها الجبل، فما يكاد يصل حتى يقف مبهورا كأنه يطل على الأرض من السحاب، فهو يشعر كأنه يذوب ثم يسيل ثم يبخر، ثم ينزل قطيرات لا تبصر فوق كل شئ، ويتغلغل في كل شئ: في البحر البعيد الملتف بأكفان شفافة من الضباب اللولوى؛ وفي الآكام المنحنية هنا المتكئة هنالك، وكأنها كلها درجات سلم أسفله في البحر وأعلاه على غوارب الجبال الجرداء؛ وفي المزارع والقرى المنثورة على التلال والمغمورة بخضرة الأرض؛ وفي المروج الزمردية المحضونة بالتلال، المرصعة بالبهائم في مراعيها والناس في أعمالهم، والمرتوية من أفئدة الجبال السائلة؛ وفي الأودية والأخاديد وكأنها الجراح الحية في أجسام الجبال، الشاهدة لها بالصمود في معركتها مع الزمان؛ وفي النسيم النشوان؛ وفي زرقة السماء وإغبرار الأرض[٢٥٢] فاذا وصل نعيمة إلى السخروب، بدا له الكهف الصخرى المؤلف من صفحتين ردت واحدتها على الأخرى، واستندتا إلى صخر آخر من خلف كأنه صومعة النساك[٢٥٣]. وظهرت من بعيد كومة من الصخور تشبه السفينة الصغيرة الفلك، وقد وقفت في بابها صخرة أسطورية عجيبة تشبه رأسا بشريا ممسوخا أبكم، كأنه ينتظر نبأ يقصه، ويحرس باب الفلك من أجله.

على هذا النحو بدأ خيال نعيمة يرهف ويتسع في هذه الأرض الوادعة الجميلة التى يغمرها السلام والشعور العميق بالحقيقة الواحدة التى تعمل من خلالها.

وكان ميخائيل الصغير يزور الكنيسة ويحضر القداسات، ثم يخلو إلى نفسه يفكر في هذه الحقائق.

---

٢٥٠. ميخائيل نعيمة، سبعون (بيروت١٩٥٩م، المرحلة الأولى)، ص ٤٢
٢٥١. نعيمة ، المقالة عن الشخروب، مجلة صوت العالم، ص ١٤٢
٢٥٢. ميخائيل نعيمة، مرداد، (بيروت: ١٩٥٢م)، ص ٤٢
٢٥٣. العقيقى "ميخائيل نعيمة في صومعته"، المكشوف ( ١٩٣٦م)، عدد ٧٠ ، ص ٨

Dhaka University Institutional Repository



فلما ذهب إلى الناصرة، أحس أن شيئا كبيرا بدأ ينمو في عقله، ولكنه لم يتبينه؛ لقد كانت بداية الأزمة التى اجتياحته في عنف أكثر من عشرة أعوام: بدات تتقابل في نفسه المرهفة هذا الحقائق البسيطة الواضحة التى لمسها بيديه في القرية، مع الحقائق المعقدة التى تعلمها الكنيسة. وكان يريد- وهو في الناصرة- أن يعيش في هدوء يمكنه من الوصول إلى الصفاء الذي عرفه في خلواته في بسكنتا، ويعينه على الوصول إلى نفسه. [٢٥٤] فاعتزل رفاقه، واتخذ الصمت خطة له؛ العميق الذى يدوم أحيانا عشرة أيام لايكلم فيها فردا ولا يرد تحية. [٢٥٥] فلما ذهب إلى بولتافا كانت الأزمة استحكمت، و نشبت في داخله حرب لم يشعر بمثلها ، وأصبح له عدو داخل نفسه كما يقول. [٢٥٦]

وكانت أرض الروسية ذات الانفساح الصوفي تستغرقه، فهى تفتح لروحه آمادا لا تحد. [٢٥٧] وكان يصلى إليه بين الحين والحين صوت يتجاوب مع صوت الأزمة التي يعيشها، فبدأ نعيمة يتتبع صداه. ذاك هو صوت للفيلسوف الروسي تولستوي (١٨٢٨-١٩١٠م) الذي ثار بالكنيسة الأرثوذ كسية، ورد على قرار الحرمان الذي أصدرته فيه. وكان نعيمة يشعر أن بينه وبين تولستوي قرابة كبيرة: فهذا الأديب العظيم أرثوذ كسى اجتاحته في صباه أزمة نفسية قريبة في معانيها من الأزمة التى يعانيها نعيمة في مثل هذه السن. وقد انتهى تولستو إلى أن يكون ثائرا بتعاليم الكنسية وبالطبقية التى كانت تمزق المجتمع الروسى في عهد القياصرة. وقد كره الحروب والعنف ودعا إلى المحبة والامتناع عن مقابلة الشر بالشر، وإلى معايشة الأرض في بساطة وتواضع، وإلى معاناة الحياة بشرف والتغلب على الشهوات بالإرادة. وهذه كلها حقائق كان يفكر فيها ميخائيل في تأملاته وخلواته. [٢٥٨] ثم قرأ رد تولستوى على قرار المجمع الكنسي محرماته من التناول، فوقف عند هذه النقط:

أما أنا فإنى أعتقد أو أومن بما يأتى: أومن بالله أنه روح ومحبة واصل كل شيء. وأومن أيضا أنه في وأنا فيه. وأومن بأن مشيئة الله موضحة إيضاحا تاما في تعليم الإنسان المسيح الذى لا أعتقد به إلها، وأعد الصلاة إليه تهكما عليه. [٢٥٩]

---

٢٥٤. ميخائيل نعيمة، كان ما كان ، مجموعة قصصية، (بيروت: ١٩٥٦م)، ص١١٢

٢٥٥. الجريدة اللبنانية، عدد ٢٦٦ ، ص٧

٢٥٦. مذكرات الأرقش، (بيروت: ١٩٤٩م)، ص ٣٢، ٦٩

٢٥٧. المكشوف (السنة ١٩٤١ )، العدد ٣٢٥، ص ١ ؛ يوسف أبي رزق ، "هكذا تكلم ناسك الشخروب"، المكشوف ( ١٩٣٩م )، العدد ٢٠٠، ص ٥

٢٥٨. قال نعيمة في مقابلتى إياه في القاهرة بتاريخ ١٩٥٧/١٢/١٦م، كان عزائي في فترة الدراسة بالروسية تولستوى الذي مرت به أزمة نفسية أضاع فيها إيمانه ثم وجده. ولكني كنت أعرف أن تولستوي أرستقراطي، وله قصر، فكنت أقول لنفسى: إن تولستوي غير صادق، يعيش في قصره وينادي بالاشتراكية والحياة مع الطبيعة وبمعرفة الإنسان لنفسه. فلما قرأت في الصحف أنه هجر قصره وبيته فرحت كثيرا، وقلت: هناك إذن رجل يحقق ذاته بالعزيمة. وكان هذا اليوم مشهودا عندي. سبعون ( المرحلة الأولى)، ص ٢٦٩ ؛ الجريدة اللبنانية، العدد ٢٢٦ ، ص ٧

٢٥٩. سليم قبعين، مذهب تولستوي، مترجم، (القاهرة١٩٠١م)، ص ٧١

Dhaka University Institutional Repository



إن زيادة المحبة تقود كل إنسان بمفرده في هذه الحياة إلى سعادة عظمى. ويكون مقدار السعادة التى ينالها في الحياة الأخرى بقدر المحبة التى تكون فيه. وبواسطة هذه المحبة ينتشر ويسود ملكوت الله على الارض. وبذلك تتبدل حالة معيشة الناس الحالية، المنية على الفساد والنفاق والبغض والنميمة والخداع. إن تعاليم الكنيسة ما هي إلا كذب ظاهر مضر، وعقائدها ما هي إلا مجموعة خرافات خشنة وسحر محكم الوضع، قد أخفى إخفاء تاما جوهر التعليم المسيحي.[٢٦٠]

نعم إنني لا أعتقد أعتقادهم بالحياة الأخرى التى ينتظرونها بالمجيئ الثانى. وإنما أعتقد بحياة أبدية، وثواب هنا وفي كل مكان. الآن وفي كل أوان. وأتمسك بهذا الاعتقاد تمسكا زائدا.[٢٦١]

وللأن، أرى هذا الحق مطابقا المديانة المسيحية كما آفهمها أنا. ولذلك أومن بهذه الديانة المسيحية الحقيقية، فأعيش بسرور وراحة، وبهناء وهدوء أدنو من الموت .

لقد كانت هذه الفقرات نقطا من النور أضاءت نفس ميخائيل كلها، فبدأ يتبين طريقه. ولكن أسئلة أخرى ما زالت قائمة في نفسه تعذبه: وما معنى الخير والشر. وما معنى الحياة والموت؟ وإذا لم تكن هناك حياة أخرى، فكيف يلقى المسيء جزاءه والمحسن ثوابه ؟

وقد حمل هذه الأسئلة معه حتى هاجر ودخل جامعة واشنطن، فاتصل بمذهب التقمص عن طريق زميله الاسكتلندى الذي يساكنه غرفته- وكان عضوا في جمعية نقول بالتقمص، أسستها أمراة روسية هناك-. ويقول نعيمة : إن اتصاله بهذا الزميل هو نقطة تحول ضخمة في حياته،[٢٦٢] فقد أحس أن آخر حجاب يرتفع عن عينيه. ولقيت الثنائية التى كانت تعذب نفسهحدا عنده.[٢٦٣] وبدأت معاني وحدة الوجود التى كان يحسها إحساسا غامضا في طفولته في بسكنتا تتضح وتضئ معاني الأحداث من حوله، فبدأ يفسر دقائق الحياة في ضوء هذه العقيدة الشاملة. لقد استطاع أخيرا ان يلقى على نار العقل ماء العاطفة والاستجابة الداخلية لمدالة الحياة وجمالها، دون أن يفقد هذا العقل حدثه ويقظته.[٢٦٤]

واستطاع نعيمة بفضل هذا التآلف الذي ثم بين عقله وعاطفته أن يضع حدا- في نفسه- للصراع بين المثال والواقع، أو بين الروح والجسد. فقد قدر أن يتمسك- في أغلب الاحسان – بحبال المثال أو الروح[٢٦٥]. وهذا- في اعتقادنا- تفسير مانفتقد في أدبه من أثر المرأة الأنثى، وما نجده فيه من آثار المرأة الروح وفي منكرات الأرقش وقصة لقاء، وفي بعض قصائد شعره، خير

---

٢٦٠. المصدر السابق ، ص ٦٨
٢٦١. المصدر السابق، ص ٧٠
٢٦٢. سبعون، المرحلة الثانية، ص ٤٥-٧
٢٦٣. من حديثه إلى في القاهرة بتاريخ ١٩٥٧/١٢/١٣
٢٦٤. ميخائيل نعيمة، الآباء والبنون (نيويورك: ١٩١٧م)، ط١، ص ٢٢
٢٦٥. سبعون، (المرحلة الثانية ١٩٤٤م)، ص ١٣٥-١٣٤

Dhaka University Institutional Repository



دليل على ما نقول: فقد هرب الأرقش من زوجه لأن نوازع جسده أفسدت حبه. وكان نعيمة لمن يسميها (.M.D.B) – وهي التى رفع إليها قصيدته فى ديوانه[٢٦٦] - سرا وصبحا ودمعا ومهدا وحملا وقمرا وشكوي وقبسا... ولكنه لم يكن لها رجلا.

## نسيب عريضة

وقد يكون نسيب عريضة من أقرب أدباء الرابطة الآخيرين فكرا وروحا إلى جبران ونعيمة. وهو شاعر قبل أن يكون ناثرا. وفي شعره أصالة ضخمة ولدها صراع عميق كابده من طول الطريق التى قطعها ليصل إلى نفسه.[٢٦٧]

أبواه أرثوذكسيان. والأرثوذكس في سورية أقل انغلاقا على انفسهم من الكاثوليك، وأقرب إلى الأخذ بالثقافة العربية والاستفادة منها. ويبدو أن أفراد الأسرة لا يمتازون بالتعمير كثيرا، فقد ماتت أخته في حمص ، أخوه في نيويورك، في سنة واحدة، عن عمر ليس بالطويل. وماتت أمه قبل أن ينهي مرحلة دراسته الأولى في حمص. ثم مات هو بضعف القلب والكيد ولم يجاوز الستين إلا قليلا.[٢٦٨]

وقد عرف منذ الصغر باللين والخجل والحساسية المفرطة[٢٦٩]. وكان يعاني الشعور«بالحيرة في أعماق الروح،[٢٧٠] فيلجا إلى الطبيعة سارحا في المزرعة الجديدة والميماس والدوير من متنزهات حمص. وقد يقوده إحساسه بالكآبة إلى الأما كن الأثرية والأطلال.[٢٧١]

ومرت في حياته- بعد المهاجرة- أحداث خلفت في روحه جراحا عميقة، فكره الحياة؛[٢٧٢] وغزرت الدموع في عينيه حتى امتلأ ديوانه بها. ولم يسعفه إيمان قوي يشد من روحه، فقد كان يمزقه الشك:

حياة شك وموت شك　　فلنغمر الشك بالمدام[٢٧٣]

ورافقته هذه الزعزعة الروحية منذ كان طالبا في الناصرة، موطن المسيح. فقد كان يكثر من تقليب الإنجيل وقراءة سيرة المسيح.

---

٢٦٦. ميخائيل نعيمة، همس الجفون، (بيروت: ١٩٥٢)، ص

٢٦٧. ميخائيل نعيمة: الغربال- نقد (الأرواح الحائرة). ؛ مقالته "نسيب عريضة شاعر الطريق" مجلةالآداب ( ١٩٦٣م)، العدد٥، ص ٦

٢٦٨. نقولا عريضة: "أخي نسيب" مجلة القلم الجديد(الأردن ١٩٥٣م )، العدد ٨ ، ص ٥

٢٦٩. عبد المسيح حداد: " نسيب عربضة الشاعر الثائر" مجلة الصداقة ٢٦ مارس سنة ١٩٥٣

٢٧٠. نقولا عريضة، "أخى نسيب عريضة" ، مجلة القلم الجديد.

٢٧١. المصدر السابق.

٢٧٢. المصدر السابق.

٢٧٣. نسيب عريضة، الأرواح الحائرة،(نيويورك١٩٤٦م)، ص ٨٣ ؛ قصيدة مركب الفؤاد، ص ١٦٦

Dhaka University Institutional Repository



وكان يطمح إلى أن يقدم شينا الأدب العربي الحديث، فأنشا اول مطبعة فنية عربية في المهجر الاتلانيك،[٢٧٤] صدرت عنها مجلة الفنون لتفتح لها طريقا جديدا بين خرابات العالم الأدبي العربي.[٢٧٥] ولكن المشتركين ماطلوا في تسديد الاشتراكات،[٢٧٦] واضطرت المجلة أخيرا إلى التوقف بعد أن صدر منها عشرة أعداد.[٢٧٧] فازدادت وحشة نسيب، وضاق بالحية في المهجر. واجتمع عليه بعد ذلك موت أخيه وزواجه الذي لم يرزق منه أولادا يخففون من وحشته،[٢٧٨] فاخذ يغنى تجاربه الخائبة غناء حزينا يقطع القلب. وكتب إلى نعيمة يقول : لقد خسرت معركتي وسقطت آمالي حولي. واستبد به- نتيجة لهذا كله- حنين طاغ إلى وطنه.[٢٧٩]

وهكذا يمكن أن تميز هذه الشخصية بثلاث ميزات: الاولى : هي اطلاعه على الثقافة العربية اطلاعا حسنا، ورجوعه الدائم إلى الأدب العربي- شعره ونثره- حتى استقام له أسلوب في النظم والنثر ذو طابع عربي صريح، موغل أحيانا.

والثانية: الحيرة الدائمة والشك، والصوفية الرقيقة التي تكاد تصل إلى محجتها ولكنها تتراجع عنها في اللحظات الأخيرة. فهو لم يستطع أن يستغرق في النوم على زند جبران ونعيمة، ولم يستطع أن يصل بنفسه.[٢٨٠] وقد ظاهر هذه الحيرة- على ما رأينا- إحساس عميق نافذ ذو صبغة رومانسية كنيبة.

والثالثة: الحنين العميق إلى الوطن. حنين يكاد يسد عليه الطرق، حتى ليرى الوطن في صلة فواكه معلقة،[٢٨١] فيذكر جنات حمص وبساتينها، ويشبب بأحجارها وآثارها. ولعل تعلقه بالأدب العربي والثقافة العربية في المهجر، وإحساسه بالضيق والنفرة، بعض مظاهر هذا الحنين المشبوب:

أنا المهاجر ذو نفسين : واحدة  تسير سيري، وأخرى رهن أوطاني[٢٨٢]

---

٢٧٤. وديع نيب: "تسيب عريضة" مجلة الأديب ( ١٩٤٦م ) العدد ٧، ص ٧٣- ٥
٢٧٥. رسالة نعيمة إلى عيسى الناعوري، القلم الجديد (١٩٥٣م)، عدد٨، ص ٢٥
٢٧٦. نقولا عريضة: "أخى نسيب عريضة" ، مجلة القلم الجديد.
٢٧٧. ميخائل نعيمة : رسالته المشار إليها إلى عيسى الناعورى ، القلم الجديد ، ص ٢٥
٢٧٨. المصدر السابق.
٢٧٩. الأرواح الحائرة، ص ٢٥٢، ٢٥٧
٢٨٠. ولذلك سماه نعيمه "شاعر الطريق".
٢٨١. الأرواح الحائرة ، ص ٩١-٥
٢٨٢. الأرواح الحائرة ، ص ٣٤٥

Dhaka University Institutional Repository



**إيليا ابو ماضى**

إليا أبو ماضي ولد في المحيدثة [٢٨٣] من ابوين ارثوذكسيين، وانصرف إلى قراءة أعلام الأدب العربي القديم فى مصر وهو دون العشرين. ثم هاجر إلى الولايات المتحدة وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، انصرف إلى التجارة مع أخيه في سنسناتى. ولم ينقطع عن المطالعة العربية والتأمل في الحية الجديدة. وقد وجد نفسه- بعد ان اتصل بزملائه في الرابطة - مدفوعا إلى ان يعيد التاميل في قيمة السابقة، في ضوء اختباراته هنا، وان ينظر في الحياة من أسسها: في معنها وبدنها وختامها، وسبلها التى تسلكها في الناس والكنتات.[٢٨٤]

وكان الإخفاق الذي لقيه إيليا في الرد على هذه الأسئلة يمكن أن يلجئه إلى أن يغمض عينيه ويهرب إلى عالمه الداخلي، لولا أنه لم يهيا لأن ينتزع رجليه من الأرض، فقد خبر الحياة العملية وهو لم يجاوز الثالثة عشرة، حين كان جبران ونعيمة على مقاعد الدرس يحاولان أن يصورا لأنفسهما عالمهما المثالي الغامض. ثم انقطع إلى العمل منذ وطئت قدماه ارض المهجر، فازداد معرفة بالحياة من وجهها الجاد.

وهكذا بقي إيليا ينظر إلى حياته، في ضوء اختباراته العملية، فلم يقدر له أن يقطع ما بينه وبين الحياة، فيستسلم للحلول الصوفية التى استسلم لها جبران ونعيمة. على أنه كان في بعض أحيان الشك يتأثر- بحكم العدوي السريعة- ببعض نظراتهما. ولكنه سرعان ما يعود إلى الطريق التى ألفها، وتبقى تلك النظرات دليلا على ما يعترض حياته الفكرية من شك وقلق.

ونقي نتاج الأدبي يعرض- في صدق حاله النفسية القلقة. فهو كئيب، حينا لا يكاد يعرف شيئا عن الحياة وشئونها، والإجابة عن ابسط أسئلتها، فيقول: لماذا تحب ؟ لماذا نكره ؟ لماذا ؟ لماذا نبني ونعمر ونزرع ونغرس ؟ ونربي ونقتنى ؟ بل لماذا نحن هنا ؟ فكر قليلا أيها القارئ، ولا تنس أنك تسير من هذه الدنيا إلى عالم مجهول، وأنك تسير لأنك عاجز عن الوقوف، وقل لنا أي شيء هذا الذي نحن فيه ؟ أحلم أم يقظة ؟ وحقيقة أم خيال؟ وصدق أم محال ؟ [٢٨٥]

ولكنه سرعان ما يستله العمل من هذه السوداوية، فإذا هو متفائل مقبل على الحياة الأمريكية، يدعو إلى الابتسام والإقبال على الحياة. وهذا هو معنى ما أشار إليه جبور عبد النور[٢٨٦] في الموازنة بين أبي ماضي وجبران حين قال: الأول خليط من التشاؤم والتفاؤل، شاك لا يؤمن إلا بوحي عقله. والثاني- وإن تعالت من بعض مقاطعة غمغمات السوداوية والشك، وغلبت الظلال

---

٢٨٣. قرية قريبة من بكفيا، على الطريق إلى ضمهور الشوير.

٢٨٤. اشار نعيمة- في أحاديثة إلى تاثر أبي ماضي بجو الرابطة وإفادته من ثقافة نعيمة بخاصة. وذكرلصيدح عبد المسيح حداد صراحة أن نعيمة كان يوجه أبا ماضي، وأن هذا لم يكن في اول أمره، -على الأقل - على شيء من العلم ، مقابلتى لعبد المسيح بتاريخ : ٩٦٠/٠٦/٢٥

٢٨٥. الفتاحية السمير، (نيويورك: ١٩٣٢ )، عدد أول مايو

٢٨٦. سهيل إدريس، الآداب (بيروت ١٩٣٥م)، العدد ٢ ، ص ٣٨-٤٢

Dhaka University Institutional Repository



القاتمة على الواحه الفنية- يضع الحلول للقضايا لا نفسية واللاهوتية والطبيعية، ويستدل بهدي روحه المجنحة إلى تاويل كل مظهر من مظاهر الكون.

ومن هنا اختلف موقف إيليا من الحضارة الغربية أحيانا عن موقف بعض زملائه في الرابطة: فهو يرى أن الشرق متخلف عن الغرب لأن الأول نائم قاعد والثاني سهران عامل. وهو يريد بالعمل هنا استعباد الطبيعة والاهتمام بالآلة.[٢٨٧]

ويلتقى إيليا مع نسيب، عريضة في إحساسه العميق- وهو في المهجر- بالارتباط بقضايا الوطن العربي. ولعل رجوعه الدائم إلى الأدب العربي كان يغذي هذا الإحساس وينميه. وتلك حال نسيب عريضة على ما رأينا من قبل.

---

٢٨٧ . إيليا أبوماضى، افتتاحية السمير(نيويورك ١٩٣٢م) ، عدد ٥ ، مايو.

Dhaka University Institutional Repository



# الباب الخامس : الاتجاهات العامة فى أشعار شعراء الرابطة القلمية

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الأول : التجديد في الموضوعات

## ١- ثورة على التقليد:

كان الشرق العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قد بدأ يتأثر بما وصل إليه عن طريق الصحف والمدارس والتبشير الأجنبي وغير ذلك من الوسائل، من آثار الروح الابتداعية الجديدة التي وجدت في فرنسا وإنجلترا في أوائل هذا القرن، وعمت بلاد أوربا ودعيت هناك بالرومانسية، وحمل لواءها في فرنسا أدباء ونقاد مشهورون أمثال لامرتين وهيجو وسنت بيف والفرد دي موسيه وجورج صند وغيرهم من الأعلام المجددين. وفي إنجلترا رفع لواء الرومانسية أيضا أعلام من مثل: ورد سورث شاعر الطبيعة والفلسفة، وبيرون وشيلى شاعري الثورة الاجتماعية وسكوت المؤرخ الرومانسي العظيم وغيرهم كثيرون ممن أعطوا عصرهم قيمة كبيرة.

وهذه الحركة الجديدة في الأدب الغربي كانت ترمي إلى القضاء على مقومات الأدب الاتباعي الكلاسيكي القديم، والسير بالادب والشعر عموما إلى حيث يعبر عن مناحي الحياة ووجوهها المختلفة، لا ان يسير الكتاب والشعراء في نفس الطريق الذي عبده لهم الأدباء الاتباعيون القدماء. فكانت أهم أهداف هذه الحركة التجديدية: الثورة الجامحة على التقاليد القديمة الموروثة والتخلص من قوانين القرن الثامن عشر، والابتعاد عن التقليد الأعمى الذي لا يبقي تقدما ولا يسير إلى الأمام، ثم هي تهتم بتأكيد الشخصية الفردية والذاتية في الشعر والنثر وأن يعبر كل فرد عما يحس به هو في انطلاق وحرية تامة دون تقيده بالنظر إلى من حوله أو من سبقوه. وبالاختصار كانت الرومانسية ترمي نحو تشجيع كل ما هو جديد أو سائر نحو التجديد.[٢٨٨]

ومن المعروف أن هذه الحركة في أوربا وخاصة في فرنسا قد قامت على أثر الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي نشأت عن الثورة الفرنسية وما تبعها من مصائب وويلات المت بالشعب الفرنسي وقضت على منابع البهجة والسرور في نفوس أفراده، فأحسوا بميل شديد غلى الانطلاق والتطلع نحو آفاق جديدة تملأ عليهم حياتهم وتعيد إليهم آمالهم. ومن هنا جاء القول بأن الرومانسية ليست مذهبا فنيا بقدر ما هي حالة نفسية ولدتها الثورة الفرنسية وما تلاها من مجد نابليون وتعلق الشباب بصاحب ذلك المجد وبمثله ومبادئه وتشوقهم إلى أنباء بطولته، ثم انهيار ذلك المجد وما أنتج من غصص في النفوس وآلام في القلوب وخيبة في الآلام والأحلام. ولذا تميزت هذه الحركة- التي جاءت كرد فعل لجميع تلك العوامل النفسية والاجتماعية والسياسية

---

[٢٨٨] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ١٠٥-١٠٦

Dhaka University Institutional Repository



بالتعبير عن الحزن والتشاؤم، والتأمل والتخيل والانطلاق، حتى قال أحدهم: أجمل الأغاني ما كان أعمقها ياسا .

وهنا توالت صيحا النقاد في وجوه الشعراء والكتاب أن هبوا من رقادكم وسايروا ركب الحضارة الذي سري في بلادكم وعبروا عن انفسكم ومشاعركم ووجوه حياتكم وتخلصوا من أفكار أجدادكم وأسلافكم. وفي هذا الموضوع الف عباس محمود العقاد و إبراهيم المازني كتاب الديوان ثم جاء الناقد والشاعر المهجري ميخائيل نعيمه الذي أوضح المقاييس الأدبية الجديدة اللازمة لنهضة الشعر و النثر في كتابه الغربال الذي طبع في مصر عام ١٩٢٣م. وليس بغريب أن يضع ناقد مهجري بعيد عن الشرق العربي مهد الآداب العربية القديمة، مقاييس جديدة للشعر العربي الحديث، وخاصة أنه من أعضاء تلك المدرسة المجددة في الشعر العربي وهى مدرسة الرابطة القلمية وليس بغريب أيضا أن تكون مقاييسه موافقة في أصولها وأهدافها لأهداف الرابطة نفسها، كيف لا وهو مستشار الرابطة ومن أبرز العاملين فيها. إلا أن البذور الأولى لتلك الثورة المهجرية كانت قد غرست قبل تأسيس الرابطة القلمية، وذلك حين هب الكاتب والفيلسوف المهجرى أمين الريحاني مطالبا الشعراء بنبذ موضوعات الشعر التقليدي وعدم السير في ركاب الأقدمين من ابتداء القصائد بالبكاء على الأطلال وتذكر الأحبة ممن غادروا الديار، يقول في إحدى وصاياه للشعراء:

حرروا صناعتكم من قفا نبك وسائق الأظعان إن عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم.[٢٨٩]

نجد هذه الروح القومية الإنسانية العامة في كتابات أمين الريحاني النثرية من فلسفية وحكمية، كما نجدها فيما أنتج من شعر منثور بالعربية وما نظم من شعر بالإنجليزية، فهو شاعر الحكمة والفلسفة والتأمل والإصلاح.

وإذا كان أمين الريحاني واضع بذور الثورة على الشعر التقليدي، فإن جبران خليل جبران- رئيس الرابطة القلمية- هو باعثها ونافخ بوقها ومغذى روحها. كانت حياة جبران ثورة في ذاتها، بدأت بالتمرد على جميع الأوضاع الاجتماعية المحيطة والتقاليد البالية التي لا تسمح لنفسه بالانطلاق ولروحه بالتحرر وانتهت بالثورة العامة على كل ما هو قديم بال من المقاييس الشعرية والأدبية فبدأ بنبذ الأغراض التي درج عليها الشعراء الاتباعيون منذ امرئ القيس (ت ٥٤٠)، من مدح ورثاء وفخر ونسيب، وأعلن أن الشعر يجب أن يكون معبرا عما في النفس وما يصدر عنها من أحاسيس وانفعالات. وهنا يقول مخاطبا الشعراء والكتاب: ليكن لكم من قصائدكم الخصوصية مانع من اقتفاء أثر المتقدمين، فخير لكم وللغة العربية أن تبنوا كوخا حقيرا من ذاتكم

---

[٢٨٩]. أمين الريحانى، أنتم الشعراء، لبنان (بيروت: ١٩٣٣)، ص ٨٩.

Dhaka University Institutional Repository



الوضعية من أن تقيموا صرحا شاهقا من ذاتكم المقتبسة .[٢٩٠] فالشعر عنده يجب أن يكون تعبيرا عما في نفس صاحبه وما ينفعل به هو عينه لا غيره ممن تقدمه من الشعراء. ثم يهاجم موضوعات الشعر التقليدي أو شعر المناسبات قائلا: ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجرا عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة، فخير لكم وللغة العربية أن تموتوا مهملين من أن تحرقوا قلوبكم بخورا أمام الأنصاب والأصنام .[٢٩١]

وفي الحق أن مجرد النظر إلى عناوين الدواوين الشعرية التي صدرت عن أعضاء الرابطة القلمية في نيويورك تعطينا فكرة واضحة عن ماهية الشعر وأغراضه عندهم. فهي إما أسماء مستقاة من الطبيعة بمظاهرها المختلفة الجداول والخمائل واوراق الخريف، وإما أسماء معبرة عن حالات نفسية وأفكار فلسفية تأملية مثل: الأرواح الحائرة، وهي الدنيا، وأغاني الدرويش، وغيرها.

وحتى إيليا أبو ماضي الذي لم يخل شعره من بعض القصائد التي دعت إليها مناسبات طارئة، يعلن خروجه عل هذا الشعر التقليدي القديم، الذي لا يقال إلا لغرض المدح أو الوصف المادي الحسيى أو غيره من الفنون القديمة، فيقول من قصيدة له:

أنا ما وقفت لكي أشبب بالطلا ... مالي وللتشبيب بالصهباء

لا تسألوني المدح أو وصف الدمي ... إنى نبذت سفاسف الشعراء

باعوا لاجل المال ماء حيائهم ... مدحا وبت أصون ماء حيائي

فهو لا يقصد مدحا لأجل المال ولا وصفا لأجل إثارة الغرائز والشهوات. وإنما همة بث الروح الإنسانية بين إخوانه أبناء البشرية، والدعوة لمساعدة الفقراء والمعوزين، ولم لا نساعدهم ونحن مثلهم مخلوقون من طين وماء؟ يقول شارحا هدفه من قصيدته تلك:

أنا ما وقفت اليوم فيكم موقفي ... إلا لاندب حالة التعساء

على احرك بالقريض قلوبكم ... إن القلوب مواطن الاهواء

وفي مثل هذا المعني يقول رشيد أيوب في تعريف الشاعرة: الشاعر الذي يحسب الناس كلهم إخوته في الإنسانية [٢٩٢] ووليم كاتسفليس عضو في الرابطة القلمية وإن لم ينظم الشعر، ولكنه يعرف لنا الأدب في نظره في مقدمته لديوان الشعاعر ندره حداد أوراق الخريف، فيقول :

---

٢٩٠. محي الدين ، بلاغة العرب فى القرن العشرين ، (القاهرة:١٣٣٩)، ص ٨٣

٢٩١. المصدر السابق ، ص٨٣

٢٩٢. رشيد أيوب ، ديوان أغانى الدرويش ، (نيويورك:١٩٢٨م)، ص ٨٦

Dhaka University Institutional Repository



الأدب في عرفي هو خدمة الحياة بتعريفها إلى نفسها، أو ترجمة الحياة لأبناء الحياة[٢٩٣] وستعرض موضوعات الشعر التي يجب أن يقال فيها فإذا هي: الحياة والموت، والحب والعواطف المختلفة، والحزن والألم.

**٢-النفس والخلود:**

لقد غادر كل من شعراء الرابطة القلمية بلاده العزيزة عليه على بلاد أخرى بعيدة نائية لم يكن في حسبانه يوما أنه سيراها، وترك كل منهم في الوطن أما ثكلي نائحة وأبا حزينا يائسا وإخوة صغارا يرجون العون، ويتطلعون إلى من يأخذ بيدهم في ذلك السبيل الشائك الذي كان عليهم أن يقطعوه. ثم إنه قد غادر إلى جانب هؤلاء إخوة وخلانا طالما قضي معهم الليالي في سمر ولهو وسرور. فإذا هو اليوموحيد ولا أحد يسليه، حزين وما من يزيل غمه ويفرج كربته، فقير ولا يوجد من يعينه، ولكنه يحمل نفسا بينه وبين جنبيه قوة وعزم، ما عليه إلا العمل والكفاح في سبيل الحياة: لقد جاء هذا المهاجر إلى أمريكا والأمل حاديه والأماني العذبة تملا جوانحه، صوروا له في الوطن أن أكياس الذهب تنتظره على رصيف الميناء، ولكن سفينته رست في العالم الجديد فلم يجد ذهبا ولا فضة ووجد قوما يتدافعون ويتسابقون في سبيل الحصول على بعض هذا الذهب الموعود، فكان عليه أن يكدح ويعمل ويسابق ويدافع مثلهم ليجد الكفاح سهل ولا الطريق ميسرا، فقاسي وتألم وضاق بعيشه وتذمر، وحن لبلاده ولعهده بها ولكنه لم يستطع إلا الصبر والسلو ومواصلة الجهاد، لا يضيره التعثر ولا السقوط، ما مدام يستطيع النهوض، وبإمكانه الغلبة والنصر.إنها الحياة قاسية، ليس أبدع من تصويرها في شعر رقيق كشعر أعضاء الرابطة القلمية.

فهذا نسيب عريضة يداعبه الأمل بالعودة على الوطن بعد أن يئس من الحياة في العالم الجديد، يكتب قطعة من تاريخ حياته تحت عنوان عودة الفارس يحكي فيها ما لاقي من العذاب وما قاسي من الوحدة والألم: يبدؤها بقوله:

أمل ساقه فراح يهيم  كشها تقاذفته النجوم
ودعته معالم ورسوم  شفها أنه سراها يروم
فهي تدمع

---

٢٩٣. ندره حداد ، ديوان أوراق الخريف، (نيويورك: ١٩٤١)، ص ١

Dhaka University Institutional Repository



ولكن الفتى الطموح شجع نفسه وحثها على السير وخوض غمار الحياة:

سر فإن المجال للسير واسع  هيى القوس لاقتناص الوقائع
فامتطى عزمه وراح يسارع  والفتى في الشباب حم المطامع

ليس يقنع[٢٩٤]

ولكن العالم الجديد بمدينة الطاغية وماديته الفاسدة وغالبية سكانه الذين لا تهمهم الأمور الروحية والشرائع الخلقية بقدر تكالبهم في الحصول على المال والمادة، لم ينصره ولم يعاونوه، فالتفت على الوراء حائرا مترددا بين أن يواصل السير في هذه الحياة البغيضة القاسية أو يعود من حيث أتى إلى تلك الربوع الحانية الوادعة ! ولكنه لم يعد وظل يسعى ويعمل برغم حيرته وتعثره ووقوفه مرارا في منتصف الطريق:

لم يفز بعد سيره بالمرار  وخط الشيب والكلوم دوامي
خدعته غرارة الاحلام  أيسير الوراء بعد الأمام

أو يخضع ؟

ويصور رشيد أيوب في قصيدة المسافر نفس هذه المراحل التى مر بها كل مهاجر إلى العالم الجديد، والتي صورها عريضة في القطعة السالفة، يقول:

دعته الأماني فخلى الربوع  وسار وفي النفس شئ كثير
وفي الصدر بين حنايا الضلوع  لنيل الأماني فؤاد كبير
فحث المطايا وخاض البحار  ومرت ليال وكرت سنون

وحلت برشيد أيوب خيبة أمل أشبه بتلك التي حلت بصديقه نسيب فصورها في مقطوعة أرق وأعذب وأعمق تأثيرا في النفس إذ قال:

فمرت سعود وجاءت نحوس  وقد نصل الدهر صبغ الشباب
فعلل نفسا رمتها البؤوس  ببحر الهموم علاه الضباب
أيا نفس صبرا لحكم القضا  ويا نفس مهما دهتك الشجون

فلا تجزعي[٢٩٥]

---

٢٩٤. شعراء الرابطة القلمية ، ص١١٥-١١٧
٢٩٥. المصدر السابق، ص١١٦-١١٧

Dhaka University Institutional Repository



وفي مرة أخرى يتحدث ميخائيل نعيمه عن نفسه ومبالغته في العناية بها والإصغاء إليها ومخاطبتها والتجاوب معها فيرد على صديقه الذي أدهشه انصرافه عن الشرب واللهو ولم يستطع تعليل ذلك، بقوله:

لا لست بالولهان يا صاحبي
فالقلب مني جامد كالجليد
لكنني مصغ لنفسي ، ففي
نفسي أوتار وفيها نشيد
فاضرب، ودعني بين الحاني

وهذا إيليا أبو ماضي لا تهمه المادة والشكل بقدر اهتمامه بالروح والجوهر[٢٩٦] ونراه في خمائله يخاطب نفسه الثائرة المتمردة على ما في الحياة من مظاهر خلابة تغرى الناس فيقبلون عليها دون رؤية أو تفكير، ولكن نفس إيليا بفراستها وإمعانها في التأمل والنظر تعرف كل شئ فلا تهتم بما يهم الناس ولا يطربها ما يطربهم:

يا نفس لو كنت ترين الشؤون  كما يراها سائر الناس
لما رماني بعضهم بالجنون  ولم اجد في الناس من بأس

ولكنه في النهاية يؤنبها على إيغالها في البعد عن الناس ومبالغتها في المخالفة والخروج على المألوف من عاداتهم وينكر عليها ذلك:

خالفت مقياس الورى أجمعين  فكيف يرضون بمقياسي؟

ويقرر أمامها تلك الحقيقة التي قد تكون غافلة عنها وهي أنه:

ما برح الناس كما تعلمين  ولم أزل فردا من الناس

وأما نسيب، عريضة الذي حجب، نفسه عن الناس وحبسها في عالم خاص من الميرة واليأس والألم، تعيش فيه ولا تطربها إلا أنفاسه الصامتة فإنه بعد أن جنى عليها هذه الجناية وفرض حولها هذه القيود والأغلال يعود إليها فيرق لها ويسائلها في عطف بالغ، وكأنه لا يدرى ما بها:

يا نفس مالك والأنين؟  تتألمين وتوجعين
عذبت قلبي بالحنين  وكتمته ما تقصدين

---

٢٩٦. إيليا أبو ماضي ، الجداول، ( بغداد : ب ت) ، ص ١٠٨

Dhaka University Institutional Repository



ويحار في أمرها وما هي فيه من قلق وحزن واضطراب، حتى ليكاد ييأس من إصلاحها فيتمنى أن تفارقه ويدعوها إلى مغادرة جسمه والعودة إلى عالمها العلوى:

يا نفس هل لك في الفصال فالجسم أعياه الوصال
حملته ثقل الجبال ورذلته لا تحفلين

ويصرخ في وجهها لما أعياه أمرها:

يا ويح عيشى !! هل تطاق نزعات نفس لا تلين؟؟

إنه ليتهمها بالقضاء عليه وإهلاك قلبه، ويراها متلبية بجريمتها فيقول:

يا نفس إن حم القضا ورجعت أنت إلى السماء
وعلى قميصك من دما قلبي فماذا تصنن

وفي قصيدة أخرى بعنوان إلى نفس[٢٩٧] يخاطبها في رفق وحنان ويرجو منها أن تبتعد عن الشكوى وإظهار الألم وترديد معاني الحزن والأسى، وأن تطرب وتنعم وتتمتع بمباهج الحياة.

ويكرر نسيب عريضة نفس المعاني والأفكار في قصيدة ثالثة له بعنوان "يا نفس لا تبكي"،[٢٩٨] ويتساءل عن سبب بكائها وعلى من تبكى ؟ أهى تحن إلى أيام الصباء ؟ أم تبكى أسحابا دفنوا تحت التراب ؟ وحين لا يجد منها جوابا لا يملك إلا أن يرثى لحال نفسه وما صار إليه جسمه من سقام نتيجة تعذيبها، حتى أصبح لا يطربه ما فيه الناس حوله من مرح وسرور، فهو دائما مصغ لنواحها وشكواها، متأثر بآلامها وأسقامها:

الناس حولى في طرب وأنا وهمى في داب
أسغى وأسمع عن كثب نفسى على أمر تنوح
يا نفس لا تبكي

وهكذا نجد نسيبا يخاطب نفسه في أكثر من قصيدة في ديوانه، بل إن ديوانه "الأرواح الحائرة" عبارة عن منجاة بينه وبين نفسه وتأملات له في علمه الروحي الذي اصطنعه في داخلها حتى لا يكاد يفارقه.

---

٢٩٧. الأرواح الحائرة ، ص ١٠٤
٢٩٨. المصدر السابق، ص ١٤٩.

Dhaka University Institutional Repository



وهذا شاعر آخر من شعراء الرابطة القلمية هو ندره حداد يلتفت إلى نفسه هو الأخر ويتأمل أحواله فيدهشه منها- على عكس بقية زملائه – انها مسرورة طروب، ولكنها طربها لنفسها لا لغيرها ؟ إنه يؤنبها على هذا الأنانية وينصحها أن تشرك الكل معها في الطرب والابتهاج، أليست، ترى الهزار يغرد فيطرب نفسه ومن حوله ؟ والروض يزهو بأزهاره وأثماره ولكنه لا يبخل على من يقصده، بل يعطيه مما عنده – وهكذا جاءت مقطوعته في مخاطبة نفسه حكمة نافعة للناس لحيث قال:

لا تفرح النفس الكريمة إن رأت أختا حزينه
فابكى مع الباكي ومدى للضعيف يد المعونة

وليست، هذه النزعة الإنسانية بغريبة على شاعر إنساني كندره حداد، فإن من يتصفح ديوانه يجد مثل هذه الحكم والمواعظ منثورة فيه كالدرر، ويكفيه أنه بدأه بهذه القصيدة التي تبين مسلكه في الحياة من حيث معاملة الناس ومشاركتهم فيما يصيبهم من حزن أو فرح، وما يحل بهم من خير أو شر، وقد جعل عنوانها "سر معى" يقول فيها:

أنا راض بالعصاء يا أيها الحامل رمحك
وسأرضى خبزك الأســـ ـود في الحب وملحك
وسأنى جرح قلبي كلما شاهدت جرحك
و أرى ليلك ليلى وأرى صبحي صبحك
و إذا أخطأت نحوى فأنا الطالب صفحك[٢٩٩]

ولاشك أنهم متأثرون في هذه الدعوة الاجتماعية بالروح الديمقراطية الشعبية التي أمنت به أمريكا ونادت بها ودعت إليها بين جميع الشعوب. وندرة حداد كغيره من زملائه الشعراء، يلوم نفسه في قصيدة أخرى بعنوان "يا نفس" على حزنها وبكائها ويدعوها للطرب والابتهاج، وكل ما يهمه منها هو الا تشكو لأحد همها و لا بأس من النوح والأنين بينها وبين نفسها فقط لا يعرف ذلك منها أحد، فإن:

الذل في الشكوى وأن كانت لا أذن صاغيه

وأما الشاعر الرقيق رشيد أيوب، فإنه ليس كثير التأمل كإخوانه ولا يعشق الفلسفة مثلهم لذلك فهو قلما يحدث نفسه أو يخاطبها، ولكنه في قصيدة عذبة الألفاظ سائغة النقم نجده يتكلم عن

---

[٢٩٩] . أوراق الخريف ، ص ٤٧

Dhaka University Institutional Repository



أنفس الشعراء مجتمعة وأجوائها الشاعرية البديعة، ويشبهها بالبرق تارة وبالريح تارة أخرى، وبالروض طورا وباللحن الجميل طورا آخر، فهويستلهم الطبيعة في جميع صوراته وخيالاته.[٣٠٠]

وإذن فجبران يؤمن بما جاء في هذه القصيدة الفلسفية عن دراسة وتفكر وإمعان، وهو بطبيعته ميال إلى الفلسفة محب للتأمل والتفكير، ويبدو من كلامه أن إعجابه بقصيدة ابن سينا متضامن مع أعجابه بشخصية ناظمها، فقد جعله متفوقا على الكثيرين من ناظمي الغرب أمثال شكسبير وشلى وغوته وغيرهم ويقول عنه في حماس: وهذا ما يجعله نابغة لعصره وللعصور التى جاءت بعده، ويجعل قصيدته في النفس أبعد وأشرف ما نظم في أشرف وأبدع موضوع.[٣٠١] وقد وضع في الصفحة المقابلة رسما للرئيس ابن سينا كما تخيله.

ولم يكن ابن سينا الوحيد الذي أعجب به جبران من فلاسفة العرب، فتراه يعجب بابن الفارس، شاعر الحب الالهى، وكذلك يعجبه الإمام الغزالي (ت:١١١١م) وأبو العلاء المعرى(٩٧٣-١٠٥٧م)، وقد رسم لكل من هؤلاء صورة من خياله ضمنها كتبه "البدائع والطرائف" كما رسم غيرهم من الشعراء والكتاب أمثال ديك الجن الحمصى وأبي نواس (٧٥٧-٨١٤م) والخنساء (ت:٦٤٥م) والمعتمد ابن عباد (٤٣١-٤٨٨\١٠٤٠-١٠٩٥م).

وقد بينا قبل قليل كيف اعتنق نعيمه نفس هذه الفكرة الإلهية كصديقه وزميله جبران، ولا عجب فهو فليلسوف متأمل مثله. وقد رأينا كيف أنه لا يكتفي برد هذه النظرية إلى ابن سيناء، بل يبعد أكثر من هذا فيجعلها متصلة بنظرية "الفيض" الأفلوطينية اليونانية، وفي هذا دليل على أنه قد درس الفلسفة أخذ بها أكثر من غيره من أعضاء الرابطة.

ونسيب عريضة شاعر متأمل كصاحبيه، فهو قلما لاحت له فكرة إلا أشبعها دراسة وتمحيصا، يبرز فكرة هبوط النفس في قصيدته الموسومة " مناجاة " بتفصيل وإسهاب، ويقول مخاطبا أخت روحه التي يناديها ويدعوها لمصاحبته إلى العالم العلوى:

كانت لها الشهب عرشا وكنتما في اقتراب
فأهبطت فهي تخشى وتنزوى في الحجاب

ولكنا نجده في قصيدة أخرى بعنوان "أمام الغروب"[٣٠٢] يتساءل في ارتياب عن مصير هذه النفس التي هبطت إلى الجسد، وإذا كان حقا أنها ستعود إلى السماء فلماذا نزلت؟ وإن كان ما يقال من أمر معاقبتها صحيحا فما ذنب الجسد، يقاسى من دخولها فيه الأوجاع والآلام ؟ ونلاحظ

---

٣٠٠. شعراء الرابطة القلمية ، ص ١٢٢
٣٠١. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، ج ٣ ، ص ٢٣٠
٣٠٢. الأرواح الحائرة ، ص ١٦١-١٦٣

Dhaka University Institutional Repository



أن كل هذه الشكوك والريب جاءت نتيجة حيرته أمام تصور فكرة الموت ومخاوف النهاية، ولكنه استسلم أخيرا ورحب بغروب شمس الحياة ما دامت ستطلع مكانها شمس الخلود.

ومن الجدير بالذكر أن فكرة هبوط النفس من عالمها العلوى، لم تكن الفكرة الفلسفية الوحيدة التي اعتنقها معظم شعراء الرابطة القلمية وآمنوا بها، فهناك أيضا فكرة التناسخ القائلة بأن الارواح حين تفني الأجساد تنتقل عبر الأجيال إلى أجساد أخرى وتدخل فيها، ولهذا فإن الحوادث تتكرر عند أشخاص مختلفين وقد يتم الإنسان اليوم ما بداه غيره منذ ألف عام. وهذه الفكرة هي التي دعت جبران خليل جبران إلى كتابة قصته "رماد الأجيال والنار الخالدة" فإن روحي ناثان وحبيبته التي ماتت وهام هو بعدها في البراري، قد تحسدنا في جدى "على الحسيني" وصاحبته التي عادت إليه، بالرغم من وجود تسعة عشر قرنا من الزمان بين الحادثتين. وبالطبع حصلتا في نفس المكان من مدينة بعل إله الشمس... وفي هذه القصة يقول جبران موضحا فكرته: فالأحلام والعواطف تبقي ببقاء الروح الكلى الخالد، وقد تتوارى حينا وتهجع آونة متشبهة بالشمس عند مجئ الليل وبالقمر عند مجئ الصباح.[٣٠٣]

وميخائيل نعيمة الشاعر الفيلسوف يعتقد بالتناسخ كزميله جبران ويصرح في كتاب من كتبه باعتقاده بنظرية التقمص التي تشبه التناسخ في عموميتها. وهكذا مزج شعراء المهجر بين الشعر والفلسفة ووضعوا في عداد الشعراء المتأملين المفكرين أمثال أبي العلاء المعري وابن سينا وابن الفارض عند المعرب، وغوته وورد سورث وشكسبير عند الغربيين، ويجب الا ننسى هنا أن جبران خليل جبران قد تأثر بفيلسوف من فلاسفة الألمان غير مجري حياته وأفكاره وهو نيتشه وخاصة في كتابه "كذا تكلم زرادشت" وهو فيه بعض مشكلات الحياة كالحب والزواج، والعمل والعطاء والألم، والخير والشر، وغيرها من المسائل الاجتماعية والإنسانية.[٣٠٤]

أطال شعراء الرابطة القلمية العكوف على أنفسهم، وأمعنوا في دراستها والتفكير فيها فما لهم ما يعتريها أحيانا من ثورة واضطراب، وما يحدث فيها من نزاع وعراك بين الخير والشر، والنور والظلمة، والحق والباطل، حتى ليخيل لميخائيل نعيمه أحيانا أن بداخله صراعا هائلا بين شيطان وملاك، يختصمان على احتلال نفسه والمكث فيها، وهو واقف مذهول أمامها لا يدري مذا يفعل، بل إنه لا يملك أخيرا إلا الاستمرار في شكوكه، ولا يصل إلى يقين:

دخل الشيطان قلبي فرأى  فيه ملاك

ويلمح الطرف ما بينهما اشتد العراك

ذا يقول: البيت بيتي فيعيد القول ذالك

---

٣٠٣ . جبران خليل جبران ، عرائس المروج ، (بيروت ١٩٤٩م)، ص ٩

٣٠٤ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ١٢٥

Dhaka University Institutional Repository



وأنا أشهد ما يجري ولا أبدى حراك

ولكن ذهوله و دهشته أوصلتاه إلى مرتبة من الشك كاد يبلغ فيها حد الإشراك في قوله:

سائلا ربي: في الأكوان من رب سواك

جبلت قلبي من البدء يداه ويداك

وهذا إيليا أبو ماضي في طلاسمه بعد أن تشكك وتساءل في شئون النسك والزهد والعبادة، وفي مهية الموت والقبر والبعث، وبعد ما حار فيأمر القصر وساكنيه والكوخ والثاوين فيه، عرج على نفسه المضطربة الهائجة فوجد فيها صراعا وعراكا كاد يعتقد على أثره بازدواج شخصيته:

إنني أشهد في نفسى صراعا وعراكا

وأري ذاتي شيطانا وأحيانا ملاكا

هل أنا شخصان يأبي ذاك مع هذا اشتراكا

أم تراني واهما فيما أراه؟

*لست أدري*

وتعجب من قلبه كيف يكون مشرقا باسما في الصباح، فلا يأتي المساء إلا وهو موحش قاحل كاقفر:

كيف، صار القلب روضا ثم قفرا ؟

*لست أدري*

وبعد سلسلة من الأسئلة والاستفهامات والشكوك، لم يستطع أبو ماضى أن يصل على ذلك السر الذي تنطوى عليه نفسه، ولم يمكنه قلبه أن يكشف عنها الحجاب فآثر السكوت والرضا بما هو فيه من يأتس وحيرة. وأما رشيد أيوب، فنه لا يرى الصراع في داخل نفسه بين الخير والشر أو بين الملاك والشيطان، بل صور العراك قائما بينه هو وبين نفسه التى تأبي إلا كثرة النواح والبكاء، ولا تود النطف إلا بالشكوى والأنين، إنه يرجو منها أن تكف عن ترديد أشعار الحزن والأسى، وأن تطرب وتأتي بالشعر المطرب، ويعتقد أنها قد آمنت به وصدقت أقواله وطربت واطمأنت، ولكن سرعان ما يجدها قد انتصرت عليه وخيبت ظنه، فإذا هي:

عادت مع الاحلام والهمس في أذنى

ومشت مع الأيام والدمع في جفنى[٢٠٥]

---

[٢٠٥] . المصدرالسابق، ص ١٢٦-١٢٧

Dhaka University Institutional Repository



ولقد دفعت كثرة تفكير شعراء الرابطة القلمية في النفس والخلود، بهم إلى أن يتخيلوا عالما سماويا يختلف عن العالم المادي الذي يعيشون فيه ويقاسون منه الأمرين، وقد نمي هذه النزعة عندهم ضيقهم بالحياة المادية التي حولهم بما فيها من آلات وضجيج، مما لا يدع مجالا للراحة أو السكون، فودوا لو يفرون من هذه الحياة الصاخبة إلى حياة أخرى هادئة وادعة، تنعم فيها أرواحهم بالسلام والأمان. وتخيل كل منهم عالمه السماوى هذا على شكل مخالف أو مشابه لما تخيله الآخر، ولكن مصدر كل هذه العوالم عندهم واحد هو النفس فإنهم قد أحسوا أن جسومهم المادية المحسوسة لن تترك هذه البلاد ولا يمكنها مغادرة ما حولها ومن حولها فلا أقل من رحلة خيالية تصعد فيها النفس إلى ذلك العالم المختار عالم الروح الذي حنوا إليه وأبدعوا في وصفه.

يعبر جبران عن هذا العالم الذي تخيله واشتاق إليه باسم "البلاد المحجوبة" فيدعو صاحبته – أي نفسه- إلى مغادرة هذه البلاد المحسوسة التي حوله، والتي لم يجد فيها له صديقا وفيا أو رفيقا مؤنسا، وكيف يجد وهو من معدن مخالف لمعدن كل من حوله من الناس، وقلبه يمتاز بالجدة والإبداع بين قلوب بالية عتيقة؟ ويستعد لرحلة معها فيضوء الصباح، إذ هو لا يطمئن إلى ظلام الليل اليهيم، ولكنه يحار كيف يصل غلى تلك البلاد وهو لا يعرف الطريق إليها وما يقف أمامه دونها من قفر أو وهاد، ومن الذي يدله في هذه الرحلة ؟ أيكون هو دليل نفسه أم نفسه دليلته ؟ وتغمره الشكوك، فيرتاب في إمكان وجود مثل هذه البلاد التي تخيلها وهل هي حقا موجودة أم هي سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جائه لم يجده شيئا. وأخيرا يعلن النتيجة من هذه التخيلات والأفكار بأسلوب تقريري ممزوج بالخيال أيضا فيقول:

يا بلاد الفكر يا مهد الألي  عبدوا الحق وصلوا للجمال
ما طلبناك بركب أو على  متن سفن أو بخيل و رحال
لست في الشرق ولا الغرب ولا  في جنوب الارض أونحو الشمال
لست في الجو ولا تحت البحار  لست في السهل ولا الوعر الحرج
أنت في الأرواح أنوار و نار  أنت في صدري فؤادى يختلج

وإذن فإن هذا العالم العلوى الذي تخيله غير موجود في الحقيقة، وما هو إلا أثر من نبضات قلبه المضطرب وفكره الحائر وخياله السابح في الأجواء.

ويقول ميخائيل نعيمه في الكلام عن هذه الطريق التي سلكوها في سبيل الوصول إلى عالمهم المحجوب:

نحن يا ابني عسكر قد تاه في قفر سحيق
نرغب العود ولا نذكر من اين الطريق
وسنبقى نفحص الآثار من هذا وذاك

Dhaka University Institutional Repository



## ريثما ندرك أن الدرب فينا لا هناك

ويصل إلى نفس النتيجة التي وصل إليها جبران من أن ذلك العالم الخيالي موجود في نفوسهم وبين جوانبهم وأن لا فائدة من كثرة التفتيش عنه، ولكن ما من سميع ولا مجيب، ولذالك فهو يتم كلامه ويقول:

وسنبقى نهجع الليل وفي الصبح نفيق
ريثما نلقى منانا ريثما نلقى الطريق[٣٠٦]

ويسمى أبو ماضى عالم الخلود نار القرى ويجد الطريق إليها طويلا صعبا وبينه وبينها حجب كثيرة لا تنكشف لأنها حجب خيالية غير محسوسة:

كيف الوصول إليك يا نار القرى أنا في الحضيض وانت في الجوزاء
لي الف باصرة تحن كما ترى لكن دونك ألف ألف غطاء
لو من ثرى مزقتها بيد الثرى لكنها سجف من الاضواء

وفكرة طول الطريق وبعد المسافة هذه نجدها مكررة عند نسيب عريضة أيضا فهو يشكو في مرارة وألم من وحدته ووحشة روحه وكون نفسه « في الحضيض » كزميله أبي ماضي، وهو أيضا ينتظر من ينتشله من هذا الحضيض الذي هوى إليه، ويسبح به في تلك الأجواء العلوية السامية، أجواء العالم الروحي:

أنا في الحضيض
وأنا مريض
أفلا يد تمتد نحوى بالدوا
وتبث في جسمي ملامسها القوى
تقلني من هوتي نحو الذرى
فأسير مستندا عليها في الورى
دربي بعيد
وانا وحيد
أفلا رفيق أو دليل في الطريق
افلا سلاح أو دعاء من صديق

---

[٣٠٦] . المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٢

Dhaka University Institutional Repository



وارحمتاه لمن يسير بلاوطاب
بين القفار وقد تعلل بالسراب[٣٠٧]

ولعل نسيب عريضة أكثر شعراء الرابطة القلمية تعلقا بعالم الروح. وأرقهم شوقا إلى تلك المنازل السماوية، حتى لنجده يصنع أبدع قصائده في وصف العالم العلوى والطريق إليه بأسلوب صوفي بديع، وذلك في ملحمته الصوفية على طريق إرم التى استغرقت أكثر من عشر صفحات من ديوانه.

اعتمد نسيب في هذه الملحمة الخيالية على أسطورة عربية قديمة تقول: أن إرم ذات العماد، التى ورد اسمها في القرآن الكريم، مدينة عجيبة بناها شداد ابن عاد بحجارة من الذهب واللؤلؤ والجواهر، فكانت باهرة للعيون، لا يقدر القادم نحوها من بعيد أن ينظر إليها إذا واجهها في ضرء النهار. ثم أقفرت هذه المدينة العجيبة واختفت في الصحراء فهي في مكان محجوب، عامرة بقصورها السحرية وكنوزها المباحة ولكن لا وصول إليها وقد طلبها كثيرون فهلكوا، أو ضلوا وعادوا قانعين من الغنيمة بالإياب.

هذا إرم الأساطير، أما " إرم " التى يتحدث عنها الناظم في ملحمته فهي إرم الروحية. يسير الشاعر مراحل مع قافلته في طلبها، ويصف طريقه مرحلة مرحلة حتى يخيل عليه أخيرا أنه راها من بعيد.. ولكنه لم يصل إليها[٣٠٨]

وهكذا يبدأ نسيب عريضة رحلته الخيالية إلى ذلك العالم الخيالى الذي اختاره وسعى إليه، فلنسر معه قليلا في أول الطريق لنرى كيف استهل رحلته وما الغرض منها فنراه يقول:

تفتحت أعين الدرارى — واستيقظت أنفس الليالي
وهيمنت في الدجي الأماني — ورفرفت أجنح الخيال
وأفلت الحلم من عقال — فطار يسعى إلى الجمال
فقم بناء يا سمير نفسى — نقفو الأماني إلى الكمال[٣٠٩]

**٣-النزعة الإنسانية في شعرهم:**

إن كثرة تفكير شعراء الرابطة في أنفسهم وطول تأملهم في أحوالهم دون أن يصلوا إلى حقيقة تروى ظمأهم، أويقين يطمئن بالهم، جعلهم يملون هذه الدنيا التى حولهم ولا يعجبون بها أو يأنسون إليها، وكثيرا ما نجدهم يبرمون بحيونها، ويشكون من ظلمها وتقلبها ويستعجلون الموت

---

٣٠٧. عيسى الناعورى، إيليا أبوماضى، ص ٤١٤
٣٠٨. ديوان الأرواح الحائرة ، ص ١٧٨
٣٠٩. شعراء الرابطة القلمية ، ص ١٣٣

Dhaka University Institutional Repository



عليها فإن فيه راحة لأجسادهم وانطلاقا لأنفسهم، ومن هنا فهم يفكرون كثيرا في الموت وشؤونه والفناء وما يكون منه، والبعث وهل هو صحيح ؟ والمتأمل في دواوين هؤلاء الشعراء يجد نزعة من التأمل والتصوف تغلب على أشعارهم وتلوح من خلالها أرواحهم الهائمة ونفوسهم اليائسة الحزينة. إنهم لا يأبهون بهذه الحياة الدنيا وما فيها من لهو ومرح، ولا ينصرفون إلى ما يهم غيرهم من الناس، فالمال عندهم عرض زائل ووالعمل الطيب هو أفضل وأبقى. ومن هنا نجد عندهم الدعوة إلى الجود بالمال وذم البخل منثورة في أبياتهم وسطورهم، ولا عجب أن يصدر الجود أو الدعوة إلى الجود عن قوم طالما قاسوا من الحاجة إلى الأجواد وطالما عضهم الفقر بنابه فأحسوا مع الفقراء، وأصابهم الدهر بعذابه فتألموا مع المعذبين في الأرض. فلا أقل من أن يبذلوا مما أعطاهم الله بعد فقرهم ويشجعوا الناس على البذل والعطاء. ويقيني أنهم جميعا مشتركون في هذه الروح الكريمة الأخلاق النبيلة، فهذا زعيمهم وقائدهم في الأفكار والدعوات جبران خليل جبران يتحدث في كتابه الانجليزي "النبي" عن "العطاء" حين سأله أحد الأغنياء ذلك، فيقول ما معناه: إن من يعطى من ثروته أو ممتلكاته فعطاوه قليل، وأما الكريم حقا فهو الذى يعطى من ذات نفسه، إذ ما حقيقة الثروة ؟ إنها ليست سوى مادة فانية، تحفظها في خزائنك وتحافظ عليها خوفا من الحاجة إليها في الغد. أليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها ؟ وفي نفس هذا المعني يقول زميل جبران الشاعر رشيد أيوب :

سموح هو المرء المفرق ماله ولكن من يعطى من القلب اسمح[٣١٠]

ولعمرى لقد أتى أيوب بهذه الحكمة الغالية في بساطه ودون أية كلفه، وهو يتبع بيته هذا بتفسير له، على بساطته، فيقول:

ألم ترني والدهر أصمى حشاشتى أعلم ورقاة الحمى كيف تصدح
إذا صلحت بالمال نفسى فأنها بإعطائها مما لديها لأصلح[٣١١]

ولا شك أن ما لاقاه شعراء الرابطة المهاجرون من قسوة وعذاب وفقر مضن وخاصة في أول هجرتهم، قد جعلهم يعطفون على الفقراء ويدعون لمساعدتهم ومد يد المعونة لهم في شتى المناسبات ومختلف الأوقات، وقد مرت بنا قصيدة أبي ماضي التى بعنوان "الفقير" والتى صرح

---

٣١٠ . مجموعة الرابطة القلمية ، ص ٢٠٨
٣١١ . المصدر السابق ، ص ٢٠٨

Dhaka University Institutional Repository



فيها بأنه ما وقف موقفه هذا إلا ليندب أحوال التعساء من بنى أمته، وفيها يقول أبو ماضي مظهرا تألمه وتحسره لإخوانه المحتاجين والبائسين:

وارحمتا للبائسين فإنهم　　موتي وتحسبهم من الأحياء
إني وجدت حظوظهم مسودة　　فكأنما قدت من الظلماء[٣١٢]

وفي قصيدة أخرى بعنوان "في خلوتي" يذم ندره حداد الأغنياء الذين لا يجودون بمالهم ولا ينفعون به إلا أنفسهم، ويمنعونه عن مستحقيه من الفقراء والمحتاجين. وتغلب عليه نزعة الزهد والصوفية التى ميزت حياته فيلتفت إلى نفسه يواسيها عما تعانيه من حاجة وبؤس ويعزيها بأن لها الدار الآخرة، وما هذه الحياة التى ينغمس فيها الأغنياء سوى حلم يمر سريعا ويستيقظون منه فزعين، وما أفراحها التى تغمرهم سوى مظاهر باطلة ومفاتن فارغة، ويختم قصيدته ببيتين يمثلان هذه الروح الصوفية التى غمرته فقربت إليه التفكير في الموت، فيتحدث عن الحياة بقوله:

وما نحن فيها سوى سائحين　　ليوم تمر بنا القافله
نغادر ما ملكته اليدان　　عليها إلى الحفرة الفاصله

وفي تمجيد هذه الروح الإنسانية التى تبغى حب الخير والنفع للناس أجمعين دون تمييز بين خبيثهم وطيبهم وعزيزهم وحقيرهم، يقول ندره حداد في تعريفه للشاعر:

هو في الحب دمعة　　ليتها دمعة الجذل
شاركت كل ذي ضنى　　في ضناه وذى العلل
يعشق الغصن لا لحسـ　　ـن به بل لما حمل
والغدير الصغير يسـ　　ـقى العطاشي ولم يسل

وأما جبران، فإنه يعبر عن حبه للنفع والإفادة بطريقة أخرى وبصورة نثرية فيها شئ من الاعتداد بالنفس والتعالى على الغير فيقول: "نفسى مثقلة بأثمارها فهل من جائع يجنى ويأكل ويشبع؟ أليس بين الناس من صائم رؤوف يفطر على نتاجى ويريحني من أعباء خصبى، وغزارتى ؟ ".

وإنه لتأخذه العزة ويملأ جنبيه الكبر والفخر فيقول : نفسى رازحة تحت عبء من التبر واللجين، فهل بين الناس من يملأ جيوبه ويخفف عنى حملى ؟ وعندما ييأس من انصراف الناس عنه وعدم إجابتهم سؤله يصرخ في مرارة وحزن: ليتنى كنت بئرا جافة والناس ترمي بي

---

[٣١٢] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ١٣-١٣٨

Dhaka University Institutional Repository



الحجارة. فذلك أهون من أن أكون ينبوع ماء حئ والظامئون يجتازوننى ولا يستقون [٣١٣] ولا يغفل رشيد أيوب وهو يعارض القصيدة النامقية التركية ويكيل للترك فيها السباب ويمجد العرب ويعليهم عليهم، أن يشيد بالحرية التى لم يدعه هؤلاء الأتراك يستنشق عبيرها في أرض وطنه فجاء ينشدها في هذا العالم الجديد البعيد، ومنه يصرخ مخاطبا معبودته التى جاء من أجلها:

و حقك يا حرية قد عشقتها وأنفقت عمرى في هواها محاربا
و سر جمال فيك هام بحبه بنو الشرق إجلالا فحلوا المغاربا
لانت منى الدنيا وغاية سؤالها وأفضل شئ قد رأته منسبا

وإنى لتعجبنى في ديوان ميخائيل نعيمه "همس الجفون" قطعة صوفية بديعة النغم رائعة المعاني جعل عنوانها "لو تدرك الأشواك" وهي تبين فلسفته في الحياة وطريقة عيشه بين الناس، فهو بينهم وكأنه بعيد عنهم، لا يحس بما يحسون ولا يغتبط بمسراتهم ولا يحزن لآلامهم، وليس هذا بدافع الأنانية كما قد يتوهم السامع، بل لأن له في داخل نفسه عالما آخر يحيا فيه، من تلك العوالم الروحية التى تحدثنا عنها قبل قليل والتى ظل شعراء الرابطة يفتشون عنها ويتبعونها ومنهم من عثر عليها ومنهم من لم يعثر وظل هائما في الطريق. إن نعيمه في هذه المقطوعة الجميلة يخاطب الغنى الحريص بأسلوب الزاهد القانع فيقول:

يا حاشد الأموال فلسا إلى فلس يكد الليل قبل النهار
أيامه صفر كأعوامه لا لون فيها غير لون النضار
عمياء تجرى حيث لا تدري
لا والذي الأقدا ر خدامه ما في فؤادى غصة من غناك
إذ قد حباني الحظ بعض الغنى يا صاحبى من غير ما قد حباك
فاحشد ولا تشفق على فقرى [٣١٤]

ومن الظواهر المشتركة عند شعراء الرابطة القلمية والتى تلقى ضوءا على أحوالهم النفسية التى صدروا عنها في أشعارهم، طمأنينة عامة تسود حياتهم ورضى بما قسم لهم، وصبر على ما أنزلته بهم الأيام. صحيح أنهم كما رأينا قوم شاكون متأملون غير مستقرى الأفكار، ولكنهم في حياتهم العملية أناس مسالمون يبغون الخير وحب السلامة، ولذا فهم محبون للجميع محبوبون من عامة الناس ليس لهم أعداء يضايقونهم ولا حساد يبغضونهم.

---

٣١٣. جبران خليل جبران ، العواصف، (بيروت: ١٩٥٠م)، ج ٠٣ ص ١٧٩
٣١٤. عبد الغنى حسن، الشعر العربى فى المهجر، (القاهرة : ١٩٥٨م)، ص ١٦٥

Dhaka University Institutional Repository



يقول جبران خليل جبران في إحدى مقطوعاته الشعرية:

إذا غزلتم حول يومى الظنون وأن حبتتم حول ليلى الملام
فلن تدكوا برج صبرى الحسين ولن تزيلوا من كئوسى المدام
ففى حياتى منزل للسكون وفي فؤادى معبد للسلام
ومن تغذى من طعام المنون لا يختشى من أن يذوق المنام

ولميخائيل نعيمه مقطوعة لطيفة بعنوان "الطمانينة" يصور فيها طمأنينة نفسه ورضاه وصبره على كل ما يحل به من هموم وأحداث ويقول في أولها:

سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر
فاعصفى يا رياح وانتحب يا شجر
واسبحى يا غيوم واهطلى بالمطر
واقصفى يا رعود لست أخشى خطر
سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر[٣١٥]

ويقول إيليا أبو ماضي في قطعة له بعنوان "بردى يا سحب" :

رضيت نفسى بقسمتها فليراود غيرى الشهبا

ويقول في نهايتها:

أنا من قوم إذا حزنوا وجدوا في حزنهم طربا
وإذا ما غاية صعبت هونوا بالترك ما صعبا[٣١٦]

**٤- الحياة بين الناس والطبيعة:**

كان للمظاهر المادية في الحياة الجديدة التى انتقل إليها الشعراء المهاجرون أثر بين في حياتهم النفسية والمعنوية، فقد رأينا كيف جاء رد الفعل لهذه المادية التى لم يعتادوها ولم يألفوها، في هروبهم من الواقع وسبحاتهم في دنيا الخيال مفتشين عن الطريق إلى عالم الروح المثالي الذي تخيلوه، وفي عكوفهم على أنفسهم يدرسونها ويتعمقون أسرارها ويأتون أحيانا بالحكم في الزهد والتصوف.

وفي الحق أنهم لم يشعروا تجاه هذه الحياة الصاخبة بأي توافق أو انسجام، بل على العكس لقد شعروا نحوها بكره شديد واشمئزاز، وخاصة أول الأمر، وهذا نسيب عريضة يصف

---

[٣١٥] . المصدر السابق، ص ١٧٤
[٣١٦] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ١٤٥-١٤٦

Dhaka University Institutional Repository



الحياة في المدينة الأمريكية وما فيها من بروج مشيدة وعمارات قائمة فيتخيلها مرة تنانين هائلة تريد أن تنقض عليه وأخرى أراقم سامة ستلتف حوله، وهي بلاد وئدت فيها الطهارة والعفة، وفقد منها البشر والهناء، وأعدمت الفضائل فما لها من وجود،[٣١٧] لذلك فهو يكرهها ويكره المعيشة فيها ويفضل عليها عيشة البدو الآمنين في خيامهم، ويحن لحياة البساطة على ضفة الغدير الرقراق:

نفسي على عهد البوا دي لم تزل بين الخيام
ولجلسة عند المسا ء لدي الغدير بلا كلام
اجدى إلى قلبي من الضـ ـوضاء في المدن العظام

ولم يكن هذا حال نسيب عريضة وحده، بل اشترك معه في هذا الشعر و كل زملائه، وربما كان منهم من تجاوزه في ذلك. وفشت هذه الروح المتمردة على الحياة المادية بينهم، وظهرت آثارها فيما سطروه من شعر ونثر. ولعل أول مظاهر التعبير عن هذا الشعور عندهم دعوتهم إلى الرجوع إلى الحياة الطبيعية الساذجة، حياة البساطة قبل أن تشوهها معالم المدنية والتعقيد. وهم المكان الوحيد الذى تتجلى فيه الحياة الطبعية بمظاهرها المختلفة من أشجار مرتفعة في الفضاء لا يعوقها شئ، وحيوانات هائمة لا تصلى إليها. سطوة البشر.

ولقد كان جبران خليل جبران زعيمهم ورائدهم في هذا النوع من الشعر الذى يمجد الغاب، وذلك حين كتب ثنائياته الشعرية في مجموعته التى دعاها "المواكب" ومواكب جبران هى أول ما نشر من مؤلفاته الشعرية، وفيها يظهر تمرده على الحياة بقوانينها الصارمة وتقاليدها العتيقة وشرائعها التى لا ترتاح إليها نفسه. وواضح أن في مواكب جبران أفكارا فلسفية وآراء اجتماعية لا تنكر، ولكن غرضه الأساسى من هذه المجموعة هو: التمرد والثورة على الحياة المعقدة المشوشة، والدعوة الحارة للرجوع إلى الطبيعة الساذجة البسيطة، وجبران هنا يقصد بالطبيعة حياة البساطة والسهولة، والبعد عن الكلفة، وعدم التقييد، إلى غير ذلك مما يتمثل في الطبيعة حولنا"[٣١٨]

ويقول فى أول حديثه:

ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشى ولكن لا يجاريه الربيع[٣١٩]

---

٣١٧. ديوان الأرواح الحائرة ، ص ٢٦٩-٢٧٠
٣١٨. شعراء الرابطة القلمية، ص ١٤٨-١٤٩
٣١٩. مجموعة الرابطة القلمية، ص ٣٣٨

Dhaka University Institutional Repository



فأية حياة أجمل وأحب إلى النفس من هذه الحياة التى لا ينتهى ربيعها، ولا تعرف خريف الفصول، فالحزن لا يقربها، والهم لا يعرف بابها:

ليس في الغابات حزن  لا ولا فيها الهموم
وغيوم النفس تبدو  من ثناياها النجوم[٣٢٠]

ثم يتكلم جبران بلسان الشيخ عن الدين والعدل والحرية وغيرها من المسائل التى تشغل بال المجتمع في المدينة ولا يجد الناس لها حلا، ويختلفون فيها فرقا وشيعا وإذا بالفتى يخبره أن شريعة الغاب لا تعرف كل هذه الأشياء، فالدين الذي تعرفه المدينة لا تدين به شريعة الغاب، وهي في الوقت نفسه لا تعرف الكفر، ولذا فدينها البساطة وكتابها الناى وأنغامه العذبة فانها خير الصلاة.

والعدل الذى يتشدق به أهل المدن وهم لا يعرفون لبابه، إنه بدعة بينهم في رأى جبران، إنه يصور التناقض في حياة البشرية:

فسارق الزهر مذموم ومحتقر  وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر
وقاتل الجسم مقتول  بعلته  وقاتل الروح  لا تدرى به  البشر[٣٢١]

أين الحق إذن ما دام هذا شأن العدل بين الناس، وأين هو العدل الحقيقي الذي يبغى أن يجده جبران؟ إنه يتمثل في حياة الغاب ويأتي فيها عفوا ودون قصد:

فإذا الصفصاف القى  ظله فوق التراب
لا يقول السرو هذى  بدعة ضد الكتاب[٣٢٢]

ونصيب عريضة في رباعيته الصوفية يصور كيف مل حياة المادة التي تحيط به، ويئس من حالة الشك التى اعترته فاعتنق مذهب عمر الخيام (ت:١١٣٢م)، تناسى هموم الدنيا والتغلب عليها بشرب الخمر. ولكن نفسه التى لم يعجبها اتجاهه هذا، أرادت أن تهديه فبدأت تقوده في طريق الرشاد آملة الوصول إلى اليقين. وطالت الطريق فساورت عريضة شكوكه من جديد، وهي شكوك كتلك التى ساورته في طريق إرم وهنا سأل نفسه أين هي ذاهبة وإلى أين المصير؟ وأخذ ينبه على تركها الناس والسير في طريق موحش بمفردها ولكنها تجيبه بما يقنعه:

فصاحت النفس بي وقالت :  مالي وللناس والزحام

---

٣٢٠. المصدر السابق، ص ٢٣٨
٣٢١. المصدر السابق، ص ٣٣٩
٣٢٢. المصدر السابق، ص١٥٠

Dhaka University Institutional Repository



فيقتنع برايها ويجده صوابا، فلا يلبث أن يقودها لنفسه إلى حياة الغاب، المتميزة بالوضوح والسهولة والانكشاف :

أصبت يا نفس فاتبعيني فليس كالغاب من مقام
يا غاب، جئناك للتعرى أنا ونفسي ولا حرام
فليذع الغصن ما يراه منا إذا احسن الكلام[٣٢٣]

ويعبر شعراء الرابطة القلمية عن الحياة الطبيعة السهلة غير المعقدة بألفاظ أخرى غير الغاب منها: القفر والنور والضياء. فهذا إيليا أبو ماضى في جداوله يكتب قصيدة بعنوان " في القفر " ويعني به نفس ما عناه جبران بكلمة الغاب ويبدؤها بقوله:

سئمت نفسى الحياة مع الناس وملت حتى من الأحباب
وتمشت فيها الملالة حتى ضجرت من طعامهم والشراب[٣٢٤]

فهو يشكو من النفاق الذى أصبح سمة لعصره، وجعله يمل كل من حوله من الناس حتى الأحباب والأصحاب، وسائته الأوضاع المقلوبة في هذا العالم الخادع حيث الكذب يسمى صدقا والصدق وختفى تحته الكذب، وحيث يدعى القبيح جميلا ويسدل الستار على الجمال الحقيقى. وضاق بجموع المرائين والمنافقين والحقودين والخادعين فودت نفسه لو تستطيع فرارا من هذا العالم الدنيوى:

قالت اخرج من المدينة للقفر ففيه النجاة من أوصابي
وليك الليل راهبي وشموعى الشهب، والأرض كلها محرابي
وكتابي الفضاء أقرأ فيه صورا ما قرأتها في كتاب
وصلاتي الذى تقول السواقي وغنائى صوت الصبا في الغاب
وكئوسى الأوراق القت عليها الشمس ذوب النضار عند الغياب
ورحيقي ما سال من مقلة الفجر على العشب كالدين المذاب[٣٢٥]

فهو هنا تعجبه الطبيعة الشاملة بأجمل معانيها، وبكل ما فيها من مظاهر البساطة والألفة والمحبة، إنه سيصلى مع السواقي التى تدور وهي تئن أنينا أشبه بصلاة الزاهد المتعبد، وإنه

---

٣٢٣ . الشعر العربى فى المهجر، ص ١٩٢
٣٢٤ . المصدر السابق، ص ١٣٢
٣٢٥ . المصدر السابق، ص ١٣٢

Dhaka University Institutional Repository



سيغنى مع ذلك الصبى الذى أخرجه جبران و يدعو الشيوخ إلى الحياة الوادعة المسالمة، إنه يعزف أعذب الالحان وأصدق الأنغام.

أبو ماضى يعبد الطبيعة الجميلة لأن نفسه تهيم بالجمال، ويطيع نفسه ويذهب معها إلى ذلك الغاب المنشود، ويمرح في ظلال أشجاره الوارقة وعلى ضفاف غدرانه المنسابة الرقراقة، ويقضى هناك وقتا جميلا من أسعد الأوقات، ولكن إيليا لا يلبث أن يقيم في الغاب حتى يحس بما أحس به زميله نعيمه وجبران من وحشة وعدم اطمئنان، فهم لم يتعودوا هذه الحياة الهادئة الساكنة، أو هم قد نسوها في غمرة حياة أمريكا الصاخبة، ولذلك فهم لا يطيقون بعدا عن الوسط المادى الذي وجدوا فيه، برغم شعورهم بكرهه والاستياء منه، وإذا هو يقول كما قال زميلاه من قبل :

إنما نفس التى ملت العمران　　ملت في الغاب صمت الغاب
فأنا فيه　مستقل　طلق　　وكاني أدب في　سرداب[٣٢٦]

والنتيجة التى وصل إليها أبو ماضي ترديد لفكرة جبران من أن الإنسان مضطر إلى مخالطة بنى جنسه ممن حوله، ما دام يعيش بينهم ويتنفس هواءهم وأن عليه أن يتم هذه الحياة المقدرة عليه ما دام قد خلق إنسانا كسائر الناس. وينطق أبو ماضي بخلاصة هذه التجربة فيقول:

علمتنى الحياة في القفر أنى　　أينما كنت ساكن في التراب
وسأبقى ما دمت في قفص الصلصال　　عبد المني أسير الرغاب
خلت أنى في القفر أصبحت وحدى　　فإذا الناس كلهم في ثيابي[٣٢٧]

وقد لاحظ مثل هذه الملاحظة على جبران زميله ميخائيل نعيمه في كتابه عنه إذ يقول: هكذا كان جبران يصفع الناس بيد ويصافحهم بالأخرى، يثور عليهم عند ما يثور إلى روحه المتالم من كل شناعة وقساوة وظلم، ويسالمهم عند ما تثور عليه نفسه الطماحة إلى المجد والعظمة والمتوجعة من قبضة الفاقة الماسكة بخناقها، يحفر لهم قبورا في الليل وفي النهار، عندما تلحدهم الأقدار في قبور غير التى حفرها لهم، يهتف بقلب دامع: مات أهلى وأنا قيد الحياة أندب اهلى في وحدتى وانفرادي.[٣٢٨]

وإذا فجبران لم يستطع البعد عن الناس والحياة المادية المحيطة به، بل كان مضطرا إلى الاندماج فيها ومسايرتها دائما حتى رضخ لها أخيرا، وانغمس في داخلها ولم يستطع الخروج

---

٣٢٦. المصدر السابق، ص ١٣٣
٣٢٧. المصدر السابق، ص ١٣٣
٣٢٨. جبران خليل جبران، ص ١٦١

Dhaka University Institutional Repository



منها. يقول في ذلك ميخائيل نعيمه أيضا: وهكذا انقسمت نفسه- ؟؟ جبران – على نفسه، وانساق جبران المتمرد على الناس، إلى جبران المتعطش إلى التفاتهم وعطفهم ومالهم ومجدهم وعظمتهم، فدرج في كهوف نيويورك المظلمة... الخ [٣٢٩]

فالملاحظ أنه بالرغم من دعوة شعراء الرابطة القلمية إلى حياة الغاب التى ترمز إلى الطبيعة السذاجة الوالحياة البسيطة السهلة، إلا أن هذه الدعوة لم تنتزعهم كما رأينا من المحيط الذى عاشوا فيه، ولم يستطيعوا الفرار من دنيا الواقع التى تحيط بهم. ولم يكن لهم بط إذا من الالتفات إلى الطبيعة التى حولهم، لا أنهم شعاء والشاعر عادة يستوحيى الطبيعة في شعره ويحاول أن يصف كل ما تقع عليه عينه من مظاهر الحسن والجمال فيها. ولكن هؤلاء الشعراء، حتى في وصفهم للطبيعة، تتجلى عندهم روح التفكير الفلسفى والنظرة التأملية على كل ما حولهم.

ولعل أبرز ما لفت أنظار هؤلاء الشعراء من مظاهر الطبيعة حولهم. : الليل والبحر، هذا الجديد الذى لا يبلى، وذاك الخضم العارم الذى لا ينفد أما الليل بظلامه ووحشته وسكونه، فيكاد كل واحد منهم يقول فيه شعرا. وقديما وصف الشاعر الكندى الليل بقوله المشهور من معلقته:

وليل كموج البحر أرخى سدوله  على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه  واردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل  بصبح وما الإصباح منك بأمثل
فيا لك من ليل كأن نجومه  بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كان الثريا علقت في مصامها  بأمراس كتان إلى صم جندل

وجاء جبران بأسلوبه الخالى من التشابيه والاستعارات والمجاز، فقال يمنتهى البساطة والسهولة:

سكن الليل وفي ثوب السكون  تختبي الاحلام
وسعى البدر وللبدر عيون  ترصد الأيام
فتعالى يا ابنة الحقل نزور  كرمة العشاق
علنا نطفى بذياك العصير  حرقة الأشواق [٣٣٠]

فهو يحب الليل وما يثيره في نفسه من ذكريات، وما يكشف عنه من أسرار، وهو لا يخاف من نجوم الليل لاطمئنانه إلى أنها كتومة لا تذيع سرا، وكذلك الضباب الذى يغطى الكروم بغلالته الرقيقة حاجب للأسرار.

---

٣٢٩ . المصدر السابق ، ص ١٦١
٣٣٠ . المجموعة الكاملة، ص ٥٢٣

Dhaka University Institutional Repository



وفي مرة أخرى يخاطب جبران "الليل " بقوله، وهو من نثر الشعرى الجميل:

يا ليل العشاق و الشعراء والمنشدين

يا ليل الأشباح والأرواح و الأخيله

يا ليل الشوق والصبابة و التذكار[٣٣١]

أنت عادل تجمع بين جنحى الكرى أحلام الضعفاء بأمانى الأقوياء. وأنت شفوق يغمض بأصابعه الخفية أجفان التعساء ويحمل قلوبهم إلى عالم أقل قساوة من هذا العالم. بين طيات أثوابك السوداء يسكب المحبون انفاسهم وعلى قدميك المغلقتين بقطر الندى يهرق المستوحشون قطرات دموعهم. وفي راحتيك المعطرتين بطيب لأدوية يضيع الغرباء تنهدات شوقهم وحنينهم، فأنت نديم المحبين وأنيس المستوحدين ورفيق الغرباء والمستوحشين.[٣٣٢]

هكذا يخاطب جبران الليل ويتجاوب معه ويستشف مكنونات أسراره، ويشعر نجوة بالألفة والاقتراب. إنه لا يقول له زاجرا كما قال إمرؤ القيس: ألا أيها الليل الطويل ألا انجل . ولا عجب فجبران يحسب انه غريب في عذا العالم المائج الذى حوله، وحيد بين أقرانه، مستوحش شاعر بالكابة، فهو لذلك يحن إلى كل ما هو كئيب موحش ويجد فيه شبيها له ونظيرا لذلك فلا عجب أن نسمع جبران يكثر من ذكر الوحدة والوحشة وأن نراه لا يلذ له من وصف مناظر الطبيعة إلا ما كان فيه معنى الوحدة والوحشة والسر. هكذا فالليل وما في ظلامه من الوحشة، وما في أشباحه من الرهبة، وما في سكينته من الأسرار، هو أحب الرموز إلى جبران ففي الليل قد صادف "فار القبور" وفي "ظلام الليل" قد وقف يندب حظ أهله، "وعند ما جن الليل" سار نحو البحر حيث لاقي الأشباح الثلاثة التى كشفت له أقانيم الحياة الثلاثة: الحب والتمرد والحرية.[٣٣٣]

ولإيليا أبي ماضي قصيدة عاطفية رقيقة بعنوان "المساء" يخاطب فيها محبوبته ويصف تأثير حلول المساء على نفسها ومشاعرها وأفكارها، ويبدؤها بقوله:

السحب تركض في الفضا الرحب ركض الخائفين

والشمس تبدو خلفها صفراؤ عاصبة الجبين

والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين

لكنما عيناك باهتتان في الأفق البعيد

،،لمى، بماذا تفكرين ؟

سلمى، بماذا تحلمين ؟[٣٣٤]

---

٣٣١ . المصدر السابق، ص ٣٦٨

٣٣٢ . المجموعة الكاملة، ج ٣ ، ص ٣١ .

٣٣٣ . ميخائيل نعيمة،الغربال ،(القاهرة: دار المعارف ١٩٥٧م)، ص ٩٤ .

٣٣٤ المجموعة الكاملة ، ص ١٢٧

Dhaka University Institutional Repository



ويعجب الشاعر من تأثر صديقته لذهاب النهار وهجوم الليل بظلامه، ولم كل هذه الهواجس التى تعتريها والشكوك التى تلوح في شحوب وجهها ؟ وما هذه الحيرة التى تضطرب بها نفسها؟ أتراها تفكر:

بالأرض كيف هوت عرو ش النور عن هضباتها ؟
أم بالمروج الخضر سا د الصمت في جنباتها ؟
أم بالعصافير التى تغدو إلى وكناتها ؟
أم بالمسا؟[٣٣٥]

وهنا يشرح الشاعر نظرته هو إلى المساء، ونراها مخالفة لنظرة صاحبته تماما إذ يقول:

إن المسا يخفى المدائن كالقرى
و الكوخ وصرح السكين
والشوك مثل الياسمين
يخفى ابتسامات الطرو ب كادمع المتوجع[٣٣٦]

وهنا نلتقى عنده بالطبيعة التى لا تفرق بين أحد من الناس سواء في عطائها أو في أخذها فالكل عندها سواسية ويجب النفع لهم جميعا. وهذه نزعة إنسانية عند شعراء الرابطة القلمية سنتحدث عنها بعد قليل.

وفي قطعة أخرى يتحدث أبو ماضى عن ليل الأشواق وكواكبه الجميلة التى تثير في النفس الصبابة والتذكار. وأما نسيب، عريضة الصوفي الحائر الباحث عن طريق الخلود، فإنه ليلد له التأمل والبحث إذا جن الليل وبدت النجوم التى يرى فيها أشباها لقلبه.. وإنه ليتكلم عن روحه النزاعة نحو السمو والاعتلاء ولا يبالي بما يهم الناس حوله من الغنى والسرور لأنه لا يشعر بالسعادة ما دام بينهم في "الحضيض". وكل مناه هو أن يبلغ الأفق الأعلى الذى تحف به النجوم، فالليل عنده للتأمل والبحث عن الطريق، طريق العالم الروحي غير المنظور.[٣٣٧] وهو يكرر العنان لقلبه يروم الهدى والوصول إلى المحجة.

احلو لك الليل بالسواد كأنه بيت الأعادى
وهام قلبي بلا قياد يروم هديا وليس هادى
في الليل

---

٣٣٥ . المصدر السابق، ص ١٢٧
٣٣٦ . المصدر السابق، ص ١٢٧
٣٣٧ . ديوان الأرواح الحائرة ، ص ١٠٨.

Dhaka University Institutional Repository



لا يعرف الليل غير ساهر　　يفنى دياجيه وهو صابر
ما الليل يفنى أيا مكابر　　بل أنت تفنى وليس آخر
لليل

ويستمرفي خاطبته في إشفاق وقلق باديين، وبلهجة يغلب عليها الشك والحيرة:

يا ليل قد حار فيك عقلى　　ففيك عزى وفيك ذلى
و فيك علمى وفيك جهلى　　وفيك صدى وفيك وصلى
والنيل

ويستطلع أمر الموت ويسأل الليل عن أسراره، وهل هو نفسه الذى رافقه في حياته تيغطى قبره بظلامه، وهل ليل الحياة وليل الموت واحد أم هما مختلفان:

يا ليل عيشى ترى أتدري　　شيئا عن الليل ليل قبرى
هل أنتما واحد لعمرى　　هل ثم من موعد بفجر
يا ليل

وإذا حاولنا المقارنة بين حديث شعراء العرب القدامى عن الليل وحديث شعراء المهجر عنه أيضا، اتضح لنا أن الفرق بين نظرة الأقدمين إليه ونظرة المهجريين كالفرق بين طبيعة الجياة لدي القدماء وعند المحدثين، فلقد كان مفهوم شعراء العرب القدماء أضيق من مفهوم زملائهم المحدثين نتيجة لهذا التطور الذى طرأ على الحياتين، فالقدماء كانوا يخافون الليل لقلة إدراكهم لعلم الفلك وجهلهم بما وراء حدود صحرائهم. ولقد انتزعوا تشبيهاتهم واستعاراتهم من طبيعة حياتهم وبيئتهم، فالليل عندهم كموج البحر، وكالحصان يتمطى بصلبه، وهو بطئ كأن نجومه ربطت بحبل، وهم – بالإضافة إلى كل هذا- يشابهون بين ما يعتمل في نفوسهم من أحاسيس، وما في هذا الليل من طول، ولقد شكوا كلهم من طول الليل وبطئه، حتى ليقول النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة ناصب　　وليل إقاسيه بطئ الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض　　وليس الذي يرعى النجوم بآئب

في حين أن المحدثين – وقد تطورت بهم سبل الحياة والوانها- لم يعودوا يلجأون إلى ما استخدمه القدماء من استعارات، بل عمدوا إلى طبيعة الجياة التى يحيونها وأفادوا منها في وصفهم وتصوراتهم لليل.

Dhaka University Institutional Repository



على أن كلا الفريقين يلتقيان في التعبير عما جاش في نفوسهم من شعور بالوحدة والألم، والحيرة والشك، أو العذاب والحرمان، فعكسوا ذلك كله في حديثهم عن الليل. وليس ثمة فرق سوى ما بين الصياغتين والأسلوبين، إذ أن المعنى متقارب .[٣٣٨]

أما البحر فيأتى في الدرجة الثانية من شعرهم في وصف الطبيعة. كلهم ركبوا البحر- وربما للمرة الأولى – من وطنهم في سورية أو لبنان إلى العالم الجديد الذي هاجروا إليه، وكلهم شعر بالرهبة والقلق وهم بين الماء والسماء لا يعرفون ما قدر لهم في حياتهم الجديدة ولا يدرون ما سيكون من أمرهم. وهم ولا شك من بلاد بحرية عرفت حياة البحار قبل أن تعرفها غيرها من الأمم، وجابت سفنهم غماره وشقت عبابه منذ آلاف السنين. ثم إن البحر بما في أمواجه من الاضطراب والهيجان الدائم، وما في أعماقه من الخفايا والأسرار، وما في هديره الأبدى من القوة والعزم، كل ذلك كان كافيا لأن يجعلهم يقارنون بين أحواله، وصفاته وصفاتهم، فهم مثل أمواجه في تقلب وحيرة دائمين. وفي نفوسهم ما في أعماقه من الأسرار والمكنونات التى ما فتئوا يبحثون عنها ويسعون وراءها، وفي هديره مافي أرواحهم من الحنين والطموح والتطلع إلى ما وراء الوجود.

يرى جبران في البحر عزما وأي عزم، ورمزا يفوق كل رمز، فإليه الريح التى تفصل بين السماء والسديم، وإليه النهر الذى يروى الأراضي الظمأى بمائه، وإليه كل شئ، فهو ملك الأشياء:

ويقول الفكر أنى ملك  ليس في العالم غيري من ملك
غير أن البحر يبقى  هاجعا
قائلا في نومه: الكل لى

أما ميخائيل نعيمه، فإنه يخاطب البحر بلسان الفيلسوف المتأمل في الأشياء المتطلع إلى إسرار الكون فيقول في قصيدة بعنوان "يا بحر ":

أما تعبت عجيج  كر  ففر  فكر؟
ماذا تروم وأنى  تسير لا  تستقر؟
كأنما فيك مثلى  قلبان: عبد  و حر
هذا يروم فرارا  من ذا  و  ليس مفر
يا بحر، يا بحر، قل لي  هل فيك خير وشر؟[٣٣٩]

---

٣٣٨ . شعراءالرابطة ، ص ١٥٨-١٥٩
٣٣٩ . الشعر العربى فى المهجر ، ص١٧٠

Dhaka University Institutional Repository



فهو هنا يقارن بين ما في البحر من هيجان واضطراب، وما في قلبه من صراع وعراك، بين ملاك وشيطان تارة، وحر وعبد تارة أخرى، أي بين نوازعه إلى الخير والشر في آن معا. ويخيل إلى نعيمه أن السكون في البحر يمثل الأمن والطمأنينة، وهياجه نظير الذعر والخوف، وفي مدة اليسر والسهولة، وفي خزره العسر والانقباض. كما أن في ارتفاع أمواجه فخرا وعزة، وفي انخفاضها انكسارا ومذلة، وهو في سكوته يعبر عن الحزن والأسى. وفي هديره أصوات من البهجة والفرح. يتساءل نعيمه عن كل هذا، وينتظر من البحر جوابا ولكن ما من مجيب. وأخيرا يخيل إليه أنه سمع النهر يجيبه عن هذه الأسئلة بما يؤكد ظنونه فيقول:

.. .. .. .. .. الكون طى و نشر
في الناس خير وشر في البحر مد وجزر[٣٤٠]

وفي طلاسم أبي ماضى حديث عن البحر ومع البحر، وتساؤل عن أصله وعمره وقصده، وفيها مقارنة بين خصائص من نفسية الشاعر وبعض خصائص البحر:

أنت يا بحر أسير آه ما أعظم أسرك
أنت مثلى أيها الجبار لا تملك أمرك
أشبهت حالك حالي وحكى عذرى عذرك
فمتى أنجو من الاسر وتنجو
لست أدري ؟؟

وحديث أبي ماضى مع البحر حديث طويل يحس قارئه وكأنما الشاعر قد تفاعلت نفسه مع البحر، فقرب منه وجلس إليه وأخذ يفكر في أحواله فلا يدع ظاهرة من ظواهره ولا سرا من أسراره إلا ذكره واستطلع الأمر فيه، ولما أعياه الأمر لم يجد مفرا من قوله "لست أدري" وكما أرجع جبران كل شئ إلى البحر القوى الجبار كذلك فعل أبو ماضى حين قال إن السحب التى تروى الأرض والماء الذى يرتوى به الناس والثمار التى يأكلونها، كلها صادرة عن البحر، وهذه الحقيقة المعروفة للناس أجمعين، يرتاب في أمرها الشاعر ويستطلع البحر في حقيقتها، ولكنه أيضا لا يصل إلى يقين. وستمر أبو ماضى في مقارناته بين أحوال البحر وصفاته وبين نفسه وصفاتها، ولا يصل إلى نتيجة أيضا، ولا يبرح الشك قلبه، فيختم مقطوعته بقوله:

إننى يا بحر بحر شاطئاه شاطئاكا
الغد المجهول والأمـ س اللذان اكتنفاكا

---

[٣٤٠] . المصدر السابق، ص ١٥٧

Dhaka University Institutional Repository



و كلانا صائر يا بحر في هذا وذاكا
لا تسلنى ما غد ما أمس، إنى
لست أدرى ؟؟[٣٤١]

ويتحدث الشاعر نسيب عريضة عن تلاطم أمواج البحر وتكسرها عند الصخور وكأنها هنا تصارعها وتود النيل منها، في أسلوب أشبه بأساطير اليونان حين عزوا كل ظاهرة طبيعية إلى قصة من القصص الخيالية التى جاءت بها آلهة الشعر عندهم، فنسيب ينكر أنه مر بالبحر الهائج المضطرب فأدهشه: هذا الجيشان والغليان فسأله عن السبب في ذلك، فجاءه الجواب:

فقال لي بلسان الموج منكرا وزفرة الريح من لج شج لجب
قد ضقت ذرعا بنفسى من أساى ، ولا ترثى الصخور لما في القلب من كرب

ويمضى البحر في سرد قصة هذه الكرب التى تملأ قلبه وتعكر عليه صفوه فيقول: إنه في إحدى المرات جاءت إليه فتاة جميلة طروب لتسبح في مياهه، وما هي إلا لحظة حتى خلعت الفتاة ملابسها واحتضنتها أمواج البحر تداعبها وتلاطفها، واستمتعت الفتاة بوقت سعيد بين الأمواج التى ما برحت تعانقها وتناغيها وزادت الألفة بينهما حتى إذا ودت الأمواج لثم مبسمها طغت عليها، فإذا هي غريقة في جوف البحر.

وجاء عاشق الفتاة يبحث عنها فلما علم بغرقها بات عند الشاطئ يبكيها ويرثيها. وسالت دموعه بغزارة فخالطت، مياه البحر حتى كادت تغرقها، وتأوه وتألم من الحزن حتى كاد البحر يتحرق أسى لمنظره، وشاركه الناس في حزنه وبكائه، وشاركته السماء، فنزل ماؤها مدرارا، وتألم لمنظره كل ما في الكون إلا الصخر الأملد الجلمود، مما أغاظ البحر فأخذ يلطمه بأمواجه جيئة وإيابا، لعله يفتت من قلبه ويحرك منه العواطف. وما ابدع تصوير نسيب عريضة حين قال بلسان لبحر المتألم الحزين:

لم يبق لم يبك إلا الصخر منزويا يا ويحه من شقئ غير مكتئب
أعدو عليه بأمواجي تفتته عسى تحرك قلبا مات في الحقب

وهكذا جاء حديث شعراء الرابطة القلمية عن البحر ومع البحر حديثا فيه كثير من التأمل والتفكر والتطلع نحو الأفق البعيد الذى يبدو من ورائه نائيا غامضا. كما أن فيه محاولات للتقرب من البحر والتشبه به في الوحدة والوحشة والسكون، وفي الهيجان والقلق والاضطراب،

---

[٣٤١] . المصدر السابق، ص ١٤٩

Dhaka University Institutional Repository



ولا عجب فطبيعة حياة هؤلاء الشعراء كانت توحي إليهم بكل هذه الأشياء، ونفسياتهم المنطوية الحزينة كانت تموج بمثل تلك العواطف.[٣٤٢]

وأما غير الليل والبحر من مظاهر الطبيعة الأخرى التى أحاطت بشعراء الرابطة القلمية فقلما تراهم يتأثرون بها أو يصفونها في شعرهم، فهم في الواقع ليسوا من الشعراء الوصافين، وإنما هم كما رأيناهم من النوع المتأمل الغارق في تأملاته، المفكر الذى يستلهم كل شئ ويستوحيه أفكاره وقصة "البنفسجة الطموحة" في عواصف جبران توضح لنا كيف يستلهم هؤلاء الشعراء والكتاب الطبيعة في شعرهم وكيف يجعلونها تمثل أفكارهم وآراءهم في الحياة، يقول ميخائيل نعيمه : إن في هذه القطعة مفتاح فلسفة جبران، وفيها يبرز غاية الوجود في نظره على لسان البنفسجة، وهذه الغاية هي الطموح إلى ما وراء الوجود، حتى لو كان في هذا الطموح دمار صاحبه وهلاكه.

ويتحدث ميخائيل نعيمه إلى النهر المتجمد حديثا عن نظرة تأملية فاحصة تقيس الأمور وتقارن بينها، فهذا النهر الذى كان بالأمس يسير رقراقا مترنما بين الحقول كأنما هو يتلو على مسامعها أحاديث الزمان والدهور إذ هو اليوم ساكن كسكون اللحد العميق. اقد كان النهر في جريانه يتجاوب مع الشاعر إذا أتاه باكيا أو متوجعا، ولكنه اليوم جامد لا يتألم لشئ. ويدور الزمان وتتعاقب الفصول وبالطبع سينتهى الشتاء ويحل محلة الربيع، فتعود المياه على مجاريها، وتسير الغدران في مساربها نحو البحار، ويرجع النهر إلى سالف عهده جاريا متدفقا، باسما مترنما، نغرد فوق أشجاره الأطيار وتكسو شاطئيه الرياحين والأزهار. ويقارن نعيمه بين حال النثر وما جرى له وما سيعود إليه وبين قلبه الذى كان ضاحكا مستبشرا طافحا بالامل والابتسام، فأضحى اليوم ملولا حزينا لا يسره شئ ولا يميل إلى أحد، حتى غدا غريبا بين الأقوام كلغز غامض يحير الأفهام. ويجد الشاعر وجها للشبه بين هذا القلب المكيل الحزين وبين النهر الساكن المتجمد. ولكن، ما زال هناك فرق واضح بينهما وبين ما سيؤول إليه كل منهما:

يا نهر ذا قلبي أر  اه ، كما أراك مكبلا
والفرق أنك سوف تنـ  ـشط من عقالك، وهو لا[٣٤٣]

ومثل قطعة "البنفسجة الطموحة" لجبران، مقطوعة "الغدير الطموح" لأبي ماضي التى يقول فيها:

هيهات يرضى بالحقيـ  ـر من المنى إلا الحقير[٣٤٤]

---

٣٤٢ . المصدر السابق، ص ١٥٩-١٦٢
٣٤٣ . الشعر العربى فى المهجر، ص ١٦٢

Dhaka University Institutional Repository



وهو يدعو الناس معه إلى تأمل الأزهار وما فيها من معان وأسرار بقوله:

إن تر زهرة ورد  فوقها  للطل قطره

فتأملها  كلغز  غامض تجهل سره[٣٤٥]

ويصف إيليا أبو ماضى زهرة أقحوان فيرى فيها سرا من أسرار قلبه التى دفنها في الغاب بعيدا عن العيون[٣٤٦]. ويتحدث، مرة عن زهرة في إناء بعنوان "السجينة" فإذا الزهرة توحي له بمعان من الحرية والديمقر اطية والإخاء، قل أن يظفر بها المتفلسفون.

ونسيب، عريضة يتأمل روضة غناء زرعها أهلها ورووها فازهرت واينعت بعد أن كانت قاحلة، وأثمرت أشجارها وآتت أكلها بإذن ربها، فتنطقه هذه الروضة بالحكمة التالية:

ذهب الحارث المروى مع الغا  رس، لكن لم يذهب البستان

فهو باق إلى زمان وفيه  من صنيع الالى مضرا إحسان

كن إذا مثلهم، وما عشت فاغرس  و انتسب وافتخر: أنا جنان

ونعود لأبي ماضى مرة أخرى فنجده يتأمل في حقل من الأزهار، وتهيم أمام عينيه فراشة، فيزيده مرآها تأملا وتفكرا في الحياة وأسرارها، وفي الفراشة وأطوارها، حتى ليرى فيها:

سيماء غاوية، أطوار شاعرة  على زهادة عباد ونساك[٣٤٧]

ثم يخاطبها قائلا بلهجة المحب الولهان:

أليس فيك من العشاق حيرتهم  فكيف لا يفهم العشاق نجواك؟[٣٤٨]

ويصور منظرا من المناظر المألوفة بين الصبيان حين يحاولون صيد الفرشة و يجرون وراءها في الحقل وهي تقفزوتنتقل من زهرة إلى زهرة، وهم يتابعونها في التنقل بين الزهرات، حتى إذا تعبوا ويئسوا من القبض عليها وقفوا يسحبون أنفاسهم ووقفت هى ترقبهم بعين ساخرة وترمقهم بنظرة متحفزة وكأنها تهزأ بقواهم وبنشاطهم. إنه لمنظر عادى ساذج قد تمربه كثيرا، ولكنه لا يستوقف منا إلا شاعرا متأملا متيقظ الذهن كأبي ماضى، الذى يعبر عنه بأسلوب واقعى عليه سحة من الخيال الطريف :

---

٣٤٤. المصدر السابق، ص ١٦٢

٣٤٥. الجداول، ص ٣٤

٣٤٦. ديوان الجداول ، ص ١١٧

٣٤٧. الشعر العربى فى المهجر، ص ١٣٨

٣٤٨. المصدر السابق، ص ١٣٨

Dhaka University Institutional Repository



وكم ركضت فأغريت الصغار ضحي  بالركض في الحقل، ملهاهم وملهاك
منوا باسر هم إياك أنفسهم  فاصبحوا بتمنيهم أساراك
جروا قصاراهم حتى إذا تعبوا  وقفت ساخرة منهم قصاراك[٣٤٩]

ولكن الفراشة قد أتعبت الصبيان وأتعبت نفسها أيضا، وما هي إلا لحظة حتى بدأت روحها تحشرج في صدرها، وغلب عليها الجهد، واعترى قواها الوهن والضعف، واسترخي منها الجناحان اللذان كانا قويين بحميانها، ولذا أطلق عليها الشاعر "الفراشة المحتضرة" ويؤثر هذا المنظر في نفس الشاعر ويتألم لمصيرها ويرثى لحالها، ويرى في فنائها فناء البهجة والحبور من الكونالذى كان زاهيا مشرقا فهبت عليه رياح الخريف وعصفت بما فيه، فلم تبق على شئ من الزهر والثمر، حتى الفراشة، ولذا فهو يخاطب تلك الرياح الهوج بقوله:

فيا رياح الخريف العاتيات كفى  عصفا، فقد كثرت في الأرض قتلاك
كيف اعتدارك، إن قال الإله غدا  هل الفراشة كانت من ضحاياك؟[٣٥٠]

وتعاود أبا ماضى نزعته الميالة إلى التفاؤل والاستبشار وحب الحياة فيقول:

ما أقدر الله أن يحييك ثانية  مع الربيع كما من قبل سواك
فيرجع الحقل يزهو في غلائله  و ترجعين وأغشاه فألقاك[٣٥١]

أما عن تفاعل الزمن مع الطبيعة في فصول ومواسم فلقد كان فصل الخريف حديث شعراء الرابطة القلمية في أكثر من مناسبة، فهو الفصل الذى تجف فيه الغصون وتهب عليها الرياح فتهز ما بقى من ثمارها، وتسقط ما اصفر من أورقها، هو فصل الاضمحلال والفناء والحزن واليأس. ولقد امتاز شعراء المهجر عموما، والرابطة القلمية خصوصا، بهذه الروح الحزينة التى تستولى عليهم وهذه الكآبة العميقة التى تلف حياتهم نتيجة لتجاربهم فيها وما قاسوه منها، فكان التفكير في الموت طبيعيا والخريف إيذان بفناء أي بموت. ثم إن نظرتهم إلى الحياة يشوبها الغموض والاضطراب فهم أشبه بأوراق الشجر في زمن الخريف، ترتعش وتتأرجح في مهب الريح متوقعة الفناء والسقوط في أية لحظة وكل وقت، فلا غرو، إذا، أن يطلق احد هؤلاء الشعراء- ولعله أكثرهم حزنا وكآبة- على ديوانه أوراق الخريف . إن في كل قصيدة من هذا

---

[٣٤٩] . الشعر العربى فى المهجر، ص ١٣٩
[٣٥٠] . المصدر السابق، ص ١٣٩
[٣٥١] . المصدر السابق، ص١٤٠

Dhaka University Institutional Repository



الديوان روح ورقة متارجحة في مهب الريح، وفي كل صفحة منه زهرة ذابلة ستهوى بعد قليل. استمع إليه يتحدث عن نفسه وشعوره زمن الخريف فيقول:

لما أطل الخريف أدركت إخفاقي
وقلت قول الأسيف سبحانه الباقي
وفي فؤادى الضعيف أعددت اشواقى
إلى النسيم اللطيف والجدول الباقى

ويروى ندره حداد في مقطوعة أخرى بعنوان "الخريف" قصة هذا الفصل باختصار، فالعش الذى كان ملؤه السلام والأمان، والذى بنته الام لتحمى فيه صغارها، وتظهر لهم من العطف والشفقة ما يجعلهم يبسمون حبا وسرورا، قد ولى وأصابه الفناء في زمان الخريف. والغدير الذى كان يهواه الشاعر ويزوره ليغسل فيه همه ويطرح على شاطئه فقر، قد جف حتى أصبح كالقبر لا حياة فيه. والغصون التى كانت تطل على الروابي بظلها الظليل وتحفظ سر الشاعر إذا جاء يبثها إياه، قد ذوت هى الأخرى وسقطت أوراقها فأضحت كالعليل الذى يتجرد من مظاهر الصحة والقوة. وإذن فكل شئ في زمن الخريف يصيبه الفتور وبعض الفناء، ولا ينجو من رياحه العاتية غصن ولا زهر.[٣٥٢]

ويتحدث رشيد أيوب عن ( الورقة المرتعشة ) التى هبت عليها رياح الخريف فاعتراها اصفرار يحاكي وشاح الغروب. ويقارن بين زمن الربيع وما يبعث في النفس من القوة النشاط والإحساس بالشباب وبين هذا الفصل الذى يصيب كل شئ بالضعف والخور، فهو أشبه بعهد المشيب الذى يطارد عهد الشباب:

أروح وفي الصدر بعد المشيب عراك جناه على الشباب
فقلب يدق بلحن الغرام ونفس تضلى بمحرابها

وأما ميخائيل نعيمه فإنه يخاطب ( أوراق الخريف ) الذاوية بلهجة الانسان المطمئن الذى لا يهمه شئ ولا يعتريه القلق الحلول هذا الفصل، بل على العكس نراه يبتهج لمنظر تلك الأوراق الساقطة ويسره مرآها:

تناثرى ..... تناثرى يا بهجة النظر
يا مرقص الشمس ويا أرجوحة القمر
يا أرغن الليل ويا قيثارة السحر

---

٣٥٢ . شعراء الرابطة القلمية ، ص ١٦٦

Dhaka University Institutional Repository



يا رمز فكر حائر ورسم روح ثائر
يا ذكر مجد غابر قد عافك الشجر
تناثرى .....تناثرى[٣٥٣]

وهكذا نرى أن شعراء الرابطة القلمية قد جددوا في موضوعات الشعر العربي حين التفتوا إلى فصل الخريف، ذلك الفصل العليل الحزين، يصفونه ويتحدثون عنه ويخاطبون أوراقه المرتعشة وزهوره الذابلة وفراشاته المحتضرة، ويقارنون بين كل هذا وبين ما في نفوسهم من رعشة وذبول واحتضار. والشعراء من قبلهم لم يتعودوا وصف هذا الفصل، ولم يهمهم الالتفات إليه بينما انصرفو إلى وصف فصل الربيع الذى يبعث في الرياض الخضرة والجمال وفي النفوس البهجة والاطمئنان، فهذا أبو عبادة البحترى يقول مستبشرا حين حل الربيع:

أتاك الربيع الطلق يختال باسما من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وسبقه أبو تمام فهتف قائلا:

دنيا معاش للورى حتى إذا حل الربيع فإنما هى منظر

وما زال فصل الربيع يفتن الشعراء ويثير في نفوسهم الإيحاء والإلهام على مر العصور حتى جاء أحمد شوقى فقال في وصفه:

ملك النبات بكل أرض داره تلقاه بالأعراس والأفراح

ولكن هذا الفصل الذى فتن الشعراء العرب طوال عصورهم وفي مختلف أماكنهم، لم يكن من السهل على شعراء الرابطة القلمية وهم من عباد الجمال أن يتناسوه جملة. إلا أن هذا الفصل إذا حل بينهم فإنه لا يبعث في نفوسهم البهجة والمرح كما كان يبعث في نفوس الشعراء قبلهم، ولا يجعلهم يطيلون التأمل في الزهر وألوانه والطير وأنغامه والدنيا بمحاسنها ونواحى الجمال فيها، بل نلاحظ أن كل ما كان يثيره الربيع في نفوسهم هو الشوق والحنين إلى بلادهم التى قدموا منها والتذكر والأنين على عهودهم التى مرت هناك ولن تعود.

وإذا كان الربيع جميلا موحيا في كل مكان يحل فيه، فلعله في سورية ولبنان أجمل منه في أي بلد آخر، لعله في تلك البلاد أدعى إلى الإيحاء والإلهام منه في أية بقعة من بقاع الشرق العربي، إن لبنان ربيع دائم بجباله المكسوة بأشجار الصنوبر الزاهية الخضرة، وغدرانه المترقرقة الفياضة وشلالاته المتدفقة التى تدعو إلى التأمل في بديع صنع الخالق. ولعمرى ما من

---

[٣٥٣] . الشعر العربى فى المهجر، ص ١٧٩

Dhaka University Institutional Repository



مكان رأيته يدعو إلى تذكر عظمة الباري وجلاله مثل شلال وادى قاديشا في شمالى لبنان قرب غابة الأرز الخالدة وجنوبي قرية بشرى بلدة عميد الرابطة جبران خليل جبران. أن تلك المناطق الجميلة البديعة المناظر تدعو إلى الدهشة والإعجاب في كل فصول السنة، وهى بالطبع أكثر إثارة لمواطن الجمال والإحساس به في فصل الربيع. والقول كذلك في سورية بغوطتها الفيحاء وأنهارها العذبة ووهادها وسهولها هذا هو ربيع سورية ولبنان اللتين غادرهما الشعراء في فجر الشباب الملىء بالإحساسات والعواطف، وأما عن ربيع أمريكا التى حل بها المهاجرون فمما لا شك فيه أيضا أنه باعث للشعور بالحسن والجمال في النفوس، وعين الشاعر كما قلنا تلحظ الحسن وتؤخذ بالجمال ولسانه يعبر عن هذا الإحساس في أشعاره وقصائده.

يحل الربيع الجميل بنوره وأنواره في أمريكا بعد مرور فصل الشتاء الطويل ببرده وقره، فيصرخ رشيد أيوب في أغانيه مرحبا مهللا، وكأنه صب قد طال عليه الانتظار:

مرحبا ذبنا اشتياقا يا ربيع  يا خفيف الروح أهلا مرحبا
كلما ضاء محياك البديع  هبت الأرض تباهى الكوكبا

فلتنظر إلى ما في تعبيره – ذبنا اشتياقا – من عذوبة في النغم ورقة في المعنى، تعبير عادى مألوف بين الناس أخذه الشاعر وأسبغ عليه حلة من النعومة والجمال والربيع دائما فصل الشباب المتجدد وفصل القوة والحيوية وأحلام الصبا، يفرح به الشباب أكثر من الشيوخ لأنه يشبه نفوسهم الغضة الفتية. ولكن شعراء المهجر ما وصلوا إلى بلاد هجرتهم إلا وقد غادروا عهد الشباب أو كادوا، خلفوه في لبنان مع ذكريات عذبه وعهود جميلة مرت ولن تعود. فهم لذلك يحسون عند حلول الربيع في أمريكا حنينا إلى ذلك الشباب الذى تجاوزوه وشوقا لتلك العهود التى قضوها هناك. ونراهم دائما يقارنون بين فصل الربيع الذى يأتي ويذهب ثم يعود من جديد بتتابع لافصول، وبين ربيع حياتهم الذى ولى وليس له من رجوع، فيقول رشيد أيوب أيضا مخاطبا الربيع:

عجبا، تمضى زمانا وتعود  وربيع قد مضى لم يرجع

ويقول في "هى الدنيا" متسائلا، متذكرا أيامه بالحمى وقت الربيع:

قالوا ربيع قلت أين الصبا
أين الفراشات وأين الطيور
أيام اعدو خلفها حافيا
وكيفما في الحقل دارت أدور
طائرة  لكننى  مثلها

Dhaka University Institutional Repository



من فرحى ما بين تلك الزهور

وكل ما في الوجود لنا حلال مباح

لا عاذل لا حسود لا غربة لا انتزاح

هذا ربيع اعطنى مثله

وخذ إذا ما شئت كل الدهور

وشعراء الرابطة القلمية، إذا ما حل بهم الربيع، فإنهم كما رأينا يرحبون به ترحيبهم بضيف عزيز غاب عنهم زمنا وانقطعت أخباره مدة، ثم ظهر بينهم فجأة، فهم يخفون للقائه ويتبارون في إظهار أشواقهم ومحبتهم له. ونراهم كذلك يبدأون في الشكوى له من الفصل السابق الذى ولى بزمهريره ورياحه وليله الطويل، ونلاحظ أنهم لا يميلون إلى هذا الفصل من فصول السنة، ويترقبون زواله. يقول ندرة حداد في حديثه عن الربيع:

ولى الشتاء وما برحـ ـت مع الزمان أحاذره

حذر الأسير وقد تغيـ ـب عنه حينا آسره

ليلى به ليل المعذ ب ليس يدرك آخره

كالكهف لا نجم إذا غاب الحبيب أسامره

بحر وقد مخرت بأنـ ـواع الهموم مواخره

وهذا البيت الأخير لندره يذكرنا ببيت إمرئ القيس المشهور:

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى

ويأتى لذكر الربيع فيظهر شغفه به وشوقه إليه ثم يقول، وكأنه يضرب على نفس النغمة التى يضرب عليها غيره من الزملاء حين يذكرون الربيع:

هو خالد وصبای ماض لن تعود مظاهره

وكلمة "الصبا" هذه كثيرة الورود والتكرار على ألسنة شعراء الرابطة المهاجرين ولعلها كل ما بقى لهم من تذكارات في أرض الوطن البعيد. يقول رشيد أيوب في ختام حديثه عن الربيع:

أنا لولا ذكر أيام الصبا قلت يا نفس إذا شئت اذهبى

غير أنى كلما هبت صبا أنعشت قلبى بذكر طيب

Dhaka University Institutional Repository



وإلى جانب ما يثير الربيع في نفسه من الأشجان والذكريات، فإنه أحيانا يبعث فيها الأمل والأماني في الحياة، فنراه بعد كثرة ترديده للشوق، وبعد طول نواحه وبكائه، يستسلم للأمر ويرضى بالذى كان فيقول:

لا أبالى إن حللت، المغربا  طالما شمس المنى لم تغرب

وأبو ماضى أيضا يشكو طول الشتاء وما يثيره في نفسه من الهموم والأحزان، وما يبعث في صدره من الضيق والانقباض حتى ليشعر بطول أيامه ولياليه، ويتوهم بطء ساعاته ودقائقه، فهو يفرح لذهابه ويصفق لحلول الربيع، ويدعو أمانيه للانطلاق:

لقد تولى الشتاء عنا  فصفقى يا منى وطيرى

وهكذا نرى أن فصل الربيع بوروده وأزاهيره وبأطياره وأنغامه، ومباهجه ومفتنه، لم يثر في نفوس شعراء الرابطة القلمية ملكة الوصف التى أثارها عند غيرهم من الشعراء، وإنما أثار فيهم عواطف الشوق والحنين والتذكار، واتخذوه رمزا لزمان ولى ولوطن غاب عنهم، ولكنهم أبدا يحنون إليه. أما طبيعة أمريكا التى تتجلى في هذا الفصل الباسم المشرق فلم تظهر في شعرهم ولم يصفوها إلا نادرا ولعلنا لو حاولنا البحث عن عدد القطع التى يصورون فيها مناظر أمريكية وأماكن طبيعة في العالم الجديد لوجدناها لا تتعدى أصابع اليد الواحدة. ومن هذه القطع في وصف أمريكا قطعة "فلوريدا" للشاعر إيليا أبى ماضى، يبدؤها بقوله:

يا جنة قبلما حلت بها قدمى  أحببتها قصة واشتقت راويها

ويأتى وصفه لها في أسلوب عادى لا تجديد فيه، يضعه الشاعر في صيغة استفهام وإجابة عنه، وكأنه مجرد كلام لا شعر منظوم:

سئلت ماراق نفسى من محاسنها؟  فقلت للناس : باديها وخافيها

وما حببت من الأشجار؟ قلت لهم:  إنى افتتنت بكاسيها وعاريها

وما هويت من الازهار؟ قلت لهم  الحب عندى لناميها وذاويها

قالوا: وما تتمنى ؟ قلت مبتدرا:  يا ليتنى طائر أو زهرة فيها

وقد يكون عذره في هذا أنه قالها في حفلة تكريم أقامها له أصدقاؤه في تلك البلاد، فكأنه جعل الوصف مقدمة لمدح هؤلاء المضيفين الكرام، فانتقل منه إلى قوله فيهم:

كل الذى لاح لى في أرضها حسن  وأحسن الكل في عينى أهاليها

Dhaka University Institutional Repository



ومهما يكن الأمر فإن طبيعة فلوريدا لو كانت اقوى إثارة من هذا في نفس الشاعر لأصابت منها مواطن الإحساس والانفعال، ولعبر عنها بشعر أقوى من ذاك وأجمل بكثير، ولكن كما ذكرت ما كانت طبيعة أمريكا لتغوى شعراء الرابطة القلمية يوما وهم الذين لا يؤمنون بطبيعة غير طبيعة بلادهم الأصلية، ولا يعجبون بجمال سوى جمالها.

ويقف رشيد أيوب على نهر "الهدسون" الذى تقوم عليه مدينة نيويورك محاولا وصف هذه المدينة بمبانيها الشامخة وأضوائها اللامعة وعمارتها الشهقة التى تناطح السحاب، فإذا نيويورك بجمالها وعظمتها، والهدسون بحسنه وبهائه، لا يستوليان على عقله وقلبه، ولا يملكان عليه كل عواطفه، فيتجه نحو بلاده التى قدم منها يخابطها ويحن إليها، فتأتى قصيدته في وصف نيويورك مبدوءة بالشوق والحنين والتذكر الأنين، وكأن هذه الأشياء هى مفتاح القصيدة عنده كما كان البكاء على الأطلال مفتاح قصائد الجاهلين ومن جاء بعدهم.

يقول رشيد أيوب:

تذكرت أوطانى على شاطئ النهر فجاش لهيب الشوق في موضع السر
وأرسلت دمعا قد جنته يد النوى على فأمسى في منتحب القطر

ونراه يعلل زيارة إلهة الشعر له بقوله:

إذا ما نسيم السوق هز قريحتى تساقط منها الدر في روضة الشعر

حتى إذا ما وصل إلى وصف نيويورك نفسها كان أول ما بهره منها ناطحات السحاب التى تنافس الشهب في أنوارها المضاءة ليلا، وتبدو في النهار وهاجة تدت أشعة الشمس كالعرائس المجلوة في ثياب مطرزة الذهب. ويصور علو قممها تصويرا طريفا حين يقول:

وإن ضحك البرق الهتون مداعبا ذراها انثنى بين المخافة والذعر
تمر الرياح الهوج غضبى عواصفا على كل برج شامخ باسم الثغر
كأن يد الأيام عنه قصيرة وطرف الليالى تاه في المهمه القفر

ويصف ازدحام طرق المواصلات المختلفة في هذه المدينة الكبيرة التى لا تمل الحركة ولا تظهر للقادم إليها سوى البشر والابتسام، فيقول:

كأنى بالصبواى يوم تجمهرت بها الناس خلت الناس في موقف الحشر

Dhaka University Institutional Repository



تروح بها الكارات[٣٥٤] ملأى خلائقا وترجع فيها مثقلات إلى الجسر
عجبت لأرض كيف غصت بشعبها وما برحت تلقى التهافت بالبشر

ومرة أخرى في هذه القصيدة يصف الرياض والحدائق الغناء ومن فيها من الحسان الغاديات والرائحات فيظهر في قوله أثر الشرق واضحا جليا إذ يقول:

وكم روضة غناء هب نسيمها فأحيا مؤادا كان في ظلمة القبر
ترى الغيد فيها كالظباء بمكة سرحن ولكن صيدهن من الكفر
وكم هيجت قلب المشوق حمامة بتغريدها من فوق أغصانها الخضر.
كأنى وإياها غريبان نشتكى صروف الليالى والليالى بنا تزرى

فهو هنا يقتبس معنى شرقيا إسلاميا في البيت الثانى، ويتشبه بشاعر عربى في البيتين الأخيرين هو أبو فراس الحمداني، الذى لازم الحمامة ولازمته في شعره وخاطبها بقوله:

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالى أقاسمك الهموم تعالى

والذى يعنينا من كل هذا هو أن طبيعة أمريكا لم تؤثر في نفوس شعراء الرابطة القلمية ولم ينطلق وصفها على لسانهم إلا في النادر من الأحيان. وحتى إذا وصفوها بهم لا يبدأون في ذلك حتى تتبادر إلى أذهانهم طبيعة بلادهم لتحل محل الطبيعة الجديدة. وهذا ينقلنا إلى الحديث عن أثر بلادهم وطبيعتها في شعرهم.[٣٥٥]

---

[٣٥٤]. وكلمتا الصبواى و الكارات غير عربيتين ، يقصد بالأولى طرق المواصلات المقامة تحت الأرض ، و يطلق عليها بالإنجليزية (Subway) والثانية بمعنى السيارات أخذ المفرد الأجنبى (Car) وجمعه جمع مؤنث سالم بالعربية ربما ليستقيم معه الوزن.

[٣٥٥]. شعراء الرابطة القلمية ، ص ١٧٣

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الثانى : التجديد في الصياغة

## ١- التجديد في الأوزان:

ولكن الشعر ليس معانى وأفكارا فحسب، بل هو أوزان وألفاظ تنتظم تلك المعانى والأفكار، ومن هنا كان اسمه شعرا وجاء التفريق بينه وبين ما يسمى نثرا. وإذ أن أعضاء الرابطة القلمية كانوا شعراء قبل كل شئ، كان عليهم أن يصوغوا أفكارهم وأراءهم وما أحدثوا من موضوعات في أساليب من الشعر ذات ألفاظ وأوزان ترتضيها أذواقهم.

ونلاحظ أنهم لم يرضوا عن جميع الأوزان الشعرية القديمة المطروقة، وخاصة تلك الأوزان ذات البحور الطويلة التى أكثر منها شعراء العرب قبلهم كالبسيط والمديد والطويل وبالتالى نلاحظ عندهم ميلا إلى استعمال البحور القصيرة أو المجزوءة التفاعيل في معظم الأحيان. ولعل جميع شعراء الرابطة القلمية مشتركون في أعجابهم بالتوشيح من أوزان الشعر. والموشحات قديمة لم يوجدها شعراء المهجر ولا شعراء الرابطة القلمية منهم خاصة. فقد وجدت منذ وجد الأدب العربي في بلاد الأندلس أوحت بها طبيعة تلك البلاد الجميلة على شعراء عرفوا بها من مثل ابن زهر وابن سهل ولسان الدين بن الخطيب. ونظر شعراء الرابطة القلمية في هذه الموشحات فوجدوها طريفة بين الأوزان الشعرية، مستحدثة بالنسبة لتلك البحور القديمة الشائعة، فمالوا إلى استعمالها والإكثار منها، وخاصة أنهم وجدوا فيها طرافة موسيقية وأنغاما عذبة سائغة، وسهولة وطواعية للتعبير وقربا من الكلام العادى المنثور. فمن ذلك قطعة لجبران بعنوان ( بالله يا قلب) يقول فيها:

بالله يا قلبى اكتم هواك
واخف الذى تشكوه عمن يراك تغنم
من باح بالأسرار
يشابه الأحمق
فالصمت والكتمان
أحرى بمن يعشق
بالله يا قلبى إذا أتاك مستعلم يسأل عما دهاك فاكتم
مستعلم يسأل عما دهاك فاكتم

Dhaka University Institutional Repository



ولم يكتف شعراء الرابطة بتقليد الموشحات الأندلسية التى اعتبروها جديدة في باب الشعر العربى، وإذا لنراهم يجددون هم الآخرون في أوزان هذه الموشحات وفي بحورها المختلفة، ومن الواضح أن هذه الموشحات حين انشاها الأندلسيون وضعوا لها أوزانا خاصة وطريقة معينة في النظم وجاء شعراء الرابطة القلمية فساروا على دربهم وزادوا شيئاً يسيرا من عندهم فهذا رشيد أيوب ينظم موشحة لطيفة عذبة رقيقة الألفاظ في ذكرى لبنان ونجد شبها كبيرا بينها وبين الموشحات الأندلسية، ولكنه في مرة أخرى ينظم موشحة في الحنين أيضا ويجعل عنوانها "خليانى" وهي الكلمة التى جعلها لازمة لأبيات المقطوعة، يبدؤها بقوله:

يا خليلى إذا شط المزار　　بفؤاد اد ماله غير الزفير

وهمى دمعى لدى ذكر الديار　　خليانى

فهو قد جمع فيها بين الشعر الموزون المقفى الشطور وبين التوشيح الأندلسى المبتكر.

وفي موشحة نسيب عريضة التى عنوانها "النعامى" طرفة وجدة ظاهرتان فهو لا يسير فيها على طريقة الموشحات الأندلسية تماما، بل يغير ويبدل ويدخل ما شاء له النغم الموسيقى من زيادة في التفاعيل أو نقص منها، وهو يقسم القصيدة إلى أن تلتقى بتاليها في توافق وانسجام جاءت هذه القصيدة الطريفة أشبه بأوبريت غنائية صالحة للتلحين ملائمة كل الملائمة للنغم الموسيقى. اسمعه يقول في أحد أدوار هذه المقطوعة:

هيا بنا يا ندامى!!!
فقد أتتنا النعامى
تجر ذيل الربيع
قد زال قيد الثلوج
هيا ابصروا في المروج
جسم الجمال البديع

وهو هنا يستعمل أحد البحور العربية القليلة الاستعمال في الشعر العربى وهو « المحتث » ويضعه في قالب من التوشيح الأندلسى البديع ثم يقول في دور تال:

النعامى ترنحت..... النعا.....مى!!
والرخامى.. ترخمت.... الرخامى

Dhaka University Institutional Repository



فهلموا إلى الربى.... يا ندامى!!
لا تقولوا على الصبا..... يا سلاما،،[٣٥٦]

ومن جهة أخرى، فإنا نجد نسيب عريضة يمزج في هذه القصيدة بين بعض البحور الشعرية القديمة وبين التوشيح الأندلسى مزجا ملائما فيه كثير من التوافق والانسجام. ولا شك أن هذا التجديد الذى أحدثه نسيب عريضة وغيره من شعراء الرابطة القلمية في الموشحات وأوزان البحور الأخرى قد جاءهم من اطلاعهم على أساليب الشعر الغربي من إنجليزى وأمريكى وفرنسى وروسى، فمعظمهم كان يعرف لغة من هذه اللغات على الأقل، وفي هذا المعنى يقول الدكتور أنيس المقدسى عند حديثه عن فن التوشيح ، أما اليوم فهناك اتجاه عام إلى إحيائه والتفنن في أساليبه ولا سيما بين الذين احتكوا بالعالم الغربي واطلعوا على أساليبه الشعرية، كما سنرى في منظومات المهاجرين من أعضاء الرابطة القلمية في أمريكا الشمالية أو العصبة الأندلسية في الجنوب وسواهم. فالتوشيح الجديد متأثر من جهة بالطريقة الأندلسية ومن جهة أخرى بأساليب النظم عند الغربيين، ويظهر هذا التأثير المزدوج في موافقته للتوشيح في الأندلس ومخالفته له في عدم التقيد بالمطالع اللازمة.[٣٥٧]

وإذا كان شعراء الرابطة القلمية قد مالوا بطبيعة أذواقهم المثقفة وتأثرهم بأشعار الغربيين إلى الموشحات، فليس معنى هذا أنهم قد استغنوا عن بحور الشعر العربى القديم المعروفة جملة وتفصيلا، فهم ما زالوا ينظمون على تلك البحور التى نظم على أوزانها أمثال أبى نواس والمعرى والمتنبى وشوقى وحافظ وغيرهم من أعلام الشعر في الشرق العربى على مدي العصور، و بعض منهم تأثر بهؤلاء الشرقيين إلى درجة كبيرة كما فصلنا في فصل سابق، من أمثال أبى ماضى في إنتاجه الأول وعريضة في بعض قصائده العربية الصميمة.

ولكن على الرغم من هذا فهناك اتجاه عام يلاحظه الدارس لدواوين شعراء الرابطة هو أنهم كثيرا ما يتصرفون في تلك البحور المألوفة ولا يبقونها على ما هي عليه أو يسيرون في تقليدها بحذافيرها، فاقرأ معى مقطوعة لنعيمه بعنوان من سفر الزمان وانظر كيف تصرف في البحر الذى أراده لها وكيف غير في قوافي أبياتها وروى كلماتها، إنه يخاطب في أولها السنة المدبرة بقوله:

---

٣٥٦. المصدر السابق، ص ٢٣٢
٣٥٧. الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ، (بيروت : دار العلم للملايين ،١٩٨٨م)، ج ٢ ، ص ١٩٣

Dhaka University Institutional Repository



روحى؟ فكم شبت وشابت ستين
من قبل أن بانت حواشيك
واليوم كف الدهر تطويك
عنا، ومن يدرى متى تنشرين

روحى وخلينا
بالارض لاهينا
نرعى أمانينا
في مرج أوهام
ما بين أيام واعوام.....
تأتى وتمضى وهى سر دفين

ثم استمع معى أيضا إلى إيليا ماضى يتحدث على لسان العميان فيقول:

كم خفضنا الجناح للجاهلينا
وعذرناهم فما عذرونا
خبروهم يا ايها العاقلونا
إنما نحن معشر الشعراء يتجلى سر النبوة فينا

فقد تفنن الشاعر في صياغة قصيدته من الوزن الشعرى المعروف ببحر. الخفيف فجاءت في طريقة صوغها وأنغام موسيقاها أقرب إلى الشعر الأجنبى بوجه عام. ومن هذا القبيل إحدى مقطوعات عريضة التى تؤلف جزاءا من ملحمة على طريق إرم والمقطوعة بعنوان القلوب على الدروب ويقول فيها:

يا حداة القلوب رفقا طال درب الهوى وشقا
فإلى م القلوب تشقى هل لها وقفة فتلقى
راحة في الدروب
يا حداة القلوب

ثم :

خيم الليل فوق ركب أثقلتهم رحال حب
ليس يدرون أى درب ينتهى باللقاء وقلبى

Dhaka University Institutional Repository



في مطايا الركوب
كاد شوقا يذوب

وبالرغم من أن البلاغيين والعروضيين العرب قد عدوا من عيوب الشعر التضمين وهو تعليق قافية البيت بصدر البيت الذى بعده - فإن تعليق كلمة قلبى بهذه اللازمة التى تليه جاء جميلا مناسبا.[٣٥٨]

---

٣٥٨ . المصدر السابق، ص ٢٣٣-٢٣٤

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الثالث : التجديد في الموسيقى الشعرية

ولم يكتف هؤلاء الشعراء المجددون بالتنويع في أوزان الأبيات وبحورها فحسب، بل نراهم يشنون حملة شعواء على ذلك القيد الذى رضى به الشعراء العرب على مر العصور وكبلو به قصائدهم وأشعارهم وهو قافية فيقول ميخائيل نعيمه في حديثه عن الشعر : إن القافية العربية السائدة إلى اليوم ليست سوى قيد من حديد يربط قرائح شعرائنا، وقد حان تحطيمه من زمان. [٣٥٩] وكان طبيعيا ألا يكتفى نعيمه بهذه الحملة النظرية، لا سيما وهو شاعر إلى جانب كونه ناقدا للشعر، فنراه يطبقها في معظم ما نظم من أشعار، إنه يبدأ القصيدة على وزن معين وقافية معينة، ولكن ما يكاد ينشئ هذه القافية التى بداها ببيتين أو ثلاثة أو أربعة حتى يملها وتحن نفسه الشاعرة إلى الانطلاق منها فيغير فيها وينظم مجموعة من الأبيات على قافية مخالفة، ثم قد يعود لقافيته الأولى في المجموعة من الأبيات على قافية مخالفة، ثم قد يعود لقافيته الأولى في المجموعة الثالثة وقد يستمر في التغيير والتبديل، وكل قصائده في همس الجفون تكاد تكون على هذه الشاكلة من الشعر التجديدى المنطلق في رحاب واسعة تتأبى على كل قيد وتنفر من كل حبس. ولم يكن نعيمة هو الوحيد في استخدام هذه الطريقة الشعرية، بل سار وراءه جميع عمال الرابطة، ونجدهم أحيانا ينظمونا هذا التغيير والتبديل ولا يأتون به جزافا وحسب ما يهوون، فبعض قصائدهم نجدها مقسمة إلى مجموعات من الأبيات كل مجموعة تسير على قافية بعينها وقد تقتصر المجموعة الواحدة على بيتين من الشعر، أو ثلاثة، ومن أمثلة هذه الطريقة قطعة لنعيمه بعنوان الطريق يقول فيها:

نحن يا بنى عسكر قد  تاه في قفر سحيق
نرغب العود ولا نذ  كر من أين الطريق
فانتشرنا في جهات الـ  ـقفر نستجلى الأثر
تسأل الشمس عن الدر  ب ونستفتى الحجر
وسنبقى نفحص الآ  ثار من هذا وذاك
ريثما ندرك أن الد  رب فينا لا هناك

وعريضة مكثر جدا من اتباع هذه الطريقة في شعره، من ذلك قصيدة التى أهداها إلى فتيان سورية المتطوعين في الحرب العالمية الأولى والتى مر ذكرها في غير هذا الموضع، وهي بعنوان نفس الشجاع ثم قصيدته " من نحن؟ " التى يقول فيها:

---

[٣٥٩] . الغربال، ص ٧٠

Dhaka University Institutional Repository



أبت لياليا الطرب واستوحشت أيامنا
والعمر ولى وذهب ولم ننل منه المنى
همنا بربات الجمال فما قنعنا بالصور
وكم ظفرنا بالوصال فلم نجد فيه الوطر
من نحن؟ هل نحن بشر نحيا ونمضى حالمين
أم نحن من طين الضجر لسنا كباقى العالمين؟

وله أيضا قصيدته التأملية أمام الغروب وهى من هذا الشعر المزدوج القافية كذالك، ومثلها قصيدتاه مركب الفؤاد و الملك الأسير .

ولأبى ماضى قصيدة بعنوان "أمة تفنى وأنتم تلعبون" نظمها على هذه الشاكلة من تقسيمها إلى مجموعات خماسية الأبيات يسير البيتان الأولان من هذه الخمسة على قافية بعينها والثلاثة الباقية على قافية أخرى، ويقفى المجموعات التالية بقواف مخالفة على نفس الطريقة، وقد بدأها بقوله:

أعلى عينى من الدمع غشاء أم على الشمس حجاب من غمام
غاص نور الطرف أم غارت ذكاء لست أدرى غير أنى في ظلام
ما لنفسى لا تبالى الطربا أين ذاك الزهر، أين الكلف.
عجبا ماذا دهاها عجبا فهى لا تشكو و لا تستحلف
ليتها ما عرفت ذاك النبا فالسعيد العيش من لا يعرف

ولعل أكثر شعر أيوب يسير على هذه الطريقة الشائعة بين شعراء الزابطة،[٣٦٠] وأحيانا يضيق هؤلاء الشعراء بالقافية التى تقيد الأبيات فيطرحونها جملة ويكتفون بتقفية كل بيت من قافية مخالفة للبيت الأخر، وكأن القصيدة مكونة من أبيات مشتركة في الوزن والبحر الشعرى ذات قواف متعددة بتعدد أبياتها، وهذه الطريقة كانت شائعة بين بعض شعراء العرب في العصر العباسى كأبى العلاء وأبى العتاهية وغيرهما، وكان ينظم بها شعر الزهد والحكمة أحيانا وبعض المتون الشعرية العلمية بغية التسهيل في حفظها، وأشهر مثال عليها ألفية ابن مالك.

---

٣٦٠. رشيد أيوب ، الأيوبيات ، ( بيروت ١٩٥٩م ) ، ص ٥، ١٢، ٢٠، ٣١، ٥٣، ٦٥ ؛ أغانى الدرويش ، ص ٢٩، ٤٠، ٤٨ ؛ هى الد نيا، (بيروت١٩٥٩م)، ص ٤٩، ٥٨، ٩٣، ١٠٤

Dhaka University Institutional Repository



ويجب ألا نغفل ولوع شعراء الرابطة القلمية بالرباعيات، وأكثرهم نظما فيها نسيب عريضة ورشيد أيوب ولكليهما رباعيات شبيهة برباعيات الشاعر الفارسى عمر الخيام، وفي ديوان "هى الدنيا" مجموعة من الرباعيات بعنوان "تطوينى وأطويها" مليئة بالشوق والحنين، منها:

من مبلغ فرط شوقى جيرة الوادى
واها لقد جارت الدنيا بإبعادى
وصرت لما وهت أيام ميعادى
إلى الرجوع بأحلامى أداويها

ويقول رشيد أيوب، وكأن روح الخيام ترفرف على رباعياته:

يا نفس قد قل عندى زيت مصباحى
قومى اشربى من كميت الراح وارتاحى
دنيا تساوى بها النشوان والصاحى
لا خير في عيشها لولا أمانيها...

وأما نسيب عريضة فيظهر أثر رباعيات الخيام اكثر وضوحا عنده وتشع روحه من خلال أبياته التى يقول فيها:

شربت كأسى أمام نفسى وقلت: يا نفس ما المرام؟
حياة شك وموت شك فلنغمر الشك بالمدام
آمالنا شعشعت فغابت كالآل أبقى لنا الأوام
لا بأس ليس الحياة إلا مرحلة بدؤها ختام

وأما ندره حداد فهو يضيف إلى رباعياته بعض الكلمات الموزونة المقفاة ويجعلها لازمة لكل مجموعة من رباعياته فتأتى من نوع طريف مبتكر إذا يقول:

إن رأيت الفقير يهتز ضعفا سائلا من يمر عونا وعطفا
ورأيت البخيل يجتاز خطفا لا يبالى وليس يبسط كفا
لا تذمى ميوله وشعوره
فهو بلا وجدان[٣٦١]

---

[٣٦١] . شعراء الرابطة القلمية ، ص ٢٣٩

Dhaka University Institutional Repository



ومن أبدع قصائد رشيد أيوب التى لا تخلو من موسيقى تصويرية تعبر عن معانى أبياتها وتوحى برنين كلماتها قصيدته المسافر فهى تمتاز إلى جانب وزنها الشعرى الجميل بتغير ألفاظها وانتقاء مخارج الحروف في كل منها:

دعته الأمانى فخلى الربوع وسار وفى النفس شئ كثير
وفي الصدر بين حنايا الضلوع لنيل الأمانى فؤاد كبير
فحث المطايا وخاض والبحار ومرت ليال وكرت سنون
ولم يرجع

إن في هذه العين الساكنة التى ختم بها الشطرين الأولين من بيتيه بعد المد بالواو لإيحاء بما كان يجول في خاطره من حيرة واضطراب وألم وعذاب، كما أن في بيته الثالث تصويرا صادقا وتعبيرا دقيقا وخاصة في قوله: ومرت ليال، وكرت سنون، ولم يرجع ثم إن في التزامه هذه اللازمة العينية بعد كل مجموعة ثلاثية من أبياته، كثير من التوفيق وحسن الأداء. اسمعه يقول في الأبيات التالية مكملا قصة هذا المسافر الذى ترك بلاده وأهله وخاض غمار البحار باحثا عن الحرية والمجد:

وألقى عصاه وحط الرحال بأرض الأشاوس والأشبل
تنم عليه فعال الرجال كما نمت الريح بالمندل
وراح يغنى بصفو الزمان غناء البلابل فوق الغصون
على مسمعى

وديوان أوراق الخريف للشاعر ندره حداد ملئ بأمثال هذه الأنغام المشجية والألحان الرنانة التى كثيرا ما يوحى بها جلال المناسبة وجمال الموضوع، يقول الشاعر في أغنية الخريف وكأنه يرتل كلماته على أنغام المزمار الذي ذكره:

يمر ذكر الصبا أنعام مزمار
أو نفح زهر الربى في شهر أبار
ما قيل لى مرحبا في كل أسفارى
إلا وقلبى صبا للأهل والدار

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الرابع : النثر الشعرى، والشعر المنثور

وإذا ذكرنا التجديد في أوزان الشعر عند شعراء الرابطة القلمية فلا يصح لنا أن نغفل ذلك النوع من البيان الجديد الذى عرف به بعضهم وشاع في وقت من الأوقات في هذا الشرق العربى حتى أخذ البعض في تقليده والنظم على نهجه، وأعنى به الشعر المنثور وإذا أردنا تعريف الشعر المنثور فيحسن بنا أن نرجع إلى كلمات منشئ هذا النوع من البيان العربى وهو الكاتب والفيلسوف اللبنانى أمين الريحانى فنجده يقول: يدعى هذا النوع من الشعر الجديد ( Vers Libres) بالإفرنسية، والإنجليزية (Free Verse) ، أي الشعر الحر أو بالحرى المطلق. وهو آخر ما اتصل إليه الارتقاء الشعرى عند الإفرنج وبالأخص عند الأميركيين والإنكليز. فملتن وشكسبير أطلقا الشعر الإنكليزى من قيود القافية، وولت وتمان الأميركى أطلقه من قيود الغموض كالأوزان الاصطلاحية وألا يبحر العرفية. وعلى أن لهذا الشعر المطلق وزنا جديدا مخصوصا، وقد تجئ القصيدة فيه من أبحر عديدة متنوعة [٣٦٢] وإذن، فإن أمين الريحانى، وهو أول من كتب بهذه الطريقة الشعرية الجديدة والتى أخذها عن الشاعر الأمريكى ولت وتمان يضع حدا لتعريف هذا الشعر وأن له أوزانا خاصة ومميزات معينة. فكأنه يريد أن يقول: إنه ليس كل كلام نثرى فيه شئ من العاطفة وصدق التعبير وحسن الأداء وجرس الكلمات شعرا منثورا كما قد يظن بعض الناس. ومع ذلك فإنا نجد أحد مؤرخى الأدب في لبنان وهو الأب لويس شيخو اليسوعى يخلط بين هذا الشعر المنثور وبين ما يمكن أن نسميه نثرا شعريا جميلا فيعرف الإثنين تعريفا واحدا يقصد به الشعر المنثور الذى ابتكره أمين الريحانى ونحا فيه نحو الإفرنج. وقد فطن لهذا الخلط الدكتور أنيس المقدسى في كتابه الاتجاهات الأدبية في العالم العربى الحديث فقال عند حديثه عن التجديد في الأساليب الشعرية:

وهنا لا بد لنا من التمييز بين النثر الشعرى والشعر المنثور. فالأول: أسلوب من أساليب النثر تغلب فيه الروح الشعرية من قوة في العاطفة وبعد في الخيال وإيقاع في التركيب وتوفر على المجاز وقد عرف بذلك كثيرون وفى مقدمتهم جبران، حتى صاروا يقولون: الطريقة الجبرانية.[٣٦٣] ثم يعرف الشعر المنثور بقوله: والشعر المنثور غير هذا النثر الخيالى، وإنما هو محاولة جديدة قام بها البعض محاكاة للشعر الإفرنجى. وممن فتحوا هذا الباب، أمين الريحانى.[٣٦٤]

---

[٣٦٢] . أمين الريحانى، الريحانيات (بيروت١٩٢٢)، ج ٢ ، ص ١٨٢
[٣٦٣] . الاتجاهات الأدبية، ج ٢ ، ص ١٩٧
[٣٦٤] . المصدر نفسه، ص ١٩٨

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الخامس : التجديد في الألفاظ

هذا من ناحية التجديد في الأوزان الشعرية وبحور القصيدة العربية. أما من ناحية الألفاظ وما اشتقه شعراء الرابطة من كلمات جديدة لم يستعملها الشعراء قبلهم فيحسن ألا يبلغ بنا التفاؤل غاية بعيدة في هذا الباب، إذ لن نجد في دواوين شعراء الرابطة مجموعة كبيرة من مثل هذه الكلمات والمشتقات، صحيح إنهم عاشوا في بيئة أجنبية وكانوا يتكلمون لغة البلاد الأجنبية في معظم معاملاتهم وأغلب أوقاتهم. ولكنهم حين كان يجلس الواحد منهم لينظم قصيدة فقلما كان يستوحى في نظمه غير موضوعات وطنه ومناظر بلاده وأخبار أهله وجماعته، كما تبين لنا مما سبق. ومن هنا فإن الكلمات التى سيعبر بها عن هذه الحالات الشعرية لابد أن تكون شرقية صميمة، مستوحات من صميم الموضوع. ولكن من الجدير بالذكر أيضا أنهم كانوا يتوخون استخدام الكلمات وقربها إلى النفوس. وقد مرت بنا أمثلة كثيرة من هذا الشعر السهل الرصين، الذى لا يجد المرء صعوبة في قرائته ولا في حفظه.

وليس معنى هذا أنهم يكثرون من استخدام الكلمات العامية، بل على العكس، إنك لا تجد في دواوينهم سوى كل فصيح مليح. ولا مانع عندهم، في الوقت نفسه، من اللجوء إلى بعض هذه التعابير العادية إذا وجدوها ملائمة للغرض وافية بالمطلوب غير قبيحة أو سخيفة. وقد عاب بعض النقاد على جبران خليل جبران استخدامه كلمة تحمم بدل استحم حين قال في مواكبه:

هل تحممت بعطر وتنشفت بنور؟

فقام ناقد الرابطة ميخائيل نعيمه يدافع عن وجهة نظر جبران دفاعا يعبر لا عن رأية كنا قد فحسب، بل عن رأي الرابطة القلمية التى يمثلها. ويتلخص هذا الرأي في أنه لا مانع لشاعر من الشعراء أن يشتق كلمة من الكلمات ويستخدمها في شعره باعتبارها جديدة في اللغة، ويجب ألا يستغرب منه ذلك ما دام قد وجد ضرورة له، وإلا فكيف جاز للبدو والأعراب أن يخترعوا كلمات اللغة ويوجدوها وأخذناها نحن عنهم طوال هذه السنين والأجيال[٣٦٥] وقد لا نعدم الدليل على مثل هذه الاشتقاقات والكلمات الغريبة في دواوين شعراء الرابطة، فمن ذلك استخدام إيليا آبى ماضى لكلمة غرابيب بدل غربان[٣٦٦] وهى ليست معجمية صحيحة. وهناك أمثلة أخرى قليلة في بعض أشعار الآخرين.

---

٣٦٥ . الغريال ، ص ٨٠

٣٦٦ . الجداول، ص ٦٨

Dhaka University Institutional Repository



والقارئ في ديوان "الأيوبيات" لرشيد أيوب، يلاحظ أنه يستخدم أحيانا بعض الألفاظ الأجنبية في صورة كلمات عربية يعربها هو ويدخلها في شعرى، من مثل قوله، في وصف مدينة نيويورك:

كأنى بالصبواى يوم تجمهرت بها الناس خلت الناس في موقف الحشر
تروح بها الكارات ملاى خلائقا وترجع فيها مثقلات إلى الجسر

وكلمتا الصبواى، والكارات، أخذتا عن الإنجليزية كما أسلفنا[٣٦٧] وفي قطعة أخرى بعنوان "يا زمان" يقول رشيد أيوب:

لو طرت في أعلى السما ء محلقا كالزابلين

والزابلين هو الاسم الأجنبى الذى أطلق على أول طائرة اخترعها الغربيون وهو بالإنجليزية "Ziplin" ويقول في نفس المقطوعة:

لابد أن أقوى عليك مظفرا لو بعد حين
حتى ولو هاجمتنى تحت المياه بصبمرين

والكلمة الأخيرة هنا كلمة أجنبية (Submarine) وهى بمعنى الغواصة المائية التى تستخدم في أوقات الحرب. وتظهر ثقافة رشيد أيوب واطلاعه على المصطلحات الجديدة حتى العلمية منهاء لدرجة أثرت في شعره، حيث يقول في "أغاني الدرويش":

وقائلة قد شاع شعرك في الورى لما فيه من نوح كنوح الحمائم
فقلت لها هاتى الاشعة وانظرى فؤادى ففيه الغم مثل الغمائم

يريد أن حزنه غائر في أعماق قلبه فهو لا يرى بالعين المجردة، ويلزمها استخدام الأشعة حتى يبين لعينيها من وراء اللحم والعظم ما بدا في قلبه. وهو يتحدث في شعره عن "الراديو" غير آبه إلى وجود كلمة عربية مرادفة مثل "مذياع" فيقول مخاطبا (ج.أ.ل) في ديوانه "هى الدنيا":

فإذا سمعت الراديو يا أخت روحى في المساء
فاصغى إلى نغماتها في طى موجات الهواء

---

٣٦٧ . شعراء الرابطة، ص ١٧٢

Dhaka University Institutional Repository



ومن الغريب أنه يجعل المذياع مؤنثا لا مذكرا. ولندرة حداد مقطوعة بعنوان "أيها الراديو" بدأها بقوله:

إن عز صبرى أتيتك　　فإن عندك صبرى

ورشيد أيوب يتحدث أيضا عن الدولار ولا غرو فهو قد لعب دوراً كبيرا في حياة المهاجرين.

وما دمنا في الحديث عن الألفاظ وخصائصها في شعر شعراء الرابطة القلمية فقد يكون من المناسب، إثبات ملاحظة عامة وجدناها عند الكثيرين من هؤلاء الشعراء هى أنهم كثيرا ما يستخدمون ألفاظا تدل على ذوق موسيقى عام عندهم ومعرفة بالآلات والأنغام والألحان. وإذن فالموسيقى ليست شائعة في أنغام الأبيات فحسب، بل تبرز في كلمات معينة منثورة في دواوينهم. إنهم كثيرا ما يتحدثون عن العود والناى والمزمار، وكثيرا ما يخاطبون الكمنجة والقيثارة وينشئون على الحانها أشعارهم. وإذا حاولنا معرفة من من هؤلاء الشعراء كان أكثر ميلا إلى هذه الناحية الموسيقية الغنائية في شعره، فإننا سنلتقى مرة أخرى بالشاعر الوجدانى العاطفى رشيد أيوب. إنه يقول في ديوانه "هى الدنيا" :

هات الكمنجة هاتها　　الله في نغماتها
واعد على سمعى حديـ　　ـث الحب من رناتها

ويقول في مقطوعة أخرى :

سل الكمنجة عنى يابن بجدتها　　من اين جاءت بألحانى وأنغامى
لاعبت أوتارها حتى انثنت مرحا　　كما تلاعبت الدنيا بأحلامى

ويتحدث عن القيثارة، وهى آلة أخرى من آلات العزف والطرب بقوله :

قددت من مهجتى للدرب قيثارى　　يا من رأى مهجة قدت لاوتار
ثم استعنت بأنغامى وأشعارى　　وسرت في الدرب تطوينى وأطويها

وقوله في صدى الأوتار :

هز الجوى قيثارى　　في موقف التذكار
فاسمع صدى الاوتار　　من دقة النوى

ويقول في موقف الحب :

يا ضارب العود والألحان ينقلها　　عن دقة القلب ردد دقة العود
ذكر تنى بأناشيد شغفت بها　　أيام كان الهوى يملى أناشيدى

Dhaka University Institutional Repository



ولست أشك بعد هذا في أن رشيد أيوب كان يعرف العزف على أكثر من آلة موسيقية ويترنم بأكثر من لحن ونشيد بدليل هذا الميل الظاهر نحو الموسيقى والألحان، وهذا الاستعمال الكثير لآلات الطرب والغناء استعمال المفرق بينها، العارف بمواضع قوتها في الأداء. وخاصة أنه قد نظم ديوانا من الشعر أطلق عليه اسم "أغانى الدرويش" الذى هو في الواقع أغنيات عذبة الألحان رائعة النغم.

وأغلب الظن أن رشيد أيوب لم يكن الوحيد الذى يعزف على الآلات الموسيقية بين الشعراء في الرابطة، فقد روى البعض أن جبران نفسه كان عازفا، وبعض مقطوعاته الشعرية عبارة عن أغنيات وأناشيد خفيفة، هذا إلى جانب أنه كان قد ألف في بدء حياته كتيبا عن الموسيقى وتحدث في مقدمته عن الموسيقى عند الأمم، ثم أخذ يعرف المصطلحا والأسماء الموسيقية كالنهاوند والأصفهان والصبا والرصد ويتحدث عنها حديث العارف الخبير.

وأبو ماضى يقول في خمائله وقد استولت عليه الشكوك في ساعة يأس :

لا تسألونى اليوم عن قيثارتى  قيثارتى خشب بلا أنغام

وليس غريبا على شعراء مرهفى الحس دقيقى الشعور مثل شعراء الرابطة القلمية أن يكثروا من استعمال مثل هذه الكلمات الموحية والألفاظ الرقيقة الهامسة، فقد لاحظ كل من قرأ دواوينهم أنهم لا يستخدمون من الألفاظ إلا ما كانت غاية في الدقة مليئة بالقدرة على إثارة الإحساس تشع منها الثقافة والمعرفة والفهم الصحيح لنواحى الحياة المختلفة. ثم هم يراعون فيها كذلك أن تكون قريبة من النفوس حبيبة إلى الآذان، أو كما قال بعض العرب، تخرج من القلب لتدخل في القلب، وخاصة أن شعرهم جاء مليئا بالتجارب الشعرية الفنية الفياضة بالإحساسات، سواء أكانت تجارب فردية ذاتية أم موضوعية جماعية.[٣٦٨]

---

[٣٦٨] . المصدر السابق، ص ٢٤٩-٢٥٠

Dhaka University Institutional Repository



# الباب السادس : مساهمات شعراء الرابطة القلمية فى فنون النثر المهجرى

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الأول : المقالة

## مساهمة جبران فى المقالة

بدأ ظهور النثر الفنى في المهجر- كما بدأ في الوطن- عن طريق الصحافة والصحيفة لاتتسع- لضآلة حجمها، وطبيعة المواد التى تتضمنها بما يتفق مع مستوى القارئ العادى وما يتصل بمجالات اهتمامه- لما هو أطول من القطعة النثرية القصيرة أو المتوسطة، التى تعالج بعض القضايا العامة أو الخاصة معالجة سريعة تقرب أن تكون انطباعة ذاتية أو رأيا خاصا. وتلك هى المقالة بلونيها الذاتى والموضوعى. ثم أنشئت المجلات ففتحت صدرها للمقالة الطويلة التى توشك أن تستوفي بحثا من البحوث، أو تستوفي الإفصاح عن انطباعة نفسية أو موقف فكرى.

عن هذه الطريق بدأ ظهور المقالة ونموها في المهجر؛ إذ بدأ أدباؤه ينشطون لكتابة المقالة في بعض الصحف، فنشر الريحاني مقالاته التى جمع أكثرها- فيما بعد- في الريحانيات. ثم تبعه جبران فنشر مقالات قصيرة في صحيفة المهاجر والهدى ومرآة الغرب، جمعها بعد ذلك نسيب عريضة فى كتاب حمل اسم "دمعة وابتسامة". وافتتح نعيمة حياته الأدبية بمقالة نقدية كتبها في نقد الأجنحة المتكسرة لجبران، وأرسلها إلى مجلة الفنون. وكذالك فعل عبد المسيح حداد، فبدأ بكتابة المقالة حين عمل في الصحافة، قبل أن يؤسس السائح سنة ١٩١٢م وينشر فيها مقالاته وحكاياته. وشاركه في هذا الميدان إيليا أبو ماضى فكتب المقالة في مجلة سعير التى أسسها سنة ١٩٢٩م، ونسيب عريضة كتبها في مجلته الفنون التى أسسها سنة ١٩١٣م، وفي صحف أخرى شارك في تحريرها قبل تأسيس الفنون وبعد توقفها، مثل السائح والهدى ومرآة الغرب. ونشر وليم كاتسفليس مقالات في هذه المجلات وفي غيرها من صحف المهجر.[٣٦٩]

ونلاحظ أن المقالة وحدها تكون معظم المحصول الأدبى للأدباء الثلاثة: أبى ماضى وعريضة وكاتسفليس، كما تكون الجانب الأوفى من محصول عمال الرابطة جبران ونعيمة، بدليل أن أكثر كتبهم مجموعات تضم كل منها طائفة من المقالات التى كتبت في بعض المجلات، في فترة محدودة من الزمن. وقد كانت لنعيمة خطب ومحاضرات نسلكها في هذا الفصل مع المقالة، لأنه كتبها على نهج المقالة. فكأنه لم يفرق بينها. وعلى هذا فإنا نعد- مثلا- كتابه "زاد المعاد" – وهو مجموعة من الخطب في الحياة والناس، على ما يقول- مقالات متفرقة في هذا الباب. ولا بد أن نشير هنا إلى أن الباحث بعجز عن سد ثغر تبدو فى موضع كثيرة من دراسته

---

٣٦٩ . د. عبد الكريم الأشتر، فنون النثر المهجرى ، (بيروت : دار الفكر الحديث، ١٩٦٥م)، ص٧-٨

Dhaka University Institutional Repository



المقالة في المهجر، لصعوبة الوقوع على مجموعات الصحف والمجلات التى صدرت هناك، أو على أعداد كافية منها.

وسنبدأ الآن فندرس المقالة في نتاج كل أدلب من هؤلاء الأدباء لتنتهى أخيرا إلى جمع النتائج وتبين المفارقات وإصدار الأحكام العامة. فأما جبران فنجد مقالاته في الكتب التالية: دمعة وابتسامة؛ وهو مجموعة المقالات الأولى التى كتبها- على ما أشرنا- في مطلع حياته الأدبية بين سنتى ١٩٠٣ و ١٩٠٨م، ونشرها في جريدة المهاجر و مرآة الغرب. وفي كتاب "الموسيقا" ؛ وهو مجموعة مقالات شعرية قدم لها بمقدمة مطولة في الموسيقا، وأتبعها بأربع مقالات عن الألحان الشرقية المعروفة: التهاوند والأصفهان والصبا والرصد، فخصص لكل لحن مقالة، حتى اجتمع له من المقدمة المطولة ومن هذه المقالات كتاب صغير، هو أول كتاب أصدره جبران سنة ١٩٠٥م. وفي كتاب "العواصف" ؛ وهو مجموعة المقالات التى كتبها في غمرة الأزمة الروحية التى اجتاحته زمنا لتأثره الحاد بنيتشة. وعنوان الكتاب بعيد الدلالة على محتواه. وقد نشرته مجلة الهلال أول مرة سنة ١٩٣٠م.

ثم نشر في القاهرة؛ في آخر حياة جبران، كتاب "البدائع والطرائف" دون أن يتصل به خبره؛ وهو يجمع بعض المتفرقات من مقالاته. وقد اختار نعيمة من هذه المقالات ما لم ينشر في الكتب التى ذكرناها، وأصدرها كتابا بالاسم نفسه- لشيوعه في الناس- في آخر المجموعة الكاملة من مؤلفات جبران، التى أشرف على إصدارها. وتبقى بعد ذلك، مما نفيد منه في دراسة المقالة عند جبران، مقالات متفرقة نقع عليها في كتب مختلفة كتبت عن جبران أو نقلت نصوصها من الأدب المهجرى.[٣٧٠]

**ميزات مقالة جبران**

إن الصفة الأولى التى تتجلى لقارئ مقالة جبران هى الذاتية. وهى صفة تتجلى- على ما سنرى- في الفنون الأدبية الأخرى التى عالجها هذا الكاتب؛ ولكنها هنا أشد وضوحا لاستجابة المقالة- التى هى فن أدبى ذاتى قبل كل شيئ- لها، استجابة كاملة. والناظر في مقالاته يعجزه أن يقع على مقالة موضوعية خالصة. وهو لو كتب هذه المقالة- في جواب استفتاء مثلا- صبر قليلا على مضض، حتى إذا عرضت فرصة شق الطريق إليها وغنى نفسه من خلالها. مثال ذلك مقالته التى تكون أجزاءها أجوبته على استفتاء مجلة الهلال حول مستقبل اللغة العربية والعالم العربى[٣٧١]، فقد كان- بين الأسئلة- هذا السؤال: هل تتغلب اللغة العربية الفصحى على اللهجات العامة المختلفة وتوحدها ؟. فابتدأ بالجواب عنه في بساطة وموضوعية، حتى إذا جره الحديث

---

٣٧٠. المصدر السابق ، ص ٩

٣٧١. المجموعة الكاملة، ج ٣، ص ٢٣٩

Dhaka University Institutional Repository



إلى الكلام على الشاعر، استفاض في حرارة وطرح ذاته كلها، حتى ليخيل للقارئ هنا انه يتحدث عن نفسه وحدها: أعنى بالشاعر ذلك المتعبد الذى يدخل هيكل نفسه، فيجثو باكيا فرحا تادبا مهللا مصغيا مناجيا... أعنى بالشاعر ذلك الذى إن أحب امرأة انفردت روحه وتنحت عن سبيل البشر لتلبس أحلامها أجساداً من بهجة النهار وهول الليل وولولة العواصف وسكينة الأودية. فهاهنا جبران الجائي في هيكل نفسه، الباكى الفرح النادب المهلل الذى لا تفارق سمعه ولولة العواصف في الجبال وسكينة الأودية المحيطة ببشرى.

وتتمثل هذه الصفة الذاتية في مقالته "يا لائمى"،[٣٧٢] حتى لتعتبر أصلح مثال لها. وهو يكاد يفصح فيها عن مذهبه في الكتابة والتفكير والإحساس. يقول: دعنى يا لائمى ووحدتى، أستحلفك بحبت يضم نفسك بجمال الرفيقة، ويوثق قلبك بحنو الأم، ويربط فؤادك بعواطف الابن، أن تتركنى وحالى. خلني وشأنى وأحلامي واصبر إلى الغد، فالغد يقضى على بما يشاء. محضتنى النصح، والنصح طيف يسير بالنفس إلى مرتع الحيرة، ويقودها إلى حيث الحياة جامدة كالتراب.

وقد يعالج جبران في مقالته بعض القضايا الاجتماعية، فيكتفى- انسياقا مع الذاتية- بأن يسقط القضية على وجدانه، ثم يصف انفعاله بها. مثال ذلك مقالته "يا خليلى الفقير"[٣٧٣] التى يخاطب فيها الفقير الذى يأكل خبزه اليابس ، ويشرب ماء السكر ممزوجا بالدموع والعبرات ، والجندى المحكوم عليه من شرائع البشر الظالمة بأن يترك صغاره ومحبيه ويذهب إلى ساحة الموت ، والمسكينة التى غرها فتى من فتيان العصر فاستسلمت له وغادرها فريسة ترتعد بين مخالب الذل والتعاسة. ثم ما يلبث أن يختم المقالة بهذا التدفق الشاعري الرائع : أنتم يا أحبائي الضعفاء، شهداء شرائع الإنسان. أنتم تعساء، وتعاستكم نتيجة بغى القوى وجور الحاكم وظلم الغنى وأنانية عبد الشهوات. لا تقنطوا، فمن مظالم هذا العالم، من وراء المادة، من وراء الغيوم، من وراء الأثير، من وراء كل شيئ قوة هى كل عدل، وكل شفقة، وكل حنو، وكل محبة. أنتم مثل أزهار نبتت في الظل ؟ سوف تمر نسيمات لطيفة، وتحمل بذوركم إلى نور الشمس، فتحيون هناك حياة جميلة. أنتم نظير أشجار علوية مثقلة بثلوج الشتاء، سوف يأتى الربيع ويكسوكم أوراقا غضة.

سوف تمزق الحقيقة غشاء الدمع الحاجب ابتسلماتكم.

أنا أقبلكم يا إخوتى، وأحتقر مضطهديكم.

---

٣٧٢ . المصدر السابق،، ج ٢، ص ١٩٦
٣٧٣ . المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٣

Dhaka University Institutional Repository



فجبران هنا يرى نفسه في الفقير والجندى والشاعر والمسكينة والسجين. المظلومون كلهم هو، وصورة العدالة في نظرهم صورتها في نظره: أزهار وشمس ومحبة وأشجار يكسوها الربيع أوراقا غضة.

ويكتب عن المساكين، فيقول على لسان الأرملة داعيا : اشفق يا رب على الفقراء، وارحمهم من قساوة البرد ، واستر جسومهم العارية بيدك. واهد الغرباء إلى الآوى الدافئة وارحم غربتهم. أنظر يارب إلى العصافير الغيرة واحفظ بيمينك الأشجار الخائفة من قساوة ... ليكن هذا يا رب . فجبران لا يجد إلا نفسه يحدث عن آلامها ويصور متاعبها، بما حفل به خياله من مشاهد الريف. [٣٧٤] على هذا الصورة الذاتية يكتب جبران مقالته في النقد الاجتماعى.

وقد تكون المقالة عنده تعليقا على كلمة أو آية أو بيت من الشعر أثار وجدانه أو حرك ذكريات في نفسه، كالمقالة التى كتبها عن قول الجامعة في التوراة : رأيت كل الأعمال التى عملت تحت الشمس، فإذا الكل باطل وقبض الريح، [٣٧٥] والمقالة التى أوحى بها إليه قول شاعر هندى : وفي نظرات الحيوان الأبكم كلام تفهمه نفس الحكيم. [٣٧٦] لقد أثار هذا البيت مخيلة جبران فتصور منزلا مهجورا في احد أطراف المدينة، دخله فوجد كلبا يتوسد الرماد وقد ملأت القروح جسمه الضعيف ، فصور نظراته الحزينة التى كانت أفصح من لسان الإنسان وأبلغ من دموع المرأة.

وقد تكون نظرة سارحة في الحياة، كالمقالة التى كتبها بعنوان "على ملعب الدهر" [٣٧٧] يتحدث فيها عن اللحظات الكبيرة الحاسمة في عمر الزمن؛ والمقالة التى أثارتها رؤيته قفصا فيه عصفور ميت، فقد أطلقت هذه الروية خياله حتى انقلب القفص فجاة وصار هيكل إنسان شفافا، وتحول الطائر الميت إلى قلب بشرى فيه جرح عميق يقطر دما قرمزيا، وقد حاكت جوانب الجرح شفتى إمرأة حزينة..... [٣٧٨]

وربما نحا جبران في مقالته نحو الرسالة أو القصة، لما يحس من مرونة هذا القالب الفنى واستجابته لحاجات الكاتب في طواعية ويسر، وقدرته على الإفادة من أساليب الفنون الأدبية الأخرى. ولا يعنى هذا أنه يخطط لمثل هذه المقالات، وإنما يأتى ذلك متفقا مع طبيعة المضمون، في صورة توشك أن تكون عفوية. تولد -مثلا- أن يكتب عن زواج الفتاة بمن لا تحب، في مقالته

---

٣٧٤. المجموعة الكاملة ج٢، ص ١٣٠
٣٧٥. المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٣
٣٧٦. المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٧
٣٧٧. المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٢
٣٧٨. المصدر السابق، ج٢، ص ١١٤

Dhaka University Institutional Repository



"مخبآت الصدور"[٣٧٩] فجعل الحديث على لسان الفتاة نفسها، ليتمكن بذلك، من تصوير الآلام بدلا من تقريرها؛ ثم جرء ذلك إلى أن يكون هذا الحديث في رسالة ترسلها هذه الفتاة إلى صديقة لها.

ونخلص مما سبق إلى أن جبران صاحب مقالة ذاتية يعبر فيها عفوية عن عواطفه وآرائه. وقد يتناول بعض الأوضاع الاجتماعية بالنقد، بأسلوب ذاتى صرف. وهو لا يضع لمقالته تصميما، وإنما يترك للخاطر أن ينساب في عفوية مطلقة، حتى تكون المقالة- في أغلب الاحيان- قصيدة من الشمر. وقد ينوع الأساليب الفنية فيها، فيختار الأسلوب القصصى أو أسلوب الرسالة، حتى تكون المقالة رسالة في مقالة أو مقالة قصصية. وهى تحتفظ- في الحالين- بصفتيها الرئيستيين : الذاتية والعفوية.

وأسلوب جبران في المقالة أسلوبه بخصائصه جميعا: التصوير والتلوين والتنغيم، فتبدو المقالة ألواحا متتابعة غني بالإحساس، مفرطة في العاطفية.

**مساهمة نعيمة فى المقالة**

أما نعيمة فتتوزع مقالاته معظم كتبه: الغربال و المراحل و زاد المعاد والبيادر وصوت العالم والنور الديجور وفي مهب الريح ودروب وأبعد من موسكو ومن واشنطن. والكتاب الأول الغربال مجموعة من المقالات النقدية ، نكتفى هنا بأمثلة من مقالاته النقدية الأخرى.

إن موازنة بسيطة بين نتاج نعيمة في المقالة ونتاجه في الفنون الأخرى تنتهى إلى أن نتاجه في المقالة فاق نتاجه في الفنون الأخرى مجتمعة. ولعل السبب يكمن في المقالة، واستجابتها شكلا ومضمونا لذاتية الكاتب. ثم إن نعيمة يدعى إلى حفلات يخطب فيها أو يتحدث ويحاضر، فيكتب، مايلقيه مقالات ينشرها- من بعد- في كتبه. وقد جمعت هذه الكتب أيضا مقالاته المتفرقة في شتى الصحف والمجلات. ومن هنا بدأ الخصب في نتاجه، في المقالة.

وقد أتيح لنعيمة- من ناحية أخرى- أن يعيش عمرا طويلا حافلا بالتجارب والذكريات. ولعل رجوعه إلى لبنان وتبشيره بالإنسان- الإله ---- شوق بعض الناس إلى الاطلاع على شؤون حياته الخاصة،[٣٨٠] فكتبوا إليه يسألونه أن يحدثهم عن طفوليته وشبابه واعتزاله الناس، فرد عليهم في مقالات طويلة نجدها منشورة في بعض كتبه التى أشرنا إليها. ثم زاد على ذلك فكتب مقالات طويلة في كتابه "أبعد من موسكو ومن واشنطن" يصور فيها صباه في الروسية، إثر عودته من زيارة قام بها للاتحاد السوفيتى. ولم يتح لجبران ولا لكتاب الرابطة الآخرين مثل ما أتيح لنعيمة

---

٣٧٩. المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٤

٣٨٠. سبعون، المرحلة الأولى١٠، ص-٩

Dhaka University Institutional Repository



في هذا المجال. ونحن نسمى هذه المقالات ذاتية خاصة هذا تخطيط موجز لحقل المقالة في نتاج نعيمة الأدبى، تنقل بعده إلى الدراسة.[٣٨١]

**ميزاته فى المقالة:**

أول ما نلاحظه أن الصفة الغالبة على مقالة نعيمة هى الموضوعية، وتبدو واضحة في مقالاته الكثيرة التى تدور حول عقيدته في ألوهة الإنسان ووحدة الوجود، وحول بعض القضايا الاجتماعية الكبيرة. وهو يبدو في هذه المقالات رجل منطق وجدل، يدافع عن رأيه في حرارة. نأخذ مثالا لها مقالته "مهماز البقاء"[٣٨٢]؛ فهو- بعد أن يتحدث عن فسحة العمر- يقول: بولد الطفل وبه جوع صارخ إلى ندي أمه، ثم يشب ويشيب ويموت وبه جوع أخرس إلى ندي البقاء؛ فالجوع هو الفاتحة، والجوع هو الخاتمة. وبين الفاتحة والخاتمة جوع ينتهى إلى جوع، وعطش يفضى إلى عطش. إذ أن لنا في كل لحظة من وجودها أمورا تجذبنا وأمورا تدفعنا، حتى كان ثوانى العمر مهاميز تهمزنا أبدا إلى حيث ندري ولا ندري، فلا نستريح إلا لنتعب، ولا نشبع إلا لنجوع ولا نرتوى إلا لنعطش . ثم يفيض في إثبات رأيه لينتهى إلى أن المتشائمين أبصروا من الحياة هذا السعى المحموم الذى لا ينتهى إلا بانتهائها فقالوا: وأي خير في حياة أولها جوع وآخرها جوع ؟ ثم قال يرد عليهم : وهو قول لا مرد عليه إلا إذا انشتق الخيال من ربقة البدايات والنهايات فأبصر في الولادة والموت مرحلتين من مراحل عمر طوله طول الزمان، وإلا إذا أفلت الفكر من قيود اللحم والدم فأدرك قصد الحياة من جعلها الجوع مهمازا يهمز الأحياء على الدأب والتفتيش والتعلق بالبقاء. وكأنما أدرك نعيمة أن كلامه يبين حكمة الجوع ولكنه لا ينفى عذاب الإنسان به فقال: لو أن القدرة المبدعة أوجدت الجوع والعطش من غير أن توجد الغذاء والرى لحق لنا أن تنعتها بأشنع نعوت الظلم والقوة والاستبداد... ولكن الحكمة الأزلية أعدل من أن تظلم، وأحن من أن نقسو، وأنيل من أن تستبد. فهي ما جعلت حيا من الأحياء يجوع أو يعطش إلا خلقت له ما يسد به جوعه ويطفئ عطشه . ثم يبسط نعيمة رأيا في أن الكائنات من منظورها ومستورها تعيش وتذيغ بعضها ببعض. فكأنها خزانات يملأ بعضها بعضا بغير انقطاع، فلا هى تفيض يوما ولا هى تفرغ لحظة .[٣٨٣]

فإذا انتهى نعيمة إلى هذا الحد قفز إلى صلب الفكرة، وقال في حجاج قوى: فما دام لكل جوع غذاء، ولكل عطش ري، أفليس في ذلك دليل على أن الجوع الذي ينتهى بنا إلى حافة القبر لا بد له، مهما يكن نوعه، من غذاه غير حافة القبر؟ ومن ذا يستطيع الجزم بأن حافة القبر هى الحد

---

٣٨١ . فنون النثرالمهجرى، ص٢٠

٣٨٢ . صوت العالم ، ص ٢٨

٣٨٣ . فنون النثرالمهجرى، ص٢١

Dhaka University Institutional Repository



الفاصل بين البقاء والفناء، وأن الموت هو نهاية الحياة؟ بل من ذا يستطيع القول بأن القدرة التى أوجدتها قد سلطت علينا الجوع والعطش لتجعلنا عبيدا أذلاء لهما، ولتلهو بآلامنا وأحزاننا لا لتسلطنا في النهاية عليها ولتمحو آلامنا وأحزاننا.

ويخلص نعيمة إلى أننا نفتش دائما عن الغذاء، : أن التفتيش لن ينتهى إلا بالوصول إلى المعرفة : معرفة الله . ومعرفة الله هى الخبز والشراب اللذان يفتى فيهما كل جوع وعطش.

وتبدو الصفة الموضوعية، في المقالات التى عالج فيها نعيمة قضايا الاجتماع والنقد الأدبى، فهو يعود دائما إلى منطق القارئ والمقدمات الصحيحة التى تحكم تفكيره. يكتب مثلا مقالة عن "أوزار الاجتماع"[٣٨٤] يبدؤها بالدعوة إلى النظاف فيقول: إن تكن النظافة ضربا من الإيمان والتعبد، بالقذارة ضرب من الكفر والتهتك. وهي أكثر ما تأتينا من أشياء ليست قذرة في ذاتها، ولكنها تغدو قذارة إذا ما تثير حالها أو تبدل وضعها في الزمان والمكان بالنسبة إلينا، ويطرب نعيمة أمثلة ينتزعها من حياتنا فيقول : فحفنة من الزبل في الحقل ليست قذارة، ولكنها في ردهة الاستقبال قذارة وأي قذارة... وزنبقة بيضاء في شعر عادة حسناء لجمال تتمنى الشفاء لو تلثمه والأنوف لو تشمه وإلا أنها في قصعة الحس--- قبحة تنفر منها الشفاه والأنوف والعيون. والماء تشربه ونستحم به لبركة وأي بركة لأجسادنا، ولكنه نفايات كريهة عندما يفرزه الجلد والكليتان .

فمقالته (مهماز البقاء) كتبت بعد تخطيط منطقى عامد:

١- ابتدأت بالكلام على فسحة الزمان التى ندعوها العمر والتى جعلتها الحياة حركة لا تعرف السكون .

٢- ثم انتقلت إلى أن المحرك فيها هو الجوع والعطش.

٣- ثم فصلت أنواع الجوع وحددت مراتبها: فأدناها الجوع إلى الخبز والعطش إلى الماء، وأسماها الجوع إلى المعرفة .

٤- ثم وقفت عند قول المتشائمين الذين قالوا: وأي خير في حياة أولها جوع ، آخرها جوع؟ وردت عليهم بأن الحياة ما جعلت حبا من من الأحباب يجوع أو يعطش إلا خلقت له ما يسد به جوعه ويطفئ عطشه .

٥- ثم أعلنت أن الحياة قد يغتذى بعضها بعض فكأنها خزانات يملأ بعضها بعضا بغير انقطاع .

٦- ثم بنت على ذلك إيمانها بأننا ما دمنا نسد جوع الحياة يموتنا فلا بدا أن يكون لنا غذاء عبر حافة القبر .

---

٣٨٤ . ميخائيل نعيمة، في مهب الريح ، (بيروت:١٩٥٣) ، ص ١٣٥

Dhaka University Institutional Repository



٧- وخلصت إلى أن هذا الغذاء هو معرفة الله. ولذلك تموت لنعود إلى الحياة بعد راحة، فنتابع الطريق في سبيل الوصول إلى هذه المعرفة.

٨- وانتهت من ذلك إلى أن الكون بكل ما فيه مدرسة الإنسان ، وأن غايته هو الوصول بالإنسان- خلال الزمن كله لا خلال العمر الواحد- إلى هذه المعرفة الشاملة. وأن الجوع بأنواعه هو المهماز الذى يدفعه.[٣٨٥]

وبهذا يرتبط آخر المقالة بأولها وتترابط أجزاؤها[٣٨٦] وتدور كلها حول محور واحد. وتتحقق بذلك فيها أهم الصفات الفنية المقالة الموضوعية: الوحدة والترابط.

وفي مقالته أوزار الاجتماع تبدو هذه الوحدة واضحة أيضا، يظهرها تصميم واع متكامل:

١- فقد بدأ بالكلام على نظافة الجسد وأوزاره.

٢- ثم اشتق من ذلك الكلام- بالتشبيه – على نظافة النفس وأوزارها.

٣- ثم عدد بعض الأوزار، ووقف عند وزر الشرائع الجامدة فدعا إلى التخلى عنها.

٤- وجعل ذلك طريقة إلى المطالبة ببناء الإنسان من الداخل، لتقل حاجته إلى الشرائع والقوانين.

ولو رجعنا إلى نصوص هذه المقالات التى بينا تصميمها هنا لوجدها المقدمات والخواتيم قصيرة، حتى تفسح المجال الموضوع الأصيل. وهذه صفة عامة في مقالة نعيمة. وهى تفصح عن اتزان النفس ووضوح الهدف ومعرفة الطريق.[٣٨٧]

وقد يستعين نعيمة أحيانا قليلة- في مطلع مقالته- ببعض عناصر الفن القصصى فيبدؤها بالحوار، أو بالتصوير، أو بحكاية صغيرة. وقد ينقل عن الكتاب المقدس بعض الأخبار فيفسرها تفسيرا جديدا ويستخلص معانيها، ثم يجعلها مطلعا للمقالة. وغاية نصيحة من ذلك أن يوقع القارئ في شركه فيدخله في الموضوع عن رغبة فيه. يكتب- مثلا- مقالة عن "دولة الإنسان"[٣٨٨] فيصور في مطلعها كتيبة من الجنود تجتاز- على الأقدام- قرية من قرى لبنان ، وقد هرع القرويون إلى جوانب الطريق وراحوا يستقبلون الجنود ويشيعونهم بأنظار يفيض منها مزيج غريب من

---

٣٨٥. فنون النثر المهجرى، ص ٢٦-٢٧

٣٨٦. عبر نعيمة عن ذالك في قوله لي : إني أراعي في نثري تسلسل الأفكار ، حتى إني لا انتقل إلى فكرة إلا من بعد أن أمهد لها بفكرة سابقة وكأنها لاصقة بها : من حديثه إلى بيرووت بتاريخ ١٩٥٨/١٢/٥م

٣٨٧. يقول كاتسفليس في نعيمة : لولم يكن كاتبا و شاعر ا لاستحق أن يكون قائدا عسكريا . فانه رجل إدارى مدقق و منظم من طراز عال ، الأديب (١٩٤٩م )، العدد ١ ، ص ١٤

٣٨٨. ميخائيل نعيمة، البيادر، (القاهرة : ١٩٤٥م)، ص ٢١١٠

Dhaka University Institutional Repository



العواطف الحائرة... . ويكتب مقالة أخرى بعنوان "عالم جن جنونه"[٣٨٩] فيحكي حكاية برج بابل الواردة في التوراة ويفسرها تفسيرا رمزيا يجعل منه منطلقا لموضوع المقالة. ويلفت أنظار الناس إلى أنفسهم في مقالته "دود الجبن"[٣٩٠]- فيبدوها بحوار جرى بينه وبين جار له في القرية، ثم يجعل ذلك مدخلا إلى فكرته في المقالة. ويسخر بساسة العالم الذين يبدون غيرتهم على الإنسانية بتوريطها في حروب مفنية، في مقالته "الخرافة الكبرى"،[٣٩١] فيحكي في مطلع المقالة حكاية الدب الذى قتل صاحبه بحجر كبير ليسد عنه الذباب. ويتحدث عن القدر فيشبهه بموزع البريد،[٣٩٢] ويبدأ المقالة بتصويره وهو يحمل جعبته المملوء بشتى الرسائل والأخبار، دون أن يطلع إلا على عناوينها.

على أن نعيمة يستخدم أحيانا- في مقالته- عناصر القصة الفنية كلها، فتوشك المقالة أن تستحيل في يديه قصة قصيرة، لا يكاد يؤخرها عن ذلك إلا تغليب الفكرة على الحدث. ونحن فضل- على كل حال- أن ندرس هذه النماذج في فصل القصة، فهي أقرب إليها.

### مساهمة أبوماضى فى المقالة

وليس يصعب تعليل انصراف أبي ماضي وعريضة إلى كتابة المقالة الذاتية، فقد كانا شاعرين يحسان الحاجة إلى التعبير عن ذاتهما من خلال الموضوعات التى يعالجانها. أما عبد المسيح فقد كان- فيما يبدو- منصرفا عن كتابة المقالة الذاتية، لأنه رجل عمل، يلاحظ الحياة من حوله، فما يكاد يجد دافعا إلى التأمل الذاتى والإصغاء إلى صوت النفس.

وقد استطاع أبو ماضى ان يرتفع بمقالته- على الإعمال- إلى مستوى في التعبير يصح معه أن نقف عندها.[٣٩٣] وكانت مقالاته تشف دائما عن موقفه من الموضوع الذي يكتب فيه وينفذ إحساسه الدقيق في جملها وكلماتها، حتى يكون لها طعم خاص. وتقف بعض مقالاته- بذلك- بين الذاتية من حيث إشفافها عن ذات الكاتب وتلونها بإحساسه، والموضوعية من حيث انصراف موضوعها إلى التأمل الخارجى وإلى التوجيه الاجتماعي، كان يكتب في السياسة مثلا- وقد نقلنا مقتطفات من ذلك فيما سبق- فيبدو ساخرا بالاحتلال ورجاله وممثليه. ويكتب في الاجتماع- وقد مرت بعض آرائه فيما سبق أيضا- فيعود إلى أسرته بستطلع أحوالها، أو يعبر عن حنينه إلى القرية والخلاء النظيف. ويكتب في الأدب بلسان الجندى الذي بقي وحده في المعركة. ونعتقد أن

---

٣٨٩. ميخائيل نعيمة، النور والديجور، (بيروت: ١٩٥٠م)، ص ٣٢
٣٩٠. في مهب الريح، ص ١٤٣
٣٩١. المصدر السابق، ص ٤٣
٣٩٢. البيادر، ص ١٨٠
٣٩٣. يعتقد نعيمة أن أبا ماضي وحده من صحفيي الرابطة ، جدير بأن تدرس مقالته ، فأما الآخران فقد كتبا المقالة الصحفية العارضة التي تستوفي غرضها في يومها الذي كتبت فيه ، ولا قيمة لها على الإطلاق : من حديثه إلى في بيروت بتاريخ ١٩٥٨/١٢/٥

Dhaka University Institutional Repository



هذه الصفة طبيعية- كما قلنا في مقالة أبي ماضي. فتلك مقالة الشاعر الغنائي الذى يمزج بنفسه كل ما تقع عليه عيناه أو يفكر به عقله. وتتضح هذه الصفة في جوانب من مقالاته، ففيها صدى ما نجده في شعره من حيرة وشك. يقول مثلا: ما أغرب الحياة وأعجب أطوارها! تخلع عليها الشباب حتى إذا وثقنا أنه لنا، استردته منا استرداد النادم. وتحرك فينا الأشواق والشهوات والأهواء ، ثم تتعجل قتلها كأنها تخاف من وجودها على ذاتها. تخلق حولنا الفراديس الجميلة وتفتح أبصارنا عليها، حتى إذا أحببناها وهمنا بها وصرنا على علم بذاتها. صرح القبر ونادى : اقتربوا إلى التراب يا أبناء التراب... فإذا كل ما كان كأنه لم يكن ...[٣٩٤]

فهذا شعر بصوره وموسيقاه. وبهذه الخصائص ارتفعت مقالة أبى ماضى إلى مستوى تجاوزت فيه المستوى الصحفى الذي وقفت عنده مقالة زميله عبد المسيح حداد.

**مساهمة نسيب عريضة فى المقالة**

فأما نسيب عريضة فإن لنا رأيا في مقالته يخالف رأى نعيمة. ورأينا أن مقالته- التى وصلنا إلى نماذج منها في الفنون[٣٩٥]- ارتضت كثيرا عن المستوى الصحفى الذى وقفت عنده مقالة عبد المسيح، وكادت أن تقارب- في بعض الأحيان- مستوى المقالة عند أبى ماضى.

والذاتية هى الصفة الأولى الغالبة على مقالة عريضة، بالرغم من أنها قد تعالج موضوعات عامة. فقد كان يصور انفعاله بالموضوع، شأن الشعراء. ويبدو ذلك في مقالته "أنة عاجز"[٣٩٦] التى كتبها خلال المجاعة التى المت بوطنه في الحرب الأولى : في سكون الليل سمعت بأذنى رنة المطرقة على مسامير الصليب، فذرفت دمعى وأنا أنظر إلى الجلجلة من بعيد... رأيت سورية تقاد إلى الصلب عريانة مهانة، تجلد بسياط السخرية، وتكلل بأشواك العار، وتشرب من مرارة الهلاك . على درب الصليب يسير حاضر سورية ومستقبلها، وعلى هذا الدرب يقف، بين الآونة والأخرى، كل من يرزح تحت أثقال صليبه... يقف وينظر إلى الجهات الأربع مستغيثا وليس من يناوله منديلا ليمسح به عرقه الدموى !

ويلاه !.. ما أكثر الرازحين الواهنين، الساقطين تحت صليبهم الثقيل! وما أقل الرسل المخلصين!

إن هذا الجيشان النفسي في مقالة عريضة الذاتية لا يمكن أن يخضع لتخطيط، فإن فيه خصائص التجربة الشعرية كلها: الانفعال العميق، والاندفاع في المسلك الذي تشقه عوامل نفسية بعيدة، كثيرا ما تكون مندفنة في أغوار النفس. فهذه هى صفة المقالة التي يكتبها عريضة، على العموم.

---

٣٩٤. مجلة السمير ١٩٣٢م ، عدد أول مايو

٣٩٥. اعتبرنا المقالات التي لم يشر إلى كاتبيها لمحرر المجلة نسيب عريضة . وقد أقر ذالك عبد المسيح حداد في مقابلتي اياه بحمص ١٩٦٠/٦/٢٥م

٣٩٦. الفنون ١٩١٦م، العدد ٥ ، ص ٤٤١-٧

Dhaka University Institutional Repository



على أنه يهدأ حينا فيصور عاطفته تصويرا يستخدم فيه التشخيص والحوار ، على نحو مافعل في مقالته "فتاة العصر"[٣٩٧] التي أعطى فيها رأيه في الجيل الجديد كله في المهجر .

وتبقى – بعد ذلك – المقالة التي كتبها عريضة في مناسبات مختلفة، مثل المقالة التى عرف فيها بمعرض جبران التصويري الذى أقيم في نيويورك سنة ١٩١٧م،[٣٩٨] ومقالات ترجع فيها لبعد أعلام تراثنا القديم،[٣٩٩] ومقالات تاريخية قديمة.[٤٠٠] وهذه كلها لاتحتفظ بقيمة فنية نذكرها لها هنا.

---

٣٩٧. المصدر السابق ( ١٩١٦م )، العدد ٦ ، ص ٥٢٨ -٩ ٥٢

٣٩٨. المصدر السابق ( ١٩١٧م )، العدد ١٠ ، ص ٩٤١ -٦ ٩٤

٣٩٩. الفنون ١٩١٧م ، العدد ١٠ ، ص ٩٣٣

٤٠٠. نصيب عريضة، مقال : "سردانابال"، الفنون ١٩١٧م ، العدد ١٢ ، ص ١٢٠٧

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الثانى : القصة

## جبران ، نعيمة و نسيب عريضة:

ويعتبر نتاج كتاب الرابطة في القصة القصيرة فاتحة النتاج الفن القصصى، في أدبنا الحديث. فأما ما نشر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فأكثره مترجم أو مقتبس، أو موضوع على طراز المقامات. وكله ضعيف من الوجهة الفنية[٤٠١]. وقد خلف كتاب الرابطة تراثا قصصيا ضخما متنوعا، ابتداء من المقالة القصصية التى أشرنا إليها في الفصل السابق، إلى القصة الطويلة التى تستغرق كتابا كاملا. وقد رأينا- تسهيلا الدراسة- أن نصف هذا النتاج فنبدأ بدراسة القصة القصيرة منه، ثم ننتقل إلى القصة الطويلة. وليس يعنى هذا أن ما كتبوه يعتبر كله قصصا مستوفيا بسبه الفنية، وإنما هو تصنيف مبدئى يعين على الدراسة.[٤٠٢]

لا يسع الباحث- قبل كل شئ- أن يتجاوز عن مقالات خلفها كتاب الرابطة واتسع فيها الشكل القصصى، مثل المقالة التى كتبها جبران وسماها "حكاية صديق"[٤٠٣] والعنوان يدل على أن جبران وعى صورتها القصصية. وخلاصتها أن الكاتب عرف هذا الصديق في دور الصبا صبيا شرسا يمزق بيديه أعشاش العصافير . فلما شب أخذ يبذر أمواله في نوادي التهتك، وبعطى عاقلته لابنة الكرمة . وكان الكاتب يحب على الرغم من ذلك، لا أنه رأى حمامة ضميره تغالب نسر سيئاته . و تمر الأيام آخذة بأعناق الليالي ، فيرسل هذا الصديق كتابا يدعو الكاتب إليه، فإذا جاءه وجده قد انقلبت حاله. ويسأله عن السبب، فيجيبه : تلك التى أخرجت آدم من الجنة بقوة إرادتها وضعفه، قد أعادتنى إلى تلك الجنة بحنوها وانقيادى .

ليس في هذه الحكاية - كما نوى- حدث على الإطلاق، أوليس فيها حكاية حدث. وإنما هى صورتان متقابلتان بفصل بينهما فاصل زمنى يقع فيه الحدث. على أن فيها التشخيص والنمو من البناء القصصى. وفيها الحوار والتصوير من النسيج القصصى. وقد استعان بها جبران على تصوير فكرته تصويرا حيا. وفكرته هى أن المرأه قادرة على أن تحول الرجل من حال إلى حال.[٤٠٤]

ونهج هذا المنهج في كتابة الصورة القصصية، ووسعه- حتى بلغ به مداه- نعيمة، فيما سماه هو خطبا في البيادر و سياحات في المراحل و مقالات في صوت العالم و في مهب الريح. ففي البيادر نجد: هدية الهم و حكاية دمعة و راحة السلام و رغيف وإبريق ماء و حلم عن

---

٤٠١ . سهيل إدريس، "القصة في لبنان" ؛ شفيق جحا ، مقال : "القصة العربية في النهضة الأدبية الحديثة" ، مجلة العروة ١٩٣٩م، العدد ١/٦٧ ، ص ٥٩١

٤٠٢ . فنون النثر المهجرى، ص٥٠

٤٠٣ . مجموعة المؤلفات، ج ٢، ص ١٣٩

٤٠٤ . المجموعة، ج١، ص ١٣١

Dhaka University Institutional Repository



موسولينى[٤٠٥] وفي المراحل نجد: حبتان من القمح وعظة الغراب[٤٠٦] وفي صوت العالم نجد: الحكيم والسمكة.[٤٠٧] وفي مهب الريح نجد: السيف والقصبة و ستستريحون يوم أستريح.[٤٠٨]
ولم يقصد نعيمة هنا إلى أبعد من تشخيص بعض الكائنات أو المجردات كالهم والدمعة وحبة القمح والسنبلة والغراب والسمكة، ليضع على ألسنتها كلاما يحتله أفكاره وعواطفه.[٤٠٩]

وقد يكتمل في يديه البناء القصصى أحيانا، حتى يقارب أن يكون قصة قصيرة. تأخذ مثالا له السيف والقصبة، وخلاصتها: أن الملك المادلى رأي حلما استدعى لتفسيره مفسر أحلامه، وهو شيخ طاعن في السن حوى من الحكمة والفضيلة مالم يحوه أحد من أبناء زمانه . وقص الملك الحلم، ومفاده أن جيشا غزا مملكته، فخرج الملك للقائه، فاعترضه رجل رث الثياب، حافي القديمن، هزيل البنية، يحمل قصبة طويلة كتب على رقعة في أعلاها: نريد خبزا لا دما. نريد عدلا لا قانونا. نريد سلما لاهدنة . وقد نجاه الرجال فلم يتنح، فضربه أحدهم بالسيف فقابله الرجل بالقصبة وإذ بالسيف يتطاير شظايا، وتبقى القصبة سليمة . وحاول الملك أن يقضى عليه بعد أن عجز رجاله، فإذا القصبة تنشب في صدره و يخر صريعا. ويتراءى له جيشه كله قد اصطف أثناء ذلك، وفي يد كل واحد منهم قصبة طويلة كالتى في يد المعتوه، وتحت قدميه سيف مكسور، وفي أعلى كل قصبة رقعة كتب عليها: ليس بالخبز وحده، ولا بالعدل وحده، ولا بالسلم وحده، يحيا الإنسان . وقد أصر مفسر الأحلام على أن تفسير الحلم هو ما طلبه الشعب في سره، فلا يستطيع أن يعلنه غير شاعر أو كاتب أو فيلسوف . ثم يشرح المفسر للملك أحوال الحياة في المملكة، ويقول: إن الناس سيتخلصون من سلطان السيف بقوة القصبة .

ويأمر الملك بحرق الأفلام وزج كل الشعراء والكتاب والفلاسفة في السجون. وحين تخدم النيران. يقبل معتوه فيتناول منها فحمة يخط بها، عل رقعة من الرقاع، الشعارات التي طالعت الملك في الحلم؛ وينزل علما عن ساريته، ويرفع الرقعة مكانة. وما هى إلا طرفة عين وانتباهتها حتى تمشي في الجماهير اهتزازات خفية كأنها السحر، وإذا بهم خضم متلاطم الأمواج، وإذا بصراخهم يشق عنان السماء: ليسقط الملك .

ها هنا، في الواقع، حدث نام مترابط، ولكنه حدث رمزى يشف في وضوح- عن الفكرة التى هي غاية الكاتب من خلق الحدث؛ وأصلها دعوة الإنجيل إلى السلام، وآيته المعروفة: ليس

---

٤٠٥ . البيادر، ص ٥٨ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ٢٠٦
٤٠٦ . ميخائيل نعيمة، المراحل (بيروت: ب ت)، ط٢، ص ١٢٢ ، ١٢٥
٤٠٧ . صوت العالم، ص ٧٥
٤٠٨ . في مهب الريح ، ص ٣٤ ،٧٩
٤٠٩ . انظرذ لك مثلا في مقالته "هدية الهم" ، فقد وضع على لسان الهم من تأملاته الرمزية ما كاد نجمل هذه التأملات غاية في ذاتها . وانظر أيضا مقالته "عظة الغراب" وماوضع فيها من وعظ على لسان الغراب .

Dhaka University Institutional Repository



بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله. [٤١٠] وتظل هذه الفكرة مسيطرة على الحدث حتى يعلن نعيمة انتصارها في آخر الحكاية.[٤١١]

وعلى هذا النحو تقريبا كتب وديع باحوط حكاية "البرغشة".[٤١٢] فقد كانت تجول في رأسه أفكار ذات صينة اجتماعية، كان يمكن أن يكتب في مقالة. ثم خطر له أن يكتبها بلسان البرغشة، ليضع فقد الإنسان على لسان أحقر المخلوقات!

وكتب نسيب عريضة أيضا قصة الصمصامة،[٤١٣] فجمع فيها أخباراً كثيرة من التاريخ، جعل محورها سيف أبي عبد الله آخر أمراء العرب في الأندلس . ولا يمكن أن تسمى هذه الأخبار المجتمعة قصة، فهى حلم مصطنع من أحلام اليقظة؛ والأقرب أن تسمى تاريخ حياة سيف.

**القصة القصيرة**

ونصل أخيرا- في حقل القصة القصيرة- إلى ما اعتبروه هم قصصا قصيرة، وأصدروه في مجموعات قصصية خالصة. ويتكون هذا النتاج من ثماني قصص لجبران نجدها، كلها تقريبا، في كتابيه "عرائس المروج" الذى أصدره سنة ١٩٠٦م والأرواح المتمردة الذى أصدره سنة ١٩٠٨[٤١٤]م . ومن أكثر من ثلاثين قصة لنعيمة جمعت فى مجموعاته القصصية الثلاث: (كان ما كان) الذى كتب قصصة فيما بين السنتين ١٩١٤م و ١٩٢٥م، وأصدره سنة ١٩٣٧م و أكابر الذى أصدره سنة ١٩٥٦م وأبو بطة الذى أصدره سنة١٩٥٩م.[٤١٥]

وقد درس بعض هذه القصص وحلل أكثر من مرة.[٤١٦] وسنكتفى هنا بتحليل أمثلة قليلة، وتكشيف الأحكام العامة.

على أن نعيمة أصاب في هذا الميدان نجاحا ضخما جمله علما وحده في تاريخ قصتها القصيرة، في أدبنا الحديث. فقد هيأته ثقافته الفنية الواسعة واتصاله بالأدب الروسى بخاصة أن

---

٤١٠ . انجيل متى ج ٤، ص ٤

٤١١ . يقول نعيمة : إنه كتب هذه القصة الرد على قول الشاعر أبي تمام المعروف : السيف أصدق أنباء من الكتب ، وإنه جاء بآية الإنجيل لأنها تناسب غرضه من القصة : من كلامه إلى في بسكنتا ١٩٦١/٩/٢٦م

٤١٢ . مجموعة الرابطة، ص ٢٧٨

٤١٣ . المصدرنفسه ، ص٢٩١

٤١٤ . يضم "عرائس المروج" القصص التالية : رماد الأجيال والنار الخالدة ، مرتا البانية ، يوحنا المجنون . ويضم " الأرواح المتمردة" وردة الهاني ، و صراخ ، مضجع العروس ، خليل الكافر . أما القصة الثامنة "السم في الدسم" فنجدها في "العواصف" – مجموعة المؤلفات ج ٣، ص١٩٥٠

٤١٥ . يضم "كان ما كان" القصص التالية : ساعة الكوكو، و سنتها الجديدة، العاقر ، جمعية المونى ، الذخيرة ، سعادة اليك ، شورتى . ويضم أكابر : أكابر، مصرع ستوت، كار الحصى ، أم وليست بأم، عابر سبيل، عدو النساء، عصفور وإنسان، صادق، موعدان، على الله، هدية، علبة كبريت، ذئب الحمار. و يضم "أبوبطة " قصصه القصيرة المتفرقة التي نشرها سابقاً في بعض كتب المقالات ، وهي : أبوبطة، جهنم) ،ثايران، البنكار وليا، اليوبل الألماسي، شهيدة الشهد، صديقي عبد الغفار، السراوك، يذوب الجليد، جنديان، التوبة، مسيو ألفونس، هدية الحيزبون، زلزال، وراحة السلام، أصفر الناب، فلامة الظفر .
وقد أغفل نعيمة قصة واحدة كتبها في المهجر، وهي "قصة مهرجان الموت" التي كتبها في الدعوة إلى غوث الوطن ، في محنة الجوع التي ألمت به في الحرب العالمية الأولى ، الفنون ١٩١٦ ، العدد ٥ ، ص ٣٩١

٤١٦ . سهيل إدريس، القصة في لبنان ، ص ٢٠-٤٠ ؛ جبر، جبران حيا وميتا، ص ٤٤، ٦١

Dhaka University Institutional Repository



ينقل القصة العربية نقلة قطعت بها مدى كبيرا في حقبة قصيرة.[٤١٧] ونكتفى هنا بدراسة قصته القصيرة (أكابر)[٤١٨] لأنها تمثل- في رأينا- للنضج الفنى الذي بلغه نعيمة في كتابة هذا الفن الأدبي. وتمثل، فوق ذلك، خصائص قصته القصيرة.

## القصة الطويلة

أما القصة الطويلة فلم يكتبها من كتاب الرابطة سوى جبران ونصيمة وعريضة. فأما جبران فكتب قصة طويلة واحدة هى "الأجنحة المتكسرة".[٤١٩] وكتب عريضة قصته الوحيدة "قصة ديك الجن الحمصى". وكتب نعيمة أربع قصص طويلة هى: مذكرات الأرقش و لقاء ومرداد و اليوم الأخير.

يقص جبران في "الأجنحة المتكسرة" قصة حبه في بيروت، حين عاد إليها من نيويورك ليدرس اللغة العربية. ولم يستطع نعيمة أن يجمع الخيوط الواقعية لهذا الحب فاكتفى- في كتابه "جبران"- بأن يشير إليها إشارات قصيرة، في مناجاة ذاتية صاغها على لسان جبران، وهى إشارات مستقاة من القصة نفسها، فليس فيها جديد.[٤٢٠]

## مساهمة نسيب عريضة فى القصة

يتبين لنا من التلخيص أن عريضة أفاد، في بناء القصة واختيار وقائعها، من أخبار ديك الجن الواردة في "الأغاني" إفادة كاملة، حتى لقد رضى أن يقف بتفسير المأساة عند الحد الذى وقف عنده أبو الفرج: ظن الخيانة الزوجية ؛ مع أن في أخبار الشاعر وشعره ما يجعلنا نفصل بتفسيرها إلى قرارة الشعور الإنسانى بالغيره وحب التفرد بالملك. فهذا إنسان يحب حبا يملأ دنياه ويحقق إشباع غرائزه كلها، حتى ليصبح تهديد هذا الحب نذيرا بالانهيار والضياع التام. ولعل ديك الجن يعنى هذا المعنى في قوله:

خيفة أن يخون عهدى وأني يضـ  حى لغيري حجوله ورعائه[٤٢١]

فهكذا نتعدى في فهم هذه المأساة الانسانية حدودها القريبة، إلى الغيرة العميقة التى لايتردد صاحبها في أن يرتكب جريمة القتل، استجابة لدعوتها الغريزية القاهرة.ولم يوفق عرضة في

---

٤١٧ . يقول نعيمة : أول قصة كتبتها كانت عام ١٩١٣م . كتبتها بعد أن تشبعت بالأدب الروسي وجاربت منحى الكتاب الروس فى القصة ، بمعنى أنني أخذت مادتها من الحياة . . .: "يوم مع نلسك الشخروب" المجلة ١٩٥٩م ، العدد ٣٥ ، ص ٥٢ .

٤١٨ . نعيمة، المجموعة القصصية- أكابر، ص ٧

٤١٩ . صدرت عام ١٩١٢م في نيويورك ، بعد صدور "الأرواح المتمردة" بتاربع سنوات وهذا يعني أن جبران تدرج في كتابة القصة، فكتب القصة القصيرة أولا ، ثم حول أن يكتب القصة الطويلة : مقدمة نعيمة، مجموعة المؤلفات ج ١، ص ٢٦

٤٢٠ . فنون النثرالمهجرى، ص ٧٥

٤٢١ . الحجول : الحلا خيل . والرعات : الأفراط .

Dhaka University Institutional Repository



تصوير الشخصيات أكثر مما وفق في تفسير الملساة. فقد خلع شخصية ديك الجن عن أبعادها التاريخية في غير ضرورة، فصوره رجلا كبير العقل، يغضي على شر ابن عمه، نبيلا، رقيق النفس، سريعا إلى السجود، فاضلا؛ فهذه صورة عريضة الشاعر الرومانى الرقيق، وليست صورة ديك الجن الخليع الماجن.

فأما شخصية بكر بن رستم صديق ديك الجن، فيبدو أن عريضة نقلها عن شخصية بكر بن دهمرد في "الأغاني". وبكر هذا- في "الأغاني"- غلام يفسق به، ولكنه في قصة عريضة مثال العفة والإخلاص. فلعل عريضة أخذته في تصويره النزعة المثالية التى تأخذ الشاعر في تصوير أصدقائه وأحبائه. فبكر هذا صديق عريضة، وليس غلام ديك الجن .[٤٢٢]

---

[٤٢٢] . فنون النثر المهجرى، ص ١٤٦

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الثالث : المسرحية

لم يعالج كتابة المسرحية من كتاب الرابطة القلمية سوى نعيمة وجبران. فقد كتب الأول مسرحيته "الآباء والبنون" في نيويورك سنة ١٩١٦م،[٤٢٣] ونشرتها له مجلة الفنون متسلسلة في بعض أعدادها[٤٢٤]، ثم أصدرتها في كتاب سنة١٩١٧م. ثم هجر نصيمة هذا الفن، فلم ينشر من بعد الا فصلين تمثيليين بعنوان "الورقة الأخيرة" و "قاهر الموت"[٤٢٥]. أما جبران فكتب- فيما نعلم- أربعة مشاهد تمثيلية: الأول بعنوان الصلبان[٤٢٦] والثاني بعنوان إرم ذات العماد[٤٢٧] والثالث بعنوان الرجل غير المنظور[٤٢٨] والرابع بعنوان ملك البلاد وراعي الغنم.[٤٢٩]

وقد كتب نعيمة لمسرحيته مقدمة طويلة قال فيها : إن شعبنا لم يدرك بعد أهمية فن التمثيل في الحياة، لانه لم ير بعد... نفسه على المسرح. واللوم عائد على كتابنا لا على الشعب. فجل ما قدمناه حتى الآن إلى الشعب من الروايات التمثيلية ينحصر في بعد روايات معربة أكثرها من سقط المتاع، وكلها غربية عنه بعيدة عن أذواقه....[٤٣٠]

ولعلنا قادرون على تلمس أعذار كثيرة لكتابنا هؤلاء الذين أشار إليهم نعيمة؛ فهم الفوا أو ترجموا أو اقتبسو في حدود ما تقبله المرحلة الزمنية التى عاشوها، ولم يكونوا يستطيعون أن يتجاوزوها.[٤٣١] ثم إن الأدب التمثيلي فن جديد أخذناه عن الغرب في جملة الفنون الأدبية التى أخذناهاعنه.[٤٣٢] وقد أقر نعيمة بهذا مقدمة المسرحيه نفسها[٤٣٣]، فليس في الإمكان إذن أن يبدأ كتابنا بخلق "مسرح وطنى"، على حد تعبيره، قبل أن ينقلوا أو يقتبسوا على نحو ما - في مرحلة سابقة- نماذج من مسرح الغرب، أو تتأثروا بها في الشكل على الأقل. وعملية النقل أو الترجمة أو الاقتباس أو التاثر هذه تعد هنا مقدمة لعملية الخلق أو الإبداع- وقد بدأ نقل الفنون الأدبية الجديدة كلها إلى أدبنا هذه البداية، فنقل روادنا النماذج واحتذوها، أو تاثروابها في كتاباتهم، حتى استطاع من بعدهم أن يقتربوا من مرحلة الخلق التى يستجيبون فيها لحاجات أنفسنا وحياتنا. وكانت مرحلة الترجمة والاقتباس والتعريب في المسرح سبقت كتابة نعيمة مسرحيته هذه، وبرز من أعلامها مارون النقاش ويعقوب صنوع وأبو خليل القبانى وغيرهم.

---

٤٢٣. الآباء والبنون ، ط٣، ص ٧
٤٢٤. الآداب ١٩٥٤م ، عدد فبراير، ص ٧
٤٢٥. في مهب الريح، ص ٢٣١
٤٢٦. المجموعة الكاملة، ج ٣، ص ١٢٩
٤٢٧. المصدر السابق ،ج٣، ص١٦٦
٤٢٨. السائح الممتاز ١٩٦٧م، ص ١٧ .
٤٢٩. هو آخر ما كتبه جبران بالعربية . جبران خليل جبران ، ص ٢٩٣
٤٣٠. الآباء والبنون ، ط٣، ص ١٥
٤٣١. مندور محمد، المسرح النثري، ص ١٧ ـ ٢٦
٤٣٢. للباحثين في هذا الموضوع آراء كثيرة . المصدر السابق ، ص ١٤-١٩ ، ٤٩
٤٣٣. الآباء والبنون، ط٣ ، ص١١،١٣

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل الرابع : السيرة

كتب السيرة بنوعيها[٤٣٤]، من أدباء الرابطة، ميخائيل نعيمة في كتابيه"جبران خليل جبران" و "سبعون" الذين ترجم فيهما لحياته وحياة صديقة جبران، على نحو ما يترجم الغربيون لحياتهم وحياة أعلامهم من رجال الأدب والفكر والسياسة: إذ يجمعون الوثائق التى تتصل بها، فيصنفونها ويدرسونها دراسة دقيقة يتمثلون فيها هذه الحياة قائمة في ظروفها من الزمان والمكان، ويرصدون نموها وراحل تطورها، ثم يكتبون قصتها من جديد.

فالسيرة- بهذا المفهوم- فن أدبى عرفه الأدب العربى على نحو ما في السيرة الذاتية.[٤٣٥] ولكنه لم تكتب فيه- قبل سيرة جبران- سيرة تتميز فيها حياة إنسانية شاخصة في ظروفها الحية من الزمان والمكان، كأنها تعود إلى الحياة مرة أخرى. فهذه سيرة مستمدة من القصة الفنية التى عرفناها عن الغرب في عصر النهضة الحديثة. ولعل الفارق بينهما أن القصة تستمد وقائمها من الخيال، والسيرة تستمدها من الواقع.

لقد عرف أدبنا في القديم سيرا تقوم على سرد الأحداث المتفرقة في حياة من يترجم له، دون أن تتلاحم هذه الأحداث وتتكامل ليبدو من خلالها عمل الحياة، ودون أن تلل ضروب الصراع المختلفة التى تحتدم في داخل النفس على نحو ما يعرف الناس في حياتهم وحياة من حولهم. فالسيرة التى نعرفها في أدبنا القديم تجمع ملامح متفرقة من حياة المترجم له تنفع في صياغة حياته من جديد، وكتابة قصتها على نحو ما وصفنا، حتى تكون حياة تعاد لا تفاصيل تسرد.[٤٣٦]

ومن هنا تبدو قيمة سيرة جبران التى كتبها نعيمة؛ فإنه لم يسبق أن كتبت في أدبنا سيرة أدبية على هذا النحو قبلها. فأما الصور التى كتبها العقاد في "العبقريات" وغيرها، والسيرة التاريخية التى كتبها الدكتور محمد حسين هيكل في حياة محمد والصديقين، ومحمد شفيق غربال في محمد على الكبير، والسيرة الإخبارية التى كتبها سعيد العريان في حياة الرافعى، والسيرة شبه الفنية التى كتبها على أدهم في منصور الأندلس، فلم تكتب على هذا النحو الفني.[٤٣٧]

---

٤٣٤. لم يتيسر لنا – حتى اليوم – أن نتفق على المصطلحات الفنية التي تسمي بعض الفنون الأدبية : فبقيت مصطلحاتنا المرتجلة مضطربة يختلف فيها الكتاب والنقاد. ولعل اختلافهم في مصطلح الفن الأدبي الذي يسميه الغربيون : Biographie مثال على ذلك ، فقد يسميه بعض نقادنا : سيرة ، وبعضهم : ترجمة. ثم تتضارب هذه المصطلحات لما يلحق بها من إضافات للدلالة على ما يسميه الغربيون : Autobiographie أي : السيرة الذاتية . وقد اخترنا نحن هنا المصطلح الشائع .

٤٣٥. إحسان عباس، فن السيرة، ص ٧-٣٦

٤٣٦. فنون النثر المهجرى، ص١٨١

٤٣٧. سيد قطب ، النقد الأدبي، (القاهرة:١٩٥٤)، ص ٩١-٣

Dhaka University Institutional Repository



## سيرة جبران خليل جبران

وقد صدر كتاب نعيمة عن جبران في بيروت سنة ١٩٣٤م، بعد ثلاث سنوات من وفاة جبران. ويقول نعيمة[٢٣٥]: إنه " تردد كثيرا قبل أن يقدم على وضعه "، لأسباب ذكرها.

---

٢٣٥. المجموعة الكاملة، ص ٥

Dhaka University Institutional Repository



# الفصل الخامس : المثل والرسالة

## المثل

إن جبران ونعيمة كليهما متأثران في أمثالهما بأمثال التوراة، ثم بعظات السيد المسيح في الإنجيل، ثم بالحكم التى تحفل بها كتب الأديان الشرقية. وقد لا يبعد أن يكونا متأثرين أيضا ببعض ما كتب الغربيون في هذا الباب.

وقد التفت جبران في كتابيه الإنجليزيين السابق و المجنون إلى المثل القائم على التشبية، والمموه بالرمز. وأغلب الظن أنه تأثر فيه بأسلوب المسيح في صياغة عظاته وأمثاله، وبكتاب كليلة ودمنة الذي اتخذ من دنيا الحيوان ميدانا للرمز. فأما كتابه الإنجليزي الثالث رمل وزبد فقد أخلصه كله للأمثال القصيرة. وبهذا الكتاب تأثر نعيمة في كتابه كرم على درب، على نحو ما يبدو لنا بعد قليل.

وتشف أمثال جبران عن كآبته الرومانية الأصيلة ؟ فهو يقول : كآبة الحب تترنم، وكآبة المعرفة تتكلم، وكآبة الرغائب تهمس، وكآبة الفقر تندب. ولكن هناك كآبة أعمق من الحب، وأنبل من المعرفة، وأقوى من الرغائب، وأمر من الفقر؛ غير أنها خرساء لا صوت لها ؛ أما عيناها وشمستان كالنجوم.[٤٣٩] ويقول : الدموع صلاة صامتة[٤٤٠] و دموع الشفقة في عينيك كواكب تتلألأ في صدر الأبدية[٤٤١] و ما الدموع تلك التى تظهر مثلمة بأجفاننا بل تلك التى تختبئ مستترة بقلوبنا.[٤٤٢]

وقد لفت نعيمة إلى هذا الفن- أول الأمر- كتاب جبران الذي أصدره بالإنجليزية سنة ١٩٢٠م باسم "السابق" ، فكتب فيه نقدا معجبا، قال فيه: إن المثل- من كل أساليب البيان- هو أبسطها وأجملها وأفصحها، لأنه أقربها إلى العقل [٤٤٣] وهو خليق أن يفعل في أنفسنا، في نقد وهم من أوهمنا، أو تصوير مظهر من مظاهر حياتنا.[٤٤٤]

ثم أصدر جبران كتابه رمل وزبد سنة ١٩٢٦م، فأوشك أن يقصر فيه المثل على الحكمة التى شاعت في الآداب الشرقية القديمة، في صورة العبارة الموجزة الأدبية التى تفسر ظاهرة من ظواهر الحياة تفسيرا مركزا أصيلا. ويراعى فيها الصنعة، في تنميق العبارة وتنسيقها [٤٤٥].

---

٤٣٩. المجموعة ، ج ٣، ص١٨٠

٤٤٠. السائح الممتاز ( ١٩٢٥م )، ص ٣٨ ،

٤٤١. المصدر السابق، ص ٣٧

٤٤٢. المصدر نفسه، ص ٣٧ ،

٤٤٣. الغربال ، ص١٤٤

٤٤٤. المصدر السابق، ص ١٤٤

٤٤٥. عبد المجيد عابدين ، الأمثال في النثر العربي القديم ، (القاهرة١٩٥٦م)، ص ١٠-٤

Dhaka University Institutional Repository



ونعتقد أن نعيمة سلك هذا المسلك في كتابه معظم أمثاله، متأثرا بجبران، فوضع كتابه كرم على درب مقتديا بكتاب جبران هذا، فلقد تقاربت معانى بعض الأمثال في الكتابين،[٤٤٦] فضلا عما وقع من التماثل في صياغة المثل.

وقد اتخذ نعيمة الكتابه عنوانا معبرا (كرم على درب)، وهو عنوان عميق الصلة بموضوع الكتاب، يعنى أن يكتفى عابر السبيل منه بما يبل زيقه في الطريق.

**الرسالة**

ندرس هنا الرسالة في أدب جبران وحده، لأنه لم نجمع رسائل غيره من كتاب الرابطة، ولم تصل إلينا. وما وقع في يدنا من رسائل نعيمة وغيره من كتاب الرابطة لايفى بحاجات الدراسة اليوم. وعسى أن تتم دراسة الرسالة في أدب الرابطة القلمية يوم يتاح لنا أن نجمع من نماذجها مقدارا صالحا يعين عل تبين خصائصها.

ثم إنه ليس من السهل أن نجمع رسائل جبران المنشورة أيضا، فهي متفرقة في الصحف والمجلات والكتب البعيدة وما نشك أن رسائل أخرى أكثر منها عددا ما تزال مطلوبة، لم يقبل أصحابها على نشرها لأسباب كثيرة.

وسنجعل نحن – على كل حال- من كتاب نعيمة جبران خليل جبران المصدر الأول لرسالة جبران، فهو يضم ثمانى وعشرين رسالة كاملة، لم ينتقص منها نعيمة حرفا واحدا، ولم يبدل حرفا واحداً .[٤٤٧]

وأول رسالة وصلت إلينا من رسائل جبران، كتبت سنة ١٩٠٤م، وكان جبران آنذاك جاوز العشرين من عمره. وآخر رسالة ترقى إلى سنة ١٩٣٠م، قبل وفاته بسنة واحدة. وهذا يعنى أننا قادرون على تتبع ما خلف جبران من أثر في هذا الفن، منذ بدأ إنتاجه الأدبي تقريبا، حتى تألق في ما بين الحربين فأما مرحلة تكوينه الفكرى فليس في أيدينا رسائل تصورها. ولو وقع لنا بعضها لأفدنا منه كثيرا في فهم المرحلة الغامضة من حياته وتجاربه الروحية والعاطفية.[٤٤٨]

ويبدو في الرسائل التى في أيدبنا- على اختلاف المراحل- ما يبدو في أدب جبران كله من سطوع الذات، حتى ليكاد لكثرها يكون حديثا عن نفسه وآلامه ومطامحه وأعماله. وإنما تبدو هذه الصفة في الرسالة أشد اتضاحا، لأن الرسالة الصق بالنفس واصدق في الكشف عن مخبآتها، لشعور الكاتب حين- يكتبها بالأمان. فهكذا تشف هذه الرسائل عن بعض ما كان جبران يستره من

---

٤٤٦. يقول جبران ممثلا : "لولا الضيوف لكانت البيوت قبورا" ، رمل وزبد، ص ٤٣ ، فيقول نعيمة : "إن دارا لاتعرف الضيف لمقبرة لساكنيها"، ميخائيل نعيمة، كرم على درب، المثل ٢٤١، (القاهرة:١٩٤٦م) ، ص ٥٣ ،

٤٤٧. نعيمة، جبران خليل جبران، ص ٢٧٤

٤٤٨. فنون النثر المهجرى، ص ٢٦٨

Dhaka University Institutional Repository



وراء ورقه النبوة، في أدبه الذى يكبته للناس؛ كأن يقول في إحدى رسائله إلى أمين الغريب سنة ١٩٠٨م، يصف له باريس، فيصف معها حبه الدولار: ... حيث يعبد الناس الفنون الجميلة مثلها يعبد الأميركان الدولار القوى الذي علمتنى الأيام أن احترمه واعتبره كاعظم واسطة بين الإنسان وأمانيه! [٤٤٩]

وتنكشف ي رسائل جبران رغبته القوية في الظهور الشهرة، على نحو لا نعرفه في مقالاته وقصصه. يقول من رسالة له إلى أمين الغريب أيضا: أشعر بأن جبران قد جاء هذا العالم ليكتب اسمه بأحرف كبيرة على وجه الحياة. وهذا الشعور بلازم نفسى ليلا ونهارا. وهو الذي يجعلنى أن أرى المتقبل مكتنفا بالنور، محاطا بالغبطة والمجد [٤٥٠] وإنما يتضح الإحساس بالنبوة فيما بعد، في ضوء هذه المقدمات التى كتبها سنة ١٩٠٨م.

وقد يعين على توضيح ما نقول كلام آخر قاله جبران في إحدى رسائله إلى ابن عمه نخلة سنة ١٩٠٨م. يقول : هل يكون لتعاليمى شأن في العالم العربى أو تفنى وتضمحل كالفئ ؟ هل يقدر جبران أن يحول بصائر الناس عن الجماجم والأشواك إلى النور والحق أم يكون جبران كالكثيرين الذين يجيئون إلى هذا العالم ويعودون إلى الأبدية، غير تاركين وراءهم شيئا يذكر الناس بكيانهم ؟[٤٥١] فهذا الشاب الذى لم يبلغ الخامسة والعشرين ينضج في نفسه إحساس عميق بالتميز والرغبة في الخلود. ويكون له ما يسميه تعاليمه التى يبثها في الناس، ليحول بصائرهم عن الجماجم والأشواك إلى النور والحق! .

---

٤٤٩. رسائل جبران، ص ١٣
٤٥٠. المصدر السابق ، ص ٢٥
٤٥١. جبران حيا و ميتا، ص ٢٢٦

Dhaka University Institutional Repository



## الفصل السادس : الخصائص العامة للنثر المهجرى عند كتاب الرابطة القلمية

نستطيع - بعد فراغنا من هذه الدراسة - أن نقرر الخصائص العامة التالية لنثر المهجرى لدى كتاب الرابطة القلمية :

١-**الذاتية** : نثر ذاتى عميق الصلة بذوات كتابه، شديد الإفصاح عن تجربتهم القاسية، صادق التعبير عن أوجاعهم النفسية وضياعهم الروحى فى ديار الغربة ، قلق متشوف إلى الطمانينة والاستقرار ، معذب بالحنين ، متطلع إلى الوطن . وليس فى نثر المشرق - فيما نعلم - مثل هذا الطعم الجامع .

٢- **تلوّن الطعوم** : وهو نثر يختلف مذاقه بالنسبة لكل كاتب من هؤلاء الكتاب مضمونا وشكلا : فهم اتفقوا على أن يكون أدبهم صدى لتجاربهم الخاصة ووجدانهم الذاتى ثم افترقوا يمينا وشمالا ووسطا : تمرد بعضهم على الشرائع والقوانين وحمل علم الثورة بالقديم كله، وحطم صورة التعبير التقليدية وحرر الخيالى ، وأدار بعضهم وجهه إلى القديم فراجعه وأخذ منه وغلا فيه حينا . واعتدل الأخرون فلم ينصرفوا إلى القديم ولم يقبلوا عليهم بأنفسهم كلها . أغرق بعضهم فى التصوف حتى فسر الحياة كلها فى ضوء عقائده ، واعتبر الدين الحقيقة الأولى التى يجب أن يحكمها الإنسان فى حياته تفكيرا وعملا . وسخر بعضهم من الدين واعتبره فلسفة يصح أن يختلف فيها الناس . وأنكر بعضهم نزعة التصوف ودعا إلى الانصراف عنها . ووقف بعضهم بين هذه التيارات كلها يأخذ هذه حينا وينصرف عن تلك حينا .

وأنكر بعضهم الأوطان وعبث بحدودها وسخر من القوميات ودعا إلى السلم ولجلج بعضهم بالنزعة القومية ، على حين مجد بعضهم الوطن وقدس حدوده . واستبسل بعضهم فى الدفاع عن العروبة وإعلاء رايتها الجامعة . وأخذ بعضهم بحظوظ من هذه الاتجاهات على اختلافها فى مراحل مختلفة من حياتهم . ويصح هنا أن نستخلص - مما قلناه - هاتين النتيجتين الهامتين :

أ- ليس من السهل إذن أن نسمى الرابطة مدرسة أدبية جامعة ، وأعضاءها على مثل هذا التفرق . فهم وإن التقى معظمهم مع الرومانسيين فى الدعوة إلى التعبير الذاتى عن التجربة ، وفى الميل إلى الطبعية والحنين إلى الوطن ، وفى النزعة الى الكآبة والثورة بالسلطان ، فقد بقيت للكلاسيكية فى قلوب بعضهم نوطة حارة بدت فى صدورهم وتعبيراتهم وموضوعاتهم التى اختاروا الكلام فيها . وهم لم يذهبوا - على كل حال - مذهبا واحدا فى نزعاتهم الرومانسية ، فلم يثر بعضهم بكل سلطة ولم ينزع الى الكآبة والبكاء والتفجع ، بل أنكر ذلك إنكارا حاسما ، ووقف بعضهم ويلوح لنا أن هؤلاء الكتاب لم يكونوا متهيئين أبدا للانتظام فى مدرسة أدبية جامعة فى

Dhaka University Institutional Repository



تلك المرحلة ، فهم غدروا أوطانهم المكبلة فى طلب المدى والواسع الذى يمكنهم من التعبير عن ذواتهم كما يشتهون ، فليس من السهل أن يرتضوا لأنفسهم حدودا يلتزمونها ، مهما يكمن لونها . وإذا لم يكن بد من التسمية الجامعة ، فلنسعهم إذن المدرسة الذاتية أو مدرسة الوجدان الذاتى فهم حقا غنوا ذواتهم وحققوها فى جميع ما قالوه شكلا ومضمونا على اختلاف النزعات واضطراب مداها .

ب- والنتيجة الثانية - وهى تحقق النتيجة الأولى وقوع هذا الاضطراب الفكرى الذى جلاه أدبهم جلاء محزنا : فإن واحدهم ليؤمن بوحدة الحياة ووحدة الإنسان ثم يفرق بين الروح والجسد . ويلغى الفروق والحدود والأوطان ثم يضع خطا حاسما بين الشرق والغرب . ويؤمن بالعرب ووحدتهم ثم يرضى أن يقف عند حدود سورية ولبنان لايتخطاها . ويتمرد على الصورة الأدبية القديمة وعلى مقاييسها الفنية حينا ثم يغرق فيها حتى السجع بعد حين !

ولا شك أنهم - فى اضطرابهم هذا - يعكسون اضطراب الجبل الذى يمثلونه فى هذه البقعة من الأرض ، ويمثلون وتزعز قيمه وحيرة روحه ، فكأنهم حقا - قوم موسى فى التيه كما يقول ابو ماضى .

٣- **المثالية المسيحية :** ثم هو نثريرفض أن يقربالواقع ، ويريد أن يبنى لنفسه عالما أخر بعيدا يتصوره وعالمهم هذا - مع تقدير المفارقات - هو عالم المسيح نفسه :

ملكوت السماء ، وطريقهم إليه هو طريق المسيح نفسها : المحبة ، وإنسانهم فيه - بالتالى هو إنسان المسيح نفسها المحبة ، وإنسانهم فيه بالتالى هو انسان المسيح : ابن الله وقد انطلق أكثرهم فى تصور هذا العالم الجميل ، كل على هواه فبعضهم انتهى إلى أصوله الفلسفية فى الديانات الشرقية وبعضهم اكتفى بما جاء فى الإنجيل ووقف عنده . وقد توزعت آيات الإنجيل نفسها نصا أو روحا مقالات زعيمى الرابطة جبران ونعيمه حتى لنجدها - على الأغلب فى كل صفحة . فليس غريبا بعد هذا يسمى أحد أدباء المهجرى الجنوبى هؤلاء الكتاب دعاة المسيحية الحقيقيين ، كما رأينا وأن تبدو نزعتهم الإنسانية عميقة حارة شاملة .

٤- **الالتزام :** وقد التزم معظم كتاب الرابطة هذه المبادى فى إخلاص حتى فنى فيها بعضهم ، فلم يغادرها فى كل كلمة يكتبها . وفسر فى ضوئها الحياة من وجوهها جميعا، فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد . ودعا الى تحكيمها فى القول والعمل بالنسبة للفرد وعلاقته بنفسه ومجتمعه . وبالنسبة للمجتمعات وعلاقاتها بعضها ببعض.

ومن هنا يتعين على الذين يعتبرون أدبهم برجيا أن ينظروا فى هذه الحقيقة ، فإما أن يلغوا تهمتهم او يحولوها إلى المبادىء ذاتها ، فههنا رأس التبع فى رأينا .

Dhaka University Institutional Repository



٥- **التجديد** : وقد اتصل هؤلاء الكتاب بالثقافات الغربية اتصالا مباشرا سهل لهم الطويل إليه اضطرابهم فى قلب الحضارة الغربية ، ومقابلاتهم إياها وجها لوجه وإتقانهم لغاتها ، وضعف ارتباط أكثرهم بقيم تراثنا الأدبى القديم وصوره وأساليبه فى التفكير والتخيل والتعبير ، فاستطاعوا الانطلاق شكلا ومضمونا : غمسوا أقلامهم فى قلوبهم وجنحوها بخيالهم وزودوها بثقافاتهم ، وأرسلوها فى كل ميدان ، فكتبوا فى الفنون الأدبية جميعا ، وخلقوا بعضها خلقا فى أدبنا ، وأصابوا فى بعضها - كالسيرة والقصة - نجاحا ضخما دفع بأدبنا عقودا إلى الأمام.[٤٥٢] وحقق زعيما الرابطة فى صورة التعبير خاصة تجديدا كبيرا ، فخلع جبران عنها أكسيتها القديمة وكساها من خياله أكسية جديدة رائعة وعركها نعيمة وسهلها وعراها من زخرفها. ولولا ضعف غلب على جملتهم فبعد بها عن شخصيتها العربية فى كثير من الأحيان ، وقربها من الأجواء الإنجيل المترجم وتراكيبه الخاصة ؛ أثر تجديدهم فى المضمون غلب عليه دورانهم الدائم حول الإنجيل أيضا ، لبدا أثر تجديدهم فى أدبنا أكثر بروزا .

وقد وقف بعض الباحثين [٤٥٣] عند تجديدهم فى الصورة ، وتأثرهم فيه بطبيعة لبنان وجوه الفكرى الخاص : فزعم أن أن للجبل روحا خاصا لايتصل بالروح العربية ، وإن نجحت هذه عن طريق اللغة وقوالب التعبير - فى أن تحمل الأخيلة العربية إلى المثقفين من أهل لبنان فتلقى ظلالا على طبيعتهم . وانتهى إلى قوله بأن النهضة الأدبية الأخيرة حررت لبنان من الطابع العربى ، فإذا بلبنان يخرج بأدب عربى اللفظ لبنانى الروح .

وليس يضير الأدب العربى - فى رأينا - أن تكون الأقاليم وطنه المختلفة آثار فيه تميز نتاج كل أقليم ، فهذا أدل على حياة هذا الأدب وأدعى إلى إخصابه . والأدب العربى قادر على أن يسع هذا الإختلاف ويغنى به ويقضى - مع الزمن - على بعض الانحراف والتطرف البادبين فيه . وقد انتهى نعيمة - كما رأينا الى الإقرار بما كان فى لغته ولغة المهاجرين من ضعف ، دفعهم إحساسهم به - فى رأينا إلى التطرف فى التجديد حينا ، وفى الدعوة إلى إنكار كل قديم . وقد عاد نعيمة الأن إلى الجادة التى تصل أخره بأوله ، حتى لتمثل عودته هذه - فى رأينا - نجاح هذا الأدب أخيرا فى القضاء على التطرف الذى يذهب بجذوره . فليس الأمر إذن تحرير لبنان من الطابع العربى ولكنه إغناء هذا الطابع وتلوينه بالنتاج اللبنانى . وقد حمل كتّاب الرابطة كما رأينا - هذه الأمانة فى حماسة فأناخوا الأدب العربى ، أن يذوق طمعا جديدا لم يتح له أن يذوق منه إلا على أيديهم . ولئن رافق ذلك ابتعاد عن خصائص التراث العربى أحيانا كثيرة ، لقد بقى لنا خلال البحث .

---

٤٥٢ . فنون النثر المهجرى ، ص٢٢٦

٤٥٣ . إسماعيل أدهم ، الحديث، عدد ١٨، ص ٢٩

Dhaka University Institutional Repository



والالتفات إلى هذا النثر اليوم ودراسته وتذوقه وتحديد خصائصه دليل واضح على أن الأدب العربى وسع هذا التيار الضخم وآواه وغنى به وأفاد من حسناته الكثيرة. والأدب العربى اليوم أقدر على أن يفتح أبوابه لكل جديد نافع بعد هذا الجديد ، فقد صمد للتجربة المنيفة زمنا طويلا دون أن يفقد أتزانه ، وتعلم من ذلك الثقة بأصوله المريقة وبمرونة أطرافه فى وقت واحد .

إننا لا نشك فى أن كتّاب الرابطة كانوا يعبرون عن شخصيته لبنان المتميزة بالفتنة والاتجاه نحو الغرب والشرق ، والتمسك بعقيدته الخاصة فى النظر إلى الحياة . ولكن ذلك فى رأينا لايعنى الخروج على شخصية الأدب العربى وفراقها ، وإنما يعنى إخصابها وتطعيمها ، حتى تكون أكثر قدرة على التآلف مع الحياة الحديثة ذات النوافذ العريضة المطلة على مختلف الثقافات العربية . ولقد أدى هؤلاء الكتاب هذا الدور الضخم ، ولم يكن غيرهم قادرا على تأديته ، لما أشرنا إليه من أسباب .

٦ - **الأصالة** : ومن هنا نعد هذا الأدب صفحة لم يكتب مثلها - بخصائصها - فى أدبنا كله قديمة وحديثة ، لأنه قصد به التعبير عن شخصية جديدة ذات أبعاد فكرية واجتماعية وسياسية خاصة ، هرب بها أصحابها من وطنهم ليغنوها وينشروها ويحققوها فى مهجرهم . وقد أتيح لنثرهم أن يسع التعبير عن هذه الشخصية بأوسع مما أتيح للشعر فى الشكل والمضمون ، إذ وقفوا فى الشعر عند حدود الثناء الذاتى الإنسانى دون أن يصلوه ينابيعه فى الإنجيل والفلسفات الشرقية الأخرى، على حين دللوا على هذه الينابيع وحقوقها فى نثرهم .

ولم يبن فى الشعر انحراف صورة التعبير عن مسلك الصورة العربية ، إذ اضطرتهم الأوزان الكلاسيكية - وإن تصرفوا فيها - إلى مراعاتها قدر الإمكان .

ثم أتيح للشعر بعد هذا أن يدور فى ساحته أبو ماضى ونسيب عريضة ، وكلاهما يحرص على أن يحتفظ بسمات الصورة العربية ويغنى فى حدودها - بعد أن يطوعها بما يلائم مزاجه - عواطفه الأليفة . فبدت نتيجة لهذا كله غلبة الشعر على النثر فى أوساط القراء العرب ، حتى لقد سد عليه الطريق .

على أن هذا كله ينتقص من مكانه هذا النثر وإن كان يقلل من انتشاره فى هذه الأوساط فإن خصائصه الرفيعة التى استخلصناها فى هذه الخاتمة كفيلة أن تهيئ للقارئ العربى زاد إنسانيا لقلبه المجروح ، ومتعة فنية لا حد لجمالها وطرافتها وصدقها .

ولن يجد هذا القارئ العربى - فى رأينا - ما يعوضه عن هذا الزاد الكريم وهذه المتعة الجميلة فى أى صفحة من صفحات أدبنا . فهى صفحة كتبت مرة واحدة، ولن تكتب بعدها إلى الأبد .

Dhaka University Institutional Repository



# الخاتمة

قد عرفنا من البحث أن الوطن العربى فى القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، كان يعانى من استبداد الأتراك وظلمهم وبؤس الحياة وما فيها من فقر مدقع وجهل مرير. فكان لابد من السكان أن ينزحوا عن أرض الوطن ، فرحل الراحلون وقد تركوا فى أرض الوطن الأهل والأصحاب، ومراتع الطفولة ومسارح الأحلام وعزيز الذكريات، وتركوا إلى جانب هذا أيضا غصة فى الصدر لفراق الوطن الحبيب وهو يئن فى أغلال الاستعباد. امتلأت أفئدتهم وجوارحهم بهذه العواطف المتباينة المضطربة، وغادروا أرض الوطن ليقيموا فى عالم جديد غريب عنهم، وهم أيضا غرباء فيه. وكان العالم الجديد الذى أقاموا فيه يختلف عن وطنهم فى كل شئ: فالآلة بصخبها و ضجيجها هى التى تدفع البلاد إلى الإنتاج وميادين الحياة المختلفة. يقابل هذا فى الوطن القديم. كل هذه العوامل تركت آثارها العميقة فى النفوس، وحبست الصدور والعقول. ونحن نعلم أن الانفعال من أول العوامل التى تدفع إلى قول الشعر، فليس غريبا، والحالة هذه، أن يكثر عدد الشعراء فيهم، وإنه ليعد غريبا حقا أن يقل عدد الشعراء فى مثل هذه الظروف.

مما يجدر ذكره أنه قد كان للرابطة القلمية أثرها فى هذه المجموعة من الشعراء والكتاب، لأنها إذ نظمت العلاقات بين أعضائها، وعرضت للملأ أهدافها، قد هيأت الفرصة، عن طريق صحفها للمغمورين من الشعراء أن يظهروا، كما أنها أفسحت المجال للشعراء الراسخين فى الشمال والجنوب لكى يعرضوا إنتاجهم. وبهذا كانت صحافة الرابطة القلمية ومجهوداتها السجل الأمين الذى نقل إلينا الكثير من إنتاج الشعراء المهجريين، وعرفنا بالكثير من هؤلاء الشعراء. وغير خاف ما كان للرابطة القلمية من أثر فى تنظيم العلاقات بين أدباء المهجر وشعرائه، ومن عاصروهم من شعراء الشرق العربى وكتابه مما أوردناه بتفصيل فى خلال البحث.

## خلاصة البحث

١- إن جماعة من أبناء لبنان وسوريا قد هاجروا إلى أمريكا متمنين حياة طيبة ومعيشة وسيعة ورضية. كان فى المهاجرين أدباء وشعراء ، سكن بعضهم فى أمريكا الشمالية وبعضهم فى أمريكا الجنوبية . أسس شعراء الشمال وأدباءها هيئة أدبية "الرابطة القلمية" و شعراء الجنوب وأدباءها "العصبة الأندلسية" هيئتا لتطوير الأدب العربى فى المهجر.

٢- صور أعضاء الرابطة فى تحاريرهم ما شاهدوا من الظلم والاضطهاد والتحكم فى وطنهم التى هاجروها وما لاقوا فى المهجر من الحرية الكاملة والعدالة فى المجتمع وما أصابتهم من المصيبة فى البلاد الغريبة بعد الهجرة .

Dhaka University Institutional Repository



٣- أسهم أعضاء الرابطة فى حياتهم القصيرة (عشر سنوات) إسهاما كبيرا فى حقل الأدب العربى من الشعر و النثر . فما أبقوا لنا من الثروات الأدبية ظهرت بصورة الديوان، فوجدنا دواوين لأكثر أعضاء الرابطة.

٤- قد أجمع أعضاء الرابطة فى إنتاجاتهم أفكارا جديدة ما نالوها من بيئة منطلقة فى أمريكا ، رسموا كل ما واجهوه فى طريق مشيهم فى المهجر بمساعدة الأقلام مقرنين سرائر قلوبهم .

٥- يرشد هذا البحث الدارسين الغابرين للأدب العربى القويم إلى عالم جديد. فإنهم سيقفون بمطالعته أساليب أعضاء الرابطة فى إنتاج الأدب الهمجرى خاصة و مناهجهم فى التحرير الأدبى عامة. ويساعدهم فى هذا الحقل أفكارهم الفنية والوضعية.

وفى الختام يهمنى أن اعترف بتقصيرى حيث أننى لم اعتقد استقصاء جميع أعمال الرابطة القلمية ودراستها كما ينبغى ويليق ولايمكن أن يدعى باحث من الباحثين فى الوصول إلى قمة الدراسة والبحث فى أى موضوع كان.

وهذا ما يسّره الله لى فى هذا الموضوع إن كان صوابا فهو من الله وإن كان خطاء فهو من نفسى وأسأل الله لى فى هذا أن يمدنى لإنجاز مثل هذه الأعمال فى المستقبل لما فيه الخير فى ديننا ودنيانا والله ولى التوفيق.

Dhaka University Institutional Repository



# المصادر والمراجع

## المصادر بالعربية

### أ- الكتب


١ . الأب فرديناند توتول ، المنجد فى الأعلام (بيروت : دار المشرق٢٠٠٧م).

٢. أب لويس شيخو اليسوعى، تاريخ الآداب العربية فى الربع الأربع الأول من القرن العشرين بيروت: (ب ت).

٣. د. إحسان عباس ومحمد يوسف نجم ، الشعر العربى فى المهجر الشمالى (بيروت: ١٩٥٧م)؛ (بيروت:صادر:١٩٧٤م).

٤. إحسان عباس، فن السيرة (القاهرة: ب ت )

٥. أحمد قبش، تاريخ الشعر العربى الحديث، (بيروت: دار الجيل ب ت).

٦. الدكتور أبو شادى : دراسات أدبية (القاهرة: الحلقة ١٤٧).

٧. أمين الريحانى، أنتم الشعراء (بيروت: ١٩٣٣).

٨ . أمين الريحانى " فى ذكرى جبران "

٩. أمين الريحانى، الريحانيات (بيروت:١٩٢٢م).

١٠. أنيس المقدسى، الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ( بيروت : دار العلم للملائين : ١٩٨٨) .

١١. أوغست أديب باشا، لبنان بعد الحرب ،ترجمة الشيخ فريد حبيش ( القاهرة : دار المعارف١٩١٩م)

١٢ . إيليا أبو ماضى ، الجداول ( بغداد: ب ت)

دار المعارف،١٩١٩م).

١٣. د.ثروت عكاشه ،النبى : ترجمة موازية للنصين الأنجليزى والعربى (مصر : دار الشروق ١٩٩٨م).

١٤. جبران خليل جبران ، العواصف (بيروت : مكتبة بيروت، ١٩٥٠م).

١٥. جميل جبر، رسائل جبران (بيروت:١٩٥١).

١٦. جميل جبر، مي وجبران (بيروت،١٩١١م ).

١٧. جورج صيدح، أدبنا و أدباؤنا فى المهاجر الأمريكية (بيروت: دار الملايين ١٩٥٧) .

١٨. حبيب مسعود اللبنانى ، جبران حيا وميتا ، (القاهرة : أبوالهول، ١٩٣٢م).

Dhaka University Institutional Repository



١٩. حنا الفاخورى، تاريخ الأدب العربى (لبنان : دار الجيل: ب ت).
٢٠. خورى باسيليوس خرباوى ، تاريخ الولايات المتحدة (نيويورك:١٩١٣)
٢١. دراسات فى الشعر العربى الحديث (بيروت: دار العلوم العربية، ١٩٨٦م).
٢٢. رئيف الخوري ، الفكر العربية الحديث ، أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي (بيروت: ١٩٤٣م)
٢٣. رشيد أيوب ، أغانى الدرويش (نيويورك : ١٩٢٨م).
٢٤. رشيد أيوب ، الأيوبيات (بيروت١٩٥٩م).
٢٥. زهير ميزرا، إيليا أبوماضى شاعر المهجر الأكبر (سوريا: دار اليقظة،١٩٤٥م).
٢٦. سليم قبعين، مذهب تولستوي ،مترجم ، (القاهرة: ١٩٠١م).
٢٧. سيد قطب ، النقد الأدبي (القاهرة:١٩٥٤م)
٢٨. عبد الغنى حسن، الشعر العربى فى المهجر (القاهرة:١٩٥٨م).
٢٩. الدكتور عبدالكريم الأشتر، النثر المهجرى ، (بيروت: دار الفكر،١٩٧٠م).
٣٠. عبد المسيح الحداد، حكايات المهجر (نيويورك: ١٩٢٠).
٣١. عبد المجيد عابدين ، الأمثال في النثر العربي القديم (القاهرة: ١٩٥٦م).
٣٢. عيسى الناعورى، إيليا أبوماضى،(القاهرة: ب ت).
٣٣. فرحات زيادة و ابراهيم فريجى، تاريخ الشعب الأمريكى، (برنستون١٩٤٦م).
٣٤. فيليب طرازى ، تاريخ الصحافة العربية،( بيروت:١٩٣٣م).
٣٥. كارل بروكلمن، تاريخ الأدب العربى ، (القاهرة:دار المعارف).
٣٦. مارون عبود ، جدد و قدماء (بيروت: ١٩٥٤م) .
٣٧ . مارون عبود، مجدون ومجترون ، (بيروت:١٩٤٨).
٣٨. المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ، (بيروت: صادر،١٩٥٠،١٩٤٩).
٣٩. محمد كرد على، غرائب الغرب (دمشق: ١٩١٠م).
٤٠. محي الدين رضا ، بلاغة العرب فى القرن العشرين (القاهرة:١٣٣٩).
٤١ . ميخائيل نعيمة، الآباء والبنون (نيويورك: ١٩١٧م).
٤٢. ميخائيل نعيمة، البيادر (القاهرة : ١٩٤٥م) .
٤٣ . ميخائيل نعيمه، جبران خليل جبران ، (بيروت: مكتبة بيروت، ١٩٤٣م) .
٤٤. ميخائيل نعيمة، سبعون (بيروت: ١٩٦٠).
٤٥. ميخائيل نعيمة، صوت العالم (القاهرة: ١٩٥٧م).
٤٦. ميخائيل نعيمة، الغربال، (القاهرة، : دار المعارف، ١٩٥٧م) .

Dhaka University Institutional Repository



٤٧. ميخائيل نعيمة، في مهب الريح (بيروت:١٩٥٣م).
٤٨. ميخائيل نعيمة، كان ما كان (بيروت: ١٩٥٦م) ..
٤٩. ميخائيل نعيمة، مرداد (بيروت: ١٩٥٢م) .
٥٠. ميخائيل نعيمة، المراحل (بيروت: ب ت).
٥١. ميخائيل نعيمة، النور والديجور (بيروت: ١٩٥٠م)
٥٢. ميخائيل نعيمة، همس الجفون، (بيروت: ١٩٥٢م).
٥٣. ميخائيل نعيمة، المجموعة القصصية- أكابر.
٥٤.ميخائيل نعيمه ، مجموعة الرابطة القلمية ( القاهرة:١٩٢١م ) .
٥٥. د. نادرة جميل السراج ، شعراء الرابطة القلمية ( مصر: دار المعارف ).
٥٦. ندره حداد، أوراق الخريف (نيويورك:١٩٤١م).
٥٧. نسيب عريضة، الأرواح الحائرة (نيويورك: ١٩٤٦م).
٥٨ . نسيم نوفل، بطل لبنان (الإسكندرية: ١٨٩٦).
٥٩. نشرة الناطقون بالضاد ( أمريكا : معهد الشئون العربية الأمريكية بنيويورك ١٩٤٦ م).

**المجلات والموسوعات**

١. الألبير أديب، الأديب (بيروت: ١٩٥١م ).
٢. إيليا أبوماضى، السمير (نيويورك١٩٣٢م ) .
٣. جورج نقاش و رشدى المعلوف، الجريدة اللبنانية ( بيروت: ١٩٥٢م ).
٤. حبيب مسعود، العصبة (البرازيل: ١٩٤٨م).
٥. الحديث، (حلب: ب ت).
٦. الدكتور خليل سعاده ، المجلة (القاهرة: ١٩٥٩ ).
٧. سهيل إدريس ، الآداب ، (بيروت: ١٩٦٣م).
٨. السياسة الأسبوعية (القاهرة، ١٩٦٠م ).
٩. الصداقة (بيروت، ١٩٥٣م).
١٠. الضاد ( فبراير ١٩٧٢م) .
١١. الطليعة (مصر، ١٩٢٧م) .
١٢. عبد المسيح حداد، السائح (نيويورك، ١٩٦٧م).
١٣. العروة (بيروت:الجامعة الأمريكية، ١٩٣٩م )

Dhaka University Institutional Repository



١٤. الفنون (نيويورك: ب ت ) .
١٥. القلم الجديد (الأردن: ١٩٥٣م ) .
١٦. الكرمة البرازيلية : (١٩٣٣م ).
١٧. المشرق (بيروت: ب ت).
١٨. المقتطف ( القاهرة: ١٩٢٢م) .
١٩. المكشوف (بيروت: ب ت).
٢٠. الموسوعة البريطانية ، الطبعة الرابعة عشر
٢١. الموسوعة الاسلامية ، المؤسسة الاسلامية بنغلاديش.
٢٢. الهلال ، جرجى زيدان (القاهرة: ١٩٤٧م ).
٢٣. الرابطة_القلمية/http://ar.wikipedia.org/wiki

**المصادر غير العربية**

١ . P .k .Hitti, The Syrians in Ameica.
٢ . Barbara young ,This man from Lebanon ,(N,york: ١٩٤٤.)

Dhaka University Institutional Repository



# فهرس المحتويات


شكر و اعتراف

التمهيد ..... أ ـ د

**الباب الأول : مهاجرة الشعراء والأدباء** ..... ١ ـ ٣٦

الفصل الأول : خلفية الهجرة ..... ٢ـ١٢

الفصل الثانى : أسباب الهجرة ..... ١٣ـ١٩

الفصل الثالث : أحداث الهجرة والرواد الأولون ومراحلها ..... ٢٠ـ٣٦

**الباب الثانى : المهاجرون وأدبهم** ..... ٣٧ـ٧١

الفصل الأول : حياة المهاجرين وأعمالهم ..... ٣٨ـ٤٥

الفصل الثانى : الأدب المهجرى ..... ٤٦ـ٦٢

الفصل الثالث : الصحافة العربية فى الولايات المتحدة الأمريكية ..... ٦٣ـ٧١

**الباب الثالث : الرابطة القلمية** ..... ٧٢ـ١١٣

الفصل الأول : الفنون مجتمع الشعراء ..... ٧٣ـ٧٦

الفصل الثانى : تأسيس الرابطة القلمية ..... ٧٧ـ٨٦

الفصل الثالث : صدور مجموعة الرابطة القلمية ..... ٨٧ـ٩١

الفصل الرابع : أثر المجموعة فى الشرق العربى و المهجر ..... ٩٢ـ٩٥

الفصل الخامس : تأثر أعضاء الرابطة بالغرب ..... ٩٦ـ٩٩

الفصل السادس : نهاية الرابطة القلمية ..... ١٠٠ـ١٠٢

الفصل السابع : البيئات الفكرية العربية فى المهجر الشمالى والرابطة القلمية ..... ١٠٣ـ١١٣

**الباب الرابع : شعراء الرابطة القلمية** ..... ١١٤ـ٢٠٦

الفصل الأول : جبران خليل جبران ..... ١١٥ـ١٥٣

الفصل الثانى : ميخائيل نعيمة ..... ١٥٤ـ١٦٥

Dhaka University Institutional Repository




الفصل الثالث : إيليا أبوماضى ..... ١٦٦_١٧٥

الفصل الرابع : نسيب عريضة ..... ١٧٦_١٨٤

الفصل الخامس : رشيد أيوب ..... ١٨٥

الفصل السادس : ندره حداد ..... ١٨٦_١٩٣

الفصل السابع : المقارنة الأدبية بين شعراء الرابطة ..... ١٩٤_٢٠٦

**الباب الخامس : الاتجاهات العامة فى أشعار شعراء الرابطة القلمية** ..... ٢٠٧_٢٦٠

الفصل الأول : التجديد فى الموضوعات ..... ٢٠٨_٢٤٦

الفصل الثانى : التجديد فى الأوزان ..... ٢٤٧_٢٥١

الفصل الثالث :التجديد فى الموسيقى ..... ٢٥٢_٢٥٥

الفصل الرابع : النثر الشعرى والشعرالمنثور ..... ٢٥٦

الفصل الخامس : التجديد فى الألفاظ ..... ٢٥٧_٢٦٠

**الباب السادس : مساهمات شعراء الرابطة القلمية فى فنون النثر المهجرى** ..... ٢٦١_٢٨٤

الفصل الأول :المقالة ..... ٢٦٢_٢٧٢

الفصل الثانى : القصة ..... ٢٧٣_٢٧٧

الفصل الثالث :المسرحية ..... ٢٧٨

الفصل الرابع : السيرة ..... ٢٧٩_٢٨٠

الفصل الخامس : المثل والرسالة ..... ٢٨١_٢٨٣

الفصل السادس : الخصائص العامة للنثر المهجرى عند كتاب الرابطة القلمية ..... ٢٨٤_٢٨٧

الخاتمة ..... ٢٨٨_٢٨٩

ثبت المراجع والمصادر ..... ٢٩٠_٢٩٣

فهرس المحتويات ..... ٢٩٤_٢٩٥